كتاب

علم الأدب

الجزء الاول

في

علم الانشاء والعروض

تأليف

الاب لويس شيخو اليسوعي

مدرّس البيان سابقًا في كليّة القديس يوسف

في بيروت



طبع في مطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت

١

كتاب

عِلم الأدب

الجزء الاول

في

عِلم الانشاء والعَروض

تاليف

الاب لويس شيخو اليسوعي

مدرّس البيان سابقاً في كلية القديس يوسف

في بيروت

IHS

طبعة سابعة مصححة

بمطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت

مقدمة

الطبعة الجديدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي زيّن الانسان . ببراعة المنطق وفصاحة اللسان . وأقدره بما اختصه من بديع المقال . على دفع الضلال . ودرء الشبهات . وإبطال الترّهات

اما بعد فان أحقّ ما يُعنى بشأنه الكاتب . ويسعى في تحصيله فهمهُ الثاقب . معرفة فنون الكتابة . واساليب الانشاء والخطابة . لئلّا يخوض في عُبابها وهو قليل الدُّربة . ويجري في مِضمارها فارغ الجُعبة . فيخبط على غير هدًى . وتُترك بضاعتهُ سدًى . هذا وكثيرًا ما نرى متطفّلي الكَتَبة يعتاضون بشقشقة اللسان . عن وِرد صافي مناهل البيان . ويؤثرون النظم السخيف . على لُباب الشعر الشريف . ويظنّون ان بتسويد الصفائح . غنًى عن تجويد القرائح . فمن ثمَّ استهدفوا لسهام العائبين . واستعرضوا لعذل المنتقدين الصائبين . فتداركًا لهذا الخلل تقدّم اليَّ منذ بضعة اعوام . مَن القيتُ في يدهِ من امري بالزِمام . بوضع كتاب ينهَج لطلّاب المدارس طرق الكتابة ومعاهدها . ويرشدهم الى مصادرها ومواردها . فلم أرَ اذ ذاك بُدًّا من تلبية دعوته . وتحقيق اُمنيّته . ولمّا ألممتُ في بدء الامر بمقصدي خالج قلبي تعريب كتاب من كتب الاجانب . لسعة نطاق تآليفهم في هذا الجانب . لكنّي رأيت قبيحًا انْ اعدلَ عن مُخيَّم جهابذة العرب . لاقيّد نفسي بإسار تقليدِ معلول النسب . وعليهِ شمّرتُ عن ساعد الجدّ في مطالعة قسم كبير

من مصنّفات جلّة الادباء . المبرّزين في إرشاد الكتّاب الى فنون الانشاء . على مناحي البلغاء . فلما صرفت شطرًا من الزمان وانا اسرّح في رياض تقاريرهم النظر . تحققت انّ إدراك الوطر . بتخليص أوضاعهم وتبويبها . وكشف اسرارهم وتقريبها . وتدوين مقاصدهم وتهذيبها . فصرت اجتلي من انوارهم . واجتني من اثمارهم . واسلك على آثارهم . حتى جاء والحمد لله كتابًا مختصرًا شاملًا لاصول فنون الكتابة حاويًا لمباحثها ودلائلها . منطويًا على جلِّ اركانها ومسائلها . بمناهج تُستشفُّ من ورائهِ نتائج افكار المتقدمين . لا يمجُّهُ ذوق المتأخرين . وهو مُفرَغٌ بقالب السؤال والجواب . تيسيرًا للتحصيل على احداث الطلاب . مُحلّى بفِقَرٍ وشواهد مأخوذة عن مشاهير الكتّاب . وجعلتهُ جزئين اودعت الاول قواعد فنّ الكتابة من نظم ونثر . والثاني قوانين فن الخطابة مردفة بعلم نقد الشعر * واتبعتهما بكتابين آخرين يتضمّنان مقالات اشهر كتّاب العرب في هذه الفنون . وهما كتابان فريدان في بابهما . نحضُّ كل الادباء على ارتشاف رُضابهما

هذا واننا نشكر افضال من مدَّ الينا يد المساعدة في مراجعة هذا الكتاب واصلاحهِ وتحسينهِ . ثم ارجو من كرم ارباب العلم ان يجعلوا ما يستحسنون من بعض اقسام هذا العمل . شافعًا عمّا تقف عليهِ فكرتهم المنقادة من الخلل . والله الموفّق للصواب . واليهِ المرجع والمآب

* (حاشية) اعلم انهُ قد حال دون بلوغ غايتي بتمامها سفرٌ طويل اضطرّني الى ان ادع موقتًا ما نويت . فطبع قسم الخطابة دون علم نقد الشعر وسيُنجز في هذه الطبعة الجديدة ان شاء الله

توطئة

في تعريف علم الادب وغايتهِ واركانهِ

س ما هو الأدب

ج الادب عبارة عن معرفة ما يُحترَز بهِ عن جميع انواع الخطإ (١

س على كم قسم الادب

ج على قسمَين طبيعيّ وكَسبيّ . فالطبيعيّ (ويدعى ايضاً النفسيّ) هو ما فُطِر عليهِ الانسانُ من الاخلاق الحسنة والصفات المحمودة كالحِلم والكرم . والكسبيّ ما اكتسبهُ بالدرس والحفظ والنَّظر (٢ . وعليهِ مدار الكلام في هذا الكتاب

س كيفَ يُعرَّف الادب الكَسبيّ

ج هو علم صِناعيٌّ (٣ تُعرَف بهِ اساليب الكلام البليغ في كلّ حال من احواله (٤ . وهو المدعوّ بعلم الادب

١ تعريفات الجرجانيّ ٢ مهن الادب لابن هذيل

٣ الصناعة هي العلم المتعلق بكيفيَّة العمل (الجرجاني)

٤ الثعالبي اعلم ان بعض المحدّثين اطلقوا تسمية علم الادب على العلوم العربية فتنقسم على ما صرَّحوا الى اثني عشر قسماً منها اصول ومنها فروع . فالاصول هي الصرف والنحو والاشتقاق واللغة والقافية والعروض

(راجع في تعريف علم الادب الصفحة ٣ من الجزء الاول من مقالات علم الادب)

س ما هو موضوع علم الادب

ج موضوعهُ الكلام (المنظوم والمنثور) من حيث فصاحتهِ وبلاغتهِ. قال صاحب المثل السائر:

ان موضوع كل علم هو الشيء الذي يُسأل فيهِ عن احوالهِ التي تعرض لذاته. فموضوع الطبّ مثلًا بدن الانسان والطبيب يَسأل عن احوالهِ التي تعرض لهُ في صحّتهِ وسقمهِ. وموضوع الحساب هو الأعداد

والمعاني والبيان. واما الفروع فعلم الخطّ والشعر والانشاء والتاريخ. واماً البديع فقد جعلوهُ ذيلًا لعلمَي المعاني والبيان لا قسماً براسهِ. ومنهم من حصر الادب في عشرة علوم وهي علم اللغة وعلم التصريف وعلم المعاني وعلم البيان وعلم البديع وعلم العروض وعلم القوافي وعلم النحو وعلم قوانين الكتابة وعلم قوانين القراءة (راجع كتاب كشّاف اصطلاحات الفنون للتهانوي). وقد جمع بعضهم اسماء علوم الادب في قولهِ:

نحوٌ وصرفٌ عروضٌ بعدهُ لغةٌ ثمَّ اشتقاقٌ وقَرْضُ الشعر إنشاءُ
كذا المعاني بيانُ الخطّ قافيةٌ تاريخُ هذا لعلم العُرْب إحصاءُ

امَّا نحن فقد اطلقنا اسم علم الادب على علم الانشاء والخطابة وفنونها نثراً كان او نظماً. وكان ذلك في عرف الاقدمين. قال السخاويّ في كتاب ارشاد القاصد: الادب علم يُتعرَّف منهُ التَّفاهُم عما في الضمائر بادلَّة الالفاظ والكتابة. وموضوعهُ اللفظ والخطّ من جهة دلالتهما على المعاني. ومنفعتهُ اظهار ما في نفس الانسان من المقاصد وايصالهُ الى شخص آخر من النوع الانسانيّ حاضراً كان او غائباً. وهو حلية اللسان والبنان وبهِ يتميز ظاهر الانسان على سائر انواع الحيوان

والحاسب يسأل عن احوالها التي تعرض لها من الضرب والقسمة والنسبة . وكذلك يجري الحكم في كل علم من العلوم . وبهذا الضابط تنفرد كل علم برأسهِ ولم يختلط بغيره . وعلى هذا فموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة وصاحبهُ يسأل عن احوالها اللفظية والمعنوية . وهو والنحويّ يشتركان في ان النحويّ ينظر في دلالة الالفاظ على المعاني من جهة الوضع اللُّغوي وتلك دلالة عامّة وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة وهي دلالة خاصّة والمراد بها ان يكون على هيئة مخصوصة من الحسن وذلك وراء النحو والاعراب . ألا ترى ان النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ويعلم مواضع اعرابهِ ومع ذلك فانهُ لا يفهم ما فيهِ من الفصاحة والبلاغة (راجع الصفحة ٥ من المقالات)

س ما هي غاية علم الادب

ج لعلم الادب غايتان : قريبةٌ وهي الاجادة في فنَّي المنظوم والمنثور على اساليب العرب (١) وبعيدةٌ وهي تهذيب العقل وتذكية الجنان

س ما هي فوائدهُ

ج فوائدهُ جمّةٌ : اوَّلها انَّهُ يعصم صاحبَهُ من ذلَّة الجهل . ثانيها انهُ يروّض الأخلاق ويليّن الطبائع . ثالثها انَّهُ يعين على المروءة وينهض بالهمم الى طلب المعالي والامور الشريفة (٢)

١ ابن خلدون ٢ عين الادب والسياسة لابن هذيل وتحفة الاديب للفاسي

(راجع في مقالات علم الادب البحث الرابع في شرف الادب ومنافعهِ ص ٤)

س كم نوعًا لعلم الادب

ج نوعان: الاوَّل ما يفيد معرفة الانشاء وطرق الكتابة عمومًا. والثاني ما يعلّم الاجادة في فنّ الخطابة خصوصًا وسنفرد لكلٍّ منهما كتابًا.

(راجع في مقالات علم الادب البحث الثاني في تقسيم الادب ص ٤)

س كم هي اركان علم الادب

ج اربعة:

الاوَّل قوى العقل الغريزيَّة

الثاني معرفة الاصول

الثالث مُطالعة تصانيف البُلغاء

الرابع الارتياض (١

١ قوى العقل الغريزيَّة

اعلم ان العقل غريزيٌّ وهو النور الذي خلقهُ الله في الانسان يُدرك بهِ حقائق الامور. ومُكتسبٌ وهو ما يُستفيدهُ العقل الغريزيّ

---

١ والى هذه الاركان اشار بعض حكماء العرب فقال: العلوم الادبيَّة مطالعها من ثلاثة أوجُه قلب مُفكّر ولسان مُعبّر وبيان مصوّر. وروي للشافعيّ:

ألا ان تنالَ العلمَ الَّا بستَّةٍ سأُنبيكَ عن مجموعها ببيانِ
ذكاءٌ وحرص واجتهادٌ وبُلغةٌ وإسعاد أُستاذٍ وطولُ زمانِ

بالتجارب والممارسة (١ فكل درس يكون قليل الفائدة اذا لم يكن المرء اصاب من العقل الغريزيّ بقسم صالح وما العقل المكتسب الّا ثمرة العقل الغريزيّ

هذا ولا يُخفى على ذوي العقول النيّرة انّ للعقل الغريزي خَدَماً تقوم بمساعدتهِ وتسمَّى قواهُ . وقد حدَّدوا القوَّة : مبدأ الفِعل والتَّرك . وبهذه القوى يستعدّ الانسان لقَبول العلوم الادبية وادراك المعارف الفكريَّة

(راجع في مقالات علم الادب ما جاء من المباحث في العقل وشرفهِ وتقسيمهِ ص ٩ – ١٦)

س كم هي قوى العقل الغريزيّة المعوَّل عليها في علم الادب

ج هي خمسٌ : الذَّكاء والخيال والحافظة والحسّ والذوق

س ما الذكاء

ج الذكاء (ويعرف ايضاً بالذهن) هو الاستعداد التامّ لادراك العلوم والمعارف بالفكر (٢ . وفي كتب اللغة : الذكاء عبارة عن حدَّة الفؤاد وسرعة الفطنة .

اعلم ان في القوَّة الغريزية هذه تفاوتاً لا يُنكر (٣ . فمن الناس

١ الجرجانيّ والتهانوي والقزويني

٢ ادب الدنيا والدين للماوردي

٣ قال القزويني في كتاب عجائب المخلوقات : ان التفاوت في الغريزة



من اصاب من الذهن بالنصيب الكافي للاتيـان بما يريد من التآليف الصحيحة المباني البديعة المعاني ناهجًا في ذلك مناهج المتقدّمين من ايمّة الكتّاب . ومنهم مَن يُؤتى ذهنًا متوقّدًا يرتجل بهِ كلامًا لم يسبقهُ اليهِ غيره فيأتي بالمعاني السامية والتصانيف البليغة من نثرٍ يفتن اللبَّ بطلاوتهِ ونظمٍ مُفلق يأخذ بمجامع القلب لسلاستـهِ مما يعجز عن تقليدهِ عامّة الكتّاب (١

(راجع في مقالات علم الأدب ما جاء للماوردي في هذا المعنى ص ١١ — ١٦)

س ما الخيال

ج الخيـال عند الحكماء قوّة باطنة تحفظ صوَر المحسوسات بعد غيبوبة المادّة (٢

اعلم ان الخيال من أكبر اسباب النجاح في فنّ الكتابة اذ يجلي ما ورد على العقل من المعاني بصور بديعة حتى يخيّل للمُطالع معاينتها وربّمـا شخّص المعنى المجرّد عن الحسّ حتى يجعلهُ كالمحسوس مثل اسماء المعاني وغيرها . كما قال الامام عليّ في الموت :

امرٌ لا سبيل لجحده فانهُ مثل نورٍ يُشرق على النفس . ومبادئُ إشراقهِ عنـد سنّ التمييز ثمّ لا يزال ينمو ويزداد . غوًّا الى ان يتكامل بقرب الاربعين . وكيف يُنكر تفاوت الغريزة وقد شاهدنا اختلاف النـاس في فهم العلوم وانقسامهم الى بليد لا يفهم بالتفهيم الّا بعد تعب طويل والى ذكي يفهم بادنى رَمز والى مغفّل كثير الخطإ قليل الصواب والى فطن كثير الصواب قليـل الخطإ

١ راجع ادب الدنيا والدين للماوردي

٢ المواقف للايجي والكشاف للتهانوي

الموت بابٌ وكل الناس تدخلهُ يا ليت شعريَ بعد البابِ ما الدارُ

(راجع ما جاء في التصوّر والتمثّل والخيال والخيالي في المقالات ص١٦—١٧)

س ما الحسّ

ج الحسّ قوّة يتـأثّر بها الانسان من صوَر المُدرَكات كاللذّة والألم (١

والحسّ ايضًا من شروط الكتـابة اذ يُعين الكاتب بما يحدث فيهِ من التأثير على رسم صُور المحسوسات رسمًا محكَمًا فيقتدر اذ ذاك على تحريك العواطف واستمـالة القلوب. ألَا ترى انك ان اردتَ ان تثير عواطف الحُزن او الغضب لم تجد لذلك سبيلًا الّا اذا كان الحزن والغضب قد عَملا فيك اوّلًا. قال ابن عبد ربه في العقد الفريد: ان الكلام العذب اذا حلَّ في القلب احدث فيهِ حركةً وهزّةً. واذا سمع ذو ذكاء كلامًا مستظرفًا او نظمًا وجد لهُ دبيبًا وقشعريرةً

س ما الحافظة

ج الحافظة قوّة من شأنها حفظ ما يدركهُ العقل من المعاني فتذكرهُ عند الحاجة. ولذلك سُمّيت ذاكرة (٢

قال عبد اللطيف البغداديّ: واذا قرأتَ كتابًا فاحرص كلَّ الحرص على ان تستظهرهُ. وتوهمْ انّ الكتاب قد عُدم وأنّكَ مستغنٍ عنهُ لاتحزن لفقدهِ. والعرب تقول في امثالها: حرفٌ في قلبك خيرٌ من الفٍ في كتبك

١ الشفاء لابن سينا

٢ التهانوي والجرجاني وغيرهما

(راجع مقالة الماوردي في الحافظة في المقالات ص ١٨ — ١٩)

س ما الذوق

ج الذوق في اللغة الحاسَّة يُدرَك بها طعم المآكل. وفي اصطلاح الادباء: قوّة غريزية لها اختصاص بادراك لطائف الكلام ومحاسنهِ الخفيَّة (١

قال بعضهم: الذوق هو البصر بجيّد الكلام ورديئهِ. فان سمع صاحبهُ تركيباً غير جارٍ على منحى البلاغة مجَّهُ ونبا عنهُ سَمْعُهُ بادنى فكر بل وبغير فكر الّا بما استفاده من حصول ملكة الذوق (٢.

س بماذا يُحصَل على مَلَكة الذوق

ج اولًا بالمثابرة على الدرس

ثانيًا بممارسة كلام ايمّة الكتّاب وتكرارهِ على السمع والتفطُّن لخواصّ معانيهِ وتراكيبهِ

ثالثًا بتنزيه العقل والقلب عمّا يُفسد الآداب والاخلاق. فانّ ذلك من اقوى اسباب سلامة الذوق (٣

(راجع مقالة ابن خلدون في الذوق من الصفحة ٢٠ الى ٢٤ من مقالات علم الادب)

---

١ . الجلبيّ في شرح خطبة التلخيص
٢ ابن خلدون وابن عبد ربهِ
٣ ابن خلدون والزرنوجي والغزّالي

٢ اصول علم الادب

س ماهي اصول علم الادب (١

ج هي مجموع قوانين الكتابة وفيها تبيان طرق حسن التأليف وضروب الانشاء وفنون الخطابة (٢

س كيف تقسم هذه الاصول

ج تقسم الى قسمين عامّة وخاصّة . فالعامّة تشمل كلّ صنف من التآليف الادبية من منظوم ومنثور كفصاحة اللفظ وبلاغة المعنى الخ . اما الخاصّة فقد وُضعت لكل تصنيفٍ بمفردهِ كالرسائل والامثال الى غير ذلك كما سترى (٣

ومرجع هذا الكتاب الى ايضاح هذه الأصول وتبيانها .

٣ المطالعة

س ما المراد بالمطالعة

ج المطالعة في اصطلاح اهل الادب هي الوقوف على

---

١ يسمّي ابن خلدون هذه الاصول « قوانين البلاغة » فقال في تعريفها : «قوانين البلاغة انما هي قواعد علميّة قياسية تفيد جواز استعمال التراكيب على هيأتها الخاصّة بالقياس وهو قياس علمي صحيح مطّرد كما هو قياس القوانين الاعرابية » الّا انّ هذه القواعد القياسيّة لا تفيد شيئًا دون جودة القريحة وحسن الذوق

٢ كتاب الصناعتين للعسكري

٣ راجع المثل السائر لابي الفتح الموصلي

كلام البلغاء بتدبُّر (١ اعني بالتأني والتبصُّر فيها

س ما الفائدة من المطالعة

ج فوائد المطالعة جمّة(٢ :

اوّلها ان الكاتب يذخر له كلَّ لفظٍ مؤنِق شريف وكل معنًى بديع بحيث يتصرَّف بهما عند الضرورة

ثانيها ان القراءة كثيرًا ما تبيّن اساليب الكتابة بوجهٍ اصرح من دراسة القوانين

ثالثها انهـا تطبع في الذهن ملكة البلاغة الاهمّ اذا روعيت شروطها (٣

س ما هي شروط المطالعة

ج شروط المطالعة ثلاثة (٤ :

الاوّل ان يستقلّ المطالع ببعض فحول اللغـة وايمّة

---

١ ابن خلدون وابو الفتح الموصلي .

٢ قال الجاحظ : القراءة تشحذ الفكرة وتجلو العقل وتحيي القلب وتقوي القريحة وتُنمي الطبيعة وتبعث نتائج العقول وتستثير دفائن القلوب فضلًا عن انها تؤنس الوحشة وتصل لذاتها الى القلب من غير سآمة تدركك ولا مشقة تعرض لك . قال المتنبيّ :

اعزُّ مكانٍ في الدُّنى سرج سابحٍ وخير جليسٍ في الزمان كتابُ

٣ الفخري وابن خلدون

٤ راجع ابن الاثير وابن خلدون وابا الفتح الموصلي

الادب فيقتصر على درسهم حتى ينطبع على منحاهم

الثاني ان يُطيل النظر في هذه المطالعة ويردّد مرارًا ما استحسنهُ من تصانيفهم كي يرصّ الذهنَ في قالبهم

الثالث ان ينتقي منها شيئًا ممّا استجادهُ من اللفظ الحرّ والتراكيب الصحيحة والمعاني البليغة تكون ذخرًا لذاكرته (١ ومهمازًا لقريحته (٢

(راجع البحث في المطالعة في مقالات علم الادب ص ٢٤)

٤ الارتياض

س ما الارتياض

ج هو التدرُّب بوجوه الانشاء . ومن المعلوم انَّ ملكة الكتابة تستحكم وترسخ بالاكثار من التمرُّن والممارسة (٣

س . اذكر طرائق الارتياض

ج للارتياض انحاء كثيرة نقتصر على ذكر بعضها :

---

١ قال ابن خلدون في المقدمة : ان من كان خاليًا من المحفوظ فنظمهُ قاصر رديءٌ لا يعطيهِ الرونق والحلاوة الا بكثرة المحفوظ ٢ المثل السائر

٣ قال خالد بن صفوان في الممارسة : انما اللسان عضو ان مرّنتَهُ مرن فهو كاليد تخشّنها بالممارسة وكالبدن تقوّيهِ برفع الحجر والرجل اذا عُوّدت المشيَ مشت

الأوَّل ان تتوسَّع في شرح بعض المعاني فتبينهُ باوجُهٍ شتَّى وتنمّقهُ باشكال البديع كما فعل الحريريّ في مقامتهِ الاولى حيث يزجر العاصي لايثار السفليات على العلويات بقولهِ:

تؤثر فلساً تربيهِ. على ذكر تعيهِ. وتختار قصرًا تعليهِ. على برٍّ توليهِ. وترغب عن هادٍ تستهديهِ. الى زادٍ تستهديهِ. وتغلّب حبَّ ثوبٍ تشتهيهِ. على ثوابٍ تشتريهِ. يواقيت الصِلات. اعلق بقلبك من مواقيت الصلاة. ومغالاة الصدُقات. آثر عندك من موالاة الصدَقات. وصحاف الالوان. اشهى اليك من صحائف الاديان. ومداعبة الاقران. آنس لك من تلاوة القرآن

الثاني ان تجتهد في وضع بعض مواضيع وجيزة فتصوغ تارةً وصف مدينةٍ او مدحاً او تهنئةً واخرى تسرد مثلاً او تسبك روايةً الى غير ذلك من المواضيع. فانَّ المتروّض ينجح ويفلح على قدر ما يصرف من الهمّة والثبات في ذلك

الثالث ان تحذو حذو المتقدّمين في اوضاعهم باستعمال الفاظهم ومعانيهم (وسنفرد ان شاء الله باباً للاحتذاء)

الرابع ان تحلّ النظم فتأتي بهِ نثرًا انيقاً وتعقد النثر فتصوغهُ صوغاً رشيقاً

(راجع في الصفحة ٢٥ وما يليها من المقالات ما جاء في الارتياض والممارسة نقلاً عن الادباء)

كتاب
علم الادب

الجزء الأول

في
علم الانشاء والعروض

القسم الأول

في علم الانشاء

س ما هو الانشاء (١

ج الانشاء علم يُعرَف بهِ كيفية استنباط المعاني وتأليفها مع التعبير عنها بلفظ لائق بالمقام (٢

قال في غُرر الخصائص: ان الانسان اذا اراد ان يعبّر عمّا في ضميره من المعاني يبتدع لها صورةً من اللفظ تكون بمنزلة لباس المعنى وحِليتهِ

١ هو مصدر انشأَ الحديثَ اي وضعهُ واوجدهُ ومنهُ علم الانشاء. امّا عند اهل العربية فيُطلق على الكلام الذي ليس لنسبتهِ خارج تطابقهُ او لا تطابقهُ. اعني لا يحتمل صدقًا ولا كذبًا كقولك: جزاك الله خيرًا. فان قائلهُ لا يُنسَب اليهِ صدقٌ او كذب. وسيأتي عنهُ الكلام في باب المعاني

٢ ابن رشد وابو الخَير

(فائدة) اعلم انَّ لعلم الانشاء استمدادًا من جميع العلوم وذلك لانَّ الكاتب لا يستثني صنفًا من الكتابة فيخوض في كل المباحث ويتعمَّد الانشاء في كل المعارف البشرية من حيث الفصاحة والبلاغة

(راجع في تعريف الانشاء البحث الوارد في مقالات علم الادب الصفحة ٣٧)

س على اي شيءٍ يدور علم الانشاء

ج على ركنين وهما اصول الانشاء وفنونهُ

الفصل الاول

في

اصول علم الانشاء

س كم هي اصول علم الانشاء

ج اربعة:

الاول موادّ الانشاء

الثاني خواصّ الانشاء

الثالث طبقات الانشاء

الرابع تحسين الانشاء

الأصلُ الأوّلُ

موادّ علم الانشاء

س كم هي موادّ علم الانشاء

ج موادّ علم الانشاء ثلاث :

الاولى الالفاظ

الثانية المعاني

الثالثة ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة والتوسّع في المعاني وذلك البيان

الباب الاول

الالفاظ

س ماذا يقتضي ان يراعيَهُ الكاتب في الالفاظ

ج يُقتضى ان يُراعي امرَيْن الاول فصاحة الالفاظ والثاني صَراحتهـا

(فائدة) اعلم انّ البيانيين لم يذكروا في أثناء كلامهم عن الالفاظ غير فصاحتها . وفي هذا خلَل لان اللفظة اذا لم تكن مع فصاحتها دالّةً على المطلوب صارت قلقةً وشوّهت وجه المعنى



البحث الاول

في الفصاحة

س ما الفصاحة

ج الفصاحة في اللغة الإبانة والظهور . وعند اهل المعاني : هي عبارة عن الالفاظ البيّنة الظاهرة المتبادرة الى الفهم والمأنوسة الاستعمال لمكان حسنها (١

س كم نوعًا الفصاحة

ج الفصاحة نوعان فصاحة المفرد وفصاحة المركّب حسبما يعتبر الكاتب اللفظة وحدها او مسبوكةً مع اخواتها

(راجع مقالة تحديد الفصاحة في مقالات علم الادب ص ٣٩)

فصاحة المفرد

س ما هي فصاحة المفرد

ج هي خلوصهُ :

اولاً من تنافر الحروف فتثقل اللفظة على اللسان ويعسر النطق بها (٢ نحو : استَشزر وسَجَسَج وعَقْعَقة والهُعْخُع (٣)

---

١ التهانوي والسيوطي والتفتازاني وغيرهم ٢ راجع المزهر للسيوطي

٣ استشزر اي فتل . والسَّجْسج الارض ليست بسهلة ولا صُلْبة . والعقعقة صوت العقعق . والهُعْخُع نبات

ثانيًا من الغرابة بان تكون الكلمة غير مأنوسة الاستعمال

قال السيوطي: الغرابة ان تكون الكلمة وحشيّة لا يظهر معناها. فمنها ما يحتاج في معرفته الى ان يُنَقَّر عنهُ في كتب اللغة المبسوطة نحو: يوم عصَبصَب وهِلَّوْف اي شديد البرد. او كقول رؤبة:

اني اذا أَنشدتُ لا أَحبَنْطي (١)

وكقول عيسى بن عُمر النحويّ وكان سقط عن دابتهِ فاجتمع الناس حولهُ: «ما لكم تكأكأتم (٢ عليَّ كتكأكُئكم على ذي جِناية افرنقعوا عني» (٣. فقال بعضهم: دَعُوهُ فان شيطانهُ يتكلم بالهنديّة.

ومنها ما يُخرَّج لها وجهٌ بعيد كقول البحتري في المديح:

أَمِنًا أَنْ تُصَرَّعَ عن سماحٍ وللآمالِ في يدِك اصطراعُ

اراد انّهم آمِنوا ان يغلِبَهُ غالبٌ يصرعهُ عن السماح ويمنعهُ منهُ. واما قولهُ «للآمال اصطراع» فمعناهُ تنافُس وتغالُب وازدحام في يدهِ. يريد كثرة نوالهِ وكرمهِ. واستعمالهُ لِلَفظة الاصطراع بهذا المعنى بعيد (٤

(فائدة) ومن الغرابة ايضًا استعمال الكلمة العاميّة او الدخيلة وهي المستعارة من لغة اجنبية. وقد كثر ذلك في كتّاب عصرنا. واعلم انهُ لا يسوغ استعمال الدخيل الّا اذا خلَتْ العربية من مرادف لهُ. فسبيل الكاتب ان يُعنَى بتصفُّح كتب اللغة ليجد ضالّتهُ فان وجدها فنعمًا والّا فلهُ ان يستعين بالدخيل او يعرّب الكلمة على صورةٍ حسنة.

١ احبَنطَى انتَفَخَ بطنُهُ
٢ اي اجتمعتم
٣ اي تنحّوا
٤ الموازنة بين ابي تمّام والبحتري.

وقد نقل قدماء العرب الى لغتهم كثيراً من المفردات لم يجدوا لها وضعاً في اللغة فأخرجوها مخرجاً سهلاً كالأُسقُف (واصلهُ باليونانية إپسكوپوس) والإِنجيل (باليونانية إوَنغِليون) والإِسكاف (بالسريانية أُوشكُفا) الخ . وللجواليقيّ في المعرَّب كتاب مفيد طبع منذ اعوام.

ثالثاً من مخالفة القياس اللغوي بان تكون الكلمة على غير ما اثبتهُ الواضع كقول الفرزدق :

واذا الرجالُ رأَوا يزيد رأيتهم خضعَ الرقاب نواكسَ الابصارِ

فقد جمع « ناكس » على « فواعل » وهذا لا يجوز عند اهل النحو الّا في موضعين فوارس وهوالك

أو كقول آخر :

الحمد لله العليّ الأَجلَلِ الواحدِ الفرد القديم الاوَّلِ

ففكَّ ادغام الاجلّ وهذا لا مسوّغ لهُ

رابعاً من الكراهة في السمع بان تنبو عنها الآذان كما تنبو عن سماع الاصوات المنكرة [1]

اعلم انَّ اللفظ من قِبَل الاصوات منهـا ما تستلذُّ الأُذن سماعَهُ كقولك « داهية دهياء وماء عَذْب وكريم النفس » . ومنها ما تكره سماعهُ كقولك في المعنى : « داهية خنفقيق . وماء نُقاخ . وكريم الجَرْشى »

أو كقول ابي تمّام :

---

١ الايضاح للقزويني

قد قلتُ لمّا اطلخمّ الامرُ وانبعثت عسواء تالية غُبساً دهاريسا (١

قال صاحب المثل السائر: ان لفظة اطلخمّ من الالفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين في انها غريبة وانها غليظة في السمع كريهة على الذوق. وكذلك لفظة دهاريس

خامساً من الابتذال وهو ما استُقبح استعماله ويكون إمّا لنقل العامّة للفظة الى غير اصل الوضع كقولهم للابله: «بُهلول» ومعناهُ في اللغة السيد الجامع لكلّ خير

وإمّا لسخافتها في اصل الوضع نحو طوب في طين

(راجع في المقالات ما ورد عن الفصاحة وحقيقتها واحكامها وشروطها من الصفحة ٤٢ الى ٥٢)

٢ فصاحة المركّب

س ما هي فصاحة المركب

ج هي خلوص المركب الفصيح المفردات:

اولاً من ضعف التأليف كقول المتنبي:

ليس الأك يا عليُّ هُمامٌ سيفهُ دون عِرضهِ مسلولُ

فوصل الضمير بالأ وحقّهُ ان ينفصل (إلّا ايّاك)

وكقولهِ: لأنت اسودُ في عيني من الظُلَمِ

---

١ اطلخمّ الامر اي اشتدّ وعظم. والعسواء الليلة المظلمة. والغبس جمع اغبس وغبساء وهي مثلها الشديدة الظلام. والدهاريس جمع دهريس وهي الدواهي

والقياس اشد سوادًا اذ لا يُبنى افعل التفضيل من الافعـال الدالّة على الالوان (١

ثانيًا من تنافر الكلمات مع بعضها والكراهة في تركيبها

كقول المتنبي ايضاً:

جَفخَتْ (٢ وهم لا يجفخون بها بهم شيمٌ على الحسب الاغرّ دلائلُ

وقد استُهجن هذا البيت لما في صدرهِ من الكراهة

ثالثًا من التعقيد وهو ايراد كلام خفيّ الدلالة على معناهُ ويكون التعقيد إمّا من جهة اللفظ كمـا قال المتنبيّ في المدح:

أنّى يكون ابا البرايا ادمٌ وابوك والثّقلان انت محمّدُ

يريد أنّى يكون آدم ابا البرايا وابوك محمّد وأنت الثقلان

او من جهة المعنى كقول العبّاس بن احنف:

ساطلب بُعْد الدار عنكم لتقربوا وتسكبُ عيناي الدموعَ لتجمُدا

اراد هنا بجمود العينين السرورَ كما يظهر من صدر البيت. وهذا بعيد لان السامع لا ينتقل من جمود العينين الى الفرح الّا بالفكرة الطويلة

رابعًا من تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين

كقوله ايضاً:

ومن جاهل بي وهو يجهل جهلهُ ويجهل علمي انهُ بيَ جاهلُ

(راجع فصلي فصاحة المفرد وفصاحة المركّب في المقالات الصفحة ٥٤)

---

١ راجع يتيمة الدهر للثعالبي ٢ اي فخرت

البحث الثاني

في الصراحة

س ما المراد بصراحة المفرد

ج المراد بذلك ان تدلّ اللفظة على نفس المطلوب بحيث تكون كقالب لمعناها (١

كما اذا اطلقتَ لفظ الخوان على المائدة ولفظ النعش على السرير عُدَّ ذلك مخالفًا للصراحة لانّ المائدة هي الخوان الذي يُوضع عليهِ طعام والنعش هو سرير الميت

ومنهُ قول ابي الطيب المتنبي :

رأيتكُ في الذين أرى ملوكًا كانك مستقيمٌ في مُحالِ

فان لفظة « مُحال » مع فصاحتها غير صريحة لان معناها « غير الممكن » وقد اراد بها هنا المعوجّ

س بماذا يُتوصَّل الى صراحة الالفاظ

---

١ الماوردي . قال ابن عبد ربهِ في ذلك : لا تجعل اللفظة قلقةً في موضعها نافرةً عن مكانها فانك متى فعلتَ هجنتَ الموضع الذي حاولتَ تحسينهُ وافسدتَ المكان الذي أردت اصلاحهُ . فانَّ وضع الالفاظ بغير اماكنها انما هو كترقيع الثوب الذي لم تشابهُ رقاعهُ ولم تتقارب اجزاؤهُ وخرج من حدّ الجدَّة وتغيّر حسنهُ كما قال الشاعر :

ان الجديد اذا ما زِيد في خلَقٍ يُبين للناس انَّ الثوبَ مرقوعُ

ج بمعرفة المترادفات والصفات والأبدال

س ما الترادف

ج الترادف في تعريفات الاصوليين: توارُد الفاظٍ مفردة دالّة على مسمّى واحد لكنها تختلف بعض الاختلاف في اصول وضعها

كالكِسْرة مثلًا والخرقة والبَدرة والفِلذة والبُقعة هي كلماتٌ ترادفُ لفظةَ « قطعة » . لكنّما الاولى للخبز . والثانية الثوب . والثالثة للذهب . والرابعة للكبد . والخامسة للارض

ومن ذلك ما ورد عن قُتيبة بن مُسلم انهُ قال لاهل خراسان : « مَن كان في يده شيء من مال عبدالله بن حازم فلينبذهُ . فان كان في فيهِ فليلفظهُ . فان كان في صدرهِ فلينفثهُ » . فتعجَّب الناس من حسن ما فصَّل وقسَّم (١

(راجع مقالة ابن الاثير في الالفاظ المُترادفة في مقالات علم الادب ص٥٢)

(فائدة) اعلم ان للثعالبي في معرفة المترادفات كتابًا طبع مرارًا وسمّهُ صاحبهُ بفقه اللغة وشحنهُ بفوائد جمَّة من هذا الباب . ومن ذلك ايضًا تأليف آخر في الفُرق وضعهُ الاب لِمنس اليسوعي نقلًا عن الاقدمين

س ما الصفات

ج الصفات هي مُفرَدات وُضعت لبيان الموصوف

١ راجع كتاب فقه اللغة للثعالبي

وتحسينـهِ كقولك : سيف جُراز . حرّ لافح . برد قارس . غصن أملود الخ .

س ما يُستحسَن من هذه الصفات

ج يُستحسَن منهـا ما كان ناجمًا عن نفس المنعوت دالًّا عليهِ دون غيرهِ . واختيارهـا موكول الى الذوق بعد النظر في الموصوف وأحوالهِ ومُقتضى الحال (١

س متى يُقتضَى العدول عن الصفات

ج يُقتضى العدول عن الصفات :

اولًا اذا لم تطابق الموصوف

ثانيًا اذ قلَّت فائدتها فلم تزد الموصوف بيانًا

ثالثًا اذا تراكمت على بعضها (٢ . وهو عيب فشا في الكتّاب المحدثين

س ما البدَل

ج البدل في اللغـة ما ناب عن غيره . وفي اصطلاح البيانيين: هو صفة تقوم مقام الاسم فتزيد في تعريفهِ ونعتهِ (٣ كقولك : كليم الله (لموسى النبي) . وهامة الرُسُل (لبطرس) . ورسول الامم (لبولس) وذي القرنين (للاسكندر) .

---

١ للوطواط ٢ كتاب الصناعتين للعسكري والمثل السائر

٣ بدائع القرآن

واعلم ان للابدال هذه اذا ما اجاد الكاتب في استعمالها أولت الكلام حسناً ورونقاً

الباب الثاني

في المعاني

س ما هو المعنى

ج المعنى لغةً المقصود وفي عرف البيانيين هو الصورة الذهنية من حيث تقصد من اللفظ (١ • وبعبارة أُخرى هو التعبير باللفظ عمّا يتصوّرهُ الذهن

س كم وجهًا للمعنى

ج ان للمعنى وجهين احدهما ما عرض للذهن مجرّدًا عن كل تنميق وهو الفكر (٢ مثلًا:

صلاح الانسان في حفظ اللسان . أدب المرء خيرٌ من ذهبهِ

والثاني ما تكيَّف بكيفيَّة • فان كانت هذه الكيفية شكلًا عارضيًا حسّيًا يُدعى صورةً (٣ كقولك : الصبر مفتاح الفرج . لين الكلام قَيْد القلوب . الآنام فرائس الايّام

---

١ الجرجاني ٢ وفي عرف المنطقيين : الفكر هو حركة النفس في المعقولات بواسطة القوّة المتصرّفة اي المتفكرة

٣ وعند اهل الكلام : الصورة كيفية تحصل في العقل هي آلة ومرآة لمشاهدة ذي الصورة وهي الشبح والمثال الشبيه بالمتخيَّل بالمرآة (التهانوي)

وان كانت هذه الكيفية دالّة على بعض عواطف القلب كالحبّ والبغض فيدعى المعنى شاعرةً كقولك: طوبى لمن غلب نفسهُ. بئس من باع دينَهُ بدنياهُ

وكقول ابن بسّام في الدنيا:

أفٍّ لذي الدنيا وايّامها   فانها للحزن مخلوقه
يا عجبًا منها ومن شأنها   عدوّة للناس معشوقه

(راجع في المقالات البحث الوارد في حقيقة المعاني ص ٦٨)

(فائدة) اعلم ان لفظ المعنى كثيرًا ما يُطلق على الوجه الاول. امّا نحن فنريد بهِ المعاني على اطلاقها دون استثناء لانّ المعاني كلها داخلة في تعريف الجرجاني المذكور آنفًا

س ما هي غاية الكاتب من علم المعاني

ج غايتهُ هي البلاغة

(فائدة) اعلم انّ الكاتب (او المتكلّم) يستوي مع النحويّ والفيلسوف وغيرهما في ان كلًّا منهم يروم من المعنى تبليغ المقصود. غير ان لكلّ من هؤلاء نظرًا خاصًا. فالنحوي يتّجه قصدهُ الى صحّة التركيب الذي يفيد معنى من المعاني او الى ايضاح المعنى بعلامات الاعراب على اواخر الكلم في الجملة والفيلسوف ينظر اليهِ من حيث يراد بهِ الحكم على شيء ايجابًا او سلبًا. وامّا الكاتب (او المتكلّم) فغرضهُ من المعاني مطابقتها لمقتضى الحال وفقًا لما تستلزمهُ البلاغة.

س ما البلاغة

ج البلاغة في اللغة الوصول والانتهاء . وعند اهل المعاني مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال (١

س ما المراد بمقتضى الحال

ج المراد بمقتضى الحال الامر الداعي الى التكلّم على وجه مخصوص (٢ . اي مُراعاة احوال المتكلّم والمُخاطَب ومقام الكلام من ايجاز واطناب ومديح وهجو الخ . فان اختلاف هذه الظروف يقتضي هيئة خصوصية من التعبير

س ما هي غاية البلاغة

ج غايتها ايصال المعاني الى القلب بعبارة حَسَنة . ومن شروطها فصاحة المفرد وصراحته وفصاحة المركّب كما رأيت

راجع في مقالات علم الادب البحث في الفَرْق بين الفصاحة والبلاغة (ص ٣٩) . ثم الابانة عن البلاغة وتحديدها (ص ٥٩ — ٥٥) .

س من اين تستفاد البلاغة

ج من معرفة ثلاثة امور :

اولًا تركيب المعنى

ثانيًا صفات المعنى

ثالثًا اساليب المعنى .

---

١ كتاب التلخيص للخطيب ٢ التفتازاني والجرجاني .

البحث الاول

في تركيب المعنى

س من اي شيء يُركَّب المعنى

ج المعنى يُركَّب من شيئين موضوع ويدعى مُسندًا اليهِ ومحمول ويدعى مُسندًا امَّا نسبة المحمول الى الموضوع فتدعى اسنادًا كقولك مثلًا: الله عالم وعَلِم الله

فانَّ الله هو الموضوع في المثلـين أُسند اليهِ في كلٍ منهما محمول هو « عالم » في الاول « وعلِم » في الثاني . ونسبة العلم الى الله هي الاسناد في كليهما .

ولكلٍ من هذه الثلاثة احوالٌ يجب مراعاتها

١ المسند اليهِ

اعلم ان المسند اليهِ يكون امَّا مطلقًا لا يُقيِّد شيء معنـاهُ . وامَّا مقيَّدًا وهو بخلافهِ . فان قلتَ مثلًا « العَمَلُ بركةٌ » فالمسند اليهِ مطلق وهو مقيَّد في قولك « عمل البرِّ بركةٌ » . وهذا يكون ايضًا في المسند . والكلام هنا على المطلق والمقيَّد معًا . ومفهومنا بالمسند اليهِ كل ما نُسب اليهِ حُكم كيفما كانت حالتهُ من الاعراب اي سواء كان فاعلًا او نائب فاعل او غير ذلك

س كم هي احوال المُسنَد اليهِ

ج اربعة :

الاوَّل ذكرهُ وحذفهُ

الثاني تعريفهُ وتنكيرهُ

الثالث إتباعهُ وفصْلهُ

الرابع تقديمهُ وتأخيرهُ

س ما هي اخصّ اغراض الكاتب في ذكر المُسنَد اليهِ

ج اخصّها ثلاثة :

اولها ايضاحهُ لافادة المُخاطَب

ثانيها تقريرهُ في ذهن السامع كقول عمرو بن كلثوم في معلّقتهِ :

وقد علم القبائل من مَعَدٍّ اذا قُبَبٌ بأَبْطَحها بُنينـا
بأَنَّا المُطعِـمون اذا قَدَرْنا وأَنَّا المُهلِكونَ اذا أُبْتُلينـا

ثالثها تعظيمهُ او اهانتهُ كما لو قيل « جاءَ زيدٌ » فتجيب « نعم جاءَ فخرُ المملكة او جاءَ صاحب الفِتَن » تريد تعظيم زيد او تحقيرهُ

س ما هي الاغراض المقصودة من حذف المُسند اليهِ

ج هي عديدة يدلّ عليها سياق الكلام . فمن ذلك اذا قام على المُسند اليهِ دليلٌ بحيث يصبح ذكرهُ من الفضول

كقولك : «كتاب كليلة ودمنة» (اي هذا كتاب) . وكقول الخائف : «حيّة» او قول الصياد «غزال» . ومن ذلك ايضاً إخفاء لامر عن غير المخاطب نحو : «قُتِل» تريد قتل زيدٌ » فحذفت المُسنَداليهِ ليئلاّ يطّلع عليهِ غير مخاطب (راجع المقالات ص ٩٦_٩٩)

س هل يعرَّف المُسنَد اليهِ وما الأغراض من تعريفهِ

ج قد مرَّ عليك في النحو انَّ الاصل في المُسنَد اليهِ هو التعريف وان تعريفهُ بالمعارف وهي الضمير والعلَميَّة واسم الاشارة واسم الموصول والمعرَّف بال او المضاف الى معرفة . امَّا الاعراض من تعريفـهِ فتختلف مع كل من اسماء المعرفة المذكورة

فالغرض من تعريفهِ (بالضمـير) بيان مقام التكلُّم او الخِطاب او الغيبة كقولهِ تعالى : «انا الربُّ الهك» . «هو اله خلاصك»

(و بالعلَميَّة) إحضـار الشخص بعينهِ ابتداء كقولك : «ادخل موسى شعبَ الله ارض الميعاد» . او التعظيم نحو : فتحَ صلاحُ الدين بيتَ المقدس» . او الإهانة كقولك : «كان كُلَيبٌ ذا بَغيٍ» ومن ذلك اعلام كثيرة وُضعت للمدح او للذمّ «كالنابغة ومحمد وابي جهل الخ»

(و بالاشارة) تعيينهُ وتمييزهُ اكملَ تمييز كقول الفرزدق في زين العابدين :

هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله قاطبةً   هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العَلَمُ

او بيان حاله في القُرْب او التوسُّط او البُعْد نحو: « هذا البيت وذاك الكتاب وتلك الشجرة » . او تعظيمهُ نحو: « هو الهُمام الرفيع المقام » . او تحقيرهُ كقول عليّ : « هذا اخو غامد قد بلغتْ خيلهُ الانبار وقتل حسّان البكريّ » (ص ٣٥ من الجزء الخامس من مجاني الادب)

(امّا تعريفهُ بالموصول) فلأنّ المتكلّم لا يعلم من احوال المُسنَد اليهِ سوى الصِلَة نحو: « الذي وفَد على الخليفة خطيبٌ مِصْقَع » . او للتكرُّه من ذِكرهِ نحو: « هلك الذي خلع الطاعة » . او لتفخيمهِ كقولك عن الاسكندر : « مَن اذعن لطاعتهِ الخافقان » . وغير ذلك من الاغراض كالتهكُّم والتوبيخ الخ

(والمراد بتعريفهِ بال) الاشارة الى مَعْهود نحو: « حانتِ الساعة » . تريد ساعة الدينونة . او الدلالة على حقيقة الشيء . او استغراق جنسهِ او تعميمهِ نحو: « الانسان حيوان ناطق » . اي حقيقة الانسان او جنس الانسان

(وبالاضافة) الإيجاز نحو: « قال شاعر بني أُميَّة » . بدلًا من « الشاعر الذي مدح بني امية » . او التعظيم نحو: « قَدِم جابر العَثَرات » . او التحقير نحو: « قُتِل صاحب الفِتَن »

س ما المراد بتنكير المُسنَد اليهِ في البلاغة

ج يُراد بهِ اوَّلًا الإفراد (١ نحو: «عَطِشَ غزالٌ مرَّةً» . ثانيًا النوعية نحو: «عِلمٌ يزينُ» . ثالثًا التكثير نحو: «انَّ لهُ لَإبِلًا وغنمًا» . او التقليل نحو: «عندهُ كِسَرٌ يقتاتُ بها» . رابعًا التعظيم او التحقير كقول الشاعر:

لهُ حاجبٌ في كلّ امرٍ يشينُهُ وليس لهُ عن طالبِ العُرْفِ حاجبُ

يريد ان للممدوح حاجبًا اي مانعًا عظيمًا عن ان يأتي ما يعاب بهِ ولا يمنعهُ ادنى مانع عن الاحسان الى مُجتديهِ

س ماذا يُراد بإتْباع المُسنَد اليهِ وفصلهِ

ج يُراد بإتْباعهِ ان يُلحَق بهِ احد التوابع النحويّة الاربعة اعني الوصف والتوكيد والبَدَل والعطف . وبفَصْلهِ ان يُدْخَل بينهُ وبين المُسنَد ضميرُ العُمدة اي ضمير الفصل

س هل من غَرَض للبليغ في استعمال الإتْباع

ج نَعَم وغرضهُ يختلف مع اختلاف التوابع . فالمقصود من (الوصف) بيان حال المُسنَد اليهِ او تخصيصهُ او مدحهُ او ذمّهُ . ومن (البدَل) زيادة في التقرير او الإيضاح نحو:

---

١ المراد بالافراد هنا الاسم مطلقًا سواءٌ كان مفردًا او مثنًّى او جمعًا

« ظفر اسرائيل شعب الله » . فقولك « شعب الله » قرّر المعنى
ومن (التوكيد) رفعُ التوهّم عن المُسنَد اليهِ وتحقيقهُ وتثبيتهُ نحو: « انّي انا الربُّ الهك انا الذي انقذتك من رقّ العبودية » . فان التوكيد بالضمير وتكريرهُ ازال الالتباس وجعل المُسنَد اليهِ مستقرًّا ثابتًا في عقل المخاطب . امّا إتباع المُسنَد اليهِ (بالعطف) فلتفصيلهِ مع اختصار نحو: « تَعنُو لعزّتهِ السماوات والارض » . او للدلالة على الترتيب نحو: « اَذعَن للاسكندر الغربُ ثمَّ الشرقُ » . او الإضراب نحو: « صُلِبَ بولس بل بطرس » . وهذه الأغراض يُستَدلُّ عليها من علم النحو واستعمالُها موكول الى الذوق وغرض الكاتب ومعرفة مقتضى الحال

(فائدة) انّ أغراض إتباع المُسنَد اليهِ يشترك فيهما كل اسم مسندًا كان او غير مسند كالمفعول والمجرور نحو: « مررتُ بزيدٍ الشاعر » .

س ما الفائدة من الفصل بين المُسنَد والمُسنَد اليهِ بالضمير

ج فائدتهُ البيانية التخصيص او التوكيد نحو: « الابرار هم السعداء »

س ما الداعي لتقديم المسند اليهِ او تأخيرهِ

ج حقُّ المُسنَد اليهِ التقديم وذلك لانهُ هو الذي يخطر اوّلًا في الذهن وعليهِ يقع الحكم . ولتقديمهِ دواعٍ أُخر منها

تقرير الخبر وتمكينهُ في ذهن السامع لانَّ في ذكر المسند اليهِ تشويقًا الى الخبر لغايةٍ كالمَسَرَّة والمساءة والتعظيم والتحقير . وهذه اغراض تدلُّ عليها القرائن لا حاجة الى تفصيلها

أمَّا تأخير المُسنَد اليهِ فلانَّ في تقديم المسند غرضًا قصدَهُ الكاتب كما سيأتي

٢ المُسند

قد مرَّ تعريف المُسنَد بانهُ هو الخَبَر المُبيّن لحالة الموضوع اي المُسنَد اليهِ . ولاصحاب علم المعاني فيهِ أبحاث مطوَّلة اسهبوا فيها الكلام ونحن نقتصر على ايراد المُهمّ منها

س كم هي احوال المُسنَد

ج اربعة ثلاثة منها تشترك بينَهُ وبين المُسنَد اليهِ وهي ذكرهُ وحذفهُ . وتعريفهُ وتنكيرهُ . وتقديمهُ وتأخيرهُ . والرابع مختصٌ بالمُسنَد وهو افرادُهُ وإجمالُهُ

س ما الغرض من ذكر المُسنَد ومن حذفهِ

ج الغرض من ذكر المُسنَد ظاهر وهو افادةُ الحُكم عن المسنَد اليهِ اذ لولاهُ لا يتمُّ المعنى سواء كان المُسنَد مقترنًا بزمان كقولك : « زيد عَلِم » . او لم يكن كقولك : « زيدٌ عالمٌ » .

امَّا حذفهُ فلدلالة القرينة عليهِ وذلك كثيرٌ بعد « اذا » الفجائية

وبعد الاستفهام كقول ابي زبيد لعُثمان: « خرجنا نُريد الحارث الغسَّاني . . فاذا السَّبُع » (اي حاضر) . وكقول جحدر بن ربيعة لمَّا قبض عليه الحجَّاج فسألهُ : ما جرَّأكَ على ما بلغني عنك فاجاب جحدر: « كَلَبُ الزمان . وجَفوَةُ السلطان . وجُرأة الجَنان » (اي جرَّأني على ذلك) او لغرض من الاغراض التي تقدَّم ذكرها في حذف المسند اليهِ

س ماذا يُقصَد بتنكير المُسنَد وتعريفهِ

ج يُقصَد بتنكيرهِ عدم حَصْرهِ كقولك: « زيدٌ اميرٌ » . (أي احد الامراء) . واذا خصِّصت النكرة بالاضافة او بالصفة قُصِد بها تتميم الإفادة نحو: « هو ابنُ ملك » « وهو ابنٌ صالحٌ » . امَّا تعريف المُسنَد فيراد بهِ بعكس ذلك تقييدهُ وحصرهُ او الدلالة على العهد كقول ناثان لداود : « انت الرجلُ » . (دفعاً لتوهّمهِ انَّ الظالمَ غيرهُ) . « وهذا الكتابُ » (اي الكتاب المعهود)

س ما الغرض من تأخير المُسنَد وتقديمهِ

ج يؤخَّر المُسند على المُسنَد اليهِ لانَّ لهذا حقوق التقديم كما مرَّ . امَّا تقديم المُسند فلاسبابٍ منها نحويَّة مَحْضة نضرب صفحاً عنها . ومنها بيانيَّة وذلك في مقام التعجُّب والاستعظام كقول صاحب المزامير : « عظيمٌ اسمُك يا ربّ » . وكقول الملائكة في كتاب اشعيا النبيّ : « قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ

ربُّ الجنود». او لبيان اهميَّة المُسنَدِ في المدح والذمّ والدعاء والتحنّن او تنبيه السامع على معناهُ ومقامهِ او التفاؤل بذكرهِ كقول عليّ بن ابي طالب: «بئس الطعامُ الحرامُ». وكقولهِ: «نعمَ النَّسَبِ حسنُ الادبُ». وكقول الربّ لآدم: «ملعونة الارض بسببك». وكقول الحريريّ: «مسكين ابن آدمَ وايُّ مِسكينٍ». او لقصر المسند اليهِ على المسنَد او تخصيصهِ بهِ نحو: «لله ملك السماوات والارض» قدَّم المُسنَد ليبيّن اختصاص الملك بالله. وكقول ابي العتاهية:

وللهِ من كلّ تحريكة ... وتَسكينةٍ في الورى شاهدُ

س ما الداعي لإفراد المُسنَد وإجمالهِ

ج الداعي لإفراد المُسند عدم وجود سببٍ يقتضي إجمالهُ كقولك: «موسى نبيٌّ». امَّا اجمالُ المسند فاخصُّ الغاية منهُ تقوية الحكم بتكرير الإسناد فان قلتَ مثلًا: «موسى آخرج شعبَ اسرائيل من رقّ عبودية فرعون». فقد اسندتَ الفعل الى ضمير الفاعل العائد الى موسى ثم اسندتهُ الى موسى المبتدإ لكونهِ خبرًا لهُ فزاد الحكمُ بذلك قوَّةً

ولانَّ للجملة الخبرية اسميةً كانت او فعلية احوالًا شتّى ذُكرت في علم النحو فيحصل من كل ذلك اغراضٌ مختلفة يدلّ عليها مقتضى الحال ويرشد الى استعمالها ذوق الكاتب. فان قلتَ مثلًا: «الادب زينٌ لصاحبهِ». باختيار

جملة اسمية فذلك لأنك اردتَّ الدلالة على حكم مطلق . بخلاف قولك : « الادب قد زان صاحبَهُ » . فانك تخصّص الحُكم وتقصرهُ على زمانٍ مع زيادةٍ في التحقيق . وقس على هذا كلّ الجمل الخبرية

(تنبيه) انَّ بعض البيانيين قد اطالوا الكلام في الجملة الخبرية واغراضها الّا انَّ الإسهاب في هذه الموادّ لمَّا كان أحرى بكتُب النحو اكتفينا بالاشارة الى ذلك بالاجمال فرارًا من التفاصيل المملّة التي ليس تحتها كبير امر ،

٣ في الإسناد

اذ علمت احوال المُسنَد اليهِ والمُسنَد بقي ان نذكر بالتلخيص ما يختصّ بنسبة احدهما الى الآخر . وذلك هو الاسناد

س كم نوعًا الاسناد

ج نوعان حقيقيّ ومجازيّ فالحقيقيّ هو نسبة الفعل اوشبههِ الى ما وُضع لهُ كقول الشاعر : « تجري الامور بما لا تشتهي البَشَرُ » . والمجازيّ هو نسبة الفعل او شبههِ الى معنًى لم يوضع لهُ في الاصل كقول المتنبّي « تجري الرياحُ بما لا تشتهي السفنُ » . فنسبةُ الشهوة في المثل الاوّل للبشر حقيقيةٌ لانَّ الشهوة مختصَّة بهم وفي المثل الثاني مجازيّة لانها أُسندت الى غير عاقل اعني السفن مجازًا ويريد ركّاب السفن . وسيأتي الكلام على الحقيقة والمجاز في باب البيان

س اين موقع الاسناد

ج موقع الاسناد الحقيقيّ او المجازيّ يكون في الجملة

س كم قسمًا الجملة

ج قسمان خبريّة وانشائية . فالخبرية ما صحّ ان يُنسب لقائلها الصدق او الكذب سواء طابق الكلام الواقعَ او لم يطابقه ِ كقولك مثلًا: « قدم الملكُ المدينةَ ». والانشائية بخلافها هي التي لا يصحّ القول عن قائلها انهُ صادق او كاذب نحو: « إغفرْ لنا يا ربّ ذنوبنا». فالجملة انشائية تدلّ على الطَلَب ولا وجه لنسبة الصدق او الكذب لقائلها

س كم قسمًا الجملة الخبريّة وما الاغراض من استعمالها في الكلام

ج الجملة الخبريّة تكون اسميّة او فعليّة او ظرفية ويجوز دخول النفي على كلّ منها كما علمت في النحو . امّا الاغراض الداعية لاستعمال الجملة الخبريّة فاخصُّها افادة المخاطب حكمًا موجبًا او منفيًّا . فاذا قلت مثلًا : « قد زارني الملك ». افدتَّ بذلك الاخبار عن وقوع الامر . هذا فضلًا عن اغراض أُخر ثانويّة تقصدها ِ كاستعظام الامر في المَثَل السابق او اظهار سرورك بقدوم الملك الى غير ذلك من الاغراض

(فائدة) لمّا كان القصد من الجملة الخبرية افادة المخاطب حكماً لزم المتكلّم اخراج معناه على صورة تقرب فهمهُ على السامع. فاذا كان المخاطب خالي الذهن او مرتاباً في حقيقة الامر أو ناكراً لهُ ليبرز المتكلم حكمهُ مجرّداً عن التوكيد او معزّزاً بهِ حسب حالة المخاطب فتقول على مقتضى ذلك: «اللهُ واحد. انَّ اللهَ واحدٌ. انَّ اللهَ لواحد»

س كم نوعاً الجملة الانشائية وما الاغراض من استعمال الجملة الانشائية

ج نوعان إمّا طلبيّة وهي ما استدعى بها المتكلّم حصول الشيء. وامّا غير طلبية وهي ما لم يُستدعَ بها المطلوب. والجملة الانشائية كما علمتَ من النحو تنحصر في خمسة اشياء أمر ونهي واستفهام وتمنٍّ ونداء. والجملة الغير الطلبية اكثر ما تكون تعجُّباً او قسَماً

امّا اغراض المتكلّم من الجملة الانشائية الطلبية فانها تختلف على اختلاف وجوه الكلام ومطالب المُنشئ فان (الامر) مثلاً: (وهي الصيغة التي يطلب بها انشاء الفعل من المخاطب) يُراد بهِ التماس الامر او الدعاء او التهديد او الاكرام او الاهانة او الاباحة او التخيير او التسوية الى غير ذلك من الاغراض فان قلتَ مثلاً: «هَبْني يا ربّ لساناً ناطقاً بحمدك».

اردتَ التماس النعمة . وان قلتَ : « آمّلني يا ربّ لتسبحك » ، اردتَ الدعاء . وان قلتَ مع النبيّ : أَلا انفتحي ايتها السماوات وأمطري الصدّيق » افدت التمنّي . وان قلتَ مع طبيب لمريض لا يقبل دواء : « مُتْ إنْ شئتَ » . اردتَ التهديد . وقس على ذلك النهي فانَّ اغراضَهُ كاغراض الامر . امّا (الاستفهام) فالمقصود بهِ الاستخبار عن الامر المجهول . ويأتي للنفي والنهي والاقرار والتنبيه والإنكار والتعجُّب والتعظيم والتحقير والتهكُّم الخ . فالنفي كقولك : « أَ يكون العبد اكبرَ من سيّده » . والنهي نحو : « حتّى متى تعبدونَ الله والمال » . والتعجُّب كقول بطرس : « آ أنتَ يا ربُّ تغسل قدميّ » . والتهكُّم كقول الاعمى الذي شفاهُ المسيح للفريسيين لمّا ألحّوا عليهِ في السؤال : « ماذا تريدون ان تسمعوا أَ لعلّكم تريدون ان تصيروا لهُ تلاميذ » . والتحقير كقول نتنائل لفيلبّوس لمّا اخبرهُ انهُ وجد المسيح وهو من الناصرة : « أَمِنَ الناصرة يكون شيء صالح » . امّا (التمنّي) فالمقصود منهُ طلب وقوع الشيء المرجوّ المستحبّ ممكنًا كان او مستحيلًا كقولك :

أَلا ليتَ الشباب يعودُ يومًا فأُخبرَهُ بما فعلَ المشيبُ

ويدعى (ترجّيًا) اذا توقّعت حدوثهُ نحو : « ادرس لعلّك تنجح » وامّا (النداء) فاغراضهُ فضلًا عن الدعاء التحسُّر والتضجر والزّجر وكل ذلك يُفهم من القرائن

امّا (الجملة الانشائيــة غير الطلبية) فليس تحتها كبير امرٍ واغراضها ظاهرة تؤخذ من النحو اخصُّها التعجّب كقولك: «لله درُّك». والقَسَم كقولك: «وحياة الملك اني لاقتلنَّك»

٤ في متعلّقات الفعل

لم يبقَ بعد ما سبق شرحهُ في المُسنَد اليهِ والمُسنَد ونسبة احدهما الى الآخر سوى ان نذكر بوجيز الكلام ما يختصّ بمتعلّقات الفعل كالفاعل والمفعول وتوابع المتعلّقات كالنعت والتوكيد والحـــال والتمييز والاستثناء الخ

س ما هو ترتيب الفعل مع متعلقاتهِ •

ج حقّ الفعل ان يتقدَّم على كل متعلِّقاتهِ ثمَّ يأتي الفاعل ثمَّ المفعول ثمَّ متعلّقـــات الفعل • وقد علمتَ من درس النحو انَّ بعض الاحوال الإعرابيـــة تستدعي تغيير هذا الترتيب الاصلي لاسباب منها وجوبية ومنها جوازيّة فربَّما تقدَّم المفعول على الفاعل او على الفعل نفسهِ • وربَّما تقدَّمت الظروف على الفعل والحـــال على صاحبها وكل ذلك قد استوفى النحويُّون شرحهُ • امَّا البليغ فيتحتَّم عليـــهِ ان يُحسن سبك الجملة بعد مراعاة قواعدهـــا النحويّة بحيث يتحاشى الالتبـــاس ويستنكف عن التعقيد ويسرد عبارتهُ

برقّة وانسجام بتقديم او تأخير ما يراهُ احرى بان يُقدَّم او يؤخَّر على حسب غرضهِ ومقتضى الحال ودونك مثلًا على ما يمكن تقديمهُ او تأخيرهُ في الجملة على وجهٍ مطلق مع مراعاة اصل المعنى وتغيير صور التركيب لبيان اغراض يقصدها المتكلّم:

١ استظهر الاسكندر على دارا الملك في موقعة آربيل بجنودٍ باسلة
٢ الاسكندر استظهر على دارا الملك في موقعة اربيل بجنودٍ باسلة
٣ على دارا الملك استظهر الاسكندر في موقعة اربيل بجنودٍ باسلة
٤ في موقعة اربيل استظهر الاسكندر بجنودٍ باسلة على دارا الملك
٥ بجنودٍ باسلة استظهر الاسكندر على دارا الملك في موقعة اربيل

فبتقديم الفعل وكلّ من متعلّقاتهِ يبيّن الكاتب غرضًا لهُ من أهمية او تخصيص كلّ من الظفَر والظافر والمستظهَر عليه ومكان الانتصار وبسالة اعوانهِ

س هل يُحذف شيء من متعلّقات الفعل

ج نَعَم فانهُ كثيرًا ما تستغني الافعال عن مفعولها لتنزيلها منزلة اللازم كقولك: « اكل وشرب وانشد وعلم » . وربّما حُذِف المفعول لدلالة الكلام عليهِ او للاختصار او لتعميم الحَدَث او لاستهجان ذكر المفعول .

وقِس على ذلك بقية المتعلّقات عند وجود داعٍ يدعو الى حذفها .

(فائدة) قد علمتَ في النحو انَّ الجملة تكون منفيّة بادوات النفي «كما ولا» وتكون شرطية بدخول ادوات الشرط نحو «إنْ ولَوْ

و إذا » عليها وأنَّ الفعل المضارع يتقدّمهُ نواصب وجوازم توجب نصبَهُ وجزمهُ . ولكلّ هذه الصُّوَر المختلفة معانٍ ينبغي للكاتب ان يُراعيها . والطريقة للاستدلال على هذه المعاني اتقان درس النحو ثم مطالعة الكتب اللغوية والتآليف الحسنة الوضع الرشيقة المباني . وعليهِ ضرَبنا صفحًا عن ذكرِ هذه الاحوال مفصَّلة لئلَّا نخرج عن غاية هذا الكتاب وهي تعليم فنّ الكتابة لا الاقتصار على ترتيب الجمل

نبذة في القَصْر

ومن المُلحقات بمتعلقات الفعل القَصْر

س ما هو القَصر

ج القصر تخصيص شيء بآخر كتخصيص القيام بزيد في قولك : « ما قام الّا زيدٌ » . فالقيام هو المقصور وزيد المقصور عليهِ

س كيف يكون القَصْر وما هي ادواتهُ

ج يكون بحرفَي النفي « ما ولا » وادوات الاستثناء مثل « غير والّا » ويكون بالعطف « بِلَا » للنفي « وبَلْ » للايجاب ويكون « بإنَّما » كقولك : « لا حول ولا قوَّة الّا بالله » . « وزيدٌ كاتبٌ لا شاعرٌ » . « وزيدٌ ليس بشاعرٍ بل كاتبٍ » . « وانَّمـا الفضل للمتقدّم » . وتُقصَرُ الصفة على الموصوف كقولك : « لا شاعرٌ الّا عمرو » . ويُقصَرُ الموصوف على الصفة نحو : « ما عمرو الّا شاعرٌ »

س ما الغاية من القَصْر

ج غايته تمكين الكلام وتقريره في الذهن كقول لبيد :

وما المرء الّا كالهلال وضوئهِ يوافي تمامَ الشهر ثمّ يغيبُ

وكقول الآخر :

وما لامرئٍ طولُ الخلود وانما يُخلّدهُ طول الثناء فيَخلُدُ

وقد يراد بالقَصر المبالغة في المعنى كقول الشاعر :

وما المرء الّا الاصغرانِ لسانُهُ ومعقولهُ والجسمُ خَلْقٌ مصوَّرُ

وكقول الآخر:

لا سيفَ الّا ذو الفِقارِ ولا فتًى الّا عليٌّ

(تنبيه) هذه هي المطالب التي يبحث فيها البيانيّون في علم المعاني مرجعها الى ستّة ابواب كما رأيت اعني المُسنَد اليهِ والمُسنَد والاسناد الخبريّ والاسناد الانشائي ومُلحقّات الفعل والقَصر . وقد زادوا على هذه الابحاث بحثَين آخرين هما باب الفَصْل والوَصل وباب الايجاز والاطناب والمُساواة . وقد آثرنا ان نؤجل الكلام من ذلك كما سترى (١

(راجع ما جاء عن التأكيد والقصر في الجزء الاوّل من المقالات ص ٨٧)

---

١ اختصرنا مسائل هذا البحث عن اشهر البيانيّين كالسكاكي والتفتازاني والقزوينيّ والتهانوي وغيرهم

البحث الثاني
في صفات المَعنى

قد فهمت مّما سبق ما يختصّ بتركيب المعنى اعني بايّ قالب من اللفظ تُبرز ما في عقلك من الفكر والصورة الذهنيّة. وهذا البحث الاول هو الذي وسمَهُ العرب بعلم المعاني. وقد بقي ان نبيّن في البحثين الآتيين ما تُحلّى بهِ المعاني من الصفات على اختلاف صورها اللفظية. ثمّ الاساليب التي تختصّ ببعض هذه المعاني دون البعض

س كم هي صفات المعاني

ج صفات المعاني التي يجب ان يتّصف بها كل معنًى ثلاث (١ :

الاولى ان يكون المعنى واضحًا اي سهل المأخذ خاليًا من اللبس والاشكال كقول الاخطل :

واذا افتقرتَ الى الذخائر لم تجد ذخرًا يكون كصالح الاعمالِ

الثانية ان يكون المعنى سديدًا اي مطابقًا للواقع (٢

قال لبيد : ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالـةَ زائلُ

الثالثة ان يكون ملائمًا اي مطابقًا لمقتضى الحال كقول بعضهم : اذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشّفت لهُ عن عدوٍّ في ثياب صديقِ

---

١ راجع الماوردي والمثل السائر والعقد الفريد

٢ قال ابو الفتح البستي :

تكلّم وسدّدْ ما استطعتَ فانّما كلامك حيٌّ والسكوت جمادُ
فان لم تجد قولًا سديدًا تقولهُ فصمتُك عن غير السَّداد سَدادُ

البحث الثالث

٣ اساليب المعاني

س ما هي اساليب المعاني .

ج اساليب المعاني هي اختلاف صورها من حيث يُدركها عقل البليغ ويَعرضها على فهم السامع (للصفدي)

س اذكر بعض اساليب المعاني

ج اعلم انَّ المعاني بابها متسع والمجال فيها على الناظر فسيح وانما سنخصُّ بالذكر ما شاع منها :

١ً المعنى المبتكَر . وهو الذي يبتدعهُ البليغ فيعرضهُ على صورة جديدة كقول ابن النبيه في رثاء ولَد الملك الناصر :

الناسُ للموت كخيل الطِرادْ فالسابقُ السابق منها الجوَادْ

وكقول المتنبيّ في وصف الموت :

وما الموت الا سارقٌ دقَّ شخصُهُ يصول بلا كفٍّ ويسعى بلا رجلِ

وكقول آخر في الشتاء :

والنار فاكهة الشتاء فمن يُرِد أكْلَ الفواكهِ شاتياً فَلْيَصْطَلِ

٢ً المعنى الدقيق . وهو ما لطُف مأخذهُ وبعُد مرامهُ ودلَّ على توقُّد فَهْم قائله كقول ابن عُنَين في فخر الدين الرازي وكانت قد

دخلت الى مجلسهِ حمامةٌ خلفها صقر يريد صيدها فاستجارت بحجرهِ :

جاءت سُليمانَ الزمان حمامةٌ والموت يلمع من جناحَي خاطفِ
مَن انبأ الورقاءَ ان محلَّكم حَرَمٌ وانّك ملجأ للخائفِ

ومن ذلك اجوبة كثيرة لاهل الذكاء :

سأل المتوكل يوماً ابا العيناء الضرير : ما اشدّ ما عليك في ذهاب بصرك . قال : هو ما حُرمتهُ يا امير المؤمنين من رؤيتك مع إجماع الناس على جمالك

وقال لهُ المتوكل يوماً : كيف ترى دارنا هذه . فقال : يا امير المؤمنين رأيتُ الناسَ يبنون الدور في الدنيا وانتِ تبني الدنيا في دارك

وقال المعتصم الخليفة للفتح بن خاقان وعلى يده خاتم ياقوت احمر في غاية الحسن : أرأيتَ أحسن من هذا الخاتم . فقال : نعَم اليدَ التي فيها . وسألهُ يوماً آخر : أداري احسن ام دار ابيك . فقال : ما دام امير المؤمنين في داري فهي احسن

وكان الرشيد امر بقتل بعض الخوارج فأخذ يبكي فقيل لهُ في ذلك فقال : بكيتُ لا فزعاً من الموت وانّما اسفاً على خروجي من الدنيا وامير المؤمنين ساخط عليَّ فعفا عنهُ

ومن هذا القبيل ما حكاهُ المقري في نفح الطيب قال :

دخل مغربيّ على هارون الرشيد فقال لهُ : يقال ان الدنيا بمثابة طائر ذَنَبُهُ المغربُ . فقال الرجل : صدقوا يا امير المؤمنين وانهُ طاووس . فضحك الرشيد وتعجّب من سرعة جوابهِ

٣ المعنى الفطريّ . وهو ما اوردهُ الطبع السليم بلا تصنُّع ولا إعمال رويّة ودلّ على بعض السذاجة في قائلهِ كقول احدهم وقد سئلَ هلّا تُساور بحراً فانشد :

لا أركب البحرَ اخشى عليَّ منهُ المعاطبْ
طينٌ انا وهو ماءٌ والطينُ في الماء ذائبْ

وقال آخر يردُّ على من لامهُ لهربهِ من الحرب:

ألا لا تلُمْني أن فررتُ فانَّني اخاف على فخَّارتي ان تُحطَّما
فلو انَّني في السوق أبتاعُ مثلَها وجدِّك ما باليتُ أن أتقدَّما

وكقول الصيَّاد في كتاب الف ليلة وليلة:

سُبحان ربّيَ يعطي ذا ويُحرِم ذا هذا يصيد وذاك يأكلُ السمكهْ

٤ المعنى اللّين. وهو ما كان لطيف التعبير سلس الالفاظ دالًا على اشياء تطرب المسامع وتبهج القلب (١ كقول احد الشعراء:

ان السماء اذا لم تبكِ مقلتُها لم تضحكِ الارض عن شيء من الزهرِ

وكقول امرىء القيس يصف صديقًا لهُ:

وكنَّا جميعًا شريكي عِنانٍ رضيعَي لِبانٍ خليلَيْ صفاء

ومنهُ اقاويل بلعام في بركة اسرائيل:

ما اجمل خيامَك يا يعقوب واخبيتُك يا اسرائيل منبسطةٌ كاودية وكجنّات على نهر وكاغراس عود غرسها الرب وكأرزٍ على مياه. يجري الماء من دلائهِ وزرعُهُ في ماء غزير...

ومن هذا القبيل القصائد الزهريَّات عند العرب (راجع الجزء الخامس من مجاني الادب ص ١٩١)

---

١ الثعالبي

٥ً المعنى النافذ . وهو ما وصل الى الفهم بسرعة البرق واخذ لحدّته ومضائه بمجامع القلب (١ كقول عنترة :

وما دانيتُ شخصَ الموت الّا كما يدنو الشجاع من الجبانِ

وكقوله ايضاً :

وسيفي كان في الهيجا طبيباً يداوي رأس مَن يشكو الصُّداعا
ولو ارسلتُ رمحي معْ جبانٍ لكان بهيبتي يلقى السباعا

٦ً المعنى المتين . ما اتّسم بالضبط والحزم وتمكّن من ذهن سامعه فهو بعيد المرام مع قربهِ من الفهم كقول ابي العتاهية :

لدوا للموت وابنُوا للخرابِ فكلُّكمُ يصيرُ الى تَبابِ

ولمّا اراد معاوية ان يبايع ابنَهُ يزيدَ وتلوّنت الآراء قام يزيد ابن المقنَّع العُذري وقال :

هذا اميرُ المؤمنين (واشار الى معاوية) . فاذا هلك فهذا (واشار الى يزيد) . ومَن ابى هذا فهذا (واخذ بقائم سيفهِ فسلَّهُ) . فقال لهُ معاوية : اجلس فانت سيّد الخطباء

٧ً المعنى الجامع . ويسمى الاشارة (٢ وهو ما افاد باللفظ القليل المعنى الكثير كقول زهير في سنان بن هرم :

---

١ الاغاني

٢. راجع الحموي ونفحات الازهار و بديعية العميان

تراه اذا ما جئتــهُ متهلّلًا كأنّك تعطيهِ الذي انت سائله

وكقول المتنبيّ

قد شرّف الله ارضاً انت ساكنها وشرّف الناسَ اذ سوّاك انسانا

ومنهُ قول ابي تمّام في قوم يجودون بانفسهم:

يستعذبون مناياهم كأنّهمُ لا ييأسون من الدنيا اذا قُتلوا

٨ً المعنى الجريء . وهو ما تجاوز الحدود في ما يوردهُ من التصاوير الخارقة العادة والتشــابيه البديعة المستحسنة كقول ابي تمّام:

ولو صوّرتَ نفسك لم تزدْها على ما فيك من كرم الطبــاعِ

وكما قال شاعرٌ:

ما كنت احسب قبل دفنك في الثرى انّ الكواكــب في التراب تغورُ

٩ً المعنى السنيّ . وهو ما دلّ مع قرب متنــاولهِ على مروّة قائلهِ وشهامة طباعهِ كقول العباس بن مرداس:

نُعرّض للسيوف اذا التقينا وجوهاً ما تُعرَّض لِلّطامِ

وكقول السموأل :

تُعيّرنا انّا قليـــل عَديدُنا فقلتُ لها إنّ الكرامَ قليلُ

وقول الحريري:

فالمنــايا ولا الدنايا وخيرٌ من ركوب الخنا ركوبُ الجنازه

ومنهُ قول جرير وقيل هو افخر بيت قالتهُ العرب :

ترى الناس إن سرنا يسيرون خلفنا وان نحن اومأنا الى النـاس وقّفوا

ومن الامثال الحسنة في هذا الباب ما كتبهُ المعتصم حين صارت لهُ الخلافة الى عبد الله بن طاهر وكان ينقم عليهِ :

عافانا الله واياك قد كانت في قلبي منك هفَوات غفرها الاقتدار و بقيت حزازات اخاف منها عليك عند نظري اليك . فان اتاك آلفُ كتابٍ استقدمُك فيهِ فلا تقدم . وحسبك معرفـةً بما انا منطوٍ عليهِ لك إطلاعي اياك على ما في ضميري منك والسلام

١٠° المعنى الموغل او الايغال . (١ وهو ما فتن بسموّهِ القلب وسبى العقل وبلغ الغاية القصوى من البلاغة كقول ابي نوّاس للرشيد وكان قد تهدّده بالقتل :

قد كنتُ خفتك ثمَّ امّنني من ان اخافك خوفُك الله

ومن ذلك قول الكتاب الكريم :

رأيتُ المُنافق معترًّا مثلَ جذعٍ ربّان وشجرة ناضرة ثم اجتزتُ واذا بهِ ليس هو والتمستهُ فلم يكن

وكما جاء على لسانهِ تعالى لعبده :

سألتَ عبدي وانت في كنفي وكلُّ ما قلت قد سمعناهُ
سلْني بلا خشيةٍ ولا رهبٍ ولا تخفْ انني انا اللهُ

(فائدة) اعلم أنَّ المعنى الواحد رُبَّما جمع بين صفاتٍ جمّة فيكون مثلًا المعنى المتين مبتكرًا وسنيًا وموغلًا وعليه قس سائر اساليب المعاني

١ راجع خزانة الادب للحموي وشواهد التنصيص

س متى يلتجئ الاديب الى هذه المعاني

ج يلتجئ اليها عند مسيس الحاجة وذلك يختلف على اختلاف احوال المتكلّم ومقام المخاطَب ومواقع الكلام

ألّا ترى انّ المديح مثلًا يقتضي معاني خصوصية لا تُطابق الرثاء وان للحماسة من التصاوير البديعة والمعاني المتينة والالفاظ الرشيقة ما لا يحسن باوصاف الرياض . وأنّ الكلام المنسجم والالفاظ الرقيقة احرى بالمواضيع الليّنة والموادّ السارّة المبهجة منها بالهجو او التقريع

س من اين تؤخذ هذه المعاني

ج ليس لهذه المعاني مصدر خاصّ وانّما يحصل عليها الاديب بالفكرة الطويلة ومطالعة كتب البلغاء والتبصّر في الموضوع الذي يقصد وصفهُ ليستخرج منهُ المعاني اللائقة بهِ

(راجع ما ورد في مقالات علم الادب (ص ٧٠ – ٨٢) من المباحث في صحّة المعاني وانواعها والحكم عليها والترجيح بينها)

الباب الثالث
في البيان

س هل يكفي لمعرفة فنّ الانشاء ان يُحسن البليغ انتقاء الالفاظ ويُجيد في اختيار المعاني

ج كلاَّ بل يلزمه ايضًا أن يورد المعنى الواحد بطرقٍ مختلفة ويتوسع في ايضاح المعاني ويُحكم سَبكها وارتباطها . وذلك يُستَفاد من البيان

البحث الاوَّل
في تعريف البيان وتقسيمهِ

س ما هو البيان اجمالًا

ج البيان لُغةً الكَشف والايضاح . وفي الاصطلاح هو عبارةٌ عن المنطق الفصيح المعبّر عمَّا في الضمير ١

س كيف يُحدّ البيان عند اهل البلاغة

ج يحدُّونَهُ ايراد المعنى الواحد بطرقٍ مختلفة في وضوح الدلالة عليهِ ٢

١ راجع الكشَّاف للتهانوي وكشف الظنون للحاج خليفة
٢ السكاكي والتفتازاني

س ما المراد بقولهم « مختلفة في وضوح الدلالة على المعنى »

ج يريدون انَّ المعنى الاصلي المجرَّد عن كل تنميق يُمكن ابرازهُ بانواع يختلف بعضها عن بعض في افادة ذلك المعنى ايضاحاً كقولك مثلاً: « يوسف شجاع ». فان اردتَ ان تورد هذا المعنى بطريقةٍ تزيد في ايضاحهِ قلتَ: « يوسف كأسد ». فزاد تشبيه يوسف بالاسد بياناً في شجاعتهِ

س في كم باب حصر المحدثون هذا العلم

ج حصروهُ في ثلاثة ابواب هي التشبيه والمجاز والكناية

س ألم يكن نطاق هذا العِلم اوسع عند اهل البلاغة

ج نعم وذلك ظاهر من نفس تعريف البيان السابق ذكرهُ

قال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين : البيان اسمٌ لكل شيء كشف لك قناع المعنى . . . حتى يُفضي السامع الى حقيقتهِ . . . ولانَّ مدار الامر والغاية التي يجري اليها القائل والسامع انما هو الفهم والافهام فبأيّ شيء بلّغتَ الإفهامَ واوضحتَ عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع

(راجع المقالتين اللتين اثبتناهما عن تحديد البيان في مقالات علم الادب ص ١٠٥ – ١٠٧)

وقد تنبَّه لذلك المحدثون نفسهم وفهموا ما للبيان من اتّساع المجال ودَعوا ذلك في البديع بَسْطًا اوحُسن بيان :

قال الحَمْوي في خزانة الادب: حُسن البيان هو عبارة عن الابانة عمّا في النفس بعبارة بليغة بعيدة عن اللُبس . والمراد منهُ اخراج المعنى الى الصورة الواضحة وايصالهُ الى فهم المخاطب بأسهل الطرق، وقد تكون العبارة عنهُ تارة من طريق الايجاز وطوراً من طريق الاطناب بحسب ما يقتضيهِ الحال وهذا بعينهِ هو البلاغة وحقيقتها

فممّا تقدّم يظهر ان للبيان معنيين احدهما ايضاح المعنى بالتشبيه والمجاز والكناية وبها اكتفى المحدثون . والآخر توسيع المعنى بحيث يتّخذ الاديب كلّ مذاهب الكلام التي تزيد المعنى اثباتاً وايضاحاً كتقسيم المعنى المقصود الى أقسامهِ وبيان أسبابهِ ونتائجهِ مع اظهار احوالهِ وظروفهِ الى غير ذلك كما سترى . وهذا بحث جليل نخوضُ فيهِ بعد انتهائنا من المسائل الثلاث المذكورة انفاً

البحث الثاني

في البيان ومطالبهِ الثلاثة وفقاً لطريقة المحدثين

المطلب الاوّل

في التشبيه

التشبيه اوّلُ طريقةٍ تدلّ عليها الطبيعة لبيان المعنى . وذلك لان الانسان اذا كان يجهل حقيقة كثيرٍ من الامور وخفيّ جوهرها اعتاد ان يعرض ما اراد وصفهُ على شيء آخر اوضح دلالةً منهُ فيقيسهُ بهِ

س ما هو التشبيه

ج التشبيه عند علماء البيان إلحاقُ امر بآخر في صِفَةٍ خاصّةٍ بهِ بادواتٍ معلومة كقولك: «طعامٌ كالعَسَل» «وجنديٌّ كالأَسَد». فالحقتَ الطعام بالعَسَل في صفة حلاوتهِ والجنديَّ بالأسد في حال شجاعتهِ. والاداة هنا كاف التشبيه

(راجع في مقالات علم الادب الصفحة ١٦٤ ما نقلناهُ عن الحموي والعسكريّ في حقيقة التشبيه وتحديدهِ)

س هل للتشبيه موقع حسن في البلاغة

ج نَعَم موقعهُ في البلاغة احسنُ موقع وذلك لاخراجهِ الخفيَّ الى الجليّ وإدنائهِ البعيدَ من القريب كقولك مثلًا مع الشاعر:

انّما الدنيا كبيتٍ نَسجُهُ من عنكبوتْ

فانك وصفتَ بذلك الدنيا وصفًا كشف عن حقيقتها بنوع أجلى من قولك: «الدنيا سريعة العَطَب والزوال» لما يُعلَم من وَهْن نَسج العنكبوت وفنائهِ

س كم هي اركان التشبيه

ج اركان التشبيه اربعة طرفاهُ واداتهُ ووجههُ وغرضهُ

١ طرفا التشبيه

س ما طرفا التشبيه

ج طرفا التشبيه المُشبَّه والمُشبَّه بهِ كقولك : « العِلمُ كالنور » . فان « العِلم» المشبَّه «والنور» المشبَّه بهِ

س كم قسمًا التشبيه باعتبار طرفيهِ

ج التشبيه باعتبار طرفيهِ اربعة اقسام فيشبَّهُ :

اوَّلًا المفرد بالمفردِ . و يكون كلاهما امَّا مُطلَقًا نحو : « ضوؤهُ كالشمس ووجههُ كالبدر »

وامَّا مقيَّدًا وتقييدهُ بالاضافة او الوصف او المفعول او الحال او بغير ذلك كقول العرب في السعي الباطل : « فلانٌ كالراقم على صفحات الماء » وكقولهم : « علمٌ لا ينفعُ كدواءٍ لا يَنْجَع »

وكما جاء في سفر الامثال : « كالعثّ في الثوب والسوس في الخَشَب هكذا الكآبة في قلب الانسان »

ثانيًا المركَّب بالمركَّب وذلك على قسمين فامَّا ان يركَّب الطَّرفان تركيبًا لم يمكن افراد اجزائهما كقول الشاعر :

كأنَّ سُهَيْلًا والنجومُ وراءَهُ صفوفُ صلاة قام فيها إمامُها

قال ابن الاثير : لا يمكن افراد هذا التشبيه اذ لو قلتَ «كأنَّ سهيلًا امامٌ وكأنَّ النجوم صفوفُ صلاةٍ» ذهبت فائدة التشبيه

وامَّا إن يُركَّبا تركيبًا اذا أُفردت اجزاؤهُ زال المقصود

من هيئة المشبّه بهِ كما ترى في بيت الشاعر الرقيّ الآتي حيث شبّه النجوم اللامعة في كبد السماء بدُرٍّ منتثر على بساط ازرق:

وكأنَّ اجرام النجومِ لوَامعاً دُرَرٌ نُثرْنَ على بساطٍ ازرقِ

فلو قلتَ كأنَّ النجوم دررٌ وكأنَّ السماء بساطٌ ازرق كان التشبيه مقبولًا لكنهُ قد زال منهُ المقصود بهيئة المشبَّه به. وكقول الآخر في الاندلس:

لاحت قراها بين خضرة أيكها كالدرّ بين زبرجدٍ مكنونِ

ثالثًا المفرد بالمركّب كقول الخنساء تصف اخاها بالشهرة:

اغرُّ ابلجُ تأتمُّ الهداةُ بهِ كانهُ عَلَمٌ في رأسهِ نارُ

رابعًا المركب بالمفرد كما لو شبّهت النوق السائرة في البرية بسُفُنٍ والجوادَ في ركضهِ بالبَرْق والماء المالح بالسمّ الخ

س ما هو التشبيه الملفوف والتشبيه المفروق

ج التشبيه الملفوف هو ان يتعدّد الطرفان فيُجمع كلُّ فريقٍ مع شبههِ كقول الشاعر:

من يصنعِ الخيرَ مع من ليس يَعرِفُهُ كواقدِ الشمع في بيتٍ لعميانِ

فجمع في الشطر صنيع الخير ومعرفتهُ وهما متلازمان ثمَّ اتى في الشطر الثاني بالمشبَّه بهما اعني وقود الشمعِ والنظر الى نورهِ. وكقولهِ:

وضوءُ الشهبِ فوقَ الليل بادٍ كأطرافِ الاسنَّةِ في الدروعِ

وشبَّه لمعان النجوم في الليل الدامس باطراف الرماح اللامعة عند نفوذها في الدروع الكدرة اللون

امّا التشبيه المفروق فهو الذي يتعدَّد طرفاهُ لكنهُ يذكر كلُّ فريقٍ منهما مع صاحبِهِ المشبه بهِ كقول الشاعر:

فجرى النهرُ وهو يُشبهُ سيفاً في رياضٍ كانها لهُ جَفْنُ

فذكر النهر والسيف المُشبَّهَ بهِ ثم الرياضَ وجفنَ السيفِ المُشبَّهَ بها

س ما هو تشبيه التسوية وتشبيه الجمع

ج تشبيه التسوية ما تعدَّد طرفهُ الاوَّل وتشبيه الجمع ما تعدّد طرفهُ الثاني فمثال الاوَّل كقولك: « الصديق المنافق والابن الجاهل كلاهما كجمر الغضا ». ومثال الثاني كقول سليمان الحكيم: « الانسان الذي يشهدُ زوراً على قريبِهِ انما هو كمِطرقةٍ وسيفٍ وسهمٍ مسنونٍ »

س على كم وجهٍ يأتي التشبيه باعتبار مادّة الطرفَيْن

ج على اربعة اقسام فيشبه اوّلاً المحسوس بالمحسوس كقول بعضهم: « الدنيا كالكأس من العسل في اسفلهِ السُّمّ وكأحلام النائم التي تُفرِحهُ في منامِهِ فاذا استيقظ انقطع الفرح وكالبرق الخُلَّب يُضيء قليلاً ويذهبُ وشيكاً فيُبقي راجيَهُ في الظلام مقيماً

وكقول لبيد:

وما المال والأهلون الّا وديعةٌ ولا بُدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ

وكقول الشنفرى يشبّه صوت القوس عند خروج السهم منها بأنين المرأة الثكلى تبكي على ولدها:

اذا زلَّ عنها السهمُ حنَّت كأنها مُرزَّأةٌ ثَكلى ترِنُّ وتُعولُ

(فائدة) انّ المحسوسات انواع منها ما يُدرك بالحواسّ الخمس مفردة وتسمّى المحسوسات الاولى وهي البصر والسّمع والشمّ والذوق واللّمس. ومنها ما يدرك بالحواسّ مجتمعةً كالاشكال والمقادير مثل استدارة الكُرَة ومَسافة الامكنة الخ. وتسمّى المحسوسات الثانية. ومنها كيفيات جسمانية كالصلابة واللين والمرارة والحلاوة. ومن كل هذه المحسوسات تؤخذ تشابيه حسنة . اما المعقولات مثل الكيفيات النفسانية كالذكاء والعلم والغرائز فيمكنها ايضاً ان تكون مادّة للتشبيه كما مرّ

(فائدة أُخرى) وربّما شُبّه المحسوس بامر خياليّ او وهميّ فيخرجونه مُخرَّج المحسوس كتشبيه الشاعر لزهر الشقيق منتصباً بأعلام من ياقوت تعلو ارماحاً من زبرجد في قول القاضي التنوخي:

وكأنّ مُحمرّ الشقيـــق اذا تصوّبَ او تصعّدْ
أعلامُ ياقوتٍ نُشِرْ نَ على رماحٍ من زبرجدْ

او كتشبيه الرماح المسنونة بانياب الغُول . والغُول من الخرافات الوهمية التي لا وجود لها

ثانياً يشبّـــه المعقول بالمعقول كتشبيه الجَهْل بالموت والعلم بالحياة والبرهان الساطع بالنُّور

ثالثاً يشبّه المعقول بالمحسوس كقول عليّ بن ابي طالب :
« الحقّ سيفٌ على اهل الباطل » . وكقول ابن هذيل : « الادب اكرم الجواهر وانفسُها واشرفُ الحُلَل وآكثبَسُها » . وكقول ابن سينا :

انما النفسُ كالزجاجة والعِلْم م سراجٌ وحكمةُ الله زيتُ

رابعاً يشبه المحسوس بالمعقول كتشبيه طبيب السّوء بالموت . الّا ان هذا نادر لا يجوز الّا على طريق المبالغة او على تقدير المعقول محسوساً كقول الشاعر :

وكأنّ النجومَ بين دُجاها سُنَنٌ لاحَ بينهنّ ابتداعُ

فشبه النجوم بالسُّنَّة والظلمة بالبِدَع لان العرَب يصفون السُّنَّة بالنور والبدعة بالسَّواد فصار تشبيه الشاعر كتشبيه المحسوس بالمحسوس .

٢ ادوات التشبيه

س ما هي ادوات التشبيه

ج هي مِثل وشِبْه وكأنّ والكاف وما كان في معناها كما رأيت . ويجوز ان تُضمَر اداة التشبيه فيكون ذلك ابلغ واوجز كقولك : «يكافحُ مُكافحةَ الأسَد ويمرُّ مرَّ السحاب . وكقول الحكيم : «الكلامُ المنطوقُ في آوانهِ تفاّحٌ من ذهب في سلال من فضّةٍ» . وكقول الشاعر :

وغيرُ تقيٍّ يأمرَ الناسَ بالتُّقَى طبيبٌ يداوي الناس وهو مريضُ

وربّما ناب عن الاداة فعلٌ دلَّ على التشبيه كقول استير الملكة لأحشورش : «لمّا رأيتُك سيّدي حسبتُك ملاك الله»

(راجعْ في الجزء الاول من مقالات علم الادب ما رويناهُ عن ابن الاثير في اركان التشبيه ومحاسنهِ وفوائده ص ١٦٦ — ١٧٠)

٣ وجه التشبيه

س ما هو وجه التشبيه

ج هو الوصف الذي يشترك فيهِ طرفا التشبيه إمّا حقيقةً كالبأس في قولك: «زيدٌ كالأسد» وامّا تخييلًا كالمرارة في قولك: «يومٌ كالعلقم». والحُسن في قولك: «وجهٌ كالهلال»

س كم قسمًا التشبيه باعتبار وجههِ

ج يُقسم التشبيه باعتبار وجههِ الى تمثيل وغير تمثيل. والى مُجمَل ومُفصَّل. والى قريب وبعيد

س ما هو تشبيه التمثيل وغير التمثيل

ج تشبيه التمثيل ما انتُزع من متعدِّد كقول لبيد:

وما المرء الّا كالهلال وضوئهِ · يُوافي تمام الشهرِ ثمّ يغيبُ

فوجه التشبيه سرعة الفناء انتزعهُ الشاعر من احوال القمر المتعدّدة اذ يبدو هلالًا فيصير بدرًا ثم ينتقص حتى يُدرِكَهُ المحاق. وكقول الآخر:

اذا امتحنَ الدنيا لبيبٌ تكشّفت · لهُ عن عدوٍّ في ثياب صديقِ

فوجه التشبيه هو المِراء والخداع انتزعهُ من العدوّ المتزيّي بزيّ الصّديق

وغير التمثيل ما انتُزِع وجههُ من مُفرَدٍ نحو: «فلانٌ يروغ كالثعلب».

س ما هو التشبيه المُجمَل والتشبيه المُفصَّل

ج التشبيه المجمل هو الذي لم يُذكر فيهِ وجه الشبه كقولك: « المِكثار كحاطب الليل » فاضمرتَ وجه التشبيه وهو هنا الخلط. وكقولك: « هُما كفرسَيْ رِهانٍ » تريد استواءهما في الكرَم وحُسن السجايا

وإن ذُكر وجه التشبيه فهو المُفصَّل كقولك: « طَبْعُ فلان كالنسيم رقّةً و يدُه كالبحر جودًا وكلامهُ كالدُّرّ حُسنًا »

س ما هو التشبيه القريب وما هو البعيد

ج التشبيه القريب ما ظهر وجهُهُ بسهولة دون عُنفٍ كقولك: « فلانٌ ابصرُ من عُقاب. وهو كالقابض على الماء » . وكقول المتنبّي:

وانت حسامُ المُلْك واللهُ ضاربٌ وانت لِواءُ الدينِ واللهُ عاقِدُ

والبعيد ما لم يُنتقَل فيهِ من المشبَّه الى المشبَّه بهِ الّا بعد فِكرةٍ وتدقيق في النظر كقول عديّ بن زيد يصف خمرةً:

ثمَّ أهدَوا لنا عُقارًا كعينِ م الديك صفّى سُلافَها الراوُوقُ

فتشبيهُ الخمرةِ بعين الديك بعيدٌ يقتضي فكرةً وذلك لانَّ العرب تشبّه الخمر الصِرفةَ بعين الديك لصفائها كما يزعُمون. وكقول السيوطي في مقاماتهِ: « البَنَفسَج كنار الكِبريت » يريد انَّ لونَهُ يُشبِه لهيبَ الكبريت

وربّما زاد التشبيه بُعدًا فخرج الى الغَرابة وذلك مستهجن لا يرضى بهِ الذوق السليم كما سيأتي

(فائدة) واعلم انّ الكَتَبة كثيرًا ما يتلطَّفون بالتشبيه فيُشبّهون الشيء الواحد باشياء عديدة اذا جمعهُ مع كلّ منها وجهٌ خاصّ من الشِبْه. كقول ابن حبيب الحلبيّ في الكتابة:

الكتابة قُطْبُ دائرةِ الآداب، وصَدْرُ أسرار الالباب. ورسولٌ صادق، ولسان بالحقّ ناطِق. وسيف تُحَدُّ بحدّهِ المعارف. وميزان يميّز التالدَ من الطارف

ويشبّهون ايضًا شيئين بشيئين وثلاثةَ اشياء بثلاثة واربعة باربعة. كقول امرئ القيس في معلّقتهِ يصف فرسَهُ:

لهُ أَيْطَلا ظَبْيٍ وساقا نعامةٍ وإرْخاء سِرْحانٍ وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

فشبه خاصرتَيْهِ بخاصرَتَي الظبي في لُطفهما وساقَيْهِ بساقَيْ النعامة في دقّتهما وَعَدْوَهُ بسرعة عَدْو الذئب وَنَزْوَهُ بتقريب الثعلب اي وَثْبِهِ. وكقول التهاميّ:

والعيشُ نومٌ والمنيّةُ يَقْظَةٌ والمرءُ بينهما خيالٌ سارِ

٤ غرض التشبيه

س ما هو الغرض من التشبيه

ج الغرض من التشبيه تعريف المشبَّه اي وصفهُ وبيان حالةٍ من احواله كتزيينهِ وتشويهه (١

١ قال ابو هلال العسكريّ في كتاب الصناعتين: قد اطبق جميع المتكلّمين

قال ابن الاثير: انّ التشبيه لا يُعمَد اليهِ الّا لِضَرْب من المبالغة فإمّا ان يكون مدحاً او ذمّاً او بياناً وايضاحاً ولا يخرج من هذه المعاني الثلاثة (اه). والشاهد على المدح قول النابغة يمدح النُّعمان:

فانّك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... اذا طَلعتْ لم يَبْدُ منهنّ كوكبُ

امّا المبالغة في الذمّ فكقول ابي نواس في بخيل:

ابو نُوحٍ دخلتُ عليهِ يوماً ... فغدّاني برائحة الطعامِ
فلمّا أنْ رفعتُ يدي سقاني ... كؤُوساً خمرُها ريحُ المُدامِ
فكان كمَن سقى الظمآنَ آلاً ... وكنتُ كمَن تغدّى في المنامِ

امّا الزيادة في الايضاح فمثل قول بعضهم يبيّن تعذُّرَ وِفاق القلوب بعد تنافرهـا:

انّ القلوبَ اذا تنافرَ ودُّها ... مثلُ الزُّجاجة كسرُها لا يُجبَرُ

(تنبيه) وقد يُعكَس التشبيـه فيعود الغرض منهُ الى وصف المشبَّه بهِ كقول بديع الزمان في المدح:

قد كاد يَحكيك صوبُ الغَيْث مُنسكباً ... لو كان طلقَ المحيّا يُمطِرُ الذهبـا
والدهرُ لو لم يَخُنْ والشمسُ لو نطقتْ ... والليثُ لو لم يُصَدْ والبحرُ لو عَذُبَا

فقولهُ «يحكيك صوبُ الغيث الخ» جعل الممدوح كعين الكرمِ والوفاء والنُّور والبأس والفضل وانّ الغيثَ منهُ يستمِدُّ جوداً والدهر وفاء

من العرب والعَجَم على فوائد التشبيه ولم يستغنِ احدٌ منهم عنهُ. وقد جاء عن القدماء واهل الجاهلية من كلّ جيل ما يُستَدَلُّ بهِ على شرفهِ وفضلهِ وموقعهِ من البلاغة في كلّ لسان

والليث بأساً والبحر فضلاً . والمعهود انّ الانسان هو الذي يُشبَّه بهذه الاشياء لكنّ الشاعر شبّهها بهِ ليُوهم انّهُ اكمل منهـا في الوصف . ومثلهُ قول محمَّد بن وهب :

وبدا الصباحُ كأنَّ غُرَّتهُ وجهُ الخليفةِ حين يُمتدَحُ

ويسمّى هذا الضربُ من التشبيه مقلوباً لانّ المشبَّه بهِ يُجعَل مشبَّهاً والمشبَّه مشبَّهاً بهِ

س ماذا ينبغي اجتنابهُ في استعمال التشبيه

ج ينبغي اولاً ألّا يكون وجههُ بعيداً متعسّفاً غريباً كقول الشاعر وقد شبَّه لَمعان البَرْق بكتابٍ يُطبَق ويُفتَح :

وكأنَّ البرقَ مُصحَفُ قارٍ فانطباقاً مرَّةً وانفتاحا

ثانياً ألّا يكون سخيفاً يمجُّـهُ الذوق الصحيح كقول الفرزدق وقد شبّه الرجال المدّرعين بالجِمال الجُرْب :

يَمشون في حَلَق الحديد كما مَشَتْ جُرْبُ الجِمالِ بها الكَحيلُ المُشْعَل

(راجع في مقالات علم الادب البحث التاسع عشر في التشابيه المستعملة عند العرب ص ١٧٦ والبحث العشرين في معايب التشبيه ص ١٨١)

المطلب الثاني

في المجاز

اعلم انّ المجاز من احسن الوسائل البيانيّة التي تهدي اليها الطبيعة لايضاح المعنى . اذ بهِ يخرج المعنى متّصفاً بصفةٍ حِسّيةٍ تـكاد تعرضهُ على عيان السامع

س ما هو المجاز

ج المجـاز في اللغة من قولك جاز المكانَ يجوزهُ اذا تعدَّاهُ ثم استُعمل في مُقابَلة الحقيقة (١). وفي عُرف البيانيين: هو اللفظ الدالّ على غير ما وُضع له في اصطلاح التخاطب. وقد حدَّهُ بعضهم قال: هو نقلُ اللفظ عن حقيقة معنًى وُضع للدلالة عليهِ في الاصل الى معنًى آخر لعَلاقةٍ بينهما كقولك: «استشاط غضباً. وتلظَّى غيظاً». فان «استشاط وتلظَّى» من اصل وضعهما للنار فنُقلتا للدلالة على شدَّة الغيظ لِما يُوجَد بين احتدام الغضب والتهاب النار من المجانسة. ومثل ذلك قولك: «جلَّت اياديهِ عندي» تريد نِعَمهُ لانَّ الايادي آلةُ النِعَم

(فائدة) قال بعضهم: بين التشبيه والمجـاز فرقٌ. فانَّ التشبيه معنًى من المعاني ولهُ الفاظٌ تدلُّ عليهِ وضعاً فليس فيهِ نقل اللفظ عن موضوعهِ. بخلاف المجاز فلا تكون دلالتهُ الَّا بقرينة ولا بُدَّ للمجاز من علاقـة بين المعنى المستعمل فيهِ والمعنى الموضوع لهُ. فاذا قلت مثلًا: «خذ هذا الفرس» وانت تريد كتاباً فقد اخطأتَ لعدم وجود العلاقة بين الكتاب والفرس

س هل للمجاز وقعٌ حسن في البلاغة وما الفائدة منهُ

---

١ الحقيقة هي اللفظ الدالّ على موضوعهِ الاصليّ كالبيت للبناء واليد للعَضْو المعروف والمَلِك لصاحب السلطة الخ

ج للمجاز في البلاغة رُتبةٌ سامية والفائدة منه إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حتّى يكاد ينظر اليهِ عياناً (١ فانّ قولك مثلاً: « شاهدتُ اليومَ ملاكاً» وقولك: « ظَفِرَ الأسَدُ من سِبْط يهوذا » ابلغ وأوقع في النفوس من قولك: « شاهدتُ رجلاً بارًّا طاهرًا . وظفر قائدٌ شجاعٌ من سِبط يهوذا » . لانّ في ذِكر الملاك والاسد ما يصوّر لك البرارةَ والشجاعةَ في اكمل مراتبهما

(راجع ما قيل عن الحقيقة والمجاز في الصفحة ١٠٨ – ١١٣ من مقالات علم الادب الجزء الاول)

س الى كم قسم ينقسم المجاز

ج ينقسم الى استعارة والى مجاز مُرسَل

في الاستعارة

س ما الاستعارة

ج الاستعارة في اللغة من قولهم استعار المالَ اذا طلبَهُ عاريّةً. وفي اصطلاح البيانيين: هي اللفظ المستعمل في غير ما وُضع لهُ على قصد التشبيه بمعناهُ (٢ كقولك: « نورالحقّ ورأس الجَبَل وآسَ الوغى».

---

١ المثل السائر لابن الاثير

٢ قال الجرجانيّ: الاستعارة ادّعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طَرْح ذكر المشبَّه من البَيْن . وحدّ الرُّمانيُّ الاستعارة قال : هي تعليق

فنقلتَ لفظ النور والرأس والاسد الى معانٍ غير التي وُضعت لهـا في الاصل لِما يوجد من الشبه بين نور النهار ووضوح الحقّ في الاستنارة بهما وبين رأس الرجل وقمّة الجبـل في الارتفاع وبين الاسد وبطَل الحرب في البأس

(فوائد) الاولى انّ الفرق بين الاستعارة والمجاز المُرسَل انّ الاستعارة علاقتها المُشابهة بخلاف المجاز المرسل فانّ علاقتهُ غيرُ التشبيه كما سترى

الثانية ان الاستعارة ليست الّا تشبيهاً مختصرًا لا يذكر فيهِ غير المشبَّه بهِ كقولك: «رأيتُ اسدًا يرمي بالنبال» . فأصل هذه الاستعارة «رأيتُ رجلًا شجاعاً كالاسد يرمي بالنبـال». فحذفت المشبَّـه ووجه التشبيه وذكرت المشبَّه بهِ وألحقتهُ بقرينةٍ تدلّ على أنّك تريد بالاسد شجاعاً لا حيواناً لانّ رميَ النبال لا يُتصوّر من الحيوان المفترس

الثالثة ان الاستعارة لا تكون عَلَماً لأنّها تقتضي إدخال المشبّه في جنس المشبَّه بهِ وهذا لا يصلح للعلَم اذ ينافي الجنسيةَ لانّ الجنس يقتضي العموم والعَلَم يمنع العموم والاشتراك . ولكن يجوز ان تكون الاستعارة عَلَماً اذا كان مؤوَّلًا بالصفة لِسبب اشتهارهِ بوصف من الاوصاف كما سيأتي في التبديل (ص ٨٦)

العبارة على غير ما وُضعت لهُ في اصل اللغة على سبيل النَقل للابانة . وقال ابن المعتزّ: هي استعارة الكلمة من شيءٍ قد عُرِفَ بها الى شيءٍ لم يُعرَف بها . وقد حدَّها كثيرون بقولهم: انها اللفظ المستعمل في ما شُبِّه بمعناه

(راجع في مقالات علم الادب ما رويناهُ عن كتاب صناعة الترسُّل في تعريف الاستعارة وما تدخلهُ الاستعارة وما لا تدخلهُ ١١٣ – ١١٩)

س هل للاستعارة في الكتابة موقعٌ اثير

ج ان للاستعارة اجلّ موقعٍ في الكتابة . لانها تجدي الكلام قوّةً وتكسوهُ حسنًا وروقًا فبِها تُثارُ الأهواء والاحساسات وتُفكَّهُ المخيّلة

س كم هي اركان الاستعارة

ج ثلاثة : المستعار منهُ وهو المشبَّه بهِ . والمستعار لهُ وهو المشبَّه ويقال لهما الطرفان . والمستعار وهو وجه الشبه ويقال لهُ المعنى الجامع . ففي قولك مثلًا : «تنمَّر زيدٌ» يكون «النمرُ» وهو المشبَّه بهِ مستعارًا منهُ . «وزيد» وهو المشبَّه مستعارًا لهُ . «والغضبُ» وهو الجامع مستعارًا كأنَّك قلتَ : «زيدٌ كالنمر غضبًا»

س ما هي غاية الاستعارة

ج قال ابن المعتز : للاستعارة ثلاث غايات :

الاولى . التحسين كقولك : «دُقَّت لفلانٍ البشائر واهتزَّت القلوب لمجيئهِ طربًا وتمايلتْ لرؤيتهِ فرحًا» . فانَّ النفس تجد في مثل ذلك نشوةً تستأنس بها وترتاح اليها

الثانية . اظهار الخفيّ وايضاحهُ ليصير جلياً كقولك : «مِخلَب المَنون . وبُرْد الشباب» . وقول الكتّاب عن قهر الاسكندر للممالك : « سكتتِ الارضُ بين يديهِ » . يريد انها خضعَتْ لهُ وذلّت امامهُ . فانَّ الحكمة في كل ذلك تمثيل ما ليس بمرئيّ حتى يصير مرئيًّا فينتقل السامع من حدّ السماع الىٰ حدّ البيان وذلك ابلغ في البيان

الثالثة . المبالغة كقولك : « وفجّر اللهُ الارضَ عيوناً » اي « فجّر عيون الارض » ولو عبّرتَ بغير ذلك لم يكن فيهِ من المبالغة ما في هذا المثل المُشعِر بانَّ الارض كلّها صارت عيوناً

س ما هي اقسام الاستعارة

ج للاستعارة اقسام باعتبار الطرفين و باعتبار الجامع و باعتبار الثلاثة معاً

س كيف تقسم الاستعارة باعتبار الطرفين

ج هي امّا مُمكنة وامّا ممتنعة . فالممكنة وتدعى الوفاقية هي ما اتّفق طرفاها في وجهٍ ما كقول حنّة ام صموئيل في تسبحتها : « الربُّ يُميت ويُحيي يُحدِرُ الى الجحيم ويُصعِد » . فاستعارت الموت للذلّ والحياة للعزّ . وكلاهما يمكن اجتماعهما في بعض الوجوه

والممتنعة وتسمّى بالعِنادية هي ما تعذّر اجتماع طرفيها كقول ابي نوّاس فجعل للمال رِجلًا ولا اتّفاق بينهما :

ما لِرِجلِ المالِ أمسَتْ تشتكي مِنكَ الكَلالا

ومن العنادية ما استُعمل في ضدّهِ ويقال لها التَّهكُّمِيَّة او التَّمليحية كقولهِ: « بشّرهم بعذاب أليم » استعار البشــارة للانذار وهي ضدّهُ . وكقولك: « رأيتُ اسدًا » وانت تريد رجلًا جبانًا

وتُقسَم ايضًا الاستعارة باعتبار طرفَيْها الى تحقيقيَّــة وتَخْييليَّة . فالتحقيقيَّة ما كان فيها المُستعار لهُ حقيقيًّا إمّا محسوسًا « كاستعارة الرأس للجَبَل » . وامّا معقولًا « كاستعارة النور للعقل » . والتخييليَّة ما ذُكِر فيها المشبّه مع بعض لوازم المشبّه بهِ . وسيأتي الكلام عنها (ص ٧٦)

س كيف تقسم الاستعارة باعتبار الجامع

ج تقسم الى مُبتذَلة وبعيدة . فالمبتذلة او العاميَّة مـا ظهر فيها الجامع كقولك: « تنمَّر غيظًا . ومات فزعًا . ورأيت اسدًا شاكي السِلاح » . والبعيدة وتعرف بالغريبة والخاصّيّة ايضًا ما كان فيها الجامع غامضًا كقولهم: « فلان غَمْر الرِداء » اي كثير المعروف . استعاروا « الرِداء » للمعروف واضافوا اليهِ « الغَمْر » وهو القرينة على عدم ارادة معنى الثوب لانَّ الغَمْر من صفات الماء لا من صفات الثوب

س ما هي تقاسيم الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع معًا

ج ١ً تكون الاستعارة من هذا القبيل إمّا مُصرَّحة وذلك اذا ذُكِر المُشبَّه بهِ وحُذِف المُشبَّه كقول المسيح :

« قولوا لهذا الثعلب » . استعار الثعالبَ لهيرودس في دهائهِ وحيلهِ .

وامّا استعارة بالكناية وهي ان يُذكَر المُشبَّه ويُحذَف المُشبَّه بهِ مع اثبات شيء من لوازمهِ كقولك : « تبَسَّمت الرياض » اصلهُ « الرياض كالانسان » . فذكرتَ الرياض وهو المشبَّه وحذفتَ المشبَّه بهِ وهو الانسان وذكرتَ شيئاً من لوازمهِ وهو التبسُّم المختصّ بالانسان . وكقول ابي ذؤيب الهذليّ :

واذا المنيَّة انشبت اظفارَها الفيتَ كل تميمةٍ لا تنفعُ

فالمشبَّه بهِ هو السبع حذفَهُ وذكر شيئاً من لوازمهِ وهي الاظفار

واثباتُ هذا اللازم في الاستعارة بالكناية هو المسمَّى استعارةً تخييليّة

٢ً وتُقسم الاستعارة بهذا الاعتبار ايضاً الى اربعة اقسام فيُستعار :

اولًا المحسوس للمحسوس كقولك : « طار قلبهُ فرحاً »

فاستعار الطيَران وهو فعل حسّي لغير ذي جناح . وكقول المتنبّي في وصف بقعة انتصر فيها عضد الدولة وقد جمع بين الاستعارة وحسن التشبيه :

قد صَبغتْ خدَّها الدماءُ كما يَصبغُ خدَّ الخريدةِ الخجَلُ

وكقول الربّ في التوراة: «أُسكِر سِهامي من الدماء و يلتهم سيفي لحمَ الصرعى» فشبَّه السِهام المتقطِّرة دماً بسَكْران مملوء خمرًا وشبَّه السيف بأسدٍ يلتهم لحم فريسته

ثانيًا المعقول للمعقول كاستعارة الموت للجهل . لاشتراك الموصوف بهما في عدم الادراك والتعقُّل . او كقولهم: «لقي فلان الموتَ» يريدون الشدائد لاشتراكهما

ثالثًا يُستعار المحسوس للمعقول كاستعارة القِسطاس وهو الميزان للعدل . وكقول ابن الرومي في الشباب:

ايا بُردَ الشبابِ لكنتَ عندي من الحَسَناتِ والقِسَم الرِغابِ
لَبِستك برهةً لبسَ ابتذالٍ على علمي بفضلك في الشبابِ
ولو مُلّكتُ صَونَك فاعلَمَنْهُ لصُنْتك في الحرير من الثيابِ

رابعًا ويُستعار المعقول للمحسوس كقولك: «احيا الله البلدَ بقدوم الامير» . فاستعار الحياة وهي امرٌ معقول للبلد وسكانه

(راجع الصفحة ١١٨ من المقالات وفيها بحثٌ عن اقسام الاستعارة)

س ما هي اقسام الاستعارة باعتبار اللفظ

ج تقسم الاستعارة باعتبار اللفظ الى اصليّة وتَبَعيّة فالاصليّة ما كان فيها المستعار منهُ اسم جنس او اسم معنى «كالاسد

للشجاع والقَتْل للضرب الشديد » . والتَّبَعيَّة ما كان فيها المستعار منهُ فعلًا او ما يشتقّ منهُ نحو: « قطع فلان الطريقَ » اذا تلصَّص

س ما الاستعارة المُطلَقة والتجريديَّة

ج الاستعارة المُطلَقة هي التي لم تَقترن بشيءٍ ممَّا يُناسب طرَفَيْها كقولك: « لقيتُ في الوَغى اسدًا » والتجريدية ما اقترنت بما يُناسب المستعار لهُ نحو: « دُونَك غصنًا قَصَفَهُ المَنُون غضًّا رطيبًا »

س ما هو الترشيح في الاستعارة

ج هو ان تنظر فيها الى المُستعار منهُ وتراعي جانبهُ وتضمّ اليهِ ما يُناسبهُ كقول عليّ بن ابي طالب : « من باع دينهُ بدنياهُ لم تربح تجارتهُ » . فانهُ استعار البيع للاستبدال ثم فرَّع عليهِ ما يلائم البيع من فوت الربح واعتبار التجارة . وكقول المتنبّي في وصف فرس :

على سابحٍ موج المنايا بِنَحرهِ غداةَ كأَنَّ النَّبْلَ في صدرهِ وَبْلُ

فانهُ ساق كلامهُ على الاستعارة الاولى اي السُّبوح وهي من استعارات الفرس . او كقول ابي الحليم بن الحِدّيثي في تشبيه الصليب بشجرةٍ : « لله غرسٌ ازهرتِ البركاتُ من افنانهِ . واورقت الخيراتُ من اغصانهِ . وكان النخل الحبيب ثمرتهُ . والمختارُ النجيب زهرتهُ . والجاجلَّة (١

١ الجاجلّة جبل الجلجلة

الاورشليمية اصله وأرومته. والجمجمة الآدمية جذمه وجرثومته. وارض صهيون منبته وقراحه. ويوسف الحسيب اكّاره وفلّاحه

فانهُ ناسب بين الشجرة وافنانها وثمرتها وصاحب غرسها على أبدع منوال. ولابن عمّار في المعتصم صاحب المريّة:

أثمرتَ رُمحكَ من رؤوس كُماتهم ... لمَّا رأيتَ الغصنَ يُعشق مُثمرا
وخضبتَ سيفكَ من دماء نحورهم ... لما عهدتَ الحسنَ يلبس احمرا
السيف افصحُ من زيادٍ خطبةً ... في الحرب ان كانت يمينك مِنبرا

وقال ذو الوزارتين في حبس النظر وقد شبّهه بفرس جموح:

لا تكثرنَّ تأمّلًا ... واحبس عليك عِنان طِرفكْ
فلربّما ارسلتَهُ ... فرماك في ميدان حَتفكْ

ومن ذلك ما اخبر لسان الدين بن الخطيب قال: اهدى اليَّ ابو الحسن عليّ بن محمد بن عليّ بن البنّاء الوادي آشيّ قباقب خشب جوز وكتب معها (وقد شبّه القباقب بمطية):

هاكها ضُمّرًا مطايا حسانًا ... نشأت في الرياض قُضبًا لدانا
وثوت بين روضةٍ وغدير ... مُرضَعاتٍ من النمير لبانا
لابساتٍ من الظلال برودًا ... دونها القُضبُ رقّةً وليانا
ثم لمّا اراد إكرامَها الله م وسنّى لها المُنى والأمانا
قصدَتْ بابَك العليّ ابتدارًا ... ورجَتْ في قبولك الاحسانا

قال لسان الدين فاجبته (وفي جوابه سياق الاستعارة السابقة):

قد قبلنا جيادَك الدُّهمَ لمّا ... أن بلينا منها العِتاق الحسانا
اقبلت تخلف كلَّ حِجرٍ تبيع ... خلعتْ وصفها عليه عيانا
فعُنينا برعيها وفسحنا ... في رُبوع العُلى لها ميدانا

وأَرَدْنا امتطاءَهـا فاتّخذنا من شِراكِ الأَدمِ فيها عنانا
قدمتْ قبلَها كتيبةُ سحرٍ من كتابٍ سبتْ بهِ الأذهانا
مثل ما تُجنَّب الجيوش المذاكي عدّةً للّقاء مهما كانا
لم يرُقْ مُقلتي ولا راق قلبي كمُلاها براعةً وبيانا
مَن يكن مُهديًا فمثلك يهدي لم أجد للثناء عليك لسانا

(فائدة) اعلم ان الاستعـارة الواحدة اذا سيق عليها الكلام تسمّي رَمزًا او لغزًا او مثلًا . كقول الأكتمي يلغز في شمعةٍ :

باكيةٌ ضاحكةٌ خدّامُها جُلّاسُها
مُظهرةٌ أنوارَهـا إنْ حُزَّ منها رأسُها

وكقول الآخر مُتمثّلًا بالعطشان الذي لا يمكنهُ ان يروي غليلـهُ لبُعد منال غايتهِ :

أرى ماءً وبي ظمأٌ شديدٌ ولكن لا سبيل الى الورودِ

س ما مُراعاة النظير

ج هي ان يُجمع بين كلام وما يناسبهُ من غير تضادٍّ (١ كقول ابن النبيه في وصف الخيل وجمع بين الريح والرعد والبرق وبين ركض الخيل وصهيلها وضرب سنابكها في الصخر فقال :

ريحٌ اذا ركضتْ رعدٌ اذا صهلت برقٌ سنابكها في الصخر قد قدحت

ومثلهُ لابي العلاء المعرّي :

---

١ الحموي والسيوطي

دعِ اليراعَ لقومٍ يفخرون بهِ وبالطوال الرُّدَينيّات فافتخرِ
فهنَّ اقلامُك اللّاتي اذا كتبتْ مجدًا اتتْ بمدادٍ من دمٍ هدرِ

فانهُ لمّا شبّه الرماح بالاقلام ناسب بينها وبين الكتابة والمداد

(راجع الصفحة ١٣١ من المقالات وفيها نبذة عن مراعاة النظير لابن جابر)

س ما الفرق بين مراعاة النظير والاستعارة المرشّحة

ج ان الترشيح في الاستعارة هو سياق الكلام على الاستعارة الواحدة ومراعاة النظير هو الجمع بين اشياء متلائمة استعارةً كانت او غير استعارة . كقول الشاعر :

كلُّهمْ اعمى اذا ما كانَ خيرٌ ولدى الشرّ بصيرٌ وسميعُ

فجمعُهُ بين البصير والسميع من مُراعاة النظير ولا استعارة فيهما

س ماذا يستهجن في الاستعارة

ج يستهجن : اولًا الافراط في المبالغة والخروج فيها الى الإحالة . كقول المتنبي في رثاء صغيرٍ :

إلّا يَشِبْ فلقد شابت لهُ كبدٌ شيبًا اذا خضّبتْهُ سلوةٌ نصَلا

جعل للكبد شيبًا وهذه استعارةٌ لم تجرِ على شبهٍ قريب ولا بعيد (١ . وكقول زياد الاعجم في هجو رجلٍ واستعار للّؤم كاهلًا وسنامًا كما للبعير :

وللّؤمِ فيهِ كاهلٌ وسَنامُ

---

١ يتيمة الدهر للثعالبي

ثانيًا تراكُبُها على بعضها مع غرابتها كقول الاخطل في مصلوب :

او ما ترى عاشقًا قد مدَّ صَفْحتَهُ يوم الوَداع الى توديع مُرتحِلِ
او قائمًا من نُعاسٍ فيهِ لَوْثتُهُ (١ مواصلًا لتمطّيهِ من الكسلِ

ثالثًا عدَم مُراعاة جهات حُسن التشبيه للطرفَيْن أَو ان لا يكون التشبيه وافيًا بافادة الغرض ونحو ذلك. كقول ابي نوّاس واستعار للمال صوتًا يصيح ويبحّ معًا :

بُحَّ صوتُ المالِ ممّا مِنْكَ يشكو ويصيحُ

اراد بذلك وصف الممدوح بالكرَم حتى انَّ المالَ نفسهُ تشَكّى من كرَمِهِ

(راجع الصفحة ١٢٢ من مقالات علم الادب في جيّد الاستعارة ورديئها)

٢ المجاز المُرسَل

س ما المجاز المُرسَل

ج المجاز المُرسَل هو ما كانت علاقتهُ غير المشابهة كقولك : « اشتدَّت يدُهُ على العدوّ » (فان لفظ اليد قد وُضع في اللغة للعضو المخصوص فاستُعمل هنا للبَطْش . والعلاقة كون ذلك العضو آلةً بها تظهر الافعال الدالّةُ على القُدْرة . وليس في ذلك تشبيه (٢

١ اللوثة الاسترخاء ٢ الجرجاني والسيوطي

(فائدة) اعلم انَّ هذا المجازَ وُصِف بالمُرسَل لانهُ يُشعر بحسب الظاهر انَّ اللفظ المجازيّ هو اللفظ الحقيقيّ فكأنَّ المجازَ مُرسَلٌ اي مُوجَّهٌ من الحقيقة

(راجع الصفحة ١٣٤ من مقالات علم الادب وفيها نبذة مطوّلة عن المجاز المُرسَل).

س على كم نوعًا المجاز المُرسَل

ج المجاز المُرسَل على نوعين احدهما من قبيل التضمُّن والآخر من قبيل الالتزام

س ما هو المجاز المُرسل من حيث التضمُّن

ج هو ما أورد أقلّ او اكثر ممَّا دلّت عليهِ حقيقتُهُ. وهو أنواع:

١ يُسمّى الشيء باسم جزئهِ نحو: «حرّر رقبةَ العبد». يريد إطلاقَ سبيلهِ فاخذ الرقبة عوض الكلّ. «وخَلَت دارُ بني فلان» اي ديارهم (١

٢ يُسمّى الجزء باسم الكل نحو: «تناءى فلان عن الأوطان وانفصل عن العيال وركب البحار وعاينَ الأندلُسَ» وانت تريد وطنًا وعائلةً وبحرًا واحدًا وقِسمًا من الأندلُس

١ قال الثعالبي في سرّ العربية: ومن سنن العرب اقامة الواحد مقام الجمع فيقولون «قررنا بهِ عينًا» اي اعينًا. وفي القرآن: «لا فرق بين احد منهم». والتفريق لا يكون الّا بين اثنين. والتقدير لا نفرق بينهم

٣ يُسمّى الخاصّ بالعامّ والعامّ بالخاصّ نحو: «ارسلَ الطيرَ» تريد البازيَ وحدهُ. ونحو: «الخطّيات والهِنْدوانيّات» لكل جنس من الرماح والسيوف. وهي في الاصل رماحُ بلاد الخطّ وسيوف بلاد الهِنْد

س ما المجاز المرسَل من حيث الالتزام

ج هو ما اقتضى معناهُ معنًى آخر لاجل علاقتهِ وهو انواع ايضًا:

١ فيسمّى الشيء باسم فاعلهِ نحو: «رجَعوا الى نفوسهم» اي الى الرُّشد. لانّ النفس هي فاعلة للرشد والحكمة

٢ ويُسمّى الشيء باسم مفعولهِ نحو: «شربنا الحُميّا» اي الخمر. والحُميّا نتيجة الخمر وسَوْرتهُ

٣ وباسم سببهِ كتسمية العرب المطر بالسماء. لانهُ من السماء ينزل. كما في القرآن: «يُرسِلُ السماء عليكم مدرارًا». او باسم ما يصير اليهِ كما قال: «اني أراني أعصِر خمرًا». اي عنبًا

٤ يُذكَر المكان ويراد مَن هو فيهِ نحو: «جمعْنا النادي» اي اهلهُ (١)

---

(١) قال الثعالبي: تسمّي العرب بالمكان من كان فيهِ فيقال: «اسأل القرية التي كنّا فيها» اي اهلها. والعرب تقول: «أكلتُ قدرًا طيبة» اي أكلتُ ما فيها. وكذلك قولهم الخاصّة: «شربتُ كأسًا» اي ما فيها

٥ ويُسمّى الشيء بما يقع فيهِ او يكون منهُ كما قيل: «يوم عاصف» اي عاصف الريح . « وليلٌ نائم وساهر » . اي يُنسام ويُسهر فيهِ . وكقولك : « ضربنا بالحديد » اي بالسيوف لانها من الحديد

٦ او باسم آلتهِ كقولك : « اذكرني بلسان صدق » . اي بكلام صدق لانَّ اللسان آلة الكلام

٧ ويُسمّى الشيء باسم ضدّهِ نحو : « بشِّرِ الأثيم بالموت » . اي أَنذِرهُ وتهدَّدهُ

(فائدة) وفي كل ما سبق علاقة ظاهرة (١ هي الجزئيّة او الكلّيّة او المناسبة الى غير ذلك ويدخل في هذا الباب كلُّ توسُّعٍ في الكلام كاستعمالك المفرد بدلًا من الجموع والجموع في محلّ المفرد او

١ وقد جمع ابن الصبّاغ العلاقات المعتبرة في المجاز المُرسَل والمُرجّحات لهُ فقال :

يا سائلًا حَصْرَ العَلاقات التي وَضْعُ المَجازِ بها يسوغ ويُحمَلُ
خُذها مرتَّبةً وكلٌّ مُقابلٍ حُكمَ المقابل فيهِ حقًّا يحملُ
عن ذكر ملزومٍ يعوّضُ لازمٌ وكذا بعلّتهِ يُعاض معلَّلُ
وعن المعمَّم يُستعاض مخصّصٌ وكذاك عن جزءٍ ينوب المُكملُ
وعن الحلّ ينوب ما قد حلَّهُ والحذفُ للتخفيف ممّا يسهُلُ
وعن المضاف اليهِ ناب مُضافُهُ والضدُّ عن أضداده مُستعمَلُ
والشبه في صفةٍ تبين وصورةٍ ومن المقيَّد مطلَقٌ قد يُبدَلُ
والشيء يُدعى باسم ما قد كانهُ وكذا يسمّى بالبديل المُبدَلُ
وضع المُجاورَ في مكانة جارهِ وبضدهِ حُكم التعاقُب يكملُ
واجعل مكان الشيء آلتَهُ وجيء بمنكَّرٍ قَصْدَ العموم فيحصُلُ
ومعرَّفٍ عن مطلَقٍ وبهِ انتهت وبجملها حُكم التداخل يشملُ
وبكثرةٍ وبلاغةٍ ولزومهِ لحقيقةٍ رجحانهُ يتحصّلُ

تسمية الشيء بما كان عليهِ قبلًا او يؤول اليهِ بعدُ الى آخرهِ . ويشترط في كل هذا ان تظهر علاقة بين المنقول عنهُ والمنقول اليهِ بلا التباس لانَّ مَبْنَى هذا المجاز على الانتقال من الملزوم الى اللازم

س ما هو التبديل

ج التبديل صنف من المجاز بهِ تُقام النكرة مقام العَلَم والعلم بمقام النكرة كقولك في رجل كريم : « رأيتُ اليوم حاتمًا » .

قال ابن عبد ربهِ في رثاء ولدٍ صغير :

لم نُرزَهُ لمَّا رُزِينـا وحدَهُ وان استقلَّ بهِ المَنونُ وحيدا
لكن رُزِينـا القاسمَ بنَ محمَّد في فضلهِ والاسودَ بن يزيدا
وابنَ المبارك في الرقائق مَعْمَرًا وابنَ المُسيَّب في الحديث سعيدا
والاخفشَينِ فصاحةً و بلاغةً والأعشيَيْن رواية ونشيدا

(راجع هذه القصيدة في الجزء الرابع من مجاني الادب ص ٤٤ وشرحها في الجزء السابع)

س ما هو المجاز المركَّب

ج هو ما انتُزِع وجههُ من مُتعدّدٍ كقولك للمتردّد في امرٍ : « اني اراك تُقدّم رِجلًا وتُؤخّر أُخرى » . فاستعرتَ لتردُّد فكرهِ وارتيابهِ في امرهِ صورةَ تردُّد الرجل في إقبال وإدبار .

ومثلهُ قول سليمان في صلاتهِ : « ياربِّ اني غلامٌ صغير لا اعرِف أدخل واخرج » اراد بالدخول والخروج التصرُّفَ في الامور

(فائدة) هذا المجـاز يقال لهُ التمثيل لانتزاع وجهِهِ من عدَّة امور كما مرَّ في تشبيه التمثيل (ص ٦٥)

المطلب الثالث

في الكناية

اعلم انَّ اللفظة اذا أُطلقت ودلّت على بعض المعاني فامَّا يجوز ان يقصد معناها الاصلي وامَّا لا يجوز. فان كان لا يجوز ان يُقصد هذا المعنى فهو المَجاز وقد مرّ. وان كان يجوز ان يُقصد فهي الكناية

س ما الكناية

ج الكناية في اللغة نقيض التصريح . وفي اصطلاح البيانيين ان يُعبّر عن شيء لفظًا او معنًى بكلام غير صريح مع دلالة تدلُّ على المعنى الاوَّل (١ كقولك: « فلان طويل اليد طاهر الذيل وقويُّ الظهر » تريد بذلك سلطتهُ وتراهتهُ واقتدارهُ . ويجوز ايضًا ان يُراد كونُهُ طويل اليد على حقيقة معناهُ . وكذلك طاهر الذيل وقويُّ الظهر (٢ . وكقول الشاعر :

وما يكُ فيَّ من عيبٍ فانّي جبانُ الكلب مهزولُ الفَصيلِ

١ التفتازاني والجرجاني والسكاكي

٢ قال الحلبي: الكناية عند علماء البيان ان يُريد المتكلّم اثباتَ معنًى من المعاني فلا يذكرهُ باللفظ الموضوع لهُ في اللغة ولكن يجيء الى معنى هو تاليهِ وردِفهُ في الوجود فيومئ بهِ اليهِ ويجعلهُ دليلًا عليهِ. مثال ذلك قولهم: « هو طويل النِجاد » اي حمائل السيف . يعنون انهُ طويل القامة. وقولهم « كثير رَمادِ القِدرِ » يريدون انَّهُ كثير القِرى. فلم يذكروا المراد بلفظهِ الخاصّ بهِ ولكن توصّلوا اليهِ بذكر معنًى آخر هو رديفهُ في الوجود . أَلا ترى انَّ القامة اذا طالت طال النجاد واذا كثر القِرى كثر رماد القدر (اه).

واعلم انَّ ارادة المعنى الاوَّل جائزة لا واجبة لانَّ الكنايةَ كثيرًا ما تخلو عن ارادة المعنى الحقيقي .

يريد انهُ سهل المعاشرة كريم . وكنّى عن الأوّل بجُبْن الكلْب لانّ كلب الرجل الانيس لا ينبح لكثرة رؤيتهِ للضيوف والغرباء وعن الثاني بهزال الفصيل وهو ولد الناقة لانهُ ينحر النوق لاضيافهِ فتهزل اولادها

ومن ذلك كنايات كثيرة عن المعايب والاخلاق وما يُتشآم بهِ كقولهم في الكناية عن الموت: « استأثر الله بفلان واسعدهُ بجوارهِ الخ » (١

(راجع القول عن الكناية في الصفحة ١٣٩ من مقالات علم الادب)

(فائدتان) الاولى اعلم انّ الفرق بين الكنـــاية والمجاز انّ المجاز يدلّ على غير معنى الكلام الظاهر . واماً الكناية فتدلّ على حقيقة اللفظ وبعيد معناهُ

الثانية الفرق بين الاستعارة والكناية هو ان الاستعارة مبنية على تشبيهٍ خفيّ ويمتنع فيها المعنى الحقيقيّ كما رأيت . امَّا الكناية فبخلاف ذلك ليس فيها تشبيه ويجوز ان يُراد بهـــا المعنى الحقيقيّ . مثالهُ قول الخنساء في اخيها:

رفيعُ العِماد طويلُ النجا ‍ دِ ساد عشيرتَهُ أمردا

فانّ قولها « رفيعُ العِماد طويلُ النِجاد » كنايات عن شرفهِ وطول قامتهِ . إلّا انّهُ يجوز ان يراد بهما كون بيتهِ واسعاً ذا عَمَدٍ مرتفعةٍ كبيوت السادة وكون نجادهِ اي حمائل سيفهِ طويلة وهما المعنيان الحقيقيّان

س ما هو الغرض من الكناية

ج للكناية اغراض كتحسين اللفظ وتعزيز الكلام والابهام على السامعين

١ راجع كتاب النهاية في التعريض والكناية للثعالبي

فمن ذلك ما أُخبِرَ عن الحارثة بن بدر انهُ دخل على زياد وفي وجههِ أَثَرٌ . فقال لهُ زياد : « ما هذا الاثر الذي في وجهك » . قال : « ركبتُ فرسي الاشقر فجمَح بي » (كنى بالفرس الاشقر عن النبيذ) . يريد أَنَّهُ سكر فسقط وجُرح

(فائدة) قال الابشيهي : ومن الكنايات ما يورد على سبيل الرَّمز وهو أَدَلّ على الذكاء والفصاحة . ومنهُ ما يجدهُ المُتستّر في امرهِ لكتمان حالهِ مع لزوم الصِدق ورضى الخَصم بما وافق مُرادهُ لأَنَّ في المعاريض مَندوحةً عن الكذب

- راجع صفحة ١٤٤ من مقالات علم الادب وفيها ما ورد من الكنايات عن العرب)

س ما هي اقسام الكناية

ج للكناية ثلاثة اقسام:

الاوّل الكناية عن الموصوف كقولنا: « مجامع الاضغان » كناية عن القلب . « ومكامن القلب » كناية عن الاسرار . وكقول الشَّنفرَى :

اَقيموا بني أُمّي صُدورَ مَطيّكُم فانّي الى قومٍ سواكم لأَميلُ

يريد ببني أُمّهِ اخوتَهُ . وكقول المتنبّي في شُجاع الطائي وقد دعاهُ ابنَ امّ الموت اي اخا الموت لبأسهِ :

رأيتُ ابنَ امّ الموت لو انَّ بأسَهُ فشا بين اهل الارض لا نقطع النَّسْلُ

الثاني الكناية عن صفةٍ من الصفات كالجود

والكرم والشجاعة ونحو ذلك كقولك: « فلان رَحْب الصَّدر» كناية عن اللطف والمروءة وطول الأناة

(فائدة) ان الكناية عن الصفة ضربان قريبة وبعيدة . فالقريبة يُنتقَل منها الى المطلوب بصراحة وبدون واسطٍ كقولك في الكرم: « رجل بَسْط اليدين » . فان بسط اليدين كناية صريحة عن السَّماح . امَّا البعيدة فهي الكناية الخفيَّة التي يُنتقل منها الى المطلوب بواسطةٍ كقولك في المضياف: « كثير الرَّماد » لانَّ كثرة الرماد تدلّ على كثرة النار . وكثرة النار دليل على كثرة الطبائخ . وكثرة الطبائخ انَّما تكون لكثرة الاضياف

الثالث الكناية عن نسبةٍ . والنِسْبة اثباتُ امرٍ لآخر او نفيُهُ عنهُ كقول العرب في الشريف: « المجد بينَ ثوبَيهِ والكرم بين بُردَيهِ » . اي في شخصهِ . وكقول زياد الاعجم في وصف ابن الحَشْرج:

ان المروءة والسماحة والنَّدى في قبَّةٍ ضُرِبت على ابن الحشْرجِ

فانهُ ترك التصريحَ بان يقول انَّ ابن الحَشْرج مختصّ بالمروءة والسماحة والكرم وعدل الى الكناية بان جعل هذه الصفات في قبَّة مضروبة عليه

وفي الكناية عن النسبة قد يكون ذو النسبة مذكورًا كما مرَّ . وقد يكون غير مذكور كقولك لعالمٍ: « احسنُ العِلم ما كان مقرونًا بعملٍ » كناية عن قلّة منفعة علم المُخاطَب إنْ لم يعمل بعلمهِ

فصل في ملحقات الكناية

اعلم انّ اصحاب البديع ذكروا عدّة انواعٍ لا تختلف عن الكناية الّا اختلافًا قليلًا فالحقناها بباب الكناية وهي التعريض والتَّوْرية والاستخدام والإِدماج وبَرَاعة الطَّلب والتَّرديد والإِبهام والمُشاكلة

١ في التعريض

س ما التعريض

ج التعريض نوع لطيف من الكناية وهو عبارة عن اللفظ الدالّ على الشيء من طريق المفهوم ومن جهة الاشارة لا بالوضع الحقيقيّ ولا المجازيّ (١ كقولك أمام بخيل: «ما اقبح البُخل» فيُفهم انهُ بخيل. ومثلهُ للحجّاج يُعرّض بمن تقدّمهُ من الامراء في الولاية:

لستُ براعي إبلٍ ولا غنَمْ ولا بجزّارٍ على ظَهْرِ وَضَمْ

ومن ذلك ما أُخبِر عن الفتح بن خاقان انّهُ رأى شيئًا في لحية الخليفة المتوكّل فأنف من تنبيهِ فقال: «يا غلام هات مِرْآة امير المؤمنين». فجاء بها فنظر المتوكّل وأخذهُ بيدهِ

(راجع الصفحة ١٤٢ من مقالات علم الادب وفيها مقالة عن التعريض)

٢ في التَّوْرِيَة

س ما هي التوريّة

ج التورية وتعرف ايضًا بالإِيهام نوعٌ من البديع يذكر

١ المثل السائر لابن الاثير

فيهِ الكاتب لفظًا ذا معنيين احدهما قريب والآخر بعيد فيُراد البعيد منهما ويُستَر بالقريب (١

قال الحمويّ : انّ اشتراك التورية بين معنيين احدُهما قريب ودلالة اللفظ عليهِ ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليهِ خفيّة فيريد المتكلّم البعيد ويورّي عنهُ بالقريب فيتوهّم السامعُ اوّل وهلةٍ انهُ يريد القريبَ وليس هوكذلك . ولاجل هذا سُمّي هذا النوع ايهامًا . مثالهُ قول الشاعرِ في الصَّبر وهو المرّ من العُصارة وورّى عنهُ بفضيلة الصبر:

بِهِ انَّ الشَّهْدَ بعد فِراقهمْ ما لذَّ لي فالصَّبْرُ كيفَ يطيبُ

ومثل هذا قولهم: « الصبرُ مرٌّ كاسمِهِ » . وجاء للسِراج الورّاق الشاعرِ يورّي عن اسمهِ :

يا خَجْلَتي وصحائفي قد سُوِّدتْ وصحائفُ الأَبرارِ في إِشْرَاقِ
ومُوَبِّخٍ لي في القيامةِ قائلٍ أَ كذا تكونُ صحائفُ الورّاقِ

وكتب ايضًا السِراج الشاعر الى شيخٍ اسمُهُ ضياء الدين واجاد في التورية عن اسمَيْهما جميعًا :

أَ مَوْلانا ضياء الدين جُدْ لي وعِشْ فَبَقاهُ مَوْلانـا بَقَاءِي
ولولا انتَ مـا أَغْنَيْتُ شيئًا وهل يُغني السِراجُ بلا ضيـاء

٣ الاستخدام

س ما هو الاستخدام

ج الاستخدام هو أَن يُعاد الى اللفظ ذي المعنى ضميرٌ تريد بهِ معنًى آخر للكلمة كقول الشاعر :

---

١ كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام لابن حجّة الحَمَوي

اذا نزل السماء بارض قومٍ رَعيناهُ وان كانوا غِضابا

فللسماء معنيان « المطر » وهو المراد في الشطر الاوّل « والنبات » وهو المراد بالضمير المنصوب في « رعيناهُ ». ومثلهُ لبعضهم في الدُعاء :

اقرّ اللهُ عينَ الامير. وكفاهُ شرَّها. واجرى لهُ عَذبَها. واكثرَ لديهِ تِبرَها

فاخذ لفظ العين اولًا بمعنى آلة البصر ثم بمعنى النظر الذي يُتشاءم بهِ ثم بمعنى مجرى الماء واخيرًا بمعنى الذهب. وستر كلّ ذلك بمعنى العَين الباصرة

٤ الإِدْماج

س ما هو الإِدْماج (١

ج هو نوع من الكناية بهِ يذكر المتكلّم معنًى من المعاني. ويضمّنهُ غرضًا آخر ليوهم السامع انَّهُ لم يقصدهُ (٢ . كقول ابن عبيد الله من كتاب ارسلهُ الى سليمان بن وَهب لمَّا استوزرهُ المعتضد الخليفة :

أَبَى دهرُنا إِسْعافَنا في نفوسنا وأَسْعَفنا فيمن نُحِبُّ ونُكرِمُ
فقلتُ لهُ نُعماك فيهم أَتِمَّها ودَعْ أَمرَنا انَّ المُهمَّ المقدَّمُ

فقولهُ : « انَّ المهمَّ المقدَّم » ادماجٌ لأنَّهُ جمع بين التهنئة وشكوى الحال من الزمان والتلطُّف في المسألة وهو يُشعر انَّهُ لا يريد المدح. وكقول المتنبّي وقد ضمَّن الشكايةَ من الدهر بوصف الليل بالطول :

أُقلِّبُ فيهِ أَجفاني كأنّي أَعُدُّ بهِ على الدهر الذنوبا

١ يقال أَدمج الشيءَ بالشيء اذا ادخلهُ بهِ وأَدمجَ الثوبَ اذا لفَّهُ بآخر
٢ الحموي و بديعيَّة العميان والنابلسي

٥ براعة الطَّلَب

س ما هي براعة الطلب

ج هي نوع من التعريض يذكر فيهِ المتكلّم حاجتَهُ على طريقة التلويح والاشارة بكلام منسجمٍ كقول اسحاق الموصلي من ابيات ارسلها الى هارون الرشيد وتلطَّف في السؤال:

وآمرةٍ بالبُخْل قلتُ لها اقصري فليسَ الى ما تأمرينَ سبيلُ
وكيفَ اخاف الفَقْرَ أو أُحرَمُ الغِنى ورأيُ اميرِ المؤمنينَ جميلُ

وكقول الصابي الشاعر وكتب الى الصاحب بن عبَّاد الوزير:

لمَّا وضعتُ صحيفتي في ضمن كفّ رسُولها
قبَّلتُها لتمسَّها يُمْناكَ عِنْد وُصولها
وتَودُّ عيني انَّها م اقترنتْ ببعض فصولها
حتى ترى من وجهك م الميمونِ غايةَ سُؤلها

٦ التَّرْديد

س ما هو التَّرْديد

ج الترديد ان يُعاد اللفظ عينهُ بمعنًى آخر كقول الحلّي وذكر مدينة رأس العين:

سأُسْرِعُ نحوَ رأسِ العَيْن خَطْوي وأَقصدُها على رأسي وعيني

٧ الإبهام

س ما هو الإبْهام

ج الإبْهام هو ان يُؤتَى بكلام يَحتمل معنيين متضادَّين كقول بشَّار بن بُرْد في خيَّاطٍ أعور اسمهُ زيد كان خاط لهُ قباء واساء في عمله:

خاطَ لي زيدٌ قباء   لَيتَ عينَيهِ سَوَاءُ

فلم يَعلَم احدٌ أَ دَعا لهُ بصحَّة عينهِ العوراء او دعا عليهِ بتَساوي العينَين في العَوَر

ومن هذا الباب ما ذُكر عن ابن الحجَّام وابن الفوَّال وابن الحائك لمَّا ضبطهم الشُرَطي صاحب حراسة الحجَّاج فتخلَّصوا من يدهِ بشعر قابل المدح والذمّ (راجع الصفحة ١٥١ من مجاني الادب الثالث)

٨ المُشَاكَلَة

س ما هي المُشاكَلة

ج المشاكَلَة هي ذكر الشيء بلفظ غيرهِ لوقوعهِ في صحبتهِ كقول القرآن: «وجزاءُ سَيِّئةٍ سَيِّئةٌ مثلُها». اراد «عقوبة مثلها» الَّا انهُ سمَّاها سيّئة للمشاكلة. وكقول ابي الرَّقعمَق الشاعر مجيبًا لأَصحابٍ دَعَوهُ الى المنادمة:

اصحابُنا قَصدوا الصَّبُوحَ بِسَحْرَةٍ   وأَتى رسولهمُ اليَّ خَصِيصا
قالوا اقتَرِحْ شيئًا نُجِدْ لكَ طَبْخَهُ   قلتُ اطبُخوا لي جُبَّةً وقميصا

اراد «خيطوا لي جُبَّةً» فذكر خياطة الجبَّة بلفظ الطبخ لوقوعها في صحبة طبخ الطعام. ومثلهُ قول بعضهم في قاضٍ وكان شهد عندهُ برؤية هلال الفطر فلم يقبل شهادتهُ:

أَ ترى القاضي أَعمَى   ام تراهُ يَتعامَى
سرقَ العيدَ كأَنَّ الـ   ـعيدَ اموالُ اليتامى

جعل العيد مسروقًا وهو ممَّا لا يُسرَق مشاكلة لاموال اليتامى

ومثلهُ قول لجمَّاز وسُئل يومًا في دعوة: «ايُّ البقول احبُّ اليك» فقال: «بَقلة الذئب». أراد اللحم ودعاها بَقْلة لمشابهة كلام السائل

البحث الثالث

في البيان وفقاً لطريقة الأقدمين

قد سبق (ص ٥٧ — ٥٨) انَّ للبيان مجالاً متَّسعاً لم تحصرهُ المطالبُ الثلاثة اعني التشبيهَ والمجاز والكناية كما اراد المحدثون وأنَّ البيانَ عبارةٌ عن توسيع المعنى وايضاحهِ بأيّ طريقةٍ كانت تبلغهُ الى فهم المخاطَب (١ . فبقي علينا ان نبحث عن هذه الاساليب التي بها يتمكَّن البليغ من ان يوسعَ نطاقَ افكارهِ ويُبرزها على صورةٍ تؤدّيها الى مسامع المخاطب وتُثبتها في عقلهِ . ولأنَّ البيانيين المحدثين دعوا ذلك « حسنَ البيان » فاخذنا عنهم هذا الاسم لئلَّا يلتبس البحث السابق في التشبيه والمجاز والكناية بالبحث الآتي ذكرهُ

المطلب الاوَّل

في تعريف حُسن البيان وتقسيمهِ

س ما هو حُسن البيان

ج هو عبارة عن الإبانة عمَّا في النَّفس بكلام بليغ بعيدٍ عن اللَّبس بحسب ما يقتضيه الحال (٢

(فائدة) اعلم انَّ اصحاب البديعيَّات جعلوا حُسن البيان من

---

١ راجع كتاب البيان والتبيين للجاحظ

٢ الحموي وعبد الغني النابلسي

آشكال البديع وحصروهُ في العِبارة الواحدة . امَّا نحن فانّنا نفهم بحُسن البيــان كل بَسْطٍ في الكلام البليغ غايتهُ تَبْيين غَرَض الكاتب او المتكلّم

س كم قسمًا حُسْنُ البيان

ج حُسْنُ البيان قسمان لفظيّ ومعنويّ

المطلب الثاني

في حُسْن البيان اللفظيّ

س ما هو حُسنُ البيان اللفظيّ

ج هو إيراد المعنى الواحد على اساليب مُختلفة من الالفاظ

س على كم نوعًا البَيان اللفظيّ

ج على خمسة انواع وهي : الإِشْباع . والتَّرادُف . والصِفات . والأبدال . والتَّكرير

١ البَيان بالإِشْباع

س ما هو الإِشْباع

ج الإِشْباع في اللُّغَة استيفاء الكلام واِحْكامُهُ . وفي الاصطلاح ان يَعْرِضَ البليغ بعبارةٍ مستطيلة ولفظٍ آنيقٍ بديع ما اَمكنَهُ ايضاحهُ بعبارةٍ قصيرةٍ او بلفظٍ بسيطٍ . وهذا النوع قد دعاهُ بعض البديعيين تتميمًا او استتمامًا

س ما الغرض من الإشباع

ج الغرض منهُ ايضاح المعنى او تقوية الكلام او تحسينهُ او العدول عن لفظةٍ ينفُر عنها السَّمع. وامثال ذلك كثيرة كقول بعضهم:

ولمَّا قضينا من مِنًى كلَّ حاجةٍ ومسَّح بالاركان مَن هو ماسِحُ
اخذنا بأطرافِ الاحاديث بيننا وسالت بأعناقِ المطيِّ الاباطِحُ

اراد انهم عادوا راجعين بعد اداء فروض الحجّ وهم يتحدَّثون على ظهور الابل فحسَّن هذا المعنى الخسيس وزخرفهُ بالفاظٍ شريفة بيَّنتهُ على ابدع هيئة.(١ ومنهُ قول زُهير في معلّقتهُ يذكر الكعبة:

وأقسمتُ بالبيتِ الذي طاف حولهُ رجالٌ بنوهُ مِن قُرَيشٍ وجُرهُمِ

ومثلهُ ايضاً قول البحتريّ يصفُ طعنةً اصابت قابَ الرميّة:

فأوجرتهُ أُخرى فأحللتُ نصلَها بحيثُ يكونُ اللبُّ والرُعبُ والحقدُ

(فائدة) اعلم انَّ الاشباع اذا ورد على صورةٍ خسيسة او بلا فائدةٍ عُدَّ من الحَشو والفضول كقول ابي نواس:

أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ويومٌ لهُ يومُ الترحُّل خامسُ

اراد انهم اقاموا اربعةَ ايَّام فأورد ذلك على طريقةٍ سخيفة دون طائلٍ كبير. ومثلهُ للحادرة:

مضَى ثلاثُ سنينٍ منذُ حُلَّ بها وعامُ حُلَّتْ وهذا التابعُ الخامي(٢

المراد انهم حلّوا بذلك المكان خمس سنين

١ راجع المثل السائر
٢ الخامي مخفَّفة الخامس

٢ البيان بالمُترادِفات

قد مرَّ تعريف الترادُف اللفظيّ سابقًا (ص ٢٦) والمُراد هنا مُطلَق المُترادفات سواء كانت الفاظًا مُفردَة او جُملًا

س كيف يحصل بيان المعنى بالمُترادِفات

ج يحصل ذلك بان يُعرَض المعنى الواحد بالفاظٍ او عبارات لا تختلف عن بعضها اختلافًا كبيرًا . والغاية من ذلك ايضاح المعنى وتقريره[١]

قال السيوطي في كتاب المُزهر: انّ الحاجةَ تدعو الى تأكيد المعنى والتحريض والتقرير . فلو كُرِّر اللفظ الواحد لَسَمُجَ ومُجَّ فخالفوا بين الالفاظ المُترادفة والمعنى الواحد . والالفاظ المُترادفة هي ما قام بها لفظٌ مقامَ لفظٍ لمعانٍ مُتقاربة يَجْمعها معنًى واحد كما يُقال : اَصْلَحَ الفاسد . ولَمَّ الشَّعْث . ورَتَقَ الفَتْق . وشَعَبَ الصَّدْع . وهذا ممَّا يحتاج اليهِ البليغ في بلاغتهِ لأنَّهُ بحُسن الالفاظ واختلافها على المعنى الواحد تَرْصَع المعاني في القلوب وتاتزق بالصدور ويزيد حسنهُ وحلاوتهُ وطلاوتهُ بضرب الامثلة بهِ والتَّشبيهات المجازيَّة

ومن امثال الترادُف ما جاء لابن حبيب الحلبيّ في غبوب الشمس :

ولمَّا حَجَبَتْ عن العيون شخصها . وخطف المغرب من يد المَشرق قُرْصها . واكتحلت جفون الافق بالنار . وطرد ظلامُ الليل ضياء النهار . . .

---

١ راجع ما قالهُ اصحاب البديعيَّات في نَوع الارْداف . قال النَّابلسي : الارْداف ان يُريد المتكلّم معنى فلا يعبّر عنهُ بلفظهِ الموضوع لهُ بل يعبّر عنهُ بلفظٍ هو رديفهُ



وكقول الآخر في ذكر الأُمم الغابرة :

خلتْ دورُهم منهم وأقْوَتْ عِراصهمْ وساقتهمُ نحوَ المنايا المَقادرُ
وخلَّوْا عن الدنيا وما جمَّعوا بها وضمَّتهمُ تحتَ التُراب الحفائرُ

ومن الترادف قول الحريريّ :

آما نادى بك الموتْ آما أسمَعك الصوتْ آما تخشى من الفوتْ
فتحتاطَ وتهتمّ
فكم تَسْدَر في السَهْو وتختال من الزهْو وتنصبُّ الى اللَّهْو
كأن الموت ما عمّ

فترى ان المعنى لا يكاد يختلف وانما ازداد تقريرًا فقط . وكقول ابن الجِدّيثي في دعاء لامير المؤمنين :

لا برِحتْ شموسُ سُعوده في دوائر النَّصْر دائرةً . وأقْمار إقباله في أفْلاك العزّ سائرَةً . وطوالع جَدّه على الآفاقِ مُشْرِقَةً . وكواكب مَجْده بنجوم السَّعْد مُحْدَقَةً

(فائدة) ولعبد الرحمان الهمَذاني كتابٌ جليل الفائدة دعاهُ الالفاظ الكتابيَّة ضمَّنهُ العبارات المُترادفة وقد نشرناهُ بالطبع منذ بعض سنوات وفيهِ من هذا الباب ما لا يستغني عنهُ كاتب

٣ البيان بالصفات

قد مرَّ تعريفُ الصفات وما يُستحسن منها (ص ٢٦) وما هو الغَرَض منها في المعاني (ص ٣٥) . فبقي ان نذكر استعمالها في الكتابة

س ما هو البيان بالصفات

ج هو ان يجمع البليغ صفاتٍ كثيرةً تكشف عن حقيقة

الموصوف وتزيد في تعريفهِ ونعتهِ وذكر خصائصهِ على طريقة بديعة كقول ابن النَّبيه الشاعر يمدح الملك العادل اخا صلاح الدين :

هو العادل الظَّلَّامُ للمال والعِدَى ... خزائنُــهُ قد أقفرَتْ ودِيارُها
كريمٌ لهُ نفسٌ تجودُ بما حوتْ ... وأعجبُ شيءٍ بعد ذاك اعتِذارُها
عليمٌ بنُورِ اللهِ ينظـرُ قلبـهُ ... فلمْ يُغنِ أسرارَ القلوبِ استِتارُها

قال آخر في وصف كريم :

جزيل المروءة . شريف الابوَّة . كريم النجار . جليل المِقْدار . عالي الهِـمَّة . طليق الوَجهِ عند المُلِمَّة . ظِلُّهُ ممدود . وفِناؤُهُ مقصود . وباب منزلِهِ عن الواردين غير مردود

(فائدة) قال ابن الرشيق : واحسنُ الوصف ما نعتَّ بهِ الشيء حتى تكاد تُمثّلهُ عِيانًا للسامع

٤ البيان بالأبدال

قد عرَّفنا سابقًا ما هو البَدَل (ص ٢٧) وما الغَرَض منهُ (ص ٣٥) . وانَّما ذكرناهُ هنا لمعرفة كيفية استعمالهِ في الكتابة

س ما هو البيان بالأبدال

ج هو ان يعبّر عن امرٍ من الامور بما ينوب عنهُ ويقوم مقامَهُ من الاوصاف كقول يَشوعياب الدُّنَيسريّ في اسمائهِ تعالى عزَّ وجلّ :

هو الاوَّل قبْلَ الكَون والمكان من غير أمَد ولا بِداية . والآخِر بعد فناء المُكوَّنات والأزمانِ بغَيرِ أمَدٍ ولا نِهاية . الظاهِر في عُلُوّهِ بغير بعدٍ ولا نِثاية . الباطن في دنوّهِ دُون قُرْبٍ ولا دَناية . القيُّوم في ديمومة وحدانيتهِ .

خالق الخلائق بمشيئتهِ . ومبيّن الهَيُولَى والعِلَل . ومانح الحقائق بقدرتهِ ومرتِّب الاحكام من الازل . الواجب الذي اتضحت حجَّة وجوده لكُلّ عاقل . وشهدت بتصديق عزَّة جوده قواطعُ الدلائل

٥ البيان بالتكرير

س ما التَّكرير

ج هو عبارة عن اعادة الألفاظ ذاتها لتقرير المعني في ذهن السامع . سواء كانت اللفظة المكرَّرة موصولةً باختها او مفصولةً كقول كُثَيِّر لمَّا بُويع عُمَر بن الخطاب بالخلافة :

اَرْبِحْ بها من صَفْقَةٍ لمُبايعٍ فَاَعْظِمْ بِها اَعْظِمْ بها ثم اَعْظِمِ

وكقول ابي العتاهية :

حتَّى متى لا تَرْعوي يا صاحبي حتَّى مَتَى حتَّى متَى وإلى مَتَى

ولهُ ايضاً :

ماذا تقول وليس عندك حجَّةٌ لو قد آتاك مُهَدِّمَ اللذَّاتِ
او ما تقول اذا حللتَ محلَّةً ليس الثُقَاةُ لاهلِها بثقاتِ
او ما تقول وليس حكمك نافذاً فيما تخلّفهُ من التركاتِ

وكقول عنترة في بعض روايات معلقتهِ :

يَدْعون عنترَ والرماحُ كأنَّها أشطانُ بئرٍ في لَبان الادهمِ
يدعونَ عنترَ والسيوفُ كأنَّها لَمْعُ البَوَارقِ في سحابٍ مُظْلمِ
يدعونَ عَنْتَرَ والسِهامُ كأنَّها طشُّ الجَرَادِ على مَشارعَ حُوَّمِ

(فائدة) اعلم ان التكرير على قسمين ضربٌ منهُ في اللفظ دون المعنى كقولك في مَلاَزَمَةِ الصديق : « اخاكَ اخاكَ » ومنهُ في المعنى دون اللفظ كقولك : « أطِعْ اللهَ ولا تَعْصِهِ » . وكلا الضربَيْن

يكون مُفيدًا اذا زاد المعنى حسنًا وتقريرًا وغيرَ مُفيدٍ اذا لم يُجْدِ الكلام شيئًا من الحُسْن. كقول مَرْوانَ الشاعر وكَرَّر ذكر نجدٍ ستَّ مرَّاتٍ في معرضٍ سخيف فقال :

سَقَى اللهُ نَجْدًا والسلامُ على نجدِ ... ويا حبَّذَا نجدٌ على القُرْبِ والبُعدِ
نظرتُ الى نجدٍ وبَغْدادُ دونَها ... لعلّي أرى نجدًا وهيهاتُ من نَجْدِ

(راجع في الجزء الاوَّل من مقالات علم الادب البَحْث الوارد في التَكرير ص ١٥٦ — ١٦٤ وفي الجزء الثاني منهُ ص ٢٧٧ — ٢٧٨ وقد ذكر العسكريُّ هناك قصيدتين للمهلهل وابن عُباد رويناهما في شعراء النصرانية ص ١٦٩ و ٢٧٢)

البحث الثالث

في حُسْن البيان المعنويّ

س ما هو حُسْن البيان المعنويّ

ج هو ان يُعْرَض الغَرَضُ المقصود باساليب مختلفة من المعاني لوضوح الدلالة عليهِ

س كم نوعًا حُسْن البيان المعنويّ

ج انواعهُ كثيرة واخصُّها سِتَّة : الحَدّ . والتَّجْزئة . والعلَّة والمعلول . والظروف . والمُبالغة . والتَّضادّ

(فائدة) قلنا انَّ اخصَّ انواع البيان المعنويّ ستَّة . لانهُ يندرج فيها غير هذه كالتشبيهِ ووجوه المجاز والكنايات [1] وقد مرَّ ذكرُها .

[1] قد عدَّ البعض المجاز والكناية من البيان اللَفْظيّ الَّا انَّ العرب آثروا ان يضيفوهما الى البيان المعنويّ . وكلا الرأيين قريب للصَّواب

ويجوز كذلك ان يُوسَّع المَعنى بالأمثال والاستشهاد بكلام الحكماء وما شاكل ذلك وسيأتي القول عنها في ابوابها

١ البيان بالحَدّ

س ما هو الحَدّ

ج الحدّ لغةً المنع ونهاية الشيء وهو عند الأُصوليّين: القول الدالّ على ماهية الشيء وكمال وجودهِ ويتمّ بالجنس والنوع (١ كقولك في حدّ الانسان « هو حيوان ناطق » فانّك بيّنت طبيعتهُ وميّزتهُ عن كل ما سواهُ بذكر جنسهِ اي الحيوانيّة ونوعهِ الخاصّ بهِ دون سائر البهائم اي النُّطق

(فائدة) اعلم انَّ الحدَّ المُعرَّف آنفًا يستعملهُ الفلاسفة واصحاب الكلام وبما انّهم لا يتوخّون غير اظهار الحقيقة يخرجونهُ باقلّ ما يمكنهم من الالفاظ. امَّا البلغاء فلمَّا كان مقامهم مختلفًا وغايتهم مع ايراد الحقيقة تزيين معارض العبارات كي تُصيب قبولًا عند السامع فيتوسّعون في الحدّ غير متقيّدين بصورة مختصرة وطريقتهم هذه تسمَّى الحدَّ البيانيّ

س ما الحدُّ البيانيّ او التعريف

ج الحدُّ البيانيّ ويُدعى التعريف هو عند البيانيين ان يأتي الكاتب بخواصّ المعرَّف واوصافهِ واعراضهِ التي من

١ ابن سينا في رسائلهِ. قال بعضهم: الحدّ هو الجامع المانع اي الوصف المحيط بمعنى المعرّف المميّز لهُ عن غيرهِ

شأنها ان تبين حقيقته كقولك في تعريف الانسان :

انهُ ماشٍ على قدميهِ عريضُ الأظفار بادي البَشَرة مُستقيم القامة ضَحّاك بالطبع

(فائدة) اعلم ان هذا النوع من التعريف هو بالوصف اشبه منهُ بالتحديد . ويكون على طُرُقٍ مختلفة فتارةً يُبيِّن المعرَّف باقسامهِ وتارةً بخواصه وبآثارهِ وظروفهِ الى غير ذلك كما عرَّف القَلَم بعض البلغاء :

القَلَمُ أحدُ اللّسانين وهوَ الخاطب للغُيُوب . بسرائرِ القُلُوب . على لغاتٍ مختلفة من معانٍ معقولة . بحُرُوف معلولة . مُتباينات الصور مختلفات الجهات . لقاحُها التَّفكيرُ ونِتاجُها التَّدبيرُ . تخرَسُ مُنفردات . وتنطق مُزدوجاتٍ . بلا أصواتٍ مسموعة . ولا ألسُنٍ محدودةٍ . ولا حَرَكاتٍ ظاهرةٍ . خلا قلمٍ حرَّف باريهِ قطّتهُ ليتعلَّقَ المِدادُ فيهِ وأرهف جانبيهِ . ليردَّ ما انتثر عنهُ اليهِ

وقال آخر في تعريف الصداقة فذكر مراتبها :

انَّ الصَّداقة أولاها السَّلامُ ومِنْ بَعد السَّلامِ طَعامٌ ثم ترحيبُ
وبعد ذاك كلامٌ في مُلاطَفةٍ وضَحكُ ثغرٍ وإحسانٌ وتقريبُ
ان الكرام اذا ما صادقوا صَدَقوا لم يَثْنِهِم عنهُ ترغيبٌ وترهيبُ

وكثيرًا ما يكون التعريف البياني بالسَّلب والاثبات وهو ان تَنفي عن المعرَّف ما يُتوهَّم عن حقيقتهِ ثم تُثبت لهُ صفاتهِ الجديرة بهِ كقول الشاعر :

ليسَ اليتيمُ الذي قد مات والدهُ بل اليتيمُ يتيم العلم والحَسَبِ

وقال الحريري في تعريف الحجّ :

ما الحَجُّ سَيرُكَ تأويبًا وإدلاجا (١ ولا اعتيامك آجالاً وأحداجا (٢

١ اي السير نهارًا وليلًا
٢ الاعتيام الاختيار . والأحداج مراكب السفر للنساء

الحجُّ أن تقصُدَ البيتَ الحرامَ على تجريدك (١ الحجَّ لا تقضي بهِ حاجا
وتمتطي كاهلَ الانصاف مُتَّخذًا رَدْعَ الهوى هاديًا والحقَّ منهاجا
وان تؤاتيَ ما أُوتيتَ مقدُرةً (٢ مَن مدَّ كفًّا الى جَدْواك محتاجا

٢ البيان بالتجزئة

س ما التجزئة (٣

ج التجزئة عند الاصوليين: تقسيم الكلّ الى أجزائهِ. وعند اهل الأدب ان تأخذ بعض المعاني وتُعدِّد اصنافَهُ (٤ المنطوية تحت حكمهِ كما فعل ابن المعتزّ في مُزدوجتهِ في ذكر بستان وانواع ازهارهِ:

أَمَا ترى البستانَ كيف نوَّرا ونَشَرَ المَنْثُورُ بُرْدًا أَصفَرَا
وَضَحِكَ الوردُ الى الشَّقائقِ وأعتَنَقَ الغصنَ اعتناقَ الوامقِ
وياسَمينٌ في ذُرى الاغصانِ منتظمٌ كقِطعة المَرْجانِ
والسَّرْوُ مثل قُضُب الزَبَرْجدِ قد استمدَّ الماءَ من تُربٍ نَدي
والأُقحُوان كالثَّنايا الغُرِّ قد صُقِلتْ أنوارُهُ بالقَطْرِ

فانَّهُ ابتدأَ بذكر البستان ثم أخذ في وصف ما فيهِ من الازهار مقسّماً

---

١ اي إخلاص نيَّتك ٢ اي على قدر غناك وسعة حالك

٣ اعلم ان التجزئة تسمَّى ايضاً عند البديعيين بالتقسيم. قال عبد الغنيّ النابلسي: التقسيم استيفاء المتكلّم أقسامَ المعنى. كقول زُهير بن ابي سلمى:

وأَعلَمُ ما في اليوم والأمسِ قبلَهُ ولكنَّني عن علمِ ما في غدٍ عَمِي

فانَّهُ قسَّم الزمان الى حالٍ وماضٍ ومستقبل

٤ قال الجرجاني: الصِّنف هو النوع المقيَّد بقيدٍ كلّيٍّ

وذكر دِعبل رأسَ ديكٍ وكان غلامهُ ترعهُ عند طبخهِ فقال لهُ يُبيّن منافع اجزائهِ :

ويحك كيف ترمي برأسهِ . آما علمتَ انَّ الرأسَ رئيسُ الاعضاء ومنهُ يَصيح الديك ولولا صوتُهُ ما أُريد . وفيهِ فرقُهُ الذي يُتبرَّك بهِ . وعينهُ التي يُضرَب بها المثل فيقال : شراب كعين الديك . ودماغهُ عجيبٌ لوجع الكُلْيَة . ولم نرَ عظماً اهشَّ تحتَ الاسنان من عظم رأسهِ

وفي كتاب كليلة ودمنة في تفضيل الصلاح على المال :

وجدتُ الصلاح لا خوفَ عليهِ من السلطان ان يغصبَهُ . ولا من الماء ان يُغرّقهُ . ولا من النار ان تحرقهُ . ولا من اللصوص ان تسرقهُ . ولا من السباع وجوارح الطَّير ان تمزّقهُ

(فائدة) اعلم ان الأصوليين ايضاً يلتجئون الى تجزئة ما حاولوا ذكرَهُ والفرق بينهم وبين البلغاء من وجهين : الأوَّل انهُ ينبغي على الأُصوليين ان يستوفوا جميع اقسام المقصود بخلاف البليغ فانهُ يمكنهُ أن يختار منها ما أَحَبَّ ذكرَهُ . والثاني انَّ الأصوليّين يذكرون اقسامَ الشيء دون تنميق الكلام بخلاف البلغاء فانهم يَعرِضون ذلك بأُسلوب رشيق ونَمَط بديع

٣ البيان بالعلّة والمعلول

س ما العلَّة والمعلول (١

---

١ وقد سمّى البديعيُّون هذا النوع من البيان تعليلًا او حسن التعليل . قال الحموي : حُسْنُ التَعليل هو ان يريد المتكلم ذِكر حكمٍ واقعٍ او مُتوقَّعٍ فيقدِّم قبل ذِكرهِ علَّة وقوعهِ لكون رتبة العلَّة تتقدَّم على المعلول (ا ه)

ج العلّة ما يَتوقّف عليهِ وجود الشيء والمعلول ما صدَر من العلّة

س كيف يتمُّ البيان بالعلّة والمعلول

ج يتمُّ ذلك اذا اوردت امرًا ما وبيَّنت لهُ عِللًا جمّة واسبابًا متنوعة او فصَّلتَ ما ينجم عنهُ من المفاعيل الحسنة او الذميمة

فالشاهد عن البيان بالعلل قول الماوردي وقد بيَّن دواعي الصدق فقال :

ومِن اسباب الصِدْق الداعية لنَفْي الكذب (العقلُ) لانهُ موجب لقُبْح الكَذِب لا سيَّما اذا لم يَجْلُب نَفعًا ولم يَدفَع ضَررًا . والعقلُ يدعو الى فعل ما كانَ مُستحسَنًا ويمنع من إِتْيان ما كان مُستقبَحًا . . . ومنها (الدِّين) الوارد باتّباعِ الصِدْق وحَظْر الكذب لانَّ الشَرْع لا يُجوِّز ان يَرِدَ بإِرْخاص ما حَظَرَهُ العقـلُ بل قد جاء الشَرْعُ زائدًا على ما اقتضاهُ العَقْل مِنْ حَظْرِ الكَذِب . لانَّ الشرعَ ورَدَ بحَظْرِ الكذب وان جرَّ نفعًا او دفع ضررًا والعقل انما حظر ما لا يَجلب نفعًا ولا يدفع ضررًا . ومنهـا (المروءة) فانَّها مانعةٌ مِنَ الكَذِب باعثةٌ على الصِدْق لانَّها قد تَمْنَعُ مِنْ فِعْل ما كان مُستَنكَرًا فاَولى اَنْ تمنعَ مِنْ فعل ما كان مستقبحًا . ومنها (حُبُّ الثناء والاشتهار بالصِدْق) حتّى لا يُرَدَّ عليهِ قولٌ ولا يُخالَف بذمّ (١ . وقد قال بعض البلغاء : لِيكن مَرجعك الى الحقّ ومنزِعك الى الصدق فالحقُّ اقوى مُعين والصدق افضل قرين

وكقول الحسن بن عبد الله في الغدر ونتائجه :

---

١ ويُروى : ولا يلْحِقهُ ندم

إنَّ الغَدْرَ نتائجهُ وخيمة . وعواقبهُ ذميمة . مَن ارتقى في سلّمهِ كان السقوط اليهِ أقرَب . ومن توسّل بسهولتهِ وقع في الأشدّ الاَصعب . بهِ تُبخَس الحقوقُ وتتفرَّق وتتضعضع النفوس وتضمحلّ المروءة وتذهب الامانات

قال آخر في الفقر والغنى وآثارهما عند النَّاس :

من كان يملك درهمَين تعلَّمت شفتــاهُ انواعَ الكلام فقالا
وتقدَّم الاخوانُ فاستمعوا لهُ ورأيتــهُ بين الورى مختــالا
لولا دراهمهُ التي يزهو بهــا لوجدتَهُ في الناس اسوأ حالا
انَّ الغنيَّ إذا تكلَّم بالخطا قالوا صدقتَ وما نطقتَ محالا
امَّا الفقيرُ اذا تكلَّم صادقًا قالوا كذبتَ وأبطلوا ما قالا
انَّ الدراهم في المنازل كلّها تكسو الرجال مهابةً وجمالا
فهي اللسان لمن اراد فصاحةً وهي السِّـلاح لمن اراد قتالا

وقال آخر في منافع الأسفار:

تغرَّب عن الاوطان في طلب العلى وسافر ففي الاسفار خمس فوائدِ
فتفريجُ همٍّ واكتساب معيشةٍ وعلمٌ وآدابٌ وصُحبة ماجدِ

وللثعالبي في ذلك قولهُ :

السَّفَرُ يشُدُّ الاَبدان . ويُنَشِّطُ الكَسْلان . ويُسلّي الثَّكْلان . ويطردُ الاسقام . ويُشهّي الطعام

(فائدة) العلّة اربعة انواع : الاوَّل العلّة الفاعليَّة وهي المؤثرة في المعلول الموجدة لهُ كالمهندس بالنسبة الى الدار (راجع الجزء الرابع من مجاني الادب الصفحة ٣١٩ في ذكر باني الزهراء . والصفحة ٣٠١ من الجزء الخامس في ذكر باني بغداد وما تكلَّفهُ من النَّفقات والاتعاب)

ثانيًا العلّة الغائيَّة وهي ما كان المعلول لاجلها كالدرس لنيل الرزق او المجد (راجع الصفحة ٢٥٦ و٢٦٠ من المجاني الثالث وهناك بيان الغاية التي لاجلها خلق الله الشمسَ . وفي الجزء ذاتهِ الصفحة ٢٦٦ مقالة في الغاية التي لاجلها وُضعت فصول السَّنة الاربعة)

الثالث العلّة المادّية. وهي ما تركّب منها المعلول كالذهب او الفضة المتركّبة منهما الكأس. (اطلب وصف كنيسة بلارمة الصفحة ٢٥١ من مجاني الادب الثالث ووصف جامع دمشق الصفحة ٢٢٦ من الجزء الرابع)

الرابع العلّة الصوريّة وهي ما قامت بها ماهيّة الشيء كالنفس في الانسان وهيئة البيت (اطلب بيان صورة الانسان صفحة ٢٧٥ من المجاني الثاني. وصورة عشّ القبّرة صفحة ٢٨٣ منهُ)

مُلحَق في المَذهب الكلامي

اعلم انّ علماء البديع ذكروا في كتبهم نوعًا كثيرًا ما يدخلُ في باب البيان بالعلّة والمعلول وهو المَذهَبُ الكلامي (اطلب المقالات ١: ١٨٤)

س ما هو المَذهب الكلاميّ

ج قال الجاحظ: المذهب الكلاميّ هو ان يأتي البليغ على صحّة دعواهُ وإبطال دعوى خصمهِ بحجّة قاطعة لا يمكن الخَصم نقضها كقول القرآن وبيّن وحدانيّة الله ببرهانٍ دامغ: «لو كان في السماء والارض آلهةٌ غيرِ الله لَفسَدتا».

ومثلهُ قول الغزّالي وكان الزّمخشريُّ كتب اليهِ يطلبُ منهُ شرح قول القرآن «الرّحمانُ على العَرْش استوى» فاجابَهُ:

انتَ لا تعـرِف ذاتَك ولا تدري مَنْ أنتَ ولا كَيْفَ الوُصولْ
لا ولا تدري صفاتٍ رُكّبت فيك حارت في خفاياها العقولْ
اين منـك الرُّوحُ في جوهرِها هل تَراها او ترى كيف تجولْ
انت آكِلَ الخُبْزِ لا تَعْرِفُهُ كيف يَجري فيك أمْ كيف يحولْ
فاذا كانت طواياك التي بين جَنْبَيْك بها انت تجهولْ
كَيْفَ تَدْري مَنْ على العرشِ استوى فتعـالى ربُّنـا عمّا تقـولْ

او كما قال صاحب متن الشَّيبانيَّة في تنزيه الخالق :

ولا جهةٌ تحوي الالهَ ولا لهُ   مكانٌ تعالى عنهما وتمجَّدا
اذِ الكون مخلوقٌ وربّيَ خالقٌ   لقد كان قبلَ الكونِ ربًّا وسيّدا

٤ البيان بالظروف

س ما الظروف

ج الظروف كل ما عرض للامر المقصود وأحدق بهِ وصاحبَهُ من زمان ومكان وغير ذلك مِمَّا يُبيّن احوالهُ

وقد جمع بعضهم الظروف بقولهِ :

مَنْ وما اينَ بماذا ولِما   كَيْفَ مَتَى تأتي بها مُسْتَفْهِما

(فمَن) تدلُّ على الفاعل . (وما) على الفعل . (واين) على المكان . (وبماذا) على الوسائط . (ولما) على الغاية . (وكيف) على الهيئة . (ومتى) على الزمان

س كيف يكون البيان بالظروف

ج يكون ذلك بتَعْداد المُقترِنات الطارئة على الموصوف وبَسْطها بإِسهاب كقول ابي زيد السروجي في المقامات الحريريَّة وقد وصف نَسَبَهُ ومولِدَهُ وتقلُّب الدهر بهِ وغايتَهُ في طَلَبِ المُساعَدة الى غير ذلك من الظروف فقال :

انا من ساكني سَرُو   جٍ ذوي الدِين والهُدَى
كنتُ ذا ثروةٍ بها   ومُطَاعًا مسوَّدا
مَرْبَعي مألَف الضيو   فِ ومالي لهم سُدى
ويَراني المُؤمِّلو   نَ ملاذًا ومَقصدا .

فقضى الله أن يغيّر م ما كانَ عوّدا
بوّأ الرومَ ارضَنا بعد ضِغْنٍ تولَّدا
فحوَوا كل ما استسرّ م بها لي وما بدا
فتطوّحتُ في البلا دِ طريدًا مشرّدَا
أَجتدي الناسَ بعد ما كنتُ مِنْ قبلُ مُجتدَى
وترى بي خصاصةً أتمنّى لها الرّدى
والبلاء الذي بهِ شَملُ انسي تبدّدا
إستباءُ أبنتي التي أسروها لتُفتدَى
فأستبِنْ مِحنتي ومُدّ م الى نُصرتي يدا
وأجِرني من الزّما ن فقد جار واعتدى
وأعِنّي على فكا ك ابنتي من يد العدى
واسمح الآن بالذي يتسنّى لتُحمدا

وكما جاء في كتاب كليلة ودمنة في وصف الانسان وما يُلاقيه من المشاقّ من وقت ولادتهِ الى موتهِ فقال:

ان الدنيا كلها بلاء وعذاب والانسان انّما يتقلّب في عَذابها من حين يُولد الى ان يَستوفي أيّامَ حياتهِ. فانّهُ إنْ كان طِفلًا ذاق من العَذاب ألوانًا فان جاع فليس بهِ استطعامٌ أو عَطِش فليس بهِ استسقاءٌ او وَجِعَ فليس بهِ استغاثة مع ما يَلقى من الوَضع والحمل واللّفّ والدَهن والمَسح. إنْ أُنيم على ظهرهِ لم يستطع قيامًا ولا تقلّبًا. ثم يَلقى أصنافَ العذاب ما دام رضيعًا. فاذا أفلَتَ من عذاب الرَّضاع اخذ في عذاب الأدَب فأُذيق منهُ ألوانًا من عُنْف المعلّم وضَجَر الدرس وسآمة الكتابة. ثم لهُ من الدواء والحِميَة والأسقام والاوجاع أوفى نصيب. ثم يَلحقهُ همُّ الأهل وتكون همّتهُ في جمع المال وتربية الوَلَد ومُخاطَرة الطَّلَب والسَّعي والكدّ والتَّعب. وهو مع كل ذلك يتقلّب مع أعدائهِ الباطنيين اللازمين لهُ وهم المِرَّة الصفراء والمِرَّة السوداء والبلغم والدم مع السمّ المميت والحيّة اللادغة والخوف من السباع والهوامّ مع تقلّب الفصول من الحرّ والبرد والامطار والرياح والثلوج والشيطان الدائم والقرين السوء وغير ذلك من الطّوارئ الرديئة ثم انواع

عذاب الحَرَم لِمَن يبلغهُ . . . ثم آهوال الساعة التي يحضرُ فيها الموت ويُفارق الدنيا فيذكر ما هو نازل بهِ في تلك الساعة ممّا هو اشدّ جدًّا من ذلك من فراق الاحبَّة والأقارب والمال وكلّ مضنون بهِ من الدنيا مع الإشراف على الهول العظيم بعد الموت

٥ البيان بالمبالغة

س ما هي المبالغة

ج المبالغة ان يُدَّعى لشيء وصفٌ يزيد على ما في الواقع (١

كقول القرآن في سورة النور يصف اعمال الكفّار :

والَّذين كفَروا اعمالُهم . . . كظُلُماتٍ في بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغشاهُ مَوْجٌ من فوقهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بعضها فوق بعض اذا اخرج يدهُ لم يَكد يراها

وكقول ابي تمّام في كرم المعتصم :

تعوَّدَ بَسْطَ الكَفّ حتّى لوَ انَّهُ ثناها لِقَبْضٍ لم تُطِعْهُ انامِلُهْ
ولو لم يكن في كفّهِ غيرُ روحهِ لجادَ بها فليتَّقِ اللهَ سائِلُهْ

(فائدة) اعلم انَّ المبالغة تكون امًّا من قبيل اللّفظ وذلك في استعمال صفات المبالغة نحو « فلانٌ ثلّابٌ نمّام ضُحِكة نُوَمة سِكِّير شِرِّير » . وامّا من قبيل المعنى كما ترى في أمثال هذا البحث

(راجع في الصفحة ١٤٩–١٥٦ من المقالات ما رويناهُ عن الائمّة في المُبالغة)

١ قال التَّهانَويُّ وغيرهُ : اختلفوا في المبالغة فقالوا انّها مردودةٌ مطلقًا لانَّ خيرَ الكلام ما خرجَ مخرجَ الحقّ . وقيل انّها مقبولةٌ مُطلَقًا والفضل مقصور عليها والعرب تقول : احسنُ الشعر اكذبُهُ . وقال النابغة : اشعرُ الناس من استُجيد كَذِبهُ . وقيل منها مقبولة ومنها مردودة . وهذا القول هو الراجح . فالمقبولة منها ما خيّلت الإفراط شبيهًا بالحقّ . والمردودة ما خرجت عن حد الإمكان ولم تطابق اصلًا الموصوفَ بها

س كم هي اقسام المبالغة

ج ثلاثة :

الأوّل التّبليغ . وهو وصف الشيء بالمُمكن البعيد وقوعُهُ عادةً كقول عُمَير التغلبيّ وقد بلغ الى اقصى ما يمكن من وصف الكرم :

وُنُكرِمُ جارَنا ما دامَ فينا وُنتبعهُ الكَرامةَ حيثُ مالا

ومن ذلك قول الُحسين بن مُطَير في الخليفة المهدي :

فتًى هو من غير التخلّق ماجدٌ ومن غير تأديبِ الرجال أديبُ
يعفُّ ويستحيي اذا كان خاليًا كما عفَّ واستحيا بحَيثُ رقيبُ
اذا شاهد القوّادَ سار امامَهم جريءٌ على ما يتّقونَ وَثوبُ
وان غاب عنهم شاهدَتْهم مَهابةٌ بها يقهَرُ الاعداءَ حينَ يغيبُ

الثاني الاغراق . وهو وصف الشيء بالممكن في العقل دون العادة كقول ابن الاعمى في وصف دار :

وبها خفافيشٌ تَطير نهارَها مع ليلها ايست على عاداتها

وكما قيل في يحيى البرمكيّ :

لا تَراني مُصافحًا كفَّ يحيى إنّني ان فعلتُ ضيَّعتُ مالي
لو يَمَسُّ البخيلُ راحةَ يحيى لَسخَتْ نفسهُ بِبَذلِ النَّوالِ

وقال آخر في جَبان :

إن أحسَّ بعصفورٍ طار فؤادُهُ . وان طنّت بعوضةٌ طال سُهادُهُ . إن نظرتَ اليهِ شَزْرًا . أغمي عليهِ شهرًا . يفزع من صَريرِ الباب . ويقلَقُ من طنين الذُّباب . يحسبُ هبوبَ الرياح . قعقعةَ الرِماح . . .

ومن ذلك قول المتنبيء في وصف فارس شجاع :

ولربّما أطرَ القناةَ بفارسٍ وثنى فقوّمها بآخرَ منهمُ

الثالث الغُلوّ . وهو الوصف بالمُستحيل في العقل كقول زُهير :

لو كان يَقعُد فوق الشمس من كرمٍ قومٌ بآبائهم او مجدِهم قَعَدُوا

وكقول ابن الاعمى في هجو دار :

والنارُ جزءٌ من تلهُّبِ حرِّها وجهنّمٌ تُعزى الى لَفَحاتها

(راجع الصفحة ١٥١ من المقالات)

س كم ضَرْبًا الغُلوّ

ج الغلوّ ضربان مقبول ومردود . فالمقبول ما ضُمَّ اليهِ شيءٌ يُخرجهُ من باب الاستحالة ويُقرّبهُ الى القَبول مثل «لو وكاد» كقول القُرآن يَصفُ مِشكاةً «يكاد زَيْتها يُضيءُ ولو لم تَمْسَسْهُ نارٌ». وكقول ابن هَرْمة في كلب رَجُلٍ جواد :

يكاد اذا ما أبصر الضيفَ مُقبلًا يكلّمهُ من حُبّهِ وهو أعجمُ

ولغيرهِ في كريمٍ :

ويكاد من فرط السَّخاء بنانُهُ حُبَّ العطاء يقول هل من سائلٍ

(راجع الصفحة ١٥٣ من المقالات)

وربما جاء الغلوّ المقبول مُضمر اداة التقريب إمّا لتخيّل حسن وإمّا لتنزيل الكلام في مَعرِض الهَزْل كقول بعضهم في رَجُل طويل الأنف :

لكَ انفٌ يا ابن حَرْبٍ أنِفَتْ منهُ الأُنوفُ
انتَ في البَيْتِ تُصلّي وهوَ في السُّوقِ يطوفُ

واما الغلوّ المردود فهو الذي لا يُرشّحهُ شيءٌ للقبول او يمجّهُ الذوق السليم[١] كقول البُحتري في المَدح وقد خرج الى الاستحالة

جَلَّ عن مذهبِ المَديحِ فقد كا دَ يكونُ المديحُ فيهِ هجاء

اخذهُ المتنبي فقال :

تجاوز قَدْرَ المَدْحِ حتّى كأنّهُ بأَحسَن ما يُثنَى عليهِ يُعابُ

وكلاهما خرج الى الاستحالة مع استعمالهما لاداة التقريب لانهُ من المحال ان يكون المدح هجوًا . ومثلهُ في المبالغة المردودة قول ابي العلاء المعرّي :

تكادُ قِسيُّهُ من غيرِ رامٍ تُمكّنُ في قلوبهمِ النِبالا
تكادُ سيوفهُ من غيرِ سَلٍّ تَجِدُّ الى رِقابهم انسلالا

وقد ادّى بعضَ الشعراء الافراطُ في المبالغة الى سوء الادب وضعف الدين كقول ابن هانئ في الملك المعزّ :

وعلمتَ عن مَكنُونِ علمِ الله ما لم يُؤتِ جبريلًا وميكائيلا

وكقول المتنبي :

لو كان علمُكَ بالإلهِ مُقسّمًا في الناس ما بعثَ الإلهُ رسولا

واشنع من هذا قولهُ وفيهِ كفرٌ اعاذنا الله من شرّهِ :

لو كان صادفَ راسَ عازرَ سيفُهُ في يوم معركةٍ لَأعيا عيسى
او كان لجُّ البحر مثلَ يمينهِ ما انشقَّ حتّى جاز فيهِ موسى

(راجع الصفحة ١٥٥ من المقالات)

١ راجع نفحات الازهار للنابلسي وكتاب الصناعتين للعسكري

٦ البيان بالتضادّ

س ما هو التضادّ

ج هو المقابلة بين امرين مختلفين لفظًا او معنًى. وطريقة البيان بهِ ان تستوفي جميع وجوه الأمرين المتضادَّين فتعارض بينهما لمزيد تعريفهما كقول الحريريّ يؤنّب المرشِد السوء:

تأمرُ بالعُرف وتنتهك حماهُ. وتحمي عن النُّكر ولا تتحاماهُ. وتزحزح عن الظُّلم ثمّ تغشاهُ. وتخشى الناس والله أحقُّ انْ تخشاهُ

وكقول اوس بن حجر:

اطَعنا رَبَّنا وعصاهُ قومٌ   فذُقْنا طَعْمَ طاعتِنا وذاقوا

ومثالهُ لابي الحليم بن الحديثي يصفُ العذراء مريم في ميلاد المسيح:

نرى صبيّةً حاملةَ الذكر مسكينة. نشاهدُ مُحيًّا قد مُدّ عليهِ قناعُ الحياء والخفر. أعضادًا جُعلت سدّةً لسيّد الكلّ ابن البشر. ضعيفةً ولدتْ جبّارَ الكون وربَّ العالم. فقيرةً أثرتْ بفقرِها أبناء آدمَ. خاملةً تخدمُها الزُّمَرُ الملائكيّة. حاملةً لعاقد التيجان على المفارق الملكيّة. يتيمةً لم يكن لها في فسيح الارض مأوى. افتخرت بضآلتها امّها حوًّا

وكقوله يصف توبة المجدليّة:

أُنظُرُوا كَيْفَ انتَقَلَتْ هذه السَّعيدَةُ مِنْ حالٍ إلى حالٍ. كَيْفَ ارْتَفَعَتْ مِنْ حَضيضِ النَّقائِصِ إلى أوجِ الكَمالِ. دَخَلَتْ وَهِيَ كَغُصْنٍ زاهِرٍ بِالرَّذائِلِ. خَرَجَتْ وَهِيَ كَرْمَةٌ حامِلَةٌ لعَناقيدِ الفَضائِلِ. دَخَلَتْ وَهِيَ مَعْدُودَةٌ من زُمرَةِ الشِّماليّينَ. خَرَجَتْ لابِسَةً لِحُلَّةِ الاختصاصِ وَهِيَ مِنْ أصحابِ اليَمينِ. دَخَلَتْ وَهِيَ مُؤَهَّلَةٌ بِرَديِّ الأفعالِ للتأبّدِ المؤَجَّجةِ. خَرَجَتْ وَهِيَ مِنْ آلِ المَلَكُوتِ مُستَحِقَّةٌ لِلخَيْراتِ البَهِجَةِ

(راجع في البديع المعنوي ما نذكرهُ في المطابقة والمقابلة ص ١٧٣)

الأَصْلُ الثَّانِي

خواصُّ الانشاء

البحث الاول
في
محاسن الانشاء

س كم هي محاسن الانشاء

ج للانشاء سبعة محاسن يتحلّى بها وهي: الوضوح والصَّراحة والضبط والطبَعيَّة والاتّساق والسهولة والجزالة

١ في الوضوح

س ما الوضوح

ج الوضوح دَفع الابهام وغايتهُ في الكتابة. ان يتمكّن السامعُ من الاستدلال على المعنى لنزاهة الكلام عن اللَّبس والخفاء (١ كقول الشاعر:

ليس الجَمال بأثوابٍ تُزيّننا ... انَّ الجَمالَ جمالُ العِلْم والادبِ
ليس اليتيمُ الذي قد مات والدهُ ... بل اليتيمُ يتيمُ العلم والحَسَبِ

١ الهمذاني وابن حجر. قال في الاتقان: انّ الكلام اذا كان مُوضَحًا يتمكّن في النفس تمكُّنًا زائدًا يدركهُ العقلُ بلا تعب وتكمُل لذّة العلم بهِ. فانّ الشيء اذا عُلِمَ من وجهٍ ما تشوّقت النفس الى العلم بهِ من باقي الوجوه فاذا فازت بالمطلوب كانت لذّتها اشدّ. قال بشر بن المُعْتَمِر: ايّاك والتقعير فانهُ يُسلمك الى التعقيد ويمنعك عن إصابة مَرامك

او كما قال آخر :

لم ندرِ ما الدنيا وما طيبُها وحسنُها حتّى رأيناها
إنّك لو ابصرتَها ساعةً جللتَ عن أن تتمنّاها

س كيف يحصل الكاتب على وضوح الكلام

ج يحصل على ذلك :

اوّلًا باختيار المُفرَدات البيّنة الدلالة على المقصود

ثانيًا بالعدول عن كثرة العوامل في الجملة الواحدة كقول بعضهم « اَقسِمُ لا اَعود اَقْوَم اَخطب فيكم » وبمحاشاة الالتباس في استعمال الضمائر كما ترى في المثل الآتي وهو لا يتّضح معناهُ الّا بعد عمل الفِكْرة « مرّ ذئب بجدي وهو واقفٌ في مكانٍ عالٍ فشتمهُ فقال لهُ : لم تشتمني انت انمّا شتمني مكانُك »

ثالثًا بسبك الجمل سبكًا جليًّا بحيث تلتحم العِبارات ببعضها التحامًا سهلًا دون تعقيد والتباس

رابعًا بالتجافي عن كثرة الجمل الاعتراضية لا سيما اذا كانت طويلة كما ترى في مقدمة كتاب لابي العلاء المعرّي ورد في جملة رسائلهِ (ص ٩٩)

كتابي اطال الله بقاء سيّدي القاضي شافي العِيِّ . وخليفة الشّافعيّ . ما جازَ خيارُ مجلِسٍ . ووَجبَ حجرٌ على مفلسٍ . وأدام اللهُ تمكينَهُ ما لهِجَت النُّحاةُ بعمرٍو وزيدٍ . وسدِكَ التّصغيرُ برُوَيدٍ (١ . مِنَ المُستقَرِّ (٢ في البلدة

١ اي طالما لزم التصغير لفظة رُوَيد ٢ اي كتابي مُرسلٌ من المُستقَرّ

المضافة الى النُّعمان . لتسع خلونَ من شهر رمضان . جعل اللهُ شهورهُ بالاقبال مُشتهرة . والارض بدوام أيّامهِ مُشرقةً مُطهّرَةً

ويدخل في هذا الباب كثرة الاستطرادات او ادخال قصَّة في قصَّة كما ترى في بعض امثال كليلة ودمنة

٢ في الصراحة

س ما هي الصراحة

ج الصراحة لغةً الخلوص ويُراد بها سلامة الانشاء من ضعف التأليف وغَرابة التعبير بحيث يكون الكلام حُرًّا مُهذَّبًا فتناسبُ ألفاظهُ للمعاني المقصودة كما قيل :

ترينُ معانيهِ ألفاظَهُ والفاظُهُ زاينات المعاني

وامثالهُ كثيرةٌ منها قول زُهير ابن ابي سَلمى :

ولا تُكثرْ على ذي الضعف عَتبًا ولا ذِكرَ التَّجرُّم للذنوبِ
ولا تسألْهُ عمّا سوف يُبدي ولا عن عيبهِ لكَ بالمغيبِ
متى تكُ في صديقٍ او عدوٍّ تخبّرْكَ الوجوهُ عن القلوبِ

(فائدة) انَّ صراحة الانشاء تزيد على وضوحهِ ان يكون الكلام الواضح اصيلًا مركبًا من الفصيح الحرّ . فكلُّ صريحٍ واضحٌ ولا يُعكس . ألا ترى انَّ كلام العامَّة بيّنٌ واضحٌ مع ركاكتهِ وضعف تركيبهِ

س كيف يكون الكلام صريحًا

ج يكون ذلك :

اولًا بانتقاء الالفاظ الفصيحة والمُفردات الحُرَّة الكريمة

(راجع ما قلنا في فصاحة المُفرد وصراحتهِ ص ٢٠ – ٢٧)

ثانياً باصابة المعاني وتنقيح العبارات مع جُودة مقاطع الكلام وحُسن صَوغهِ وتأليفهِ

ثالثًا بالاحتراز من المُعاظَلة وتراكب المعاني على بعضها فيجعل كل معنًى على حدتهِ لسلامة الكلام من التوعُّر والتكلُّف

(راجع ما جاء في المعاظلة في الصفحة ٢٣٦ من المقالات)

رابعًا بمراعاة الفَصْل والوَصْل وهو العلم بمواضع العطف والاستئناف والاهتداء الى كيفية ايقاع حروف العطف في مواقعها [١]

س متى يجب الوصل بين الجُملَتَيْن ومتى يجب الفصل

ج يجب الوصل بين الجُملتَيْن بالعَطْف اذا كان بينهما مُناسبة امَّا بمقاربة ومشابهةٍ كقولك «فلانٌ يَنْظم وينثر ويخطب».

وكقول ابن سيراخ على لسان الحِكمة :

---

١ صناعة الترسل لشهاب الدين الحلبي

قال عبد القاهر الجرجاني : العلم بالفصل والوصل من اعظم اركان البلاغة حتى ان بعضهم حدَّ البلاغة بانها معرفة الفصل والوصل . والغرض منهُ التشريك بين المعطوف والمعطوف عليهِ فلذلك اقتضي ان يكون بين الجملتين جهة جامعة . فلو قلت مثلًا : « زيدٌ قائمٌ واحسن الامير» لقلت ما يضحك منهُ لعدم الرابط

انا كالكَرْمة المُنبِتة النِعْمَةَ وأزْهاري ثِمارُ مَجْد وغِنًى . . تعالَوا اليَّ أيها الراغبون واشْبَعوا مِنْ ثِماري فانَّ روحي أحْلَى من العَسَل وميراثي ألَذُّ من شَهْد العَسَل

وكقول الشاعر :

بِحَنُ الفتى يُخبِرْنَ عن فَضْلِ الفَتى والنَّارُ مُخْــبرة بِفَضْلِ العَنْبَر

وكقول عبد الملك بن مَرْوان « افضلُ الناس مَنْ عَفا عن قدرةٍ وتواضع عن رفعةٍ وانْصَفَ عن قوَّةٍ »

او بتضادّ كقول عليّ في أمثاله « التَّواضُع يرفَعُ والتكبُّر يَضَعُ ».

وكقول الشاعر :

ولا خَيْرَ في مَن ودُّهُ في لسانِهِ وفي الصَّدْر غشٌّ داخلٌ يتردَّدُ

امَّا الفَصْل فيجب لأسباب منها ان تكون الجملة الثانية توكيدًا او بدَلًا من الجملة الاولى كقول صاحب المقامات « حدَّث فلان الفلانيُّ قال » او اذا تبايَنَ معنَى الجُملتين تبايُنًا كُلِّيًّا بحيث تكون الجملة الواحدة خبريَّة والأُخرى انشائية كقول الشاعر :

اصون عِرضِي بمالٍ لا أُدنِّسُهُ لا باركَ اللهُ بعد العِرْضِ في المالِ

وقد عابوا بيت ابي تمَّام :

لا والذي هو عالمٌ انَّ النَّوى مرٌّ وانَّ ابا الحسينِ كريمُ

لعطفهِ بين امرين مُتبايِنَيْن لا علاقة بينهما اعني مرارة النَّوَى وكرم ابي الحُسَين

(راجع مقالة الحَلَبيّ في الفَصل والوصل ذكرناها في مقالات علم الأدب ص ٨٢ — ٨٧)

٣ في الضبط

س ما هو الضبط

ج الضبط في اللغة عبارة عن الاحكام والاتقان وفي الاصطلاح هو حذف فضول الكلام واسقاط مشتركات الالفاظ كقول طَرَفة البكريّ :

اری الموتَ لا يرعَى على ذي قرابةٍ وان كان في الدنيا عزيزًا بمقعدِ
لَعمرُك ما الايامُ الّا مُعارةٌ فما اسطَعْتَ من معروفها فتزوَّدِ

وكقول امرئ القيس في الصديق :

انّي لَأَصرِمُ مَن يُصارمني . وأُجِدُّ وَصْلَ منِ ابتغَى وَصْلي
واللهُ أَنجحُ ما طلبتَ بهِ والبِرُّ خيرُ حقيبةِ الرَّحْلِ
ومن الطريقة جائرٌ وهُدًى قَصْدُ السبيلِ ومنهُ ذو دَخْلِ

س كيف يُحلَّى الكلام بالضَّبْط

ج انما يُحلَّى الكلام بالضَّبْط :

اولًا اذا اقتصرتَ من التركيب في خطاب المخاطب على قدر الحاجة وذلك ان يُعزَّز الحكم بمؤكد او يُنتزَع عنهُ المؤكد حسب مقتضى الحال مثلًا ان تقول :

« بطرس صادق » . او « انَّ بطرس صادق » . او « انَّ بطرس لصادقٌ »
على مقتضى افادة المخاطب وشكوكهِ في صدق بطرس (راجع ص ٤٢)

ثانيًا بمراعاة القصر وهو تخصيص شيء بشيء وحصرهِ فيه لاثبات امرٍ ما ونفي ما عداهُ كقولك : « ما بطرس الّا ناظم »

خطاباً لمن يعتقد انهُ ناثرٌ . « وما ناظم الا بطرس » خطاباً لمن يعتقد اشتراك غيرهِ معهُ في النظم (راجع الصفحة ٤٦)

ثالثاً ومن اقوى اسباب تمكين الكلام التقديم والتأخير فانَّا نُقدّم في صدر الجملة ما كان بيانهُ اهمّ كقولك: « قَتل زيدٌ الخارجيَّ » يعنيك فعلُ القتل . « وزيدٌ قتل الخارجيَّ » يهمك تعيين القاتل . « والخارجيَّ قتل زيدٌ » تريد تعيين المقتول (راجع صفحة ٤٤ — ٤٥) . وللتقديم اغراضٌ غير تصدير الاهمّ . منها الانكار كقولك: « اأنت تمنعني . أيرضى عنك فلان . أزيدًا اقتل » . ومنها الاستحقار كقولك : « آهو الشجاع . آعمرًا تقصد . » ومنها التعظيم نحو: « آانا اسأل الناس » . الى غير ذلك من الاغراض كالتقرير والتوبيخ الى آخرهِ (١

(راجع ما رويناهُ في مقالات علم الادب عن التقدم والتأخير نقلًا عن الايمَّة ص ٩٠ — ٩٦ وما قلنا سابقًا ص ٣٧)

رابعاً ومن اسباب التمكين الحذف والاضمار . فانهما كثيرًا ما يجديان الكلام متانةً (٢ . مثلًا في الحذف لابن مطروح في الوزير عماد الدين :

على مهلٍ يا من يُحاول مجدهُ فبين الثريَّا والسِّماك منازلُهْ

---

١ البناني والقزويني وشهاب الدين الحلبي

٢ قال عبد القاهر : ما من اسم يُحذف في الحالة التي ينبغي ان يُحذف فيها الَّا وحذفهُ احسن من ذكرهِ

كريمٌ لهُ بيتٌ كريمٌ تقاسمتْ اواخرُهُ إرثَ العلى واوائلُهْ

فانّهُ استأنف الخبر « كريم » وحذف مبتدأهُ . والمثل في الاضمار قول البحتري :

قد طلبنا فلم نجد لك في السؤ دُد والمجـد والمكارم مِثلا

والمعنى قد طلبنا لك مثلًا في السؤدد والمجد فلم نجدهُ

(راجع في المقالات البحث الوارد في الحذف والإضمار ص ٩٦–٩٩ وقولنا السابق ص ٣٢ و٣٣)

٤ في الطبعيّة

س ما الطبعيّة

ج الطبعيّة خلوُّ الكلام من التكلُّف والتصنُّع (١ كما قال ابو العتاهية يرثي ابنهُ :

---

١ زهر الآداب للحصري . وجاء في العقد الفريد : التكلُّف هو ان يأتي الكاتب بما ليس من طبعهِ . وقد قالوا : ليس الفقه بالتفقُّه والفصاحة بالتفصُّح . وانما قيل : الطبعُ املكُ (اه) . وقال ذو الاصبع العدواني :

كل امرئٍ راجع يومًا لشيمتهِ وان تخلق اخلاقًا الى حينِ

وقيل ايضًا : ان من تطبَّع بغير طبعهِ نزعتْهُ العادة حتَّى تردَّهُ الى طبعـهِ كما ان الماء اذا اسخنتهُ وتركتهُ عاد الى طبعهِ من البرودة وكالشجرة المرَّة اذا طليتَهـا بالعسل لا تثمر الَّا مرًّا . قال الاصمعي : قلتُ لاعرابيّ : ما بالُ المراثي اشرف اشعاركم . قال : لأنَّنا نقولها وقلوبنا محترقة . قال بعضهم يفتخر بمطبوع شعره :

ولستُ بنحويٍّ يلوكُ لسانهُ ولكن سليقيٌّ اقول فأُعربُ

وقد اكثرت العرب من صفة الطبعيَّة وسموها باسماء مختلفة . قال صاحب كتاب الصناعتين في قرب المأخذ : قرب المأخذ ان تأخذ عفو الخاطر ولا تكدَّ فكرك ولا تُتعب نفسك وهذه صفة المطبوع

بكيتُكَ يا بُنيَّ بدَمعِ عَيني فلم يُغنِ البكاءُ عليك شيئاً
وكانت في حياتك لي عِظاتٌ وأنت اليوم اوعظُ منك حياً

وكقول المقرّي عند خروجهِ من الشام وكان حصل لهُ اكرام من اهلها :

إنْ شامَ قلبي عنكِ بارقَ سَلْــوةٍ يا شامُ كنتُ كمن يخونُ ويَغدِرُ
كم راحلٍ عنها لفَرْط ضَرُورَةٍ وعلى القَرَارِ بغيرهــا لا يَقْدِرُ
مُتَصاعِد الزَّفَرات مكلوم الحشا والدمعُ من اجفــانهِ يتحدَّرُ

س كيف يكون الكلام مطبوعًا

ج يكون ذلك:

اوّلًا بمراعاة مُقتضى الحال (راجع الصفحة ٣٠) -

ثانيًا بالاحتراز عن كثرة زينة الكلام وتنميقهِ

ثالثًا بحسن إدماج ما يأتي بهِ الكاتب من المحسّنات بحيث لا يظهر في كلامهِ تعمُّدٌ وتصنُّع

(فائدة) اعلــم انَّ المطبوع من الكلام ليس هو الخالي من الصَّنعة بل هو الذي لا تظهر فيهِ صنعتهُ لحسن سبكهِ فكــأنَّهُ يجري عَفوًا من غير قصد ولا تكلُّف

(راجع مقالة ابن خلدون في المطبوع من الكلام في المقالات ص ٢٥٤)

٥ في السهولة

س ما السهولة

ج هي الخلوص من التعسُّف في السبك هذا الى أنَّها

تفيد الكلام رونقًا وطلاوةً (١ كقول البهاء زُهير في الاشواق :

شَوْقي اليكَ شديدٌ كما علمتَ وأَزْيَدْ
فكيف تُنكر شيئًا فيهِ ضميرُك يشهدْ

س كيف يُتوصَّل الى السُّهولة

ج يُتوصَّل الى السُّهولة :

اولًا بانتقاد الالفاظ وحسن اختيار ما لانَ منها

ثانيًا بتهذيب الجمل ومقارنة الالفاظ العذبة الرقيقة مع ما هو مثلها ومُراعاة كلّ ما ذُكر في باب الفصاحة .

كما قال الشاعر في الوداع :

في كَنَف الله ظاعنٌ ظَعَنَا اودع قلبي وداعهُ حزَنا
لا ابصرَتْ مقلتي محاسنَهُ ان كنتُ ابصرتُ بعدَهُ حسنا

اعلم انَّ سهولة اللفظ ولين الكلام ربَّما عملا بالقلب وأطربا السَّمع بحيث تحصل بهما للمخاطب نشوةٌ عجيبة فيدعى ذلك الانسجام

---

١ الصفدي وسرّ الفصاحة للخفاجي . قال بعض البلغاء : احذّركم من التقعير والتعمُّق في القول وعليكم بمحاسن الالفاظ والمعاني المستخفَّة المستملَحة . فانَّ المعنى المليح اذا كُسي لفظًا حسنًا واعارهُ البليغ مخرجًا سهلًا كان في قلب السامع احلى ولصدره املأ . قال البُستيّ :

اذا انقادَ الكلامُ فقُدْهُ عفوًا الى ما تشتهيهِ من المعاني
ولا تُكرِهْ بيانَك إنْ تأَبَّى فلا إكراهَ في دين البيان

قال آخر :

ان الكلام لفي الفؤاد وانمَّا جُعِل اللسان على الفؤاد دليلا

س ما الانسجام

ج الانسجام في اللغة جريان الماء . وعند البلغاء هو ان يكون الكلام لخلوّهِ من التعقيد متحدّرًا كتحدُّر الماء المنسجم ويكاد بسهولة تركيبهِ وعذوبة الفاظهِ أن يسيل رقَّةً فيكون احلى في القلوب موقعاً واجلَّ في النفوس موضعًا (١

قال السيوطي : الانسجام عبارة عن سلامة اللفظ بحيث لا يتعثر اللسان عن النطق بهِ سواء كان نظماً او نثرًا او كان معنًى خفياً او ظاهرًا . كقول احد الشعراء لطائرٍ :

فيا ليتني كنت أَسطيع طيرًا اذًا لاصحبتكَ بحرًا وبرْ
فجُلْنا البلادَ وزُرْنا العباد وحُزْنا المرادَ ونِلْنا الوطرْ

وقال ابو القاسم القشيري في الفراق وتروى هذه الابيات للقاضي ابي الفضل بن عياض :

لو كنتَ ساعة بيننا ما بيننا وشهدتَ حين نكرّر التوديعا
ايقنتَ أنَّ من الدموع محدِّثًا وعلمتَ انَّ من الحديث دموعا

(راجع في المقالات ما ذكرناهُ نقلًا عن اصحاب البديعيَّات في الانسجام ص ١٠٢ — ١٠٣)

٦ في الاتّساق

س ما الاتّساق

ج الاتّساق عبارة عن تلاحم المعاني وتناسب الكلام (٢

١ التهانوي والبديعيَّات

٢ قال بعضهم : ان تناسب المعاني واتساقها اقوى دليل على حسن الانشاء

كما ترى في قول عليّ بن الجهم يعتذر الى المتوكل :

عفـا اللهُ عنك أمَا حُرمةٌ تعوذُ بعفوك إن أبعدَا
أَلَمْ ترَ عَبْدًا عدا طَوْرَهُ ومولًى عفا ورَشيدًا هدَى
ومُفسِدَ امرٍ تلافيتَـهُ فعاد فأَصْلَح ما افسدا
أَقِلْني اقالكَ مَنْ لم يزلْ يَقيكَ وَيصرِفُ عنك الردى

وفي قول عُمَر بن عبد العزيز من خطبةٍ :

اعلموا انّ الامانَ غدًا لمن خاف الله اليوم وباع قليلًا بكثير وفانيًا بباقٍ . ألا ترون انكم في أسلاب الهالكين وسيخلّفها من بعدكم الباقون كذلك تُرَدُّ الى خير الوارثين . ثمّ انتم في كل يوم تشيّعون غاديًا ورائحًا قد قضى لله نَحْبَهُ وبلغ اجلهُ . ثم تغيّبونهُ في صَدْعٍ من الارض ثمّ تدعونهُ غير موسَّدٍ ولا ممهَّدٍ قد خلع الاسباب . وفارق الاحباب . وباشر التراب . وواجه الحساب . غنيًّا عمّا ترك فقيرًا الى ما قدَّم

وكقول المتنبي يمدح عليًّا الانطاكيّ :

وما زلتُ حتّى قادني الشوقُ نحوهُ يُسايرُني في كلّ رَكْبٍ لهُ ذِكْرُ
وأستكبِرُ الأخبارَ قبـلَ لقائهِ فلمّا التقينا صغَّر الخَبَرَ الخُبْرُ

(راجع مقالة للشهاب الحَلَبيّ في الاتّساق وهو يدعوهُ حُسْنَ النَّظم في الصفحة ١٠٣ من مقالات علم الأدب)

٧ في الجزالة

س ما الجزالة

ج الجزالة ابراز المعاني الشريفة في معارض من الألفاظ الانيقة

وذلك ان تكون اقسامهُ غير متباينة فتجمع الجديد مع الجديد والرقيق مع ما يناسبهُ . قال الشاعر :

ان الجديدَ اذا ما زيد في خلَقٍ يُبينُ للناس انّ الثوبَ مرقوعُ

اللطيفـة (١ كقول الصابئ في المدح وهي من أواسط قلائده :

لكَ في المحافل مَنطِقٌ يشفي الجوى ويسوغ في أُذْنِ الاديب سُلافُهُ
فكأنَّ لفظك لؤلؤٌ متنخّـلٌ وكأنّما آذانُنـا أصدافُـهُ

ومن ذلك بعض مطالع الخُطَب كقول ابن نباتة :

الحمد لله الذي تدكدكت لعظمتهِ الجبال الراسية . العليم فلا تتحرَّك ذرَّة الّا بإذنهِ ولا تخفى عليهِ في الكون خافية . احتجب في حِجاب جلالهِ فلا تراه العيون . وتفرَّد في صفات كمالهِ فلا تُخالطهُ الظنون . احمدهُ سبحانهُ وتعالى حمدًا لا بلوغَ لمُنتهاه . واشكرهُ شكر عبدٍ طلب من ربّهِ رضاه

(راجع في مقالات علم الأدب خمسة ابحاث بديعة المعاني في تمييز الكلام جيّده من رديئهِ (ص ١٨٧ — ١٩٥) وفي كيفيَّة تأليفهِ (ص ٢١٠ — ٢١٣) وفي خواصّ الكلام الحُرّ (ص ٢١٣ — ٢١٥) وفي تهذيب الكلام وتنقيحهِ (ص ٢١٥ — ٢١٩) وفي شروط الكلام (ص ٢١٩ — ٢٢٥)

مُلحَق في الاستدارة

اعلم انَّ المعاني قد يختار لها المتكلّم صورةً من التعبير مقسَّمةً الى اجزاء ملتحمٍ بعضُها ببعض . وهذا الذي سمَّاهُ القدماء باليونانية (περίοδος) وترجمهُ بعض معرّبي كتب ارسطاطاليس بالاستدارة . وهو نوعٌ من محاسن الانشاء في لغتهم لم يَبحث فيهِ العَرَب بحثًا شافيًا مع كثرة استعمالهِ في لغتهم ٢)

---

١ الجاحظ وابن هلال العسكري

٢ انَّ العرب تنبَّهوا الى الاستدارة وسمَّوها باسماء مختلفة. منها (القَول بالنظم) راجع ما نقلنا في ذلك عن كتاب صناعة الترسُّل في المقالات (ص ١٠٣) . ومنها (حُسْن النَسْق) قال الحمويّ في خزانة الأدب : حُسْن النَسْق ويُسمَّى التنسيق نوعٌ من محاسن الكلام وهو ان يأتي المتكلّم بالكلمات من النـثر والابيات من الشِعر مُتَتاليات مُتلاحمات تلاحُمًا سليمًا مستحسَنًا

س ما هي الاستدارة

ج الاستدارة عبارة عن سياقِ جملٍ متتالية بايقاعٍ وانتظام مرتبطة ببعضها ارتباطاً محكماً لا يُحْصَل على تمام معناها الّا بخاتمتها

س كم جزءًا للاستدارة

ج للاستدارة جزءان المقدّمة والخاتمة . فالمقدّمة ما تصدّر امام المقصود وأُسْند اليهِ آخر الكلام . والخاتمة ما تمّم معنى المقدّمة كقول بعضهم في الاستغفار :

ولمّا قسا قلبي وضاقت مذاهبي (مقدمة) جعلتُ رجائي نحو عفوك سُلَّما (خاتمة)

س ما هي فواصل الاستدارة وقرائنها

ج هي فقرات منها تتركّب المقدّمة والخاتمة ومَنْزِلتها في الاستدارة منزلة الكَلِم في الجملة الواحدة اي انّ كلّ واحدةٍ منها تحتوي جزءًا من المعنى بحيث لا يتمّ المراد الّا بتمامها . وأما القرائن فهي اجزاءٌ واقعةٌ تحت حكم الفواصل كقول ابن المقفّع في كتاب كليلة ودمنة :

لمّا قرب ذو القرنَيْن من فُور الهندي (فاصلة) . وبلغهُ ما أعدَّ لهُ من الخيل (فاصلة) التي كانّها قِطَع الليل (قرينة) مما لم يلقهُ بمثلِهِ احد من الملوك (قرينة)

مستبهجاً . وتكوّن جملها ومُفْرَداتها مُتَّسِقة متوالية اذا أُفرِد منها البيت قام بنفسهِ واستقلَّ معناهُ

الذين كانوا في الأقاليم (قرينة. تمام المقدّمة). تخوّف ذو القَرْنين من تقصير يقع بهِ (فاصلة) إن عجّل المُبارَزة (قرينة. تمام الخاتمة)

وقول آخر في الاستغفار:

واذا دجا ليلُ الخُطوب (فاصلة) وأظلمتْ
سُبُلُ الخلاص (فاصلة) وخاب فيها الآمَلُ (فاصلة)
وأيِستَ من وجه الخلاص (فاصلة) فما لها
سببٌ (قرينة) ولا يدنو لهُ مُتناوَلُ (قرينة. تمام المقدّمة)
يأتيكَ من ألطافــهِ الفَرَجُ (فاصلة) الذي
لم تحتسبهُ (قرينة) وانت عنهُ غافل (قرينة. تمام الخاتمة).

س على كم نوعًا الاستدارة

ج على ثلاثة انواع: فمنها ما لهُ فاصلتان. ومنها ما لهُ ثلاث فواصل. ومنها ما لهُ اربع. وفي كلّ هذه الأنواع يجوز استعمال القرائن على اختيار الكاتب

شواهد على الاستدارة ذات الفاصلتين

منها قول الحريري:

(١) لعمرُك ما تُغني المَغاني ولا الغنى (٢) اذا سكن المُثري الثَّرَى وثوى بهِ

وكقول قيس بن الخطيم:

(١) اذا ما أتيتَ الأمرَ من غير بابهِ (٢) ضللتَ وان تدخلْ من الباب تهتدِ

شواهد على الاستدارة ذات الثلاث فواصل

كقول بعض الشعراء:

(١) فلمّا رأى أن لا نجاةَ لأنّــهُ هو الموت لا يُنجيهِ منهُ المُؤازرُ
(٢) تندَّم لو اغناهُ طولُ ندامةٍ عليهِ (٣) وابكتهُ الذنوبُ الكبــائرُ

وكقول انو شروان الحكيم :

(١) ان الملك اذا كَثُرَ مالهُ ممَّا يأخذ من رعيَّتهِ (٢) وسمق الى مراتب الشرف بمذلَّة شعبهِ واسترقاق اهل مملكتهِ (٣) كان كمن يعمّر سطح بيتهِ بما ينقضهُ من قواعد بنيانهِ

شواهد على الاستدارة ذات الأربع فواصل

من ذلك قول قُسّ بن ساعدة مطران نجران وخطيب العرب :

(١) لمَّا رأيتُ مواردًا للموتِ ليس لها مصادرْ
(٢) ورأيتُ قومي نحوها تسعى الاصاغر والاكابرْ
(٣) لا راجعٌ قومي اليَّ م ولا من الماضينَ غابر
(٤) ايقنتُ آني لا محا م لة حيثُ صارالقومُ صائرْ

وقول النابغة يمدح النُّعمان (راجع شعراء النصرانيَّة ص ٦٦٧) :

(١) فما الفُراتُ اذا هبَّ الرياح لهُ ترمي غواربُهُ العبْرَيْنِ بالزَّبدِ
(٢) يمدُّهُ كلُّ وادٍ مُتْرَعٍ لَجِبٍ فيهِ رُكامٌ من اليَنْبُوت والخَضَدِ
(٣) يَظَلُّ من خوفهِ الملَّاحُ مُعتصِمًا بالخَيْزُرانةِ بَعْد الأَينِ والنَّجَدِ
(٤) يومًا بأَجْوَدَ منهُ سَيْبَ نافِلَةٍ ولا يَحُولُ عطاءُ اليَوْمِ دونَ غَدِ

وقول الخنساء في رثاء اخيها (راجع شرح ديوانها ص ٧٦) :

(١) فما عَجُولٌ على بوٍّ تُطيفُ بهِ لها حَنينانِ إصْغارٌ وإكْبارُ
(٢) تَرتَعُ ما رتعَتْ حتَّى اذا ادَّكَرَتْ فإنَّما هي إقبالٌ وإدبارُ
(٣) لاتَسْمَنُ الدهرَ في ارضٍ وإن رُبِعَتْ فإنَّما هي تَحْنانٌ وتَسْجارُ
(٤) يومًا بأَوجدَ منّي يومَ فارقَني صَخْرٌ وللدَّهر إحلاءٌ وإمرارُ (١

(١ هذان الشاهدان الأخيران يدخلان في باب من البديع يَدعوهُ العرب تفريعًا . (راجع بديعيَّة العميان لابن جابر وحسن التوسُّل لصناعة الترسُّل الخ)

وكقول عليّ بن ابي طالب مفتخرًا:

(١) ولمَّا رأيتُ الخيلَ تُقرَعُ بالقنا فوارسهـا حُمْرُ العيونِ دَوامي
(٢) وأقبلَ ريحٌ في السماء كأنَّهُ غمامة دَجنٍ او عِراضُ قَتامِ
(٣) ومن كل حيٍّ قد اتَتْنا عصابة ذوو نجَدات في اللقاء كِرامِ
(٤) فناديتُ فيهم دعوةً فأجابني فوارس من هَمْدان غيرُ لِئامِ

ومن ذلك ما ورد في كتاب كليلة ودمنة :

(١) انَّ الملك ان كان فهيماً عالمًا بابواب الحكمة والاحكام والسياسة مع صَلاح النيّة والعدل في الرعيَّة (٢) فيُكرم مَن يَجب إكرامهُ ويوقِر مَن يجب توقيره (٣) كان حقيقًا بالسعادة الدنيويَّة والأُخرويَّة (٤) وانتصر بذلك على اعدائهِ مع زيادة نِعَم الله عليهِ

س ما الغرض من الاستدارة

ج الاستدارة تُورث الكلام جزالةً وفخامة لا سيَّما اذا لَحِقت الاستداراتُ بعضها وكثيرًا ما يَستهلُ بها الخطباء

البحث الثاني
في
معايب الانشاء

س كم هي عيوب الانشاء

ج هي سبعة : الهجنة والوحشيَّة والركاكة والسهو والاسهاب والجفاف ووحدة السياق

١ في الهجنة

س ما الهُجْنة

ج الهجنــة عبارة عن اللفظ المطروق السخيف والمعنى المُستَقْبَح (١

قال الماوردي : على الكاتب ان يَتجافى فُحْش القول ومُستقبَح الكلام فيعدل الى الكناية عمّا يُستقبَح صريحهُ ويستهجَن فصيحهُ ليبلغ الغرَض ولسانهُ نَزِهٌ وأدبهُ مصونٌ

ومن المستهجن قول ذي الرمّة في طلوع النهار :

وقد لاح للساري الذي كمّل السُّرى على أُخرَيات الليل فَتْقٌ مُشَهَّرُ
كلون الحصان الأبيض البطنِ قائمًا تمايل عنــهُ الجُلُّ واللونُ اشقرُ

وكقول آخر :

واذا أَدْنيتَ منــهُ بصلًا غلَب المسكُ على ريح البَصَلْ

ومنهُ قول الفرزدق :

ليبكِ ابا الجلساء بغلٌ و بغلةٌ ومِخلاة سوءٍ قد أُضيع شعيرها

٢ في الوحشيّة

س ما الوحشيّ

ج هو الكلام الغليظ المتعسّف غير المأنوس الاستعمال الثقيل على السمع الكريه على الذوق فلا يصل الى القلب الّا بعد إتعاب الفكر وكدّ الخاطر (٢

---

١ يتيمة الدهر ونفحات الأزهار

٢ يتيمة الدهر للثعالبي . قال ابن بسام :

كقول المتنبي :

وما ارضى لمقلتهِ بحُلمٍ اذا انتبهتْ توهَّمهُ ابتشاكا (١

الابتشاك الكذب. قال الثعالبي : ولم اسمع بها شعرًا قديمًا ولا محدثًا.
وكقول البُحتري من مديحٍ وفيهِ تعقيد وتعسُّف :

فتًى لم يُمِلْ بالنفس منهُ عن العُلَى الى غيرها شيءٌ سواهُ مُميلُها

وكقول علقمة الفحل يصف أُترُجَّة :

يحملنَ أُترُجَّةً نضخُ العَبيرِ بها كأنَّ تطيابَها في الأَنف مشمومُ

قال العسكريّ : « التَّطياب » هاهنا في غاية السَّماجة. والطيبُ ايضًا مشموم لا محالة فقولهُ « كأنهُ مشمومُ » هُجنة. وقولهُ « في الأنف » اهجنُ لانهُ لا يكون بالعين

ولا خير في اللفظ الكريه استماعهُ ولا في قبيح اللحن والقصد ازينُ
وحُكي عن الصفيّ الحلّي انَّ بعض الفضلاء بلَّغهُ انهُ اطَّلع على ديوانهِ وقال : لا عيب فيهِ سوى انهُ خالٍ عن الألفاظ الغريبة . فاجابهُ الصفيّ :

انَّما الحَيْزَبون والدَّرْدَبيسُ والطَّخَا والنُّقاخُ والعَلْطَبيسُ
لغةٌ تنفِر المسامعُ منها حينَ تُروَى وتشمئزُّ النفوسُ
وقبيح ان يُسلكَ النافرُ الوحشيُّ منها ويُترَكَ المأنوسُ
انَّ خير الالفاظ ما طَرِبَ السا مع منهُ وطاب فيهِ الجليسُ
ولذيذ الالفاظ مغناطيسُ

(الحيزبون العجوز . والدرديس الداهية . والطخا السحاب . والنقاخ الماء الصافي . والعلطبيس الاملس)

١ يقول وان حدَّثهُ حلمٌ في نومهِ عن شكيي لهُ فلا ارضى بهِ لعلَّهُ يتوهمهُ كذبًا

٣ في الركاكة

س ما الركاكة

ج هي ضعف التأليف وسخافة العبارات كقول المتنبي وقد جمع الركاكة والحشو :

ان كان مثلك كان اوهو كائن فبرئتُ حينئـذ من الاسلامِ

ومنهُ ايضاً قولهُ وقد كرَّر الالفاظ دون تحسين :

ولم ارَ مثل جيراني ومثلي لمثلي عنـد مثلهم مَقـامُ

وكما قال ابو تمّام :

والجدُّ لا يَرْضى بان تَرْضى بان يرضى المعاش منـك الّا بالرضا

وكقول المتنّبي وقد استكثر من قول « ذا » وهي ضعيفة في صنعة الشعر :

قد بلغتَ الذي اردتَ من البرّ م ومن حقّ ذا الشريف عليكا
واذا لم تَسِرْ الى الدار في وقتك م ذا خفتُ ان تسـيرَ اليكا

ولهُ ايضاً وقد التجأ الى الجموع الغير المأنوسة :

أُرُوض الناس من تُرْب وخوفٍ وأرض ابي شجاعٍ من امانِ

وقولهُ : « عليم بالديانات واللُّغى » اوكما يقول: « كلُّ آخائهِ كرام بني الدنيا » . فانَّ « أُروض وُلغى وآخاء » جموع غريبـة لم تُسمع في « أرض ولغة وأخ »

٤ في السَّهو

س ما السهو

ج السهو عبارة عن ضعف البصر بمواقع الكلام كقول ابي الطيّب في رثاء امّ سيف الدولة :

بينك هل سلوتَ فانَّ قلبي   اذا جانبتُ ارضَك غير سالي

قال ابن عبّاد: ان هذا القول يدلُّ على فساد الحسّ وسوء ادب النفس

وقال ايضاً في بدر بن عمّار وهو دليل على قلّة دين :

تتقاصَر الأفهامُ عن إدراكـهِ   مثل الذي الافلاك منهُ والدُّني

وقد شبه ممدوحهُ بالله عزَّ وجلَّ وهو كفر محض

• في الاسهاب

س ما الاسهاب

ج هو الاطالة الزائدة المملّة في شرح المادّة والعدول الى الحشو (١ . كقول الشاعر في المدح :

---

١ الحصري وابن المعتزّ. قال ابن عبد ربهِ: الاسهاب الاسترسال في الكلام والخروج عمّا بُني عليهِ الكلام. قال عمرو بن عثمان: يجب على اللبيب ان لا يُطيل فيملّ ولا يُقصِر فيخلّ فللكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية . قال ابن المعتزّ: الاطالة مملولة كما يُمَلُّ التكرير. سأل ابنُ السمّاك بعضهم قال: كيف ترى ما اعظ الناس بهِ. قال هو حسن الّا انك تكررهُ. قال: انما اكررهُ ليفهمهُ من لم يكن فهمهُ. قال: الى ان يفهمهُ الباطئ يثقل على مسمع الذكيّ. قال عبدالله بن سالم بن الخيّاط في صديق مُسهب :

لي صاحبٌ في حديثهِ البركهْ   يزيد عند السكوت والحركهْ

لو قال لا في قليـل احرفُها   لردَّها بالكلام مشتبكـهْ

قال المتنبيّ في من يطيل شرح الامر الواضح :

وليس يصحُّ في الافهام شيءٌ   اذا احتاج النهارُ الى دليلِ

قال الطائي يمدح قصيدة منزّهة عن الاسهاب :

منزّهةٌ عن السرَقِ المؤذّي   مُكرمةٌ عن المعنى المُعـادِ

اعني فتىً لم تذرَّ الشمسُ طالعةً   يوماً من الدهر الّا ضرَّ او نفعا

فقولهُ « يوماً من الدهر » حشو لا يُحتاج اليهِ لانَّ اليوم لا يكون الّا من الدهر . وكقول النابغة في وصف دارٍ :

تبيَّنتُ آياتٍ لها فعرفتُها   لستَّة اعوامٍ وذا العام سابعُ

قال العسكري : كان ينبغي ان يقول لسبعة اعوام ويتمّ البيت بكلام آخر تكون فيهِ فائدة فعجز عن ذلك فحشا البيتَ بما لا وجه لهُ

ومن ذلك قول ابن عربشاه في عفو الملوك وقد افرط في الاطالة :

احسنُ العفو يا ذا السُّلوك . عفو السلاطين والملوك . لا سيَّما اذا عظم الجُرْمِ . وكَبُرَ الاثم . فان العفو اذ ذاك صادر . من ملك ذي سلطان قادر . مع قوَّة الباعث على المؤاخذة . والقُدرة الشاملة النافذة . وغيرُ الملوك . من العاجز والصُّعلوك . عَفوهم انمَّا هو عَجزٍ خشيَة . او لتَمْشية غرضٍ مشيَة . والملوك انمَّا يُؤثر عنهم الخلال الحميدة . والخصال الشريفة السعيدة . والاكابر يَعفون . والاصاغر يَجفون . ولا شكَّ انَّ سيرة العفو والفضل . افضل من القِصاص والعدل . وذلك هو اللائق بالحشمة . والاوثق للحرمة . والاجدر لناموس السلطنة . والابقى على ممرّ الدهور والازمنة .

(فائدة) ويدخل في باب الاسهاب تكرار الكلام امَّا بلفظهِ او بمعناه دون فائدة كبيرة . قال الشاعر :

اذا تحدَّثتَ في قومٍ لتؤنسهم   من الحديثِ بما يمضي وما يأتي

فلا تُعاوِدْ حديثًا إنَّ طبعَهمُ   موكَّلٌ بمعاداةِ المعاداتِ

ويجوز تكرير الكلام كما سبق (ص ١٠٢) اذا اقتضى الامر ذلك امَّا لمقام المتكلّم او لافادة السامع كما قال الشاعر :

يُعادُ كلامُهُ فيزيد حُسناً   وقد يُستقبَحُ الشيءُ المُعادُ

٦ في الجفاف

س ما الجفاف

ج هو الايجاز المقصر سواء كان لخفّة بضاعة الكاتب وتعذُّر المادّة عليهِ او ليبوسة الكلام وقلّة مائيّتهِ وقد قيل: انَّ الاختصارَ مُخلّ كما أنَّ الاسهاب مملّ (١ فن المقصر قول الحارث بن حِلِّزة:

والعيش خيرٌ في ظلا م ل النوك مِمَّنْ عاش كدًّا

قال ابن هلال العسكريّ: اراد ان العيش الناعم في ظلال النُّوك (٢ خير من العيش الشاق في ظلال العقــل. وليس يدلُّ لحن كلامهِ على هذا وهو من الايجاز المقصر

وكتب بعضهم:

وما زال فلانٌ حتَّى اتلف مالَهُ. واهلك رجالَهُ. وقد كان ذلك في الجهاد والابلاء. احقّ باهل الحزم واولى

وتمام المعنى ان يقول: ان إهلاك المال والرجال في الجهاد والابلاء افضل من فعل ذلك في الموادعة. ومثل هذا مقصر غير بالغٍ مبلغ المعنى الشافي (٣

---

١ راجع كتاب الصناعتين

٢ النُّوك هو الجهل

٣ ابن هلال العسكري والوطواط

٧ في وحدة السياق

س ما وَحْدة السياق

ج هي التزام اسلوب واحد من التعبير وطريقة واحدة من التركيب بحيث تكون للاذهان كلالًا وللقلوب ملالًا (١

ومن هذا القبيل اخبار عنترة. فانَّ اوصاف الحروب فيها وسياق الرواية ونمط الانشاء وطريقة التعبير لا تكاد تختلف في اثناء احاديثهِ المملّة. حتى انَّ من قرأ منها مائة صفحة يستغني عن مطالعة باقي الكتاب

وقد وقع هذا العيب في كثيرٍ من كُتب اصحاب التراجم فانَّهم كثيرًا ما يصفون الواحد بمثل ما يصفون الآخر حتّى تظنَّ انَّ كلَّ واحدٍ ممّن كُتبت تراجمهم هو فريد عصرهِ وواحد دهرهِ

(راجع الابحاث الواردة في مقالات علم الادب ص ٢٢٥–٢٤٧ عن عيوب الكلام)

(١ قال الماوردي: ان القلوب ترتاح الى فنون مختلفة وتسأم من الفنّ الواحد وانمّا يُسرُّ الانسان بالتفنن باساليب الكتابة قال ابو العتاهية:

لا يصلح النفس ان كانت مدبَّرةً الّا التنقّل من حالٍ الى حالِ

قال ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني: اذا لم يتجاوز الكاتب الفنّ الواحد كانت للنفس عنهُ نبوة وللقلب منهُ مَلّة. وفي طباع البشر محبّة الانتقال من شيءٍ الى شيءٍ والاستراحة من معهود الى مستجدّ. وكلُّ منتقَل اليهِ اشهى الى النفس من المنتقَل عنهُ والمنتظَر اغلب على القلب من الموجود فيكون المطالِب انشط لقراءتهِ وأشوق لتصفُّح فنونهِ

الأَصلُ الثَّالِثُ

طبقات الانشاء

اعلم انهُ كما تتفاوت مراتب الناس ومقاديرهم والاحوال ومقتضَياتها كذلك تتفاوت طبقات الانشاء فينبغي للكاتب الاديب ان يُراعي كل مقام ليعطيهُ حقهُ من تجويد التعبير وتحسين صوره وانتقاء الالفاظ . فتعيَّن علينا لذلك ان نأتي اولاً ببيان طبقات الانشاء . وثانياً بطريقة التعبير اللائق بكل طبقة منها . ثم ثالثاً بمماثلات هذه الانماط

البحث الاول

في

بيان طبقات الانشاء

س ما هي طبقات الانشاء

ج هي انماطهُ ومراتبهُ المختلفة من حيث التعبير والتصاوير

س كم هي طبقات الانشاء

ج ثلاث الطبقة السفلى ومَرجِعها الى الانشاء الساذج . والطبقة العليا ومرجعها الى الانشاء العالي . والطبقة الوسطى ومَرجِعها الى الانشاء الانيق

س ما الانشاء الساذج

ج هو ما عرا عن رقّة المعاني وجزالة الألفاظ والتأنّق في التعبير فكان بالكلام العاديّ اشبه لسهولة مأخذهِ وقرب موردهِ

س ما صفات الانشاء الساذج

ج صفاتهُ الوضاءة وسهولة الألفاظ وصحّة التراكيب وايجاز التعبير فإنّ الاكثار فيهِ خلَل والاطالة شينٌ وملَل

س هاتِ مثلًا عن الانشاء الساذج

واجبات المخلوق للخالق

(من كتاب تهذيب الاخلاق لابن مسكوَيهِ)

إنهُ مِنَ المُحال أنْ لا يكونَ لله تعالى الذي وَهَب لنا الخيرات العظيمة واجبٌ يَنْبغي أنْ يَقُومَ بهِ النَّاسُ. وإنْ كان ذلك ظاهرًا فنَقُول فيهِ ما يَليقُ بهذا المَوْضِع. وهُوَ أنَّ العَدالةَ لمَّا كانت تَظهَر في الأخذ والعَطاء وفي الكَرامة وَجبَ أنْ يكونَ لِمَا يَصِل إلينا مِن عَطيَّات الخالق عزَّ وجلَّ ونِعَمِهِ التي لا تُحصى حقٌّ يُقابَلُ عليهِ. وذلك أنَّ مَن أُعطِي خيرًا وإن كان قليلًا ثُمَّ لم يَرَ أنْ يُقابِلَهُ بضَربٍ مِنَ المُقابَلَة فهو جائرٌ

وإن كان قد فرِض على الرَّعيَّة بإخلاص الدُّعاء وجميل الشُّكر وبَذْل الطَّاعة للمَلِك الفاضل فكم بالحَرِي أنْ يكون لِمَلِك الملوك الذي يَجُودُ علينا في كلِّ طَرْفة عَيْن بضُروب إحسانهِ الفائض على أجسامنا ونُفوسِنا. أتُرانا نجهَلُ النِّعمة الأُولى حيثُ أسبَغ علينا بالوُجود ثُمَّ تتابعها بالخَلْق الجَسَدانيّ. أم تُرانا نجهَل ما وهَب لنا من نفُوسنا وما ركَّبَ فيها مِنَ القُوى والمَلَكات.

وما آمدَّها بهِ من فَيْض العقل ونُوره وجهائهِ وبَرَكاتهِ . وما عَوَّضَنا بهِ للمُلْك الأَبَديّ والنَّعيم السَّرمَديّ . لا لَعَمري لا يجهَل هذه النّعمة إلّا النَّعَمُ . واذا كان الخالق تعالى غَنيًّا عن مَعُونَتِنا ومَساعينا فَمِنَ المُحال القَبيح والجَوْر الفاحش آن لا نُقابلَهُ على هذه الآلاء بما يُزيل عنا سِمَةَ الجَور

واماً ما يَنبغي آن يَقومَ بهِ المَخلُوقُون لخالقهم فهو عِبادة الله وتكون هذه العِبادة على ثلاثة آنواعٍ . احدُها فيما يجب لهُ على الأَبدان كالصَّلاة والصِّيام والثاني فيما يجب لهُ على النُّفُوس كالاعتقادات الصَّحيحة وكالعِلْم بتَوْحيد الله وما يَستَحِقُّهُ من الثناء والتَّمجيد وكالفِكْر فيما آفاضَهُ على العالم من جُوده وحكمتهِ . والثالث فيما يجب لهُ عَزَّ وجَلَّ عند مُشاركات النّاس في الأُلفة والمُعامَلات . وهي الطُرُق المؤَدّية اليهِ تعالى . وهذه الأَنواع وان كانت مَعدودةً مَحصورةً فإنّها مُنقسمة الى أنواع كثيرة وأقسامٍ غير مُحصاةٍ

واماً أمثالهُ في الشعر فكثيرة منها عدَّة ابيات حِكَميَّة واردة في مجاني الادب . ومن هذا القبيل الاراجيز والألغاز وما شاكل ذلك

س ما الانشاء العالي

ج الانشاء العالي ما شُحِن بغُرَر الأَلفاظ وتعلَّق باهداب المجاز ولطائف التَّخيُّلات وبدائع التشابيه فيفتن ببراعتهِ العقول ويسحر الالباب

س ما صفات الانشاء العالي

ج انهُ يتَّسم بكلّ ما لطف وجاد من المحسّنات البيانيَّة والغرائب الأَدبيّة والألفاظ المنمّقة والمعاني الشريفة فالرونقَ ميسمهُ والجزالة من شيمهِ

س أذكر لنا مثالًا عليهِ

انقراض دولة الأُمَويين وظهور دولة بني عبَّاس

لمَّا انطَوَى بساط مُلك بني مَرْوان . وآل الى آل عبَّاس الإمرة والسلطان. مُزِّقت بنو أُميَّة كلَّ مُمزَّق . وشقَّق الدَّهرُ حُلَل إيناسهم ومزَّق . وحرَّق بنار اليأس لِباسَم وخرَّق . بعدَ أن رقَص لهم الدَّهرُ وصفَّق . وكانت ثُغُور آمالهم بَواسِم . وغُرَر ايَّامهم بصنُوف اللهو مَواسِم . ورِياح عزَّتهم في رِياض غُرَّتهم نَواسِم . وكانت تَضِيق بجيوشهم الفَضا . وتجري على حَسَب مطلوبهم خيول القدَر والقضا . ثمَّ انحرفت عنهم الايَّام فطمَستْ غُرَرَ إشراقهم . وأذوَتْ بلهيب العَكس يانعَ أوْراقهم . ورمَتْهُم بصَواعق إرْعادهم و إبراقهم . فلم يدفع عنهم الرُّمح ولا الحُسام . ولم ينفع ما سَبق لهم من المِنَن الجِسام . وأُذيق الموتَ الأحمرَ مَرْوانُ الحِمار . ونُزِعَ من تحت المُلك فلَحِق بهِ الدَمار. فما بكَتْ عليهم السماء والأرض . وما بقي لهم الَّا ما قَدَّموهُ من نَفْلٍ وفَرْض . ونُزِعوا من بين الأتراب . الى بطن التراب . وسيقوا للحساب . الى يوم الحساب . فسُحقًا لدنيا لا وفاء فيها لبَنِيها . ولا بقاء لحالَتي تجلِّيها وتجنِّيها . ولا ابقاء فيها على مُجتَليها ومُجتَنيها . ذلَّلت عِزَّةَ عاد . وهدمت قصر شدَّاد . وأخربت إرَمَ ذات العِماد . فأُفٍّ على الدنيا وزُخرفها . والحَذَرَ الحَذَر من هجوم صرفها وتصرُّفها . كم نادت عليهم حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي . وكم صاحت عليهم لا تغترُّوا بضحكي

ولا يَغرُرْكُمُ منِّي ابتسامٌ ... فقولي مُضحِكٌ والفِعلُ مبكي

وآلَ المُلك بعدهم الى آل العبَّاس . واضحكهم الدهرُ بعد العُبوس واليأس . وألبَسَهم حُللَ الأمر والنهي وافرحهم بذلك الإلْباس . وآنسهم بعد الوَحشة وما دام لهم ذلك الايناس . وهكذا الدنيا دُوَل تَدُول وتُدال . وما زال لكُلِّ زمان دولةٌ ورجال (لقطب الدين النهروالي)

وأمثالهُ في الشعر قصائد كثيرة في الفَخر والرثاء والمديح لأئمَّة الشعراء نخصُّ منها بالذكر قصيدة السموأل (مجاني الادب ٥ : ٢٥٩) التي مطلعها :

اذا المرءُ لم يدنَسْ من اللُّؤْم عِرضُهُ ... فكلُّ رداءٍ يَرتديهِ جميلُ

س ما الانشاء الأنيق

ج هو ما توسَّط بين الانشاء العالي والساذج فيأخذ من الاوَّل رونقهُ ورشاقتهُ ومن الثاني جلاءَهُ وسلامتهُ

س ما هي صفات الانشاء الأنيق

ج يُستحسن في هذهِ الطبقة ما قرُبَ مأخذهُ من أشكال البديع والألفاظ المُنسجمة والمعاني الجيّدة المتينة

س أذكر في ذلك مثلًا

في سبب اختيار العرب للبادية دون الحضَر وطُرفة في حُسن أخلاقهم

رأت العرب انَّ جَوَلان الارض وتخيُّر البقاع على الايَّام اشبهُ بأُولي العزّ وألْيق بذوي الأَنَفة . وقالوا : لِأَن نكون محكَّمين في الارض ونسكن حيث نشاء اصلح من غير ذلك . فاختاروا سُكنَى البَدْو من اجل هذا . وذكر آخرون انَّ القدماء من العرب لِمَا ركَّبهم الله عليهِ من سموّ الأخطار ونُبل الهِمَم والأقدار وشِدَّة الأَنفة والحَمِيَّة من المعرَّة والهَرَب من العار بدأُوا بالتفكير في المنازل والتقدير للمواطن . فتأملوا شأن المدن والابنية فوجدوا فيها مَعرَّةً ونَقصًا وقال ذوو المعرفة والتمييز منهم : إنَّ الأَرَضِينَ تمرَض كما تمرَض الاجسام وتلحقها الآفاتُ والواجب تخيُّر المواضع بحسب أحوالها من الصَّلاح اذ الهَواء ربَّما قوي فأضَرَّ باجسام سكَّانها وأحال أمزِجة قُطَّانها . وقال ذوو الآراء منهم : إنَّ الأَبنية والتَّحويط حَصرٌ عن التَّصرُّف في الارض ومَقطعةٌ عن الجَوَلان وتقييدٌ للهِمَم وحَبسٌ لِمَا في الغرائز من المسابقة الى الشَّرف ولا خير في اللَّبث على هذه الحال . وزعموا ايضًا ان الأَظلال والأَبنية تحصُر الغذاء وتمنع انفساح الهواء

وتَصدُّ سُروحَهُ عن المرور وقذاهُ عن السلوك. فسكنوا البَرّ الأفيح الذي لا يخافون فيهِ من حَصر ولا مُنازَلة ضُرّ. هذا مع ارتفاع الأقذاء وسماحة الهواء وعدم الوَباء ومع تهذيب الاحلام في هذه المواطن ونقاء القرائح في التنقّل في المساكن مع صحّة الامزجة وقوّة الفِطَن وصفاء الالوان ومَتانة الاجسام. فانَّ العقول والآراء تتولّد من حيث تولُّد الهَواء وطَبْع الفضاء. وفي هذا الأمْنُ من العاهات والاسقام والعِلَل والآلام. فآثرتِ العربُ سُكنى البَوادي والحُلولَ بالبيداء. فهم اقوى النّاس هِمَماً واشدُّهم احلاماً. واصحّهم اجساماً. واعزُّهم جاراً. وأَحْماهم ذِماراً. وافضلهم جوداً واجودهم فِطَناً. لِما اكسبهم اياهُ صفاءُ الجَوّ ونقاءُ الفضاء. لانَّ البدن تحتوي اجزاؤهُ على متكاثف الاكدار بما يرتفع اليهِ ويتلاطم في عَرَصاتهِ وأُفقهِ من المُستحيلات والمُستنقعات من المياه في اكنافهِ جميع ما يتصعّد اليهِ. ولذلك تراكمت الأقذاء والأدواء والعاهات في اهل المُدن وتركّبت في اجسامهم وتضعّفت في اشعارهم وابصارهم. ففُضِّلت العرب على سائر ما عَداها من بوادي الأمم المتفرّقة لما ذكرنا من تخيُّرها الاماكن وارتيادها المواطن (من مروج الذهب للمسعودي)

وأمثال هذه الطبقة من الانشاء في الشعر اكثر القصائد الزَّهريات والزُّهديّات والاوصاف وما شاكلها

(فائدتان) الاولى انَّ طبقات الانشاء كثيرًا ما تختلط ببعضها فيصعب تعيين طبقتها. فرُبّما جاء في القطعة الواحدة اشياء من الطبقات الثلاث لا يميّزها الّا المنتقد البصير

الثانية أنَّ تبويب مجموعنا الموسوم بمجاني الادب موافق لتقسيم هذه الأنماط الثلاثة كما اشرْنا اليهِ في مقدّمة المجموع. فالجزءانِ الأوَّلان منهُ للانشاء الساذج. والثانيان بعدهما للمتوسّط. والأخيران للعالي. هذا في الجملة الّا انَّهُ قد وُجد في اكثر الاجزاء من كلّ طبقة من طبقات

الانشاء وذلك لا يُخفى على من يعرف أنماط الكلام وفنون الكتابة *
(راجع في المقالات ما نُقل عن الأئمّة في وجوه البلاغة وطبقات الكلام ص ٢٤٧ — ٢٥٤) .



البحث الثاني
في
في التعبير اللّائق بطبقات الانشاء

اعلم ان طبقات الانشاء تشترك في وجه التعبير فتكون عبارتها طورًا مُرسَلة وطورًا مسجَّعة . ثمّ تختلف ايضًا هذه الطبقات من حيث الايجاز والمساواة والاطناب

١ في الانشاء المُرسَل والانشاء المسجَّع

س ما الانشاء المُرسَل

ج هو ما لا يُلتزَم فيهِ التَّسْجيع (١ مثال ذلك قول الجاحظ في وصف اللسان :

اللسان أداةٌ يَظهر بها حُسن البيان . وناطقٌ يردُّ الجواب . وظاهرٌ يُخبِر عن ضمير . وشاهدٌ يُنْبئك عن غائب . وحاكمٌ يُفصَلُ بهِ الخطاب . وشافعٌ تُدْرَك بهِ الحاجة . وواصفٌ تُعرَفُ بهِ الحقائِق . وبشيرٌ يُنفَى بهِ الحزن . ومُؤنِسٌ يذهبُ بالوَحشة . وواعظٌ يَنْهَى عن القبيح . ومُزَيِّنٌ يدعو الى

* قد ذُكِر في بعض كتب الأدب انَّ للانشاء طبقاتٍ كثيرة . وقد أبلَغ عددها ابراهيمُ الشيباني الى ثماني طبقاتٍ (راجع المقالات ص ٢٤٨) . الّا انَّ هذا التقسيم ليس هو مبنيًّا على أنماط التعبير بل على مراتب المخاطَب واختلاف مواقع الكلام

١ السكّاكي والخفاجيّ

الحسن . وذارعٌ يحرثُ المودّة . وحاصدٌ يستأصلُ الضغينة . ومُلْهٍ يُونِقُ الأسماع

س ما الانشاء المسجَّع

ج هو ما بُنِيت فواصلهُ على السَّجْع

س ما هو السَّجْع

ج هو تواطؤ الفاصلتين على الحرف الواحد في الآخِر (١) .

ودُعي بذلك تشبيهًا بسَجْع الحمام كقول الثعالبي في وصف حرب :

فصَمَتَت الألسِنة . ونطقت الأسِنَّــة . وخطبت السيوف العِضاب . على منابر الرِقاب . وتلاصقت القنا والقَنابل . وتعانقت الصوارم والمناصل . فبلغت القلوبُ الحناجرَ . وادركت السيوفُ المناحرَ . وضاق المَجال . وتحكَّمت الآجال . فلم ترَ الّا رؤوسًا تُندَر . ودماءً تُهدَر . واعضاء تتطاير . وتتناثر . واجسامًا تتزايل . وتتمايل . حتّى ثَمِلت الرِّماح من الدماء فتعثَّرت في النحور . وتكسَّرت في الصدور . فرجموا الاعداء من جوانبهم . وتمكَّنوا من فضّ مواكبهم

س كم هي اقسام السجع

ج اربعة : المطرَّف والموازي والمتوازن والمرَصَّع (٢)

١ً السجع المطرَّف وهو أن تختلف الفاصلتان في الوزن وتتَّفقا في حرف السجع كقول القرآن « ما لكم لا ترجعون لله وقارًا . وقد خلقكم اطوارًا » . وقولهِ « ألم نجعل الارض مهادًا . والجبال اوتادًا » . او كقولك « جناب فلان محطّ الرحال . ومخيَّم الآمال »

١ التّهانوي وصاحب الاتقان . وقد حدَّهُ بعضهم : السَّجْع مُوالاة الكلام على حدٍّ واحد

٢ راجع جنان الجناس للصفدي والكشّاف للتهاوني وخزانة الادب

٢ً السّجع المُتوازي وهو ان تتّفق اللفظة الاخيرة مع نظيرتها في الوزن والرويّ معًا كقول بعضهم في هلاك الاعداء «صاروا جَزَرَ السباع والطيور. ورَهْن الدّمار والثبور». او كما قال الحريري «ألجأني حُكْمُ دهر قاسط. الى ان انتجع ارضَ واسط». وكقولهِ «اودى بي الناطق والصامت. ورثى لي الحاسد والشامت»

٣ً السجع المتوازن هو ما اتّفقت فاصلتاهُ وزنًا دون التقفية كما قال احد البلغاء «الناس كالأهداف. لناب الامراض». وهذا لا يعدّهُ كثيرون من السّجْع

(فائدة) وان كان السّجع متوازن بين شطرَي البيت دُعِيَ مشطّرًا. كقول ابي تمّام في المعتصم الخليفة:

تدبيرُ مُعتصمٍ بالله منتقمٍ لله مرتغبٍ في الله مرتعبِ

٤ً السجع المرصّع وهو ان تتفق الفاصلتـان وزنًا وتقفية في جميع اقسامهما كقول القرآن «انَّ الابرار لفي نعيم. وان الفجّار لفي جحيم». وكقول الحريري «فهو يطبع الأسجاعَ بجواهر لفظهِ. ويقرع الاسماعَ بزواجر وعظهِ»

س ما احسنُ السَّجْع

ج قال البديعيُّون: احسن السجع ما تساوت قرائنهُ بعدد الألفاظ نحو «الزمان يبيد ويرتجع. والدهر يمنح وينتزع» وان لم تتساوَ

فالاحسن ما طالت قرينتهُ الثانية كقول البديع «كتابي الى مَن انتهت الى المجد حُدودهُ . ونبت في مَغرِس الجود والفضل جَذرهُ وعودهُ »

ولا يجوز ان تكون الثانيـة اقصر من الاولى (١

س ما هي شرائط السجع

ج قال ابن الاثير : السجع يحتاج الى اربع شرائط . اختيار المفردات الفصيحة . واختيار التأليف الفصيح . وكون اللفظ تابعًا للمعنى لا عكسهُ . وكون كل واحدة من الفِقرتَين دالّة على معنًى آخر لئلَّا يصبح الكلام تطويلًا مَعيبًا

س هل للكلام المسجَّع فضلٌ على الكلام المُرسَل

ج لا فضـلَ للكلام المسجَّع على الكلام المُرسَل الّا اذا كان مع تمكُّن الفواصل رصينَ التركيب مُحكم السَّبْك مُجيبًا داعيَ الحال في كلِّ مكان . ولقد عاب البيانيُّون الانشاء المسجَّع اذا شوَّههُ التكلُّف والتصنُّع

(راجع ما رويناهُ في المقالات عن الكلام المطبوع والمصنوع ص ٢٥٤ — ٢٥٨ وعن السَّجع وانواعهِ ٢٥٨ — ٢٦١ وعن اقسـام السجع وضروبهِ ص ٢٦١ — ٢٦٥)

١ الخفاجي والصفدي

٢ في الايجاز والمساواة والاطناب

س ما الايجاز

ج هو تقليل الالفاظ وتكثير المعاني[١] كبعض اقوالٍ وردت للعرب نحو « إنَّ من البيان لسحرًا ». وقولهم « انَّ الحكمة ضالَّة المؤمن ».

وكقول الاعشى:

اذا انت لم ترحلْ بزادٍ من التُّقى ولاقيتَ بعد الموت مَن قد تزوَّدا
ندمتَ على ان لا تكون كمثلِهِ وانَّك لم تُرْصِدْ كما كان أرصدا

وخُطبة زياد :

ايها الناس لا يمنعكم سوءُ ما تعلمون منَّا ان تنتفعوا باحسن ما تسمعون منَّا فانَّ الشاعر يقول :

اعمل بقولي وان قصَّرتُ في عملي يَنفعْك قولي ولا يضررْكَ تقصيري

والسلام

س ما المُساواة

ج المساواة ان تكون الالفاظ قوالبَ للمعاني لا يزيد بعضها على بعض كقول أنوشِروان العادل : « اذا لم يكن ما تُريد فأرِدْ ما يكون ». وكقول الجاحظ « انَّ القلوبَ أوعية والعقول معادن . فما في الوعاء ينفد اذا لم يمدَّهُ المَعدِن »

وكقول ابي الحسن في ابن العميد :

اذا اعتمدتْني خطوب الزما نِ كان اعتمادي على ابن العميدِ
تذكَّرتُ قربيَ من قلبِـهِ فيمَّمتهُ من مكان بعيـدِ
تجاوز في الجود حدَّ المَزيدِ وفات الانامَ برأيٍ سديدِ

١ بن هلال العسكري .

وكقول امرئ القيس :

فان تكتموا الداء لا نخفهِ   وان تبعثوا الحرب لا نقعدِ
وان تقتلونا نُقتّلكمُ   وان تَقصدوا الذمّ لا نَقصدِ

س ما الاطناب

ج هو الاطالة في شرح المعنى لفائدةٍ كقول القرآن :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القُربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي »

فانّ « الاحسان » داخل في العدل . « وايتاء القربى » داخل في الاحسان . « والفحشاء » داخل في المنكر . « والبغي » داخل في الفحشاء . الّا انهُ خَصّ ذلك بالذِكر لفائدةٍ في المعنى

وكقول ابي نواس يصف بعضهم بالنزاهة :

فتىً لا يحبُّ الكسبَ الّا أحلّهُ   ولا الكَنز الّا من ثناء ومن شكرِ
عيوفٌ لاخلاق الكرام وهَديهم   وممتنعٌ عمّا يقرّب من وَزْرِ

(فائدة) انّ الاطناب اذا خرج عن حدود الفائدة صارَ معيباً وذلك هو الإسهاب (راجع الصفحة ١٣٨)

س هل يرجّح الاطناب على الايجاز

ج قال ابن هلال العسكري : ان الايجاز والاطناب يُحتاج اليهما في جميع الكلام وكلّ نوعٍ منهُ . ولكلّ واحد منهما موضع فالحاجة الى الايجاز في موضعهِ كالحاجة الى الاطناب

في مكانهِ فمن استعمل الاطنابَ في موضع الايجاز والايجاز في موضع الاطناب اخطأَ (١

(راجع الابحاث الاربعة المذكورة في مقالات علم الادب في الايجاز والمساواة والاطناب ومواقع الاطناب ص ٢٦٥—٢٨٧)

البحث الثالث

في

بيان موضع طبقات الانشاء الثلاث

قد سبق ان هذه الانماط الثلاثة كثيرًا ما تُسبك ببعضها فيدخل في الواحد منها شيءٌ من الآخر. وعليهِ لا يمكننا ان نبيّن مقام كل نمط منهـا الّا على اغلبيّة الاستعمال

س متى يُستخدَم الانشاء الساذج

اولًا في المحافل العموميّة ليقرب مثـال المعاني الى جمهور السامعين

وثانيًا في المقالات والتآليف العلميَّة لينصرف الذهن الى اخذ المعنى وليس دونهُ حائل من جهة العبارة

١ قيل لبعضهم: ما الاحسن من الاطناب او الايجاز. فقال: متى كان الايجاز ابلغ كان الإكثار خطَلًا ومتى كان الاطناب ابلغ كان الايجاز تقصيرًا وعجزًا وانما يُستحسن كلاهما في موضعهِ (إعجاز القرآن والعقد الفريد)

وثالثاً في المكاتبات الاهليــة والرِّحلات والاسفار والاخبار وما شابه ذلك

س اذكر اسماء بعض من اشتهروا بالانشاء الساذج

ج لك في الآداب والحِكَم السُّيوطيّ والماوَرْدي والغزّالي . وفي الاخبار وانساب العرب ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني . وفي التاريخ ابن الاثير وابو الفداء . وفي القصص والحكايات صاحب كتاب الف ليلة وليلة . وفي الاسفــار ابن بطوطة . وفي آثار البلاد ياقوت الروميّ والبشّاري وابن حَوْقل . وفي الاراجيز والشعر روّبة وابو العتاهية وابن مالك

س متى يُلتجأ الى الانشاء المتوسط اي الانيق

ج يُلتجأ الى هذا النمط في مراسلات ذوي المراتب وفي الروايات المنمّقة والاوصاف المُسْهَبة وفي بعض التواريخ وسير الخاصّة وفي خُطَب المحافل وما اقتاس بهذه المواضيع

س أورد ذكر بعض مشاهير هذه الطبقة

ج قد اتّسم بسيماء هذا النمط ابن خِلّكان والثعالبي في تراجمهما . وابن شاذي في سيرة صلاح الدين . وابن خلدون

والطَبري والفَخري في بعض اقسام تواريخهم . وابن المعتزّ والبهاء زُهير في الاوصاف والزهريات . وابن المقفَّع في ترجمة كليلة ودمنة . وابن غانم المَقْدِسي في إشاراتهِ . وابن جُبير في رِحلتهِ . والمَسعوديّ في مروج الذهب

س في اي مقام يصلح الانشاء العالي .

ج يصلح هذا النمط في الترسُّل بين بُلغاء الكُتَّاب وفي المجالس الادبية وديباجة بعض التصانيف وبالاجمال في المواضيع التي من شأنها الزجر وتحريك العواطف والحماسة .

س أذكر لنا بعض فضلاء هذا الميدان

ج قد تشبَّث بأهداب هذا الفنّ الحريريّ والبديع الهمذاني في المقامات . وابن نباتة وابن الحِدّيثي في الخطب . والمعرّي في دِرْعيَّاتهِ ومراثيهِ . والأخطل وجرير وابو تمَّام والبُحتُري والمتنبّي في مدح الخلفاء والامراء . وابن خاقان في كتاب قلائد العقيان وكتاب مُلح اهل الاندلس . والعتبيّ في تاريخ ابن سَبكتكين . والمَقَّريّ في قسم كبير من كتاب نَفْح الطيب . والفارضي في وصفهِ الذات الالهية وكمالاتهِ تعالى . وشعراء الجاهلية في مُعلَّقاتهم وحماستهم ومراثيهم

الأَصْلُ الرَّابِعُ

في تحسين الانشاء

او البديع

قد قدّمنا انّ للانشاء موادّ وخواصّ وطبقات ذكرناها بالتفصيل فبقي ان نذكر وجوه تحسين الانشاء وتنميق الكتابة

س ما هي مصادر تحسين الانشاء

ج مصادر تحسين الانشاء هي المحسِّنات البيانيّة التي يشتمل عليها البديع

س ما هو البديع

ج هو علم بهِ تُعرف وجوه تحسين الكلام المطابق لمقتضى الحال

س ما هي وجوه تحسين الكلام

ج هي اساليب وطرائق معلومة وُضعت لتزيين الكلام وتنميقهِ

س ما الغرض من وجوه تحسين الكلام

ج الغرض منها: اولًا ان يتمكّن البليغ من ذهن السامع بما يوردهُ من أساليب الكلام المُستَحسَنة فيحرّك أهواء النفس ويُثير كامنَ حركاتها

ثانيًا ان يكون قوله اشدّ اتّصالًا بالعقل واقرب للادراك بتصرفه في فنون البلاغة

ثالثًا ان يورث الكلام من اللين والطلاوة أوفى سهم ليكون ألذّ في الاسماع وألطف وقعًا في القلوب

س كم قسمًا البديع

ج البديع قسمان معنويّ ولفظيّ حسبما ترجع فيه وجوه التحسين الى المعنى او اللفظ

(راجع ما ورد في المقالات عن حقيقة علم البديع وفوائده واقسامه وتاريخ اصحاب البديعيات ص ٢٨٧ — ٢٩٥)

الباب الاول

البديع المعنويّ

س ما البديع المعنوي

ج البديع المعنوي هو الذي وجبت فيه رعاية المعنى دون اللفظ فيبقى مع تغيير الالفاظ كقول الشاعر:

أتطلبُ صاحبًا لا عيبَ فيهِ   وأنتَ لكُلّ ما تهوى ركوبُ

ففي هذا القول ضربان من البديع هما الاستفهام والمقابلة لا يتغيّران بتبديل الالفاظ كما لو قلتَ مثلًا « كيف تطلب صديقًا مُنزّهًا عن كلّ نَقص مع انّك انت نفسك ساعٍ وراء شهواتك »

س الى كم قسمًا تُقسَم اشكال البديع المعنوي

ج الى ثلاثة اقسام الاوّل يفيد تحريكَ العواطف . الثاني مَرجعهُ إنارة العقل . الثالث ما كان عائدًا الى توشية الكلام وتفكيه المُخيّلة (راجع ما قيل في أغراض البديع ص ١٥٧)

(فائدة) اعلم ان هذا التقسيم ليس بمطّرد وكثيرًا ما تفيد الاشكال مع انارة الذهن تفكيهاً للمخيلة وتحريكاً للعواطف. لكننا تبعنا في هذا التقسيم وجه الاجمال

البحث الاول

في الاشكال الراجعة الى تحريك العواطف

س كم هي هذه الاشكال

ج هي عشرة : الهُتاف وتجاهل العارف والاستفهام والالتفات والدعاء والتسليم والأمر بعرِض النهي والتَّغاضي والاكتفاء والقَسَم .

١ الهُتاف

س ما الهُتاف

ج هو عبارة عن اطلاق الصوت بأداة النداء وما شاكلها لابراز ما تُكنّهُ النفس من العواطف الحميمة كالحبّ والبغض والحزن والفرح الخ كقول ابن الرومي :

لِلّهِ ايامٌ تقضّت لنا ما كان احلاها واشهاها
مرّت فما ابقت لنا بعدها شيئاً سوى ان نتمنّاها

وكقول الحريري:

غسّان أُسْرتيَ الصميمَهْ وسَروجُ تُربتي القديمهْ
واهًا لعيشٍ كان لي فيها ولذّاتٍ عميمَه

وكقول ابي العتاهية:

أيا عجبَ الدنيا لعينٍ تعجّبت ويا زهرة الأيّام كيف تقلّبتْ
وما أعجبَ الآجالَ في خُدَعاتنا لها فِتَنٌ قد حنّكتني وأنصبَت

وكقول ابن المعتزّ:

يا دهرُ ويحك قد اكثرتَ فجْعاتي شغلتَ ايام دهري بالمُصيبات

(فائدة) انَّ اصحاب البديعيّات لم يذكروا الهُتاف بين أنواع البديع. ولهُ كما ترى مقام جليل في الكتابة نظمًا ونثرًا

س ما هي شروط استعمال الهُتاف

ج اولها الاقلال منهُ لئلّا يُبتذل بالكثرة فلا يتأثّر منهُ السامع. ثانيها ان يوردهُ الكاتب في مهمّات الامور او بعد تمهيد القلوب بكلامٍ يستدعي ذلك

٢ تجاهل العارف

س ما هو تجاهل العارف

ج هو عبارة عن سؤال المتكلّم عمّا يعلم سؤال مَن لا يَعلم. فائدتهُ المبالغة في المعنى مدحًا كان او ذمًّا وهو يأتي على طرق مختلفة كالتشبيه وغير ذلك كقول ابن شرَف في سيفٍ:

ان قلتُ نارًا أتَنْدَى النارُ ملهبةً او قلتُ ماءً أيرمي الماءُ بالشَّرَرِ

ومنهُ قول الخنساء في رثاء اخيها صخر :

ما بال عينكَ منها دمعُها سَربُ   أراعها حَزَنٌ أم عادها طَرَبُ

وقول الفارضي :

أَوَميضُ برقٍ في الأُبَيْرِقِ لاحا   أم في رُبى نجدٍ أرَى مصباحا

ولابن مخلوف في الخمر :

أَشَهْدٌ في الزُّجاجة أم شرابُ   ودُرٌّ ما علاهُ أم حَبابُ

(راجع ايضاً في الجزء الاوّل من مجاني الأدب (ص ٥٨ و ٥٩) قول أعرابيَّين في وصف القَمَر)

س ما الفائدة من تجاهل العارف

ج فائدتهُ المبالغة في المعني

قال النابُلُسي : اذا قلتَ « وجهُكَ هذا أم البدر » فان المتكلّم يعلم ان الوجه غير البدر الّا انّهُ لمّا اراد ان يُبالغ في وصف الوجه بالحسن استفهم هل هو وجهٌ ام بدر من شدَّة الشَبَهِ بينهما ... وانمّا يأتي لنكتةٍ من مبالغةٍ في مدحٍ او ذمٍّ او تعظيم او تحقير او تقرير او تعريض (١ (اه)

٣ الاستفهام

س ما الاستفهام

ج هو القاءُ السؤَال لا ليستعلم المتكلم امرًا يجهلهُ بل ليعرّف بهِ المخاطب او يُبكّتهُ او يُقرّرهُ بالحقّ (٢ كقول الحريري يخاطب الجاهل المفتون بالدنيا :

١) وقد دعا ابن الرشيق نوع تجاهل العارف تشكُّكًا   ٢ الجرجاني والتهانوي

الى مَ تستمرُّ على غيّك . وتستمرئُ مرعى بَغيك . وحتى مَ تتناهى في زَهوك . ولا تنتهي عن لهوك . اتظنُّ ان ستنفعك حالُك . اذا آن ارتحالك . او يُنقذك مالك . حين تُوبقك اعمالك . او يُغني عنك ندمك . اذا زلّت قدمك . او يعطف عليك معشرك . يوم يضمُّك محشرك . هلّا انتهجتَ محجّة اهتدائك . وعجّلت مُعالجة دائك . . . . أما الحِمام ميعادُك . فما إعدادُك . وبالمشيب انذارك . فما اعذارك . وفي اللحد مقيلك . فما قيلك . والى الله مصيرك . فمن نصيرك

ومنهُ قول ابي العتاهية :

اين القرونُ وابن المبتنونَ لنا	هذي المدائنَ فيها الماءُ والشجرُ
بل اين أهل التُّقى والانبياءُ ومَنْ	جاءت بفضلهم الآيات والسُّوَرُ

وكقول ابن المعتزّ :

الى ايّ حينٍ انت في صَبْوة اللّاهي	أمَا لك في شيءٍ وُعِظتَ بهِ ناهي
ويا مذنبًا يرجو من الله عفوهُ	أترضى بسَبْق المتّقين الى الله

(فائدة) انَّ هذا النوع مع كثرة استعمالهِ في الكلام لم يثبتهُ البديعيُّون من العرب في جملة المحسّنات البيانيَّة وهو كما ترى نوعٌ جليل يُحتاج اليهِ في كلّ صنفٍ من أصناف الكتابة (راجع الصفحة ٤٣)

اعلم انَّ الاستفهام كثيرًا ما يليهِ جوابُهُ فيزيد الكلام متانةً . ويُسمّى هذا الجواب تقريرًا [١] كقول بعضهم :

الموت بابٌ فكلُّ الناس داخلهُ	ياليت شعريَ بعد الباب ما الدارُ
الدارُ دارُ نعيمٍ ان عملتَ بما	يُرضي الالهَ وان خالفتَ فالنارُ

---

١ الزمخشريّ والجرجانيّ

٤ الالتفات

س ما هو الالتفات

ج قال ابن المعتزّ: هو انصراف المتكلّم عن الإخبار الى المخاطبة (١ كقول القرآن « الحمدُ لله ربّ العالمين . ايّاك نعبد وايّاك نستعين » فانّهُ عدل عن الخبر ووجّه الكلام اليهِ تعالى عزّ وجلّ

ومن ذلك قول جرير :

متى كان الخيـامُ بذي طلوح سُقيتِ الغيثَ ايّتهـا الخيامُ

وكقول ابنة شدّاد ترثي أبا زُرارة العُذريّ اخاها :

هو الفتى تحمَدُ الجيرانُ مَشْهَدَهُ عند الشتـاء وقد همّوا بإخمادِ
أبا زُرارَةَ لا تَبْعَدْ فكلُّ فتًى يوماً رهـينُ صَفيحاتٍ وأعوادِ

(فائدة) انّ البديعيّين عدّوا من باب الالتفات كلّ انتقالٍ من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبـة الى الخطاب وكلّ اعتراضِ كلامٍ في كلام . والمشهور ما قدّمنا (٢

وربّما كان توجيه الخطاب الى غير ناطق . كقول الفارعة في اخيها ابن طَريف بعد وصف مآثرهِ تخاطب شجر الخابور حيث قُتِل :

ايا شجر الخابور ما لك مُورقاً كأنّك لم تجزع على ابن طَريفِ

---

١ ابن المعتزّ والتهانوي ٢ قال قدامة : الالتفات هو ان يكون المتكلّم آخذًا في معنًى من المعاني فيعترضهُ إمّا شكٌّ فيهِ او ظنٌّ انّ رادًّا يردُّهُ عليهِ او سائلًا يسألهُ عن سببهِ فيلتفت اليهِ بعد فَراغهِ منهُ فامّا ان يُجلي الشكّ او يؤكّدَهُ بذكر سببهِ . كقول عوف بن مُحَلِّم :

انّ الثمـانين وبُلِّغتهـا قد احوجَتْ سَمعي الى ترجمانْ

فقولهُ « وبُلِّغتها » التفات

وكقول ارميا النبي ينتهر سيف غضب الربّ :

ياسيف الربّ الى متى لا تكفّ . انضمّ الى غِمدك فاسترح واستقرّ

ومثلهُ قول المتنبيء في سيف ابن حمدان :

ألا ايها السيف الذي لستَ مُغمَدًا ولا فيك مرتابٌ ولا منك عاصمُ
هنيئًا لضرب الهام والمجد والعُلى وراجيك والإسلام أنّك سالمُ

وكقول السيد فرحات يخاطب بيت لحم حيث وُلد المسيح :

هُنّئتِ يا بيتَ لحمُ وضاء منكِ المحيَّا
اذ حلَّ فيكِ الهٌ نراهُ طِفلًا صبيًّا
أتى من البِكر بكرٌ فكان معنًى خفيًّا

ومنهُ ايضًا قول بعضهم في رثاء :

ياقبر ما فيكَ من دينٍ ومن ورَعٍ ومن عَفافٍ ومن صونٍ ومن خفرِ
اسكنتَ من كان بالاحشاء مَسكِنهُ بالرَّغم مِنّيَ بين التُّربِ والحَجَرِ

٥ الدُّعاء

س ما الدُّعاء

ج الدُّعاء في اللغة كلام انشائيّ دالّ على الطلب مع خضوع . وعند البيانيين هو عبارة عن طَلب الخير او الشرّ بكلام أنيق يدلّ على عواطف المتكلّم من حبّ او بغض او شكر الخ (١

١ هذا النوع لم يعدّهُ العرب من أنواع البديع . وهو اجدر من غيرهِ بان يُنظَم في سلك المُحسّنات . وقد ذكرهُ السيّد حسَن خان في كتاب محسّنات البيان فقال : الدُّعاء هو ان يطلب المتكلِّم نفعًا او ضررًا يقال دعا لهُ او عليهِ

فمن امثال الدُّعاء بالخير قول العرب :

أكرمك الله بلباس التقوى . ووفّقك لطريق الهُدى . ولا ابلاك بلاء يعجزُ عنهُ صبرُك . وانعم عليك نعمةً يعجزُ عنها شكرك . واحياك حياةً هنيّةً . وأماتك موتةً رضيةً .

ومنهُ قول يعقوب في بَركة يوسف ابنهِ عند وفاته (راجع سفر التكوين الفصل ٤٩) :

يوسف غُصنٌ مُفرع . غُصنٌ مُفرع على عين لهُ دَوالٍ قد امتدَّت على سُور . فامَرّتهُ اصحاب السِّهـام ورَمَتهُ واضطهدتهُ . ولكن ثبتت بمتانةٍ قوسُهُ وتشدَّدت سواعد يديهِ من يَدَيْ عزيز يعقوب . . من الله ابيك الذي يعينك ومن القدير الذي يبارككَ تأتي بركة السماء من العلوّ وبركات الغمر الراكد الاسفل . بركات الثديَين والرَّحِم . بركات ابيك تُضاف الى بركات آبائي الى مُنية الإكام الدهريّة .

وكقول بديع الزمان :

صباحُ الله لا صبحُ انطلاقِ وطيرُ الوصل لا طَيرُ الفِراقِ

وللمعرّي قولهُ :

وقاك الهُ العرش من كل محنةٍ وما اضمرتْ يوماً عداك وحسَّد

ولابي الحليم بن الحديّثي أدعيةٌ حسنة للبطاركة وللخلفاء يختم بها خطبهُ .

ومن الدعاء بالشرّ ما ورد في الفصل الثالث من سفر ايُّوب :

لا كان نهارٌ وُلدتُ فيهِ ولا ليلٌ قيل فيهِ قد حُبل برَجل ليكن ذلك النهار ظلاماً ولا رعاهُ الله من فوق ولا أشرق عليهِ نورٌ . لتستبدّ بهِ الظُلُمات وظِلال الموت . . . ولا يُحصَيَنَّ بين ايَّام السَّنة ولا يدخلنَّ في عدد الشهور . .

ومنهُ قول الثعالبي في اعداء امير :

لا زالت اعداؤهُ عبيدَ دولتهِ . وصَرعى صولتهِ . وجُزُر سيوفهِ . ورهائن

خطوب الدهر وصروفهِ . وزادهم الله سقوط مواقع . وهبوط مواضع . ونحوس مطالع

وقول ابن النقيب :

لا كان يومٌ تمَّ فيهِ فراقُنا فلقد اطال الحزنَ والبِلْبالا

ومثلهُ قول النابغة :

لا مرحبًا بغدٍ ولا اهلًا بهِ ان كان تفريقُ الاحبَّة في غدِ

وقول بعضهم :

لا أسعد الله ايَّامًا عَزَزتُ بها دهرًا وفي طيّ ذاك العزّ اذلالُ

ومنهُ ما جاء في المزمور المائة والسادس والثلاثين :

ان انا نسيتُكِ يا اورشليم فلتَنْسني يميني . ليلتصقْ لساني بحنكي ان لم أذكركِ ولم أُعلِ اورشليم على ذُروة فرحي

٦ التسليم

س ما التسليم

ج قال الحِلّيّ : هو ان يفرض المتكلم فرضًا محالًا ثم يُسلّم بوقوعهِ تسليمًا جَدَليًّا يدلُّ على عدم الفائدة على تقدير وقوعهِ كقول ابي السعود :

هبْ أنَّ مقاليدَ الامور مَلَكتَها ودانت لك الدنيا وانت إمامُ
ومُتّعتَ باللذَّات دهرًا بغبطةٍ أليس بحتمٍ بعد ذاك حِمامُ

وكقول ابي العتاهية :

هَبِ الدنيا تُقاد اليك عفوًا أليس مصيرُ ذلك للزوالِ

٧ اضمار النهي او النهي بعرض الامر

س ما اضمار النهي

ج قال صاحب محسّنات البيان : هو عبارة عن قولٍ ظاهرهُ الاباحة وباطنهُ النهي والزَجر [١] كقول ابي تمّام :

اذا لم تخشَ عاقبة الليالي ولم تستحيِ فاصنع ما تشاءُ
فلا واللهِ ما في العيش خيرٌ ولا الدنيا اذا ذهب الحياءُ

وكقول الشبراويّ :

اذ لم تَصُنْ عِرضًا ولم تخشَ خالقًا وتَستحيِ مخلوقًا فما شئتَ فافعلِ

ومنهُ قول بدر الدين الحلبيّ :

اذا المرء ضيّع ما امكنَهْ ومال الى التيهِ واستحسنَهْ
فدعهُ فقد ساءَ تدبيرهُ سيضحك يومًا ويبكي سَنَهْ

ومنهُ ايضًا قول ابي العتاهية :

ودونَك فاصنع كلما انت صانعٌ فانَّ بيوت الميّتين قبورُ

٨ التغاضي

س ما هو التغاضي

ج هو ان يتظاهر البليغ بالسكوت او الاعراض عن امرٍ حين يصرّح بهِ تصريحًا كقولك لمذنبٍ « ولا اذكر سوء صنيعك نحو اخوانك بأنْ غدَرْتهم ولا ابيّن ما اقترفتَ من السيّئات نحو المُحسنين اليك اذ سلبتَ مالهم الخ »

١ قال الثعالبي في سرّ العربيّة : انهُ لمن سُنَن العرب ان تأتي بذكر شيءٍ ظاهرهُ امرٌ وباطنهُ زجرٌ فيقولون : اذا لم تستحِ فافعل . وجاء في القرآن : مَن شاء فليكفر

ومن ذلك قول ابي الفضل الأنطاكي يصف انتشار النصرانية في العالم كلّهِ اجمع بوسائط مخالفة للوسائل البشريَّة فقال بعد ان بيَّن انتصار المسيح بصلبه وموتهِ :

واني لأضرب صفحًا عن ضعف تلاميذهِ الحواريّين. ولا حاجة للتنبيه انهم كانوا قومًا أُميّين لا عِلم لهم ولا معرفة ولا شرَف ولا يَسار. ولا اذكر لما في الامر من الشهرة انهم قهروا كلَّ فيلسوف حكيم وفاقوا كل طبيب ماهر. وتذلّل لهم كل ملك عزيز وكل جبَّار عنيد. ودخل في طاعتهم كل شريف وجيه وافتقر اليهم كل غنيّ حتى دان لهم ذوو الإيسار واقرَّ لهم كل ذي علم وفهم وانقطع عن حجّتهم كل ذي بلاغة. وانمَّا يضيق ذرعي بتعداد ما جالوا من البلاد فبشّروا بالانجيل العربَ والعجمَ والروم واليونان . وَالصّمتُ في بعض الاحوال خيرٌ من الاطناب

٩ الاكتفاء

س ما الاكتفاء

ج هو ان يأتي الناظم او الناثر بقافيـة او فقرة تتعلَّق بمحذوف . فلم يُفتقَر الى ذكر المحذوف لدلالة باقي اللفظ عليهِ [١] . قال بعضهم : الاكتفاء هو ان ينقطع البليغ عن الكلام بغتـةً فيستدلّ السامع على انّ وراء قولهِ ما هو اعظم واقوى كقول ابن مطروح :

لا أنتهي لا أنثني لا أرعوي ما دمتُ في قيد الحياة ولا اذا . .

يريد « ولا اذا أدركني الموت » . فلم يتمَّ الكلام لتقرير المعنى وافادتهِ رونقًا ومتانةً . وكقول شرف الدين عبد العزيز الحموي :

---

١ عبد الغني النابلسي والسيوطي والخفاجي

راموا فِطـامي عن تُقىً أُغذيتهُ طفلًا وكهْلا
فوضعتُ في طوقي يديَّ وقلت خلّوني والّا...

وقال آخر في مَثَل الذئب والخروف :

قال لهُ الذئب وكم تشتمني أما علمتَ ياخروف أنني...

ومثالهُ في النثر قول هارون الرشيد لبعض الخوارج «والله لأفعلنَّ بك ولأصنعنَّ». ولم يزد على قولهِ مبالغةً في التهديد

١٠ القسم

س ما هو القسَم

ج هو عند اهل البديع ان يحلف المتكلّم بما يكون تأييدًا لقولهِ او مدحًا وفخرًا لهُ أو هجاءً لغيرهِ وذلك بلفظٍ أنيقٍ حسن (١ كقول ابي العتاهية :

اقسمتُ بالله وآياتـهِ شهادة باطنةً ظـاهرهْ
ما شرف الدنيا بشيءٍ اذا لم يتّبعهُ شرفُ الاخرهْ

قال آخر يتهدَّد اعداء قومهِ :

وقد حلفتُ يمينًا لا أُصالحهم ما دام فينا ومنهم في الملا احدُ

ولبعضهم في المدح :

حلفتُ بمن سوَّى السماءَ وشادها ومَن مرجَ البحرين يلتقيانِ (٢
ومن قام في المعقول من غير رؤيةٍ باثبت من إدراك كل عيـانِ
لما خُلقت كفّاك الّا لأربعٍ عقائل لم تعقـل لهنَّ ثواني
لتقبيل أفواهٍ وإعطاء نائلٍ وتقليب هنديٍّ وحبس عِنانِ

١ ابن جابر الاندلسي والحموي والنابلسي
٢ هذا من سورة الرحمن والمعنى أنّهُ تعالى لم يدع اختلاط البحر المالح بالبحر العذب

البحث الثاني

في الاشكال الراجعة لافادة الذهن والتعليم

س ما هي الاشكال الراجعة لافادة الذهن والتعليم

ج هي اربعة عشر: التصرُّف والمطابقة والمقابلة والاستدراك والمفاوضة والتوقُّف والتّلافي والكلام الجامع والتلميح والإرصاد والتفريق والاستطراد والاستتباع والتهكُّم

١ التصرُّف

س ما التصرُّف

ج قال صاحب صناعة الترسُّل: هو ان يتداول المتكلم المعنى الذي يقصدهُ فيبرزهُ في عدَّة صوَر تارةً بلفظ الاستعارة وطورًا بلفظ التشبيه وآونةً بلفظ الارداف وحينًا بلفظ الحقيقة (١ كقول امرئ القيس في معلَّقتهِ :

وليلٍ كموج البحر أرخى سُدولهُ عليَّ بانواع الهموم ليبتلي
فقلتُ لهُ لمَّا تمطَّى بصُلْبهِ وأردف أعجازًا وناء بكلكلِ ...

فانَّهُ ابرز هذا المعنى وهو وصف طول الليل بلفظ الاستعارة ثمَّ تصرَّف فيهِ فأتى بلفظ التشبيه فقال:

(١ قال بعض البديعيين: التصرُّف هو ان يُكرَّر المعنى الواحد للمبالغة وفي زيادة تكريره بسط في مغزاه

فيالك من ليلٍ كأنَّ نجومهُ بكلّ مُغار الفتل شُدَّت بيذُبل

ثم أخرجهُ بلفظ الأرداف فقال :

كأنَّ الثريَّا عُلّقت في نِظامها بامراس كتانٍ (١ الى صمّ جندلِ

ثمَّ عبَّر عنهُ بلفظ الحقيقة فقال :

ألا أيُّها الليلُ الطويل ألا انجلي بصبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثَل

وهذا يدلُّ على قوة الشاعر في التفنُّن بالكلام . ومن أمثالهِ في قول ابن الحبيب في المواعظ :

ايها الناس . ما الموت بساهٍ ولا ناس . فتأهبوا لحلولهِ . قبل نزولهِ . . . . واياك والدنيا فانها تمكر بصاحبها . وتُهدي الى اقاربها سُمَّ عقاربها . عامرُها خراب . وغامرها سَراب . . . ويحك أتظنُّ انك ستُترك سدى . وان الحقوق تبطل بطول المَدى

تنبَّهْ ايها المغرورُ واسأَلْ الهك مرَّة من بعد مرَّه

ولا تركن الى الدنيا ففيها من الاحزان ما يخفي المسرَّهْ

ألا بُعدًا لها من دارِ قومٍ بها يَرضون وهي لهم مضرَّه

يا ارباب الملابس الفاخرة . الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للآخرة . ما هذه الغفلة التي رانت على قلوبكم . . . الى مَ تستبدلون الضلالة بالهدى . وترتدُّون بما يوقعكم في الردى

(فائدة) اعلم انَّ الأَحرى بهذا النوع ان يُعَدَّ في جُملة ابواب حُسن البيان لانَّ غايتهُ ان يبرز المعنى الواحد بطرق مختلفة واساليب شتَّى

---

١) ويروى : بامراس كتَّان

٢ المطابقة

س ما المطابقة

ج المطابقة هي الجمع بين الضدّين ١) كقول الشاعر في صروف الدهر :

فيومٌ علينا ويومٌ لنا ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسَرّ

وكقول عنترة يدحض من عارِهِ بسواد جلدهِ :

ان كنتُ عبدًا فنفسي حرَّةٌ كَرَمًا او اسوَدَ الخَلْقِ انّي ابيضُ الخُلُقِ

وكقول ابن بطوطة في وصف مصر :

هي مجمع الوارد والصادر . ومحطُّ رَحلِ الضعيفِ والقادر . بها ما شئتَ من عالمٍ وجاهل . وجادٍّ وهازل . وحليمٍ وسفيه . ووضيعٍ ونبيه . وشريفٍ ومشروف . ومُنكَر ومعروف . تموج موج البحر بسكانها . وتكاد ان تضيق بهم على سَعَة سكانها

٣ المُقابلة

س ما المُقابَلة

ج هو ان يُؤتى بمتعدِّد من المتوافقات ثمَّ يؤتى بما يطابقهُ على الترتيب ٢) كقول الشَرَفيّ في سيّد نكبهُ الدهر :

على رأس عبد تاجُ عزٍّ يزينهُ وفي رِجْل حُرٍّ قيد ذُلٍّ يَشينهُ

ومنهُ قول الحاجريّ في مديح بعض الامراء :

لو أنكر الاحياءُ فضلَ جميلـهِ شهدتْ لهُ الاموات في الالحادِ

---

١ الحموي وابن المعتزّ وابن الرشيق ٢ السكاكي والحموي

ولهُ ايضاً في غيرهِ :

وتجود سُحب الغيث وهي عوابسٌ وتراهُ يُعطي ضاحكًا متبسّما

وكقول الآخر :

الخير أبقى وان طال الزمانُ بهِ والشر أخبث ما اوعيتَ من زادِ

س ما الفرق بين المقابلة والطباق

ج الفرق بينهما من وجهين: الاول ان الطباق لا يكون الّا بالجمع بين متضادّين فقط والمقابلة تجمع بين اربعة او ستّة اضداد . الثاني ان المطابقة لا تكون الّا بالاضداد اما المقابلة فتكون بالاضداد وغير الاضداد (١

كقول الحلّيّ :

مَن ليس يخشى أُسودَ الغاب ان زَأرَتْ فكيف يخشى كلابَ الحيّ ان نَبحتْ

فانّهُ قابل بين الأسود والكلاب وليس هما بضدّين . وكقول ابي أُذينة يغري ابن المنذر بقتل سادة غسّان :

أتَحلبون دماً منّا ونحلبهم رِسلًا لقد شرّفونا في الورى حلَبَا

علامَ نقبل منهم فديةً وهمُ لا فضّةً قبلوا منّا ولا ذهبَا

(راجع في مقالات علم الأدب ص ٣١٢ — ٣١٧ ما نقلناهُ عن المثل السائر في المطابقة)

٤ الاستدراك

س ما الاستدراك

ج هو ان يتلافى المتكلّمُ كلامَهُ بما ينفي توهُّم غير المقصود

١ بديعيّة العميان والتهانوي وابن جابر

او يعتاض عنهُ بما هو ادلّ على غرضهِ واحسن وقعًا في القلوب (١ كقول زُهير في المدح :

اخو ثقةٍ لا يُهلك الخمرُ مالَهُ ولكنَّهُ قد يُهلك المالَ نائلُهْ

او كقول ابي الطيّب :

هم المُحسنون الكرَّ في حومة الوغى واحسن منهم كرُّهم في المكارمِ
ولولا احتقارُ الأُسد شبَّهتها جهم ولكنَّها معدودةٌ في البهائمِ

ومن أحسن ما جاء في هذا الباب قول بعضهم :

وإخوانٍ حسبتهمُ دروعًا فكانوها ولكن للأعادي
وخلتُهمُ سهامًا صائباتٍ فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد سعينا كلَّ سعيٍ فقلتُ نعم ولكن في فسادي
وقالوا قد صَفَت منّا قلوبٌ لقد صدقوا ولكن عن وَدادي

(فائدتان) الاولى انَّ الاستدراك لا يُعدّ من المحسّنات البديعية اذا لم يكن فيهِ نكتة زائدة في معنى الاستدراك النحويّ

الثانية ان استدراك المتكلّم كلامَهُ ان كان لإبطال ما تقدَّم منهُ او لنقضهِ فيسمّى ذلك : قولًا بالموجب او اِضرابًا او رجوعًا (٢ كقول دِعبل :

ما اكثر الناس لا بل ما اقلَّهمُ الله يعلم أني لم اقُل فنَدَا
اني لأَغمض عيني ثم افتحها على كثيرٍ ولكن لا ارى احدَا

وكقول آخر :

وجهُك البدرُ لا بل الشمسُ لو لم يُقضَ للشمسِ كَسفةٌ وأُفولُ

---

١ الحموي والسيوطي
٢ التهانوي والجرجاني والنابلسي

او كما قال بعضهم :

وما ضاع شعري عندكم حين قلتهُ   بَلَى وابيكم ضاع فهــو يضوعُ

او كقول أبي البيداء متظلّمًا :

فما لي انتصارٌ ان غدا الدهر جائرًا   عليَّ بلى إن كان من عندك النَّصْرُ

٥ المفاوضة

س ما المفاوضة

ج هي مخاطبة المتكلّم خصمهُ فطورًا يلحُّ عليهِ بالسؤال وتارةً يقرّرهُ بالحقّ او يتظاهر انهُ يطلب منهُ المشورة عمّا يفعل وذلك لفرط استيثاق المتكلّم بقضيّتهِ وحقوقهِ كقول ابن سعيد مفندًا ابن حوقل وكان نسبَ اهل الاندلس الى الذلّ وصِغَر النفس :

ليت شِعْري اذ سُلِب اهلُ الاندلس العقولَ والآراء والهِمَم والشجاعة فمن الذين دبّروها بآرائهم وعقولهم مع مراصدة اعدائها المجاورين لها . . ومن الذين حَمَوها ببسالتهم من الامم المتّصلة بهم . واني لأعجب من ابن حوقل اذ كان في زمان قد دَلَفَتْ فيــهِ الافرنج الى الشام والجزيرة وعاثوا كل العَيْث . . حتّى انَّهم دخلوا مدينة حلب وما ادراكَ وفعلوا فيها ما فعلوا و بلاد الاسلام متصلة بها من كل جهة . . فلم تجتمع هِمم الملوك المجاورة على حَسْم الداء في ذلك . . .

ومن هذا القبيل قولهُ تعالى عزَّ وجلَّ في الفصــل السادس من نبوءة ميخا :

ان للرب خصومةً مع شعبهِ وهو يُحاجّ اسرائيل . يا شعبي ماذا صنعت بك وبمَ اسأتُ اليك . أجِبْني . فاني اخرجتُكَ من ارض مصر وافتديتُك من دارِ العبودية وارسلت امامك موسى وهارون ومريم . يا شعبي اذكر ما إئتمر بهِ

بالاق ملك موآب وما اجابهُ بَلعام لكي تعلم عدل الرب . . . .

ومنهُ قول الحريري في تبكيت الخاطيء :

اتظن ان ستنفعك حالك . اذ آن ارتحالك . او يعطف عليك معشرك . يوم يضمك محشرك . او يغني عنك ندمك . يوم تزلُّ بك قدمُك

٦ التوقُّف

س ما التوقُّف

ج هو ان يضبط المتكلّم أَلبابَ السامعين مدَّة في التأنّي والتَّأميل عمَّا سيقول يريد بذلك استجلاب واستعطاف خاطرهم كقول هوشع النبيّ في الفصل التاسع من نبوَّتهِ :

أَعطهم يا رب . ماذا تُعطي . أَعطهم رحمًا مثكلًا واثداء جافَّة

ومن ذلك قول المتنبيء في أبي شجاع فاتك . والشاهد في البيت الثاني :

لا يُدرك المجدَ الّا سيّدٌ فطنٌ   لِمَا يشقّ على السادات فعّالُ
كفاتكٍ ودخول الكاف منقصةٌ   كالشمس قلتُ وما للشمس امثالُ

وأَمثال التوقُّف في القرآن كثير كقولهِ في سورة القارعة :

القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة يومٌ يكون الناس كالفَراش المبثوث وتكون الجبال كالعِهن المنفوش . . .

٧ التلافي

س ما التلافي

ج هو ان يتدارك الأَديب حجج خصمهِ فيُفنّدها قبلما يُبادر الى ذكرها كقول المتنبيء :

وما شكرتُ لانَّ المالَ فرَّحني   سِيَّانِ عنديَ إِكثارٌ وإِقلالُ
لكن رأيتُ قبيحاً أن يُجادَ لنا   وأنّنا بقضاء الحقّ بُخّالُ

فانَّهُ سبق وردَّ على قول قائلٍ : انك لم تمدح الّا لاجل ما نلتَهُ من العطايا. وللمتنبّي ايضاً يُبطل قولَ مَن عيّر ابا شُجاعٍ فاتك بلقب المجنون فبيّن انَّ ذلك وصفٌ نعتَهُ بهِ الحُسَّاد لاجل تهوُّرهِ في الحرب وهو في الحقيقةِ مدحٌ لهُ :

وقد يُلقِّبــهُ المجنونَ حاسدُهُ   اذا اختلطنَ وبعضُ العقل عُقَّالُ

ومن هذا الباب قول رسول الامم في رسالتهِ الى اهل قُورِنْتس يُفنّد قول من ينكر البَعْث :

ولكن يقول قائلٌ كيف يقوم الأموات وبأيّ جسد يَبرزون . يا جاهل انَّ ما تزرعهُ انت لا يحيــا الّا اذا مات . وما تزرعهُ ليس هو ذلك الجسمَ الذي سوف يكون بل مجرَّد حبَّةٍ من الحنطة مثلًا او غيرها من البزور الّا ان الله يجعل لها جسماً كيف شاء...

وبمعناهُ قول القُرآن :

يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانّا خلقناكم من تراب

٨ الكلام الجامع

س ما الكلام الجامع

ج هو ان يُؤتى ببيتٍ او بفِقْرةٍ تشتمــل على حكمة او موعظــة او تنبيه او غير ذلك من الحقائق الجارية مجرى الامثال (١ كقول الشاعر :

ومن نكد الدُّنيا على الحُرّ أن يرى   عدوًّا لهُ ما مِن صداقتــهِ بُدُّ

١ القزويني والنابلسي والصفيُّ الحلّي

وكقول ابي فراس الحمدانيّ :

آيا قومَنا لا تَنصِبوا الحربَ بيننا ايا قومنا لا تقطعوا اليدَ باليدِ
عداوة ذي القُربى اشدُّ مضاضةً على المرءِ من وقع الحُسام المهنَّدِ

ومنهُ ايضاً قول المتنبي ولهُ في هذا النوعِ اليدُ الطولى :

لولا المشقَّةُ ساد الناس كلُّهمُ ألجود يُفقرُ والإقدام قتَّالُ
وإنَّما يبلغ الانسانُ طاقتَهُ ما كلُّ ماشية بالرجل شِملالُ
انَّا لفي زمنٍ تركُ القبيحِ بهِ من اكثر الناس إحسانٌ وإجمالُ

(فائدة) ولا يبعد عن الكلام الجامع نوعان آخران وهما : المَثلُ وارسال المَثل

س ما هو المَثل

ج هو القول السائر المُتشبَّه مَضرِبهُ بمَورِدهِ (١ كقول الحريريّ « ندِمتُ نَدامةَ الكُسَعيّ ». فانَّهُ شبَّه نفسَهُ بالكُسعيّ وهو رجلٌ من الاعراب كسر قوسَهُ بعدَ ان رمى بسهامهِ ليلًا وهو يظنُّ انها لم تُصب الصيد (راجع الجزء الخامس من مجاني الأدب ص ٧٢)

س ما هي فوائد المثل

ج قال ابراهيم النظَّام : اجتمع في المثل اربعة لا تجتمع

١ ومثلهُ قول المَناوي في التوقيف : المثل عبارة عن قولٍ في شيءٍ (وذلك مَضرِبُ المثل) يُشبه قولًا في شيءٍ (وهو مَورِد المَثل) بينهما مشابهة يبيّن احدُهما الآخرَ ويُصوّرهُ . وقال المبرّد : المثل مأخوذ من المِثال وهو قول سائر يُشبَّهُ بهِ حال الثاني بالاوَّل والاصل فيهِ التشبيه . . فحقيقة المثل ما جُعل كالعلَم للتشبيه بحال الاول . . . كمواعيد عُرقوب مثلًا جعلت علماً لكل ما لا يصحّ من المواعيد . قال ابن السكّيت : المثل لفظٌ يخالفُ لفظَ المضروبِ لهُ ويوافق معناهُ معنى ذلك اللفظ شبَّهوهُ بالمثال يُعمَل عليهِ غيرُهُ

في غيرهِ من الكلام ايجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية (١

س ما هو ارسال المثل

ج ارسال المَثل هو عبارة عن ان يأتي الشاعر في بعض بيت او الناثر في فقرة بما يجري مجرى المثل من حكمة او نعت او غير ذلك ممَّا يحسن التمثُّل بهِ (٢ كقول بشَّار :

اذا انت لم تشرب مرارًا على القذى ظمئتَ وايُّ الناس تصفو مشاربُهْ

وكقول عنترة والشاهد في ثاني شطر من البيت الثالث:

ومدَجَّجٍ كرِهَ الكماةُ نزالهُ لا مُمعنٍ هربًا ولا مستسلمِ
جادت لهُ كفِّي بعاجل طعنة بمثقَّف صَدْق الكعوب مقوَّمِ
فشككتُ بالرمح الاصمّ ثيابَهُ ليس الكريم على القنا بمحرَّمِ

(فائدة) قيل انَّ الفرق بين الكلام الجامع وارسال المثل انَّ الكلام الجامع يكون بيتًا كاملًا وارسال المثل بعض البيت. وهذا فرقٌ دقيق لا يُعبأ بهِ (راجع فصلًا في المقالات عن جوامع الكلام ١ : ٩٩)

والامثال في هذا الباب اكثر من ان تحصى (راجع الجزء الاول من مجاني

١ قال ابن المقفَّع : اذا جُعل الكلام مثلًا كان اوضح للمنطق وآنق للسمع واوسع لشعوب الحديث. وقال ابن عبد ربهِ : الامثال وَشْي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني التي تخيَّرتها العرب وقدَّمتها العجم ونطق بها كلُّ زمان ولهج كلُّ لسان فهي ابقى من الشعر واشرف من الخطاب لم يسر شيءٌ سيرَها ولا عمَّ عمومَها حتَّى قيل: أسيرَ من مثل. قال الشاعر:

ما انت الَّا مثل سائرٌ يعرفهُ الجاهل والخابرُ

٢ الحلّي والحموي والنابلسي

الادب صفحة ٢٤ — ٣٠ والجزء الثاني صفحة ٦٧ — ٧٩ والجزء الثالث ٦٢ — ٦٨) . ومن هذا القبيل قصيدة ابي العتاهية المثلثة التي ضمّنها نحو اربعة آلاف مثل (راجع قسماً منها في آخر ديوانهِ الذي سعينا بطبعهِ) والارجوزة الحكمية الموسومة بتغريد الصادح (راجع نبذة منها في الجزء الرابع من مجاني الادب صفحة ١٠٨)

٩ التلميح

س ما التلميح

ج قال البديعيُّون: هو ان يُشير المتكلم في بيت او قرينة سَجْع الى قصَّة معلومة او نُكتة مشهورة او بيت شعر حُفِظ لتواتُرهِ او الى مثَل سائر يُجريهِ في كلامهِ . وكل ذلك على جهة التمثيل . واحسنهُ وابلغهُ ما حصل بهِ المعنى المقصود كقول الشاعر يذمُّ صديقًا:

لَعمروٌ مع الرمضاء والنارُ تلتظي ارقُّ وأحنَى منك في ساعة الهجرِ

يشير الى بيت القائل :

المستجير بعمرٍو عند كربتهِ كالمستجير من الرمضاء بالنارِ

وفيهِ تلميح الى قصّة كُلَيب بن ربيعة التغلبي حين طعنهُ عمروٌ بن مرَّة البكريّ فطلب منهُ كُلَيب شربة ماء فأجهز عمرو عليهِ فضُرب بهِ المثل في القَسْوة . ومن التلميح قول آخر واشار الى عصاة موسى ومعجزاتها :

اذا جاءَ موسى وألقى العصا فقد بطل السحْرُ والساحرُ

ومنهُ ايضاً قول بعضهم لبنيهِ وقد اشار الى مثَل العِصيّ المضمومة :

كونوا جميعًا يا بُنيَّ اذا اعترى خَطْبٌ ولا تتفرَّقوا آحادا
تأبى القِداحُ اذا اجتمعنَ تكسُّرًا واذا افترقنَ تكسَّرت أفرادا

، ويدخل في باب التلميح نوعان آخران من البديع شبيهان بهِ هما العنوان والاقتباس . (فالعنوان) هو ان يأخذ المتكلم في غرض لهُ من وصف او فخر او مدح او ذمّ او غير ذالك ثمّ يأتي لقصد تكميلهِ بالفاظ تكون اشارة لأخبار متقدمة وقصص سالفة [١] كقول ابن الاعرابي :

ومَن فعل المعروف مع غير اهلهِ　　يلاقي كما لاقى مُجير أمّ عامرِ ،

يشير الى قصة ضبع لجأت من الصيّادين الى بعض الاعراب فأجارها ثم بقرتهُ يوماً وولَغت بدمهِ

امّا (الاقتباس) ويسمّى ايضًا التضمين فهو اتيان المتكلم في كلامهِ المنظوم او المنثور بشيء من اقوال غيرهِ من الشعراء او من معاني القرآن وحِكم الفلاسفة وغيرهم [٢] كقول الرافعي وفي البيت الاخير شيء من قول القرآن في سُورة القمر :

الملك لله الذي عنَت الوجو　　هُ لهُ وذلّت عندهُ الاربابُ
متفرّدٌ بالملك والسلطان قد　　خسر الذين يجاربوهُ [٣] وخابوا
دَعْهم وزَعْمَ الملك يوم غرورهم　　فسيعلمون غدًا مَنِ الكذّابُ

وكقول ابن الحجاج يردُّ قولَ مَن لامهُ في انقطاعهِ الى بعض الرؤساء :

قال قومٌ لزمتَ حضرة حَمْدٍ　　وتجنّبتَ سائر الرؤساء

---

١ كلّ البديعيين　　٢ الشريشي
٣ كذا في الاصل والصواب يجاربونهُ

قلتُ ما قالهُ الذي أحرز المعنى م قديمًا قبلي من الشعراء
يسقطُ الطير حيث يلتقط الحبَّ م ويَغشى منازلَ الكرماء

وهذا البيت الثالث لبشَّار بن بُرد قد ضمَّنهُ ابنُ حجَّاج شعرهُ.
ومنهُ قول الحسن بن هانئ وقد ضمَّن قصيدتَهُ البيتَ الاخير برمَّتهِ :

اني عجبتُ وفي الايامِ مُعتبَرٌ والدهرُ يأتي بألوان الاعاجيبِ
من صاحبٍ كان دنيائي وآخرتي عدا عليَّ جهارًا عدوةَ الذيبِ
قد كان لي مَثَلٌ لو كنتُ أعقلهُ مَنْ رأى غالبَ امرٍ غيرُ مغلوبِ
لا تمدحنَّ امرءًا حتَّى تُجرّبَهُ ولا تذمَّنَّهُ من غير تجريبِ

ومن ذلك ايضاً قول بعض الشعراء كتبهُ الى الامير بدر الدين بيلبك خازندار الملك الظاهر يذكّرهُ ايام كان وايَّاهُ في الحاجة والبؤس :

كنَّا جميعًا على بؤسٍ نكابدهُ وقلتُ والطَرْفُ مني في اذًى وقذى
والآن اقبلتِ الدنيا عليك بما تهوى فلا تنسَني ان الكرام اذا...

في البيت نوع الاكتفاء مع الاشارة الى قول الشاعر :

ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا مَن كان يألفهم في المنزلِ الخشنِ

وكثيرًا ما تُقتبس المعاني والالفاظ من بعض العلوم كالاصول والنحو والصرف والعروض وغير ذلك كقول ابن الوردي :

شاعرٌ اخرج نصفًا زغَلًا عند خبَّازٍ فلمَّا أنْ عُرِفْ
قال لا يُصرفُ ذا قلتُ لهُ يَصرِفُ الشاعرُ ما لا يَنصرِف

وكما قال آخر يهجو طبيبًا :

قال حمارُ الطبيب موسى لو أنصفوني لكنتُ أركبْ
لأنني جاهلٌ بسيطٌ وراكبي جاهلٌ مركَّبْ

١٠ الارصاد

س ما الإرْصاد

ج الارصاد ويسمّى ايضًا التسهيم وهو ان يقدّم المتكلم في اول نظمهِ او نثرهِ ما يدلُّ على آخرهِ فيستدعي صدر الكلام ما يليهِ (١ كقول عنترة .

ورمحي كان دلّال المنايا فخاض غبارَها وشرى و باعا

فقولهُ « دلّال المنايا » يستدعي الشِراء والبيع . ومنهُ قول البحتري :

واذا حاربوا أذلُّوا عزيزًا واذا سالموا أعزُّوا ذليلا

وكقولهِ ايضًا :

احلّتْ دمي من غير جرمٍ وحرمتْ بلا سَببٍ يوم اللّقاء كلامي
فليس الذي حلّلتِهِ بمحلّلٍ وليس الذي حرّمتِهِ بحرامِ

فانَّ في هذا كلهِ ما يستدلُّ بهِ الأديب على تمام المعنى اذا ما سمع اوّلهُ

ومن الارصاد نوعٌ يُسمّى التوشيح وهو ان يدلَّ اوّل بيت الشاعر على القافية كقول ابي فراس الحمداني :

دعانا والأسِنَّةُ مُشْرَعاتٌ فكنّا عند دعوتِهِ الجوابا

فانَّ قولهُ « دعانا » يستدعي قولَهُ « كُنّا الجوابا »

(فائدة) راجع ايضًا ما ذكرناه عن الترشيح وعن مراعاة النظير (ص ٧٨ — ٨٠)

١ الحموي وابن جابر الاندلسي وكتاب صناعة الترسُّل

١١ التفريق

س ما التفريق

ج هو ان يأتي المتكلم بذكر شيئين من نوع واحد ثم يفصلهما بما يفيد معنًى زائدًا فيما هو بصدده من مدح او ذمّ او غير ذلك من الاغراض الادبية (١ كقول ابن هندو المعروف بِواوا الدِمَشقيّ :

مَنْ قاس جَدْواك بالغمام فما   أنصَفَ في الحكم بين شيئين
انت اذا جدتَ ضاحكٌ ابدًا   وهو اذا جاد دامعُ العينِ

ومثالهُ لغيرهِ يمدح يزيد بن حاتم الازدي ويذمّ يزيد السُلَمي :

لَشتّانَ ما بين اليزيدَين في الندى   يزيد سُلَيمٍ والاغرِّ ابن حاتمِ
فهمُّ الفتى الازديِّ إتلافُ مالهِ   وهمُّ الفتى القيسيّ جمعُ دراهمِ

وكقول آخر :

ما نَوال الغَمام يومَ ربيعٍ   كنَوال الامير يوم سَخاء
فنوالُ الامير بَدرة مالٍ   ونوالُ الغَمام قطرة ماء

ومنهُ قول الفارضيّ في وصف الحضرة الالهية وقد كنّى عنها بالخمرة :

يقولون لي صِفها فانت بوصفها   خبيرٌ أَجَل عندي بأوصافها عِلْمُ
صفـاءٌ ولا ماءٌ ولطفٌ ولا هوًا   ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جِسْمُ

ويقربُ من هذا النوع (التفريق مع الجمع) وذلك ان

١ القزويني والنابلسي والحلّي والحموي

تورد متعدّدًا تحت حُكمٍ واحدٍ ثم تفرّق بينهُ في ذلك الحكم كقول الشاعر:

وجهك كالنار في ضوئها وقلبي كالنار في حرّها

فانهُ شبّه الوجه والقلب بالنار ثم فرّق بينهما . وكقول المتنبي:

الحزنُ يُقلقُ والتجمُّلُ يردعُ والدمع بينهما عَصيٌّ طيّعُ
يتنازعان دموع عين مسهّد هذا يجيءُ بها وهذا يرجعُ

ومن قبيل التفريق نوع (المؤتلف والمختلف). وهو ان يُحاول المتكلم المساواة بين ممدوحَين ثمَّ يُرجّح احدَهما على الآخر بزيادة وصفٍ لا يُنقِص بها حقَّ الثاني (١ كقول الخنساء في اخيها وقد ارادت مساواتَهُ بابيها مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضلٍ لا ينقص بهِ حقّ الولد (راجع شرح ديوان الخنساء ص ١٣٦ – ١٣٩)

جارى اباهُ فَاقبَلا وهما يَتَعاوران مُلاءة الفَخرِ
حتَّى اذا نزَت القلوبُ وقد لُزَّت هناك العذرَ بالعُذرِ
وعلا طِباقَ الارض أيُّهما قال المُجيبُ هناك لا أدري
برقت صحيفة وجه والده ومضى على غُلَوائهِ يجري
أَوْلى فاولى أنْ يُساويَهُ لولا جلالُ السنّ والكِبرِ
وهما وقد برزا كأنَّهما صَقرانِ قد حَطّا الى وَكْرِ

وقال زهير يصف ابوَي هرم بن سنان ممدوحهِ:

هو الجوادُ فإن يلحقْ بشأْوهما على تكاليفهِ ما مِثلُهُ لَحِقا
او يسبقاهُ على ما كان من مَهَلٍ فمثل ما قدّما من صالحٍ سبقا

---

١ الحموي وعبد الغني النابلسي مع اصحاب البديعيّات

١٢ الاستطراد

س ما الاستطراد

ج هو ان يخرج المتكلم من غرض هو بصدده كالمدح او الوصف الى غرض آخر لمناسبة بينهما فيوهم انه يستمر في المعنى (١ كقول عبد المطلب وقد استطرد من المجد الى النوم :

لنا نفوسٌ لنيل المجد عاشقةٌ فان تسلّت أسلناها على الأسلِ
لا ينزلُ المجدُ الّا في منازلنا كالنّوم ليس لهُ مأوى سوى المُقَلِ

وكقول السموأل وقد خرج من الفخر الى الهجو :

وانّا لقومٌ لا نرى الموت سبةً اذا ما رأتهُ عامرٌ وسَلُولُ

ومثلهُ قول المتنبي وقد استطرد من رثاء فاتك الى هجو كافور :

قبحاً لوجهك يا زمان فانهُ وجهٌ لهُ من كل لؤمٍ برقُعُ
أيموتُ مثلُ ابي شُجاعٍ فاتكٍ ويعيش حاسدهُ الخصيُّ الاوكعُ

١٣ الاستتباع

س ما الاستتباع

ج هو ان يذكر الكاتب معنًى من مدح او ذمّ او ما شابه ذلك فيلحقهُ بمعنًى آخر من جنسهِ يقتضي زيادة في ذلك الوصف ٢) كقول ابي الطيّب :

١ السيوطي والنابلسي وشهاب الدين الحلبي

٢ التفتازاني وشرح المفتاح . وهذا النوع دعاهُ ابن الرشيق في العمدة الاستثناء ودعاهُ الثعالبي في يتيمة الدهر المدحَ الموجّه

تَعَبتَ من الأعمارِ ما لَوْ حويتَهُ لهُنِّئَتِ الدنيا بأنّك خالدُ

قال الحموي : انهُ مدحهُ بالشجاعة على وجه استتبعَ مدحَهُ بكونهِ سبباً لاصلاح الدنيا حيث جعلها مهنّأةً بخلودهِ . وكقولهِ ايضاً وقد جمع بين مدح السخاء والشجاعة :

ألا أيّها المالُ الذي قد ابادهُ تسلَّ فهذا فِعلهُ بالكتائبِ

ومثالهُ في للذمّ ما ذكرناهُ في باب المشاكلة في هجو قاضٍ (ص ٩٥)

ولا يفرق كثيرًا عن الاستتباع نوع (التفريع) وهوَ على ما حدّهُ القزويني في تلخيص المفتاح : ان يُثبّت لمتعلقِ أمرٍ حكمٌ بعد اثبات ذلك الحكم لمتعلّقٍ لهُ آخر (١ كقول الكميت :

أحلامكم لسَقام الجهل شافيةٌ كما دِماؤكُمُ تشفي من السَّقَمِ

١٤ . التهكُّم

س ما التهكُّم

ج قال ابن المعتزّ والجاحظ : التهكُّم وهو الهَجو عبارة عن الهزء والسُّخريّة بذي نَقص كما قال بعضهم في احمق :

لو انَّ خفَّة عقلهِ في رجلهِ سبق الغزالَ ولم يَفُتْهُ الارنبُ

وكقول الحلّي :

أشبعتَ نفسك من ذمّي فهاضك ما تلقى وأقبحُ موتِ الناس بالتُّخَمِ

وقول جرير يذمُّ بني تَيم :

---

١ الموصلي والنابلسي

فانك لو رأيتَ عبيدَ تَيْمٍ وتَيْماً قلتَ ايُّهمُ العبيدُ

او كقول الحاجري في طبيب:

يمشي وعزرائيل من خلفهِ مشمِّرُ الآرْدانِ للقبضِ

وكقول المتنبي :

إن اوحشتْك المعالي فانَّها دارُ غُربه او آنستْك المخازي فانَّها لك نِسبه

واحسن التهكُّم ما أتى فيهِ المتكلم بلفظ الإِجلال في موضع التحقير وبلفظ البشارة في مكان الإِنذار وبلفظ الوعد في معرض الوعيد او ما يكون ظاهرهُ المدح وباطنهُ القدح كقول ابن الذروي في وصف احدب :

لا تظنَّنَّ حَدْبةَ الظهر عيباً فهي في الحُسْنِ من صفات الهلال
وكذاك القسيُّ مُحْدَوْدِباتٌ وهي أنكى من الظُّبا والعوالي
واذا ما علا السَّنامُ ففيهِ لِقُروم الجِمالِ ايُّ جَمالِ
كوَّن الله حَدْبةً فيك ان شئتَ من الفضل او من الإِفضالِ
فأتتْ ربوةً على طَوْدِ علمٍ واتتْ موجةً ببحر نَوالِ
ما رآها النساءُ الَّا تمنَّت أنْ غدت حِليةً لكلِّ الرجالِ

وكقول ابن الروميّ :

فيا لهُ من عملٍ صالحٍ يرفعهُ الله الى اسفلِ

ولا يفرق كثيرًا عن التهكم النوع المعروف عند البديعيين (بالهجاء في مَعْرِض المدح) الّا ان التهكم لا يخلو

من اللفظ الدالّ على نوعٍ من انواع الذمّ امّا الهجاء في معرض المدح فلا يقع فيهِ شيء من ذلك ولا تزال الفاظهُ تدلّ على ظاهر المدح حتّى يُقرَن بها ما يصرفها عنهُ كقول ابي نواس في بخيل :

ابو جعفرٍ رجل عالم بما يصلح المعدة الفاسدة
تخوَّف تخمةً اضيافهِ فعوَّدها اكلةً واحدةً

والهجاء في معرض المدح شبيه (بتاكيد الذمّ بما يشبه المدح) ليس بينهما فرق يُعبأ بهِ (١

وقد يأتي الهزل على صورة اخرى تُعرَف عند البديعيين (بالهزل المراد بهِ الجدّ) وهو ان يقصد المتكلم غرضًا من الاغراض كالطلب والوصف والاعتذار وغير ذلك فيخرج ذلك المقصود مُخرَج الهزل (٢ كقول بعضهم يطلب عَلفًا لحمارهِ من رجلٍ استضافهُ :

أوَلَيْتَني فضلًا وانّي عاجزٌ ما طال عمري انْ اقومَ بشكركا
انا في ضيافتك العشيَّةَ كلّها فاجعل حماري في ضيافة مُهْركا

امّا اذا اراد المدحَ فخرج من القصد الى الهزل فيسمى (المدح في معرض الذمّ) كقول النابغة النبياني :

---

١ راجع الحموي وابن جابر الاندلسي ونفحات الازهار
٢ كل البديعيّات

ولا عيبَ فيهم غير انَّ سيوفهم — بهنَّ فلولٌ من قِراعِ الكتائبِ

وكقولهِ ايضًا :

فتًى كملَت اوصافهُ غير أنهُ — جوادٌ فما يبقي على المال باقيا

وربما اورد الشاعر هجوًا على لسان ضعيف كي يكون مدحًا للمهجو فيتمّ ما قال المتنبي :

واذا اتتكَ مذمّتي من ناقصٍ — فهي العلامةُ لي بأنّي كاملُ

وكلُّ هذه الانواع اذا لم يدخلهـا شي من سخَف المعاني وبَذاء الالفاظ تدخل في النوع المدعوّ عند البديعيين بالنزاهة

البحث الثالث

في

الاشكال الراجعة لتوشية الكلام وتفكيه المُخيِّلة

س ما هي هذه الاشكال

ج هي ثمانية : الاستحضار والمراجعة ومعاتبـة الانسان نفسـهُ والمغايرة والطي مع النشر والمشتقّ وائتلاف اللفظ مع المعنى وحسن التخلُّص

١ الاستحضار

س ما الاستحضار

ج هو ان يَنسب المتكلم الخطابَ او بعض اعمالِ العاقل لميتٍ او لعديم النطق والحسّ غايتهُ ان يزيد الموصوف حسنًا ورونقًا (١ كقول ابي الفرج الساوي من مطلع قصيدة يرثي بها فخر الدولة :

هي الدنيـا تقول بملء فيها حذَارِ حذَارِ من بطشي وفتكي
فـلا يغررْكمُ مني ابتسامٌ فقولي مُضحكٌ والفعلُ مُبكي

وكقول ابي البقاء صالح في رثاء الاندلس :

حتَّى المحاريبُ تبكي وهي جامدةٌ حتَّى المنابرُ ترثي وهي عيدانُ

ومنهُ قول ابي العتاهية على لسان قبر :

اني سألتُ القبرَ ما فعلَتْ بعدي وجوهٌ فيك مُنعَفِرهْ
فأجابني صيَّرتُ ريحَهمُ تُؤْذيك بعد روائحٍ عَطِرهْ
واكلتُ اجسادًا مُنعَّمةً كان النعيمُ يهزُّها نَضِرهْ
لم أُبقِ غيرَ جماجمٍ عَرِيَتْ بيضٍ تلوح واعظُمٍ نَخِرهْ

وجاء لبعضهم في مدح دبيس بن مزيد :

سالتُ الندى والمجد حيَّانِ انتما وهل عشتما من بعد آل محمَّدِ
فقالا نعم متنا جميعًا وضمَّنا ضريحٌ واحيانا دبيس بن مَزْيَدِ

(١) جاء في كتاب سِرّ العربيَّة : ان العرب يضيفون الفعل والعقل الى ما ليس بفاعلٍ على الحقيقة . ومن سُننهم ان يُعبّروا عن الجماد بفعل الانسان فيقولون « امتلأَ الحوضُ وقال : قطْني » : فنسبوا الكلام للحَوْض

(راجع ايضاً المبارزة بين بلاد الاندلس في الجزء السادس من مجاني الادب الصفحة ٦٢)

(فائدة) هذا النوع لم ينتبه اليهِ اصحاب البديعيّات وهو حقيق ان يُنتَظم في سلك احسن ضروب البديع كما ترى

٢ المراجعة

س ما المراجعة

ج هي ان يذكر المتكلم حادثةً جرت بينهُ وبين غيرهِ من سؤال وجواب باحسن عبارة في ارشق سَبْكٍ واسهل لفظٍ (١ كقول ابي نواس وقد احسن:

قال لي يوماً سليما نُ و بعض القول اشنع
قال صِفني وعليــاً أيُّنا اسخى وابرَعْ
قلتُ انّي إن أَقُلْ ما فيكما بالحقّ تجزعْ
قال كلّا قلتُ مَهْـلًا قال قُلْ لي قلتُ فاسمعْ
قال صفهُ قلتُ يُعطي قال صفني قلتُ تمنعْ

ومثلــهُ قول بعض الاصدقاء وكان لم يُراعِ حقّ الوداد فجاء مستغفرًا :

فقــال صديقي اذ رآني ببابهِ مَنِ الوالهُ الباكي فقلتُ غريبُ
فقال اتانا مُخبِرٌ عنك بالّذي اذعتَ من الاسرار قلتُ كذوبُ
فقال بلى قد جاءنا غيرُ كاذبٍ امينٌ صدوق القولِ قلتُ اتوبُ
فقال ألّا بالله ما انت صانعٌ اذا نحنُ ابعدناك قلتُ اذوبُ

١ حلية البديع للشيخ بكره جي و بديعيّة الموصلي والحلّي

ومنهُ ايضاً قول البحتري يمدح جود محمَّد بن يحيي :

سألتُ الندى والجودَ ما لي اراكما   تبدّلتما ذلّاً بعزٍّ مؤبّدِ
وما بالُ رُكن المجد أمسى مُهدَّمًا   فقالا أُصِبنا بابن يحيي محمَّدِ
فقلتُ فهلّا مُتُّما عند موتهِ   فقد كنتما عبدَيه في كلّ مَشهَدِ
فقالا أَقمنا كي نُعزَّى بفقدهِ   مسافةَ يومٍ ثمَّ نَتلوهُ في غدِ

٣ عتاب المرء نفسهُ

س ما هي حقيقة هذا النوع

ج هي ان يوجّه الانسانُ الخطابَ الى نفسهِ فيبكّتها على امرٍ من الامور (١ كقول الحماسيّ :

اقول لنفسي في الخلاء اَلومُها   لكِ الويل ما هذا التجلُّد والصبرُ

وكما قال ابو تمَّام من ابيات زهدية وفيها ايضاً شاهد على نوع التسليم :

اقولُ لنفسي حين مالت بصفوها   الى خطَراتٍ قد تجنَّ آمانيا
هَبيني من الدنيا ظَفِرتُ بكلّ ما   تمنَّيتُ أَو أُعطيتُ فوق مُنائيا
أَلَسْنَ الليالي غاصباتي مُهجتي   كما غصبتْ قبلي القرونَ الخواليا

(فائدتان) الاولى ان هذا النوع يتضمَّن ما خلا معاتبة المرء نفسهُ التوجُّع والتفجُّع والتقصير وتأكيد اللامة من الغير وما اشبه ذلك (٢ كقول المتنبي :

١ ابن المعتز وابن ابي الاصبع
٢ شرح بديعية ابي الوفاء

أَبِعَيْنِ مُفْتَقِرٍ اليك نظرتني فأهنتني ورميتني من حالقِ
لستَ الملومَ انا الملومُ لأنني أنزلتُ آمالي بغير الخالق

الثانية وكثيرًا ما يخاطب الانسان نفسهُ دون عتاب او يخاطب غيرهُ وهو يريد نفسَهُ ويُسمّى ذلك التجريد (١ كقول ابي الطيّب:

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالُ فليسعدِ النطقُ ان لم تُسعد الحالُ

والتجريد بابٌ واسع عند العرب لكنّهُ بالنحو احقُّ منهُ بالبديع (٢

٤ المغايرة

س ما المغايرة

ج المغايرة وقد سمّاها البعض التلطُّف هي ان يتلطَّف الكاتب فيمدح ما ذمَّهُ هو او غيرهُ ويذمُّ ما مدح (٣ كما فعل الحريري في مقامتِهِ الثالثة الدينارية فمدح بها اولًا الدينار ثمَّ حاول فذمَّهُ

ومن هذا القبيل قول علي بن الجَهْم يمدح الحَبْس (راجع الجزء الثالث من مجاني الأدب الصفحة ١٥٤)

ومثلهُ قول بعضهم في الحسَّاد:

١ ابن جابر الاندلسيّ

٢ حدَّ شهاب الدين الحلبيّ التجريد في كتاب حسن التوسُّل فقال: هو ان يُنتزَع من امرٍ ذي صفةٍ امرٌ آخر مثلهُ. وفائدتهُ المبالغة في تلك الصفة كقولهِ: « لي من فلان صديقٌ حميم » اي بلغ من الصداقة حدًّا صحَّ معهُ ان يُستخلَص منهُ صديق آخر. ومثلهُ قولهم: لقيتُ من زيدٍ أسدًا. وقولهم « لئن سألتَ فلانًا لتسألنَّ بهِ البَحرَ » فجرَّدوا من الموصوف صِفَةً كأنَّها غيرهُ وهي هو

٣ كلّ البديعيات

لا ماتَ حُسّادك بل خُلِّدوا حتّى يروا منك الذي يُكمِدُ
ولا خلاك الدهرُ من حاسدٍ فانَّ خيرَ الناس من يُحسَدُ

ومن ذلك رثاء ابي الحسن الانباري في ابي طاهر وقد حاول ان يمدحَهُ مصلوبًا (راجع الجزء الخامس من مجاني الادب صفحة ٢٣٧)

وكقول امير المؤمنين عليّ في مدح الدنيا:

الدنيا دار صِدْق لمن صدَّقها . ودار عافية لمن فَهِم عَنْها . ودار غنًى لمن تزوَّد منها . هي مسجد احبَّاء الله ومَهْبط وحيهِ ومَتْجر أوليائهِ . اكتسَبوا فيها الرحمة وربحوا منها الجنَّة . فمن ذا يذمُّها وقد آذنتْ ببَيْنِها ونادت بفراقها ونعَتْ نفسها واهلَها وشوَّقت بسرورها الفاني الى السرور الباقي

(فائدة) وقد صنف الثعالبي كتاب الطرائف واللطائف في مدح الشيء وذمّهِ وهو كلهُ من باب المغايرة

٥ الطيّ والنشر

س ما الطيّ والنشر

ج هذا النوع ويسمَّى اللفّ والنشر ايضًا هو عبارة عن ذكر شيء معدَّدًا ثمَّ الاتيان بتفسيره مع رعاية الترتيب او دون رعايتهِ ثقةً بانَّ السامع يردّ الى كلٍّ واحد من المعدَّد ما لهُ (١ كقول القرآن « جعل الله لكم الليل والنهار لتسكُنوا فيهِ ولتبتغوا من فضلهِ » . فالسكون راجع الى الليل وابتغاء الفضل الى النهار . ومنهُ قول الشاعر :

الستَ انتَ الذي من وِرْدِ نعمتهِ وورْدِ راحتهِ اَجني واغترِفُ

١ صناعة الترسُّل وابن المعتزّ

ومثلهُ قول ابن الروميّ :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دَجَوْنَ نجومُ
فيهــا مَعالمُ للهُدى ومصابحٌ تجلو الدُّجى والأُخرَيات رُجومُ

وللحلّي قولهُ في الملك الصالح سلطان ماردين :

كالبحر والدهر في يومَيْ ندًى وردًى والليثِ والغيثِ في يومَيْ وغًى وقِرى

ويقرب من اللفّ والنشر (التفسير) وهو ان يعود المتكلّم على المتعدّد فيذكر كلّ مفردٍ مع تفسيرهِ [١] كقول ابن مُشهر :

غيثٌ وليثٌ فغيثٌ حين تسألهُ عُرفًا وليثٌ لدى الهيجاء ضَرغامُ

ومنهُ قول الشاعر :

يُحيي ويُردي بجدواهُ وصارمهِ يُحيي العُفاةَ ويُردي كلَّ من حسدَا

ومثلهُ قول الخنساء في قومها :

هُمُ منَعوا جارَهُمْ والنسا ءَ يُحفِزُ احشاءها الموتُ حَفزَا
ببيض الصِفاحِ وسُمرِ الرماحِ فبالبيض ضَربًا و بالسُمرِ وَخزَا

٦ المشتقّ

س ما المشتقّ

ج هو ان ينتزع المتكلم من اللفظ معنًى في غرض يقصدهُ من مدح او هجاء [٢] كقول ابن دريد في نِفطويه :

من سرَّهُ أن لا يرى فاجرًا فَليَجتهدْ ان لا يرى نفطويْهْ
أحرقَهُ الله بنصف اسمهِ وصيَّر الباقي صُراخًا عليهْ

---

١ كلّ البديعيَّات ٢ السيوطي والشيخ بكره جي

وكقول الآخر في هجاء الاصمعي :

والاصمعيُّ اذا ما قيسَ منهُ بهِ فهو الأصمُّ وفي تركيبهِ عيُّ

وقال اعرابيٌّ في ثابت قُطنة الشاعر يهجوهُ :

لا يعرفُ الناس منهُ غير قطنتهِ وما سواهُ من الانسان مجهولُ

ومثلهُ قول العباس بن الاحنف :

اصبحتُ اذكرُ بالرَّيحان رائحةً منكم فللنَّفس بالريحانِ ايناسُ
واهجرُ الياسَمين الغض من حَذَري عليك اذ قيل لي شطرُ اسمهِ ياسُ

ومن هذا النوع قول البلغاء : « الانسان من النِسيان » وقولهم : « المال ميَّال » وقولهم ايضاً : « القَلْب كاسمهِ » يريدون انهُ كثير التقلُّب

ومثلهُ قول قاضٍ يلقّب بالقَرْعة وقد شهد عندهُ رجل يدعى ايضاً بالقَرْعة فقال : لم ارَ كاليوم القرعةُ تقضي والقرعةُ تشهد

٧ ائتلاف اللفظ مع المعنى

س ما هو ائتلاف اللفظ مع المعنى

ج هو ان تختار لما اردتَ بيانَهُ من المعاني صورةً من الالفاظ يكادُ النُّطق بها يُمثّلهُ للحواسّ (١ كقول ابي الحليم يصف قتالًا في خطبةٍ لعيد الصليب :

اذا احتدمَت بين الصفوف نارُ الحرب واشتدَّ اللدَد . وازعجَت القلوبَ

١ راجع الحموي والنابلسي . وقد ارادا من ائتلاف اللفظ مع المعنى غير ما ذكرنا . قال النابلسي : هذا النوع عبارة عن ان تكون الفاظ المعاني المطلوبة ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى فاذا كان المعنى فخيماً كانت الالفاظ جزلةً وان كان لطيفًا او غريبًا او متوسّطاً كانت رقيقة او غريبة او متوسّطة (اه) . قلنا وهذه صفة من صفات الانشاء ليست نوعًا من البديع

غمغمةُ الابطال وصَلْصلة الصوارم وتَخشخشةُ العُدَد . وتغشت الابصارُ من هَبَوات المعارك واشتباك القساطل . وأدهشت الافكارَ شعشعةُ اللهاذم وقطُ البواتر واصطكاك الجحافل . نظروا الى جهة العلَم المشدود واللواء المعقود . . .

وكقول ابي العتاهية للرشيد يصف له فُوَاق المحتضَر :

وإذا النفوسُ تَقعقعت في ظلّ حشرجة الصدورْ
فهناك تعلم مُوقِنًا ما كنتَ الّا في غرورْ

وقول مُقْري الوحش في زهريّتهِ في وصف خرير الماء :

والماء بين تَرَقرُقٍ وتدفُّقٍ وتفنّدٍ وتسلسلٍ وتجعّد

ومن ذلك قول جرير في رجل نَهِم كثير الاكل :

وُضع الخَزيرُ فقيل اينَ مُجاشع فشحا جحافلَهُ جُرافٌ هِبلَعُ (١

ومنهُ ايضًا قول امرئ القيس في فرس :

مِكَرّ مِفَرّ مُقبلٍ مُدبرٍ معًا كجُلْمود صخرٍ حطّهُ السيلُ من عل

وللحلّيّ في وصف شجاع :

مستقتلٌ قاتلٌ مسترسلٌ عجِلٌ مستأصلٌ صائلٌ مستعجلٌ خَصِمُ

ولبعض المحدَثين في وصف عسكرٍ :

ليس الملا الّا المراكب والموا كبُ والقواضب والقنا والأدرعُ
ثمّ السوابق والسرادق والبنا دقُ والصواعقُ والمنيّة تتبعُ

٨ حسن التخلّص

س ما التخلّص

ج قال صاحب المثل السائر: هو خروج الكاتب من

١ الخزير أكلة للعرب . وشحا جحافِلَهُ اي فتح فاه . والجحفل شفة الخيل والبغال . الجراف الاكول . والهبلع النهم

معنًى الى معنًى برابطة . لتكون رقاب المعاني آخذة بعضها ببعض ولا تكون مقتضبة . وهذا ركنٌ يشترك فيهِ الكاتب والشاعر (١ كقول ابن التنبيه :

يا طالب الرزق إن سُدَّت مذاهبهُ قُلْ يا ابا الفتح يا موسى وقد فُتِحَتْ

وكقول ابي البقاء الرنديّ وقد انتقل من شكوى الدهر الى رثاء الأندلس :

فجائعُ الدهر انواعٌ منوَّعةٌ وللزمان مسرَّاتٌ واحزانُ
وللحوادث سُلوانٌ يسهِّلها وما لما حلَّ بالاسلام سلوانُ

ومن احسن ما جاء في التخلص قول زُهير في مدح هَرِم :

انَّ البخيل مَلومٌ حيث كان ولـٰـكنَّ الكريمَ على علّاتهِ هرِمُ

ومثلهُ قول ابي نواس في الامير خصيب :

فقلتُ لها واستعجلَتْها بوادرٌ جرت فجرى في إثرهنَّ عبيرُ
دعيني أُكثِرْ حاسديكِ برِحلةٍ الى بلدٍ فيهِ الخصيبُ اميرُ

(فائدة) اعلم انَّ باب التخلُّص جليل في موقعهِ وهو احق ان يُنظم في سِلك صفات الانشاء منهُ ان يُدعى نوعاً من البديع . وقد اكتفينا بالاشارة اليهِ هنا وانما سنذكر منهُ نبذة في الجزء الثاني من تأليفنا ان شاء الله

---

١ قال الحَمَوي : هو ان يُستطرد الشاعر المتمكّن من معنىً الى معنىً آخر يتعلّق بممدوحهِ بتخلُّص سهلٍ يختلسهُ اختلاساً رشيقاً دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من الاوَّل الّا وقد وقع في الثاني لشدَّة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما كأنهما قد أُفرِغا :



الباب الثاني
في
البديع اللفظيّ

س ما البديع اللفظي

ج قد تقدّم ان البديع اللفظي هو ما رجعت وجوه تحسينه الى اللفظ دون المعنى فلا يبقى الشكل اذا تغير اللفظ (١ كقول ابي الفتح البستي:

اذا ملكٌ لم يكن ذا هِبَهْ فدعهُ فدولتُهُ ذاهِبَهْ

فانك اذا بدلت لفظة « ذا هِبَهْ » بغيرها ولو بمعناها فيسقط الشكل البديعيّ بسقوطها

س كم هي اشكال البديع اللفظي

ج اخصُّها سبعة (٢: الجناس والعكس والتصدير والترتيب والتوشيع وتنسيق الصفات والتعديد

١ الجناس

س ما الجناس

ج هو تماثل اللفظ او بعضهِ مع اختلاف المعنى (٣

---

١ التهانوي وابن جابر الاندلسي وابن المعتزّ
٢ قد مرّ ذكر بعض اشكال تدخل في البديع اللفظي كالتكرار والسجع
٣ جنان الجناس للصفدي وابن المعتزّ والمثل السائر

س كم هي انواع الجناس

ج للجناس نوعان: تامٌّ وناقص

س ما هو الجناس التامّ

ج الجناس التامّ هو ما اتّفقت لفظتاهُ في عدد الحروف وانواعها وهيئاتها وترتيبها سواء كان مفردًا او مركّبًا كقول المعرّي. والشاهد في لفظة « انسان » وردت بمعنيين:

لم يَبقَ غيرُكَ انسانٌ يُلاذُ بهِ فلا بَرِحتَ لعين الدهر انسانا

وكقول ابي نواس في الفضل بن الربيع:

عبّاسُ عبّاسٌ اذا احتدم الوغى . والفضلُ فضلٌ والربيعُ ربيعُ

ومنهُ قول الشاعر:

عضّنا الدهرُ بنابِهْ ليتَ ما حلّ بنا بِهْ

وكقول آخر:

لا تعرضنَّ على الرواة قصيدةً ما لم تكن بالغتَ في تهذيبها
فاذا عرضتَ القولَ غير مهذّب عدُّوهُ منك وَساوساً تَهذي بها

س ما هو الجناس الناقص

ج الجناس الناقص ما اختلفتْ حروفهُ سواء كان الاختلاف في النوع او العدد او الهيئة كقولهم « فلانٌ حامٍ حاملٌ لأعباء الامور. كافٍ كافلٌ بمصالح الجُمهور». او ايضاً « فلانٌ سالٍ من آحزانهِ. سالمٌ من زمانهِ». وكقول ابي تمّام:

يمدّون من ايدٍ عَواصٍ عَواصمٍ تصولُ باسيافٍ قواضٍ قواضبِ

س ما هو الجناس المتكافئ والمحرَّف والمقلوب والمزدوج

ج هي انواع من الجناس الناقص . (فالجناس المتكافئ) ما اختلفت انواعُ حروفهِ كقول الحريري : « بيني وبين كِنّي ليلٌ دامس . وطريقٌ طامس » . او قول القرآن « ينهَوْن عنهُ وينأَون » . او ما ورد في الحديث « الخَيْل معقود في نَواصيها الخَيْر » . وكقول الحطيئة في مدح قوم :

مَطاعينُ في الهيجا مطاعيمُ في الدُّجى بنَى لهمُ آباؤهم وبنى الحمدُ

او كقول ابي نواس :

من بحر شعركَ أغترِفْ وبفضل علمكَ اعترِفْ

ومِنهُ للمعرّي في دِرعٍ :

ضافيةٌ في الجرّ صافيةٌ ليستْ بمَطويّة على قَذَمِ

(والجناس المحرَّف) هو ما اختلفت هيئات حروفهِ إمَّا بالحركات وامَّا باللفظ كقول شرف الدين الانصاري يصف حزنهُ لفراق صديق :

لعيني كلَّ يومٍ الفُ عَبْرَهْ تُصيِّرني لأهل الحيّ عِبْرَهْ

او كقول الحريريّ يصف هُيام الجاهل بالدنيا :

ما يستفيق غراماً بها وفرط صَبابَهْ
ولو درى لكفاهُ ممَّا يرومُ صُبابَهْ

ومنهُ قول بعضهم في وصف سيّد :

احسنُ خَلْقِ الله وجهاً وفَماً ان لم يكن احق بالحُسنِ فَمَنْ

(والجناس المقلوب) هو ما اختلف ترتيب حروفهِ فقط

كقول الاحنف والشاهد في « فتح وحتف » :

حسامك فيهِ للاحباب فتحٌ ورمحك منهُ للاعداءِ حتفُ

او كقول آخر وقد قلب لفظة « لاح » :

لاح انوارُ الهدى من كفِّهِ في كلّ حالِ

(فائدة) ومن القلب ما يُقرأُ طردًا وعكساً كقول الأرّجاني :

مودّتهُ تدومُ لكلّ هَولٍ وهل كلٌّ مودّتهُ تدومُ

(والجناس المزدوج) وهو ان يُؤتى بلفظتين متجانستين احداهما ضميمة للاخرى كقول الفارضي يصف العزّة الالهية :

فما سكنتْ والهمُّ يومًا بموضعٍ كذلك لم يسكُن مع النقَمِ النِّعَمْ

ومثلهُ قول بعضهم :

وكم سبقَت منــهُ اليَّ عوارفُ ثنايَ على تلك العوارف وارفُ
وكم غُررٍ من برّهِ ولطائفٍ لشكري على تلك اللطائف طائفُ

س هل يُستحسن الاكثار من الجناس

ج قال المُطرّزي : انواع الجناس لا تُستحسَن حتى يُساعد اللفظُ المعنى ولا تُستلَذُّ حتى تكون عذبةَ الإصدار والايراد سهلة المَقاد ولا تبدُعُ حتى يساوي مصنوعُها مطبوعَها مع مراعاة النظير (١

(راجع في مقالات علم الادب ص ٣١٧— ٣٢٥ ما رويناهُ منقولاً عن الأئمة في التجنيس وانواعهِ)

١ قال ابن الرشيق في كتاب العُمدة : الجناس من أنواع الفَراغ وقلّة الفائدة ومماً لا يُشَكُّ في تكليفهِ . وقد كثُر منهُ هؤلاء الساقة المتعقّبون في نظمهم ونثرهم حتَّى بردَ وركَّ

٢ العكس

س ما العكس

ج هو تقديم المؤَخَّر وتأخير المقدَّم (١ كقول المتنبي :

ولا مجدَ في الدنيا لمن قلَّ مالهُ ... ولا مال في الدنيا لمن قلَّ مجدهُ

ومثالهُ قول الاضبط بن قُرَيع :

قد يجمعُ المالَ غيرُ آكلهِ ... ويأكلُ المالَ غيرُ مَن جَمَعَهُ

ويقطع الثوبَ غير لابسهِ ... ويلبس الثوبَ غير مَن قطَعَهُ

ومنهُ قول أنُوشِرْوان الحكيم «إذا لم يكن ما تريد فأَرِد ما يكون»

ومثلهُ قول حسَن بن سَهل وقيل لهُ «لا خير في السَرَف. قال: لا سرَف في الخير» فردَّ اللفظ واستوفى المعنى

٣ التصدير

س ما التصدير

ج التصدير ويُعرف بردّ العجز على الصدر هو أن يؤتى بكلمة في صدر البيت او الفِقْرَة ثمَّ تُعاد في أوَّل العجز او آخرهِ او بختام الفِقرة (٢ كقول الحريري :

«تخشى الناس والله احقُّ ان تخشاه». وقول الآخر: «الحيلة تركُ الحيلة».

وكقول بعضهم في الهجو :

١ الشريشي وابو الحجة

٢ كل البديعيات

سريعٌ الى ابن العم يلطمُ وجههُ   وليس الى داعي الندى بسريعِ

وكقول آخر :

وحقّهمْ ما نسينا عهد ودّهمِ   ولا طلبنا سواهم لا وحقّهمِ

ومثلهُ لشاعر :

ازرعْ جميلًا ولو في غير موضعهِ   فلا يضيعُ جميلٌ أينما زرِعا

٤ الترتيب

س ما الترتيب

ج هو انْ يعمد الكاتب الى معدّد من وصف او موصوف فيوردهُ بالتدريج على مقتضى ترتيب الطبيعة (١ كقول القرآن :

انّا خلقناكم من تراب ... ثمّ نخرجكم طِفلًا ثمّ لتبلغوا أشُدَّكم ثمّ لتكونوا شيوخاً

ومثلهُ قول زُهير في العَمَل البشري :

يؤخَّرْ فيوضَعْ في كتابٍ فيُدّخرْ   ليومِ حسابٍ او يعجّلْ فيُنقمِ

ومنهُ ايضاً قول الحارثي في الفراق :

ألمّوا فحيّوا ثمّ قاموا فودّعوا   فلمّا تولّوا كادتِ النفس تزهقُ

٥ التوشيع

س ما التوشيع

ج هو عبارة عن ان يأتي المتكلم باسم مثنّى في حشو

---

١ السيوطي وابن المعتزّ

عجز ثم يأتي باسمَيْن مُفردين هما عين ذلك المثنَّى يكون الآخر منهما قافية بيتهِ او سجعة كلامهِ (١ كقول بعضهم في الفراق :

أُمسي وأُصبح من تَذكاركم وَصِبًا يرثي ليَ المُشفقانِ الاهلُ والولدُ
قد خدَّد الدمعُ خدّي من تذكُّركم واعتادني المُضنيانِ الوَجْد والكمدُ
وغاب عن مقلتي نومي لنيبتكم وخانني المُسْعدانِ الصبرُ والجلدُ
لا غروَ للدمع ان تجري غواربهُ بحشْــهُ المُظلمانِ القلب والكبدُ
لم يبقَ غير خفيّ الروح في جسدي فدًى لك الباقيانِ الروح والجسدُ

وجاء لجرير بن عبد المسيح المعروف بالمتلمِّس :

انَّ الهوانَ حمارُ الذلّ يعرفهُ والحرُّ يُنكِرهُ والرَسْلَةُ الأُجُد (٢
ولن يقيمَ على خسفٍ يسام بهِ الّا الأذلّانِ عَيرُ الحيِّ والوَتد

٦ تنسيق الصفات

س ما تنسيق الصفات

ج هو الاتيان بصفات متوالية على سياق واحد دون عاطف (٣ كقول الهمذاني :

خِلٌّ كريمٌ جوادٌ ماجدٌ بطلٌ عفٌّ اديبٌ بصيرٌ عالمٌ خبِرُ

---

١ ابن المعازّ والعسكري
٢ الرَسْلَة الناقة السَهلة السَيْر . والأُجُد القوية الموثَّقة الخَلْق
٣ التيفاشي والحموي

وكقول ابن الجزري :

شجاعٌ مُطاعٌ عادلٌ باذل اللُّهى   وفيٌّ سخيٌّ أريحيٌّ سميدعُ
إمامٌ هُمامٌ فاضلٌ كاملُ النُّهى   اميرٌ خطيرُ القدرِ امجدُ أروعُ

٧ التعديد

س ما التعديد

ج هو عبارة عن ذكر اسماء منفردة على سياق واحد يضمُّها العاطف كقول المتنبيء :

إن تلقهُ لا تلقَ الَّا جحفلًا   او قسطلًا او طاعنًا او ضاربا
او هاربًا او راعبًا او طالبًا   او راهبًا او هالكًا او نادبا

وكقولهِ ايضًا :

الخيـلُ والليـلُ والبيداء تعرفني   والسيفُ والرمحُ والقِرطاسُ والقلمُ

وقال ابن حسين الجزّار يعارض المتنبيء في قولهِ هذا ويُلمّح الى حرفتهِ :

فان يكنْ احمد الكنديُّ متَّهمًا   بالفخر يومًا فاني الدهرَ متَّهمُ
فاللحمُ والعَظْمُ والسكّين تشهد لي   والحدُّ والقطع والساطورُ والوَضَمُ



الفصل الثاني

في

فنون الانشاء

قد قدَّمنا انَّ مدار علم الانشاء على ركنَيْن اصولهِ وفنونهِ فقد انجزنا بحولهِ تعالى القول في شرح اصول الكتابة فبقي علينا ان نبسط الكلام في فنون الانشاء

س ما هي فنون الانشاء

ج هي ضروبهُ وطرُقهُ حسب اختلاف مواضيعهِ

س كم هي هذه الفنون

ج هي سبعة: الامثال المُختلَقة والوصف والمناظرة والرواية والمقامات والتاريخ والرسالة . وسنفرد لكل فنٍّ فصلًا

(فائدة) انَّ للخطابة والشعر فنونًا خُصَّت بهما وسيأتي عليهما الكلام في الجزء الثاني من تأليفنا . والغاية هنا ان نبحث في الفنون المشتركة بين النثر والنظم وفي ضروب التأليف التي لا يُراد بها الاقناع او مجرَّد التخييل



ألفنّ ٱلأوَلُ

في الامثال المختلقة

اعلم انَّ الامثال على صنفين منها الاقوال السائرة الموجزة المتشبّه بموردها وقد مرَّ ذكرها (راجع صفحة ١٧٨)٠ ومنها ما كان روايةً مُختلقة تُورَد على السنة الحيوانات والجمادات وغيرها٠ وعليها الآن مدار كلامنا

س ما المثَل

ج قال الشريشي: المثل عبارة عن تأليف لا حقيقة لهُ في الظاهر وقد ضُمّن باطنهُ الحِكَم الشافية

فقولهُ « لا حقيقة لهُ في الظاهر » فلانَّ الكلامَ والافعال كثيرًا ما تُعزى في الامثال الى مَن لاعقل لهُ ولا روح او تُختلَق اختلاقًا٠ وقولهُ « انَّ المثل يضمن الحكم الشافية » فلأنَّ القصد منهُ ارشاد الانسان وتهذيبهُ

ولك في ذلك مثل جميل اوردهُ صاحب التَّذْكرة (هو الخطيب علي بن عراق) قال: لما ظهر الطاعون بدمشق همَّ عبد الملك بن مروان بالفرار من المدينة فدخل عليهِ بعض اهل الفضل وقال:

مخالفة الاسد والثعلب

بلغني ان ثعلبًا صادَق اسدًا على ان يُجيرهُ من السباع فكان ابدًا بين يديهِ فظهر في يومٍ من الايَّام عُقاب في الهواء فخافهُ الثعلب ووثب على ظهر الاسد

فانحطَّ العقاب واختطفهُ . فقال الثعلب : يا ابا الحارث العهدَ العهدَ . فقال : انما عاهدتُك على ان احفظك من اهل الارض وامَّا اهلُ السماء فلا قدرة لي عليهم

فلمَّا سمع عبد الملك هذا المثل قال : والله لقد وعظتني . ثم أبى ان يفارق المدينة

البحث الاول

في تقاسيم المثل

س الى كم قسم تُقسم الامثال

ج الامثـــال على ثلاثة اقسام : مُفترَضة ممكنة . ومُخترَعة مستحيلة . ومختلطة

س ما هي الامثال المفترضة الممكنة

ج هي ما نُسب فيها النطق والعمل الى عاقل . وتختلف عن الحكاية من وجهين : الاوَّل انَّ لها مغزًى . والثاني كونها غير واقعيَّة وان كانت في حيّز الامكان

س اذكر بعض امثالٍ من هذا الباب

الصبيّ المشرف على الغرَق

صبيّ رمى بنفسهِ مرَّةً في نهرٍ . ولم يكن يُحسِن السِّباحة . فأشرف على الغرق . فاستعان برجلٍ عابرٍ في الطريق . فأقبل اليهِ وجعل يلومهُ على نزولهِ الى النهر . فقال الصبيّ : يا هذا . خلِّصني اوَّلًا من الموت ثمَّ لُمني

(مغزاه) اذا وقع صديقك في شدّة فنجّهِ وخلّصهُ اولًا ثمّ لُمْهُ
(من امثال لقمان)

ابن الملك والطبيب والصيدلاني الجاهل

زعموا انهُ كان في بعض المدن طبيبٌ لهُ رِفق وعلم وكان ذا فِطنة فيما يجري على يديهِ من المعالجات . فكَبِر ذلك الطبيب وضعُف بصرهُ . وكان للملك تلك المدينة ابن وحيد هو وليُّ عهدهِ فاصابهُ يوماً مرض انهك قواهُ . فجيء بهذا الطبيب فلمّا حضر سأل الولد عن وجعهِ وما يجد فاخبرهُ فعرف داءهُ ودواءهُ وقال : لو كنت أبصر لجمعتُ الأخلاط على معرفتي باجناسها ولا اثق في ذلك باحدٍ غيري . وكان في المدينة رجل سفيهٌ يُعالج صِناعة الصَّيدلة مع قلّة درايتهِ بها . فبلغهُ الخبر فاتاهم واعلمهم انهُ خبير بمعرفة اخلاط الادوية والعقاقير عارفٌ بطبائع الادوية المُركّبة والمُفردة . فامر الملك ان يدخل خزانة الادوية فيأخذ منها حاجتهُ . فلمّا دخل الجاهل الخزانة وعُرضت عليهِ الادوية ولا يدري ما هي ولا لهُ بها معرفة اخذ في جملة ما اخذ منها صُرّةً فيها سمٌّ قاتل لوقتهِ وداقّهُ بالادوية ولا علمَ لهُ بهِ ولا معرفة عندهُ بجنسهِ . فلمّا تمّت اخلاط الادوية سقى الولد منهُ فات لوقتهِ . فلمّا عرف الملكُ ذلك دعا بالجاهل فسقاهُ من ذلك الدواء فات من ساعتهِ

وانما ضربتُ هذا المثل لتعلموا ما يدخل على القائل والعامل من الذلّة في الشبهة والخروج عن الحدّ . فمن تجاوز طورهُ اصابهُ ما اصاب ذلك الجاهل ونفسهُ المَلُومة (من كتاب كليلة ودمنة)

واعلم ان المسيح لذكرهِ المجد كثيرًا ما ضرب في انجيلهِ الطاهر امثالًا من هذا القبيل جاءت على نهاية ما يُرام من الصدق والعذوبة . وقد ذكر منها الانجيليون نيفًا وثلاثين مثلًا وهذا واحدٌ منها :

مثل العبد الظالم

(نُقل من ترجمة قديمة كُتبت سنة ٩٧٦ للمسيح)

أشبه ملكوت السماء رجلًا ملكًا شاء ان يُسلِّم اليهِ عبيدُهُ الحِسابَ . فلمّا

بدأ بمحاسبتهم قرَّبوا اليهِ واحدًا عليهِ عشرة آلافٍ قنطارًا . فلمَّا لم يكن لهُ ان يقضي دَيْنَهُ امرَ مولاهُ ان يُباع هو وامرأتهُ وبنوهُ وكل شيء . فخرَّ ذلك العبد وقال : يا سيِّدي تأنَّ نَي وأمهلني وانا اوفيك كل شيء . فرقَّ مولى ذلك العبد واطلقهُ وترك لهُ دينَهُ . ثم خرج ذلك العبد فصادف احد نُظرائهِ كان لهُ عليهِ مائة دينار فاخذهُ وجعل يخنقهُ ويقول لهُ : أَعطِني ما لي عليك . فوقع ذلك العبد على قدميهِ وطلب اليهِ وقال : أمهلني وانا أُوفيك . اما هو فلم يشأ لكنَّهُ انطلق فقذفهُ في السجن حتَّى يُعطيَهُ ما لهُ عليهِ . فلمَّا رأى نُظراؤهما ما كان احزنهم ذلك جدًّا فجاءوا واخبروا مولاهم بكلّ ما كان . حينئذٍ دعاهُ مولاهُ وقال لهُ : يا عبدَ السوء ذلك الدَّين كلّهُ تركتهُ لك لأنَّك طلبتَ اليَّ أفما كان ينبغي لك ايضًا ان ترثي لنظيرك كما رثيتُ انا لك . فغضب سيِّدهُ ودفعهُ الى الجلَّادين حتَّى يقضي كلَّ شيءٍ لهُ عليهِ . فهكذا ابي السماوي يفعل بكم ان لم يغفِر الانسان منكم لاخيهِ ذنبهُ من كلّ قلبهِ

راجع ايضًا مَثَل الزارع (متَّى ١٣ : ٣ – ٢٤) ومثل العذارى (متَّى ٢٥ : ١ – ٤) ومثل السامريّ والكاهن (لوقا ١٠ : ٣٠ – ٣٧) ومثل الغني الجاهل (لوقا ١٢ : ١٦ – ٢٣) ومثل التينة الغير المثمرة (لوقا ١٣ : ٦ – ١٠) ومثل الابن الشاطر (لوقا ١٥ : ١١ – ٣٢) ومثل الغنيّ والمسكين العازر (لوقا ١٦ : ١٩ – ٣١) ومثل الفرّيسي والعشَّار (لوقا ١٨ : ١٠ – ١٥)

وقد ذكرنا من هذا الصنف من الامثال عددًا كبيرًا في مجاني الادب راجع الجزء الاوَّل عدد ٨٤ و٩٥ والجزء الثاني عدد ١٢١ و١٢٤ و١٢٦ و١٢٩ و١٣١ و١٣٢ والجزء الثالث عدد ٨٤ و٩٢ والجزء الرابع عدد ١١٦

(فائدة) وربَّما اتت امثال هذا الباب على صفة تشبيهٍ حَسن يدخلهُ مراعاة النظير او الاستعارة المرشَّحة ويُدعى ذلك رَمْزًا . كما جاء في الانجيل الشريف :

انا الراعي الصالح . الراعي الصالح يبذُل نفسهُ عن الخِراف . امَّا الأجير الذي ليس براعٍ وليست الخِراف لهُ فيرى الذئب مقبلًا فيترك الخِراف ويهرب فيخطف الذئب الخِراف . انا الراعي الصالح واعرف خرافي وخرافي تعرفني . ولي خراف أُخر ليست من هذه الحظيرة فينبغي ان آتي بها ايضاً وستسمع صوتي وتكون رعيَّة واحدة وراعٍ واحد

وللربّ ايضاً قولهُ عزّ من قائل :

انا الكرمة الحقيقية وابي الحارث . كل غصنٍ فيَّ لا يثمر يَنزِعهُ وكلُّ ما يأتي بثمر ينقّيهِ ليأتي بثمر اكثر . . . كما ان الغصن لا يستطيع ان يأتي بثمر من عندهِ ان لم يثبت في الكرمة كذلك انتم ايضاً ان لم تثبتوا فيَّ

س ما هي الأمثال المخترعة المستحيلة

ج هي ما جاءت على السنة الحيوانات والجمادات فيُعزى لها النطقُ والعمل لإرشاد الانسان

س اذكر بعض امثال من هذا الصنف

الكُرْكيّ والذئب

قالوا بلع ذئبٌ عظماً فطلب مَن يعالجهُ فجاء الى الكُرْكيّ وجعل لهُ أجرةً على ان يُخرج العظم من حلقهِ . فأدخل الكركي رأسهُ في فم الذئب وأَخرج بمنقارهِ العظم من حلقهِ وقال للذئب : هاتِ الاجرةَ . فقال الذئب : انتَ لستَ ترضى بان ادخلتَ رأسك في فمي ثمَّ اخرجتَهُ صحيحاً حتَّى تطلب مني ايضاً اجرةً

(الكلم الروحانية لابن هندو)

الافعى والشوك

قالوا كانت افعى نائمة فوق جُرْزة شوك فحملها السيل والافعى عليها . فنظر اليها ثعلبٌ فقال : هذه السفينة لا يصلُح لها الَّا مثل هذا الملَّاح

(الاذكياء لابن الجوزي)

الثعلب والعوسجة

قيل ان ثعلبًا اراد ان يصعد حائطًا فتعلَّق بعوسجةٍ فعقرت يدهُ فاقبل يلومها . فقالت لهُ : يا هذا لقد اخطأتَ حتَّى تعلَّقتَ بي وانا من عادتي ان اتعلَّق بكلّ شيء . (التذكرة لابن حمدون)

الغراب المحتذي حذو القطا

انَّ الغراب وكان يمشي مِشيةً فيما مضى من سالف لاجيالِ
حسدَ القطا واراد يمشي مَشيها فاصابهُ ضربٌ من العُقّالِ
فاضلَّ مشيتهُ وأخطأ مشيها فلذاك سمَّوهُ ابا مِرقالِ (١

والامثال من هذا الباب كثيرة (راجع فصل الامثال عن السنة الحيوانات في الاجزاء الاربعة الاولى من مجاني الادب)

س ما الامثال المختلطة

ج هي ما دار فيها الكلام او العمل بين الناطق وغير الناطق

س اورد لنا بعض شواهد لهذا النوع

الحيَّة والأخوان

زعم العرب انَّ اخوَين هبطا بغنمهما واديًا يرعيان فيهِ فخرجت حيَّة من تحت الصفا وفي فمها دينار فالقتهُ اليهما وأقامت كذلك مدَّةً . فقال احدهما : لا بدَّ لي من قتل هذه الحيَّة وأخذ هذا الكنز . فنهاهُ اخوهُ فلم يقبل . فخرجت فضربها بفأس بيده فشجَّها وشدَّت عليهِ فقتلَتْهُ فدفنهُ اخوهُ مقابلها . فلمَّا خرجت قال : هل لكِ ان تتعاهدَ على المودَّة وعدمِ الأذيَّة وتُعطيني ذلك الدينارَ كل يوم . فقالت : لا . قال : ولمَ . قالت : لانَّك كلَّما نظرتَ الى قبر اخيك لا تصفو لي وكلَّما ذكرتُ الشجَّة التي في رأسي لا اصفو لك

---

١ المرقال المسرع والإرقال ضربٌ من المشي يشبه الخَبَب

وهذا المثل قد نظمَهُ النابغة في ديوانِهِ (راجع شعراء النصرانية ص ٦٨٤ – ٦٨٥)

ابن السبيل والمروءة الباكية

مررتُ على المروءة وهي تبكي فقلتُ لها لِما تبكي الفتــاةُ
فقالت كيف لا ابكي واهلي جميعًا دون خَلقِ الله ماتوا

القَلَنْسُوة القَلِقة

رأيتُ قَلَنْسُــوةً تستغيث م من فوق رأسٍ يُنادي خُذوني
وقد قلِقت فهي طورًا تميلُ م من عن يسارٍ ومن عن يمين
فقلتُ لها ما الذي قد دهاكِ فقالتْ مقالَ كئيبٍ حزينِ
دهانيَ ان لستُ في قالَبي وأخشى من الناس ان يُنكروني
وان يأخذوا في مزاحٍ معي فان فعــلوا ذلك مزّقوني
(لاسمعيل النُّوبختي)

(راجع ايضًا في مجاني الادب الاوّل الاعداد ٨٠ و ٨١ وفي الثاني ١١٩-و ١٢٨)

البحث الثاني
في شروط المثل

س كم هي شروط المَثل

ج اربعة: الاول ان تكون روايتهُ خالية من كل تعقيد. ليُفضي المقصود منهُ الى ذهن السامع

الثاني ان لا يكون مُسهبًا مُمِلًّا

الثالث ان يُبهج السامع بطلاوتهِ ويُفكّهُ فكرتهُ بهزلٍ.

كلامهِ وابتكار معانيـهِ ويضبط عقلهُ في فهم الرواية المُختلقة وفضّ مُشكلها

الرابع ان يُورَد بصورةٍ محتملة

س كيف يكون المثل محتملًا وفيهِ يُعزى النطقُ الى غير الناطق

ج اعلم ان المثل وان كان امرًا غيرَ واقعيّ فلا بدَّ لهُ من بعض تشابُه بالحقيقة . ويتأتّى ذلك اذا نُسب الى كلّ حيوان ما طابق غريزتهُ واذا عبّرتِ العناصر بلسان حالها عن خواصّ طبعها . وعليهِ فتُعزى البسالة للأسد . والصبر والحُمق للحمار . والرَوَغان للثعلب . والضَّرَع والتملُّق للسنَّور . والنُّصرة والأَمانة للكلب . والتواضع للبنفسج . والكبر للارز . والشدّة للريح . وهلمَّ جرًّا

س ألا يوجد شرط آخر لاستيفاء حقوق المثل

ج نعم وهو المَغزَى

س ما هو المَغزى

ج هو الامر المقصود من ضرب المثل حتى لا يُظَنّ ان نتيجة المثل الإخبار عن حيلة بهيمتَين اومجاورة سبُع مع ثور

فينصرف بذلك عن الغرَض المقصود . قالهُ ابن المقفَّع(١

س ماذا يُشترط في المغزى

ج يشترط فيهِ ان يكون ادبيًّا لا يُزيح الانسان عن جادَّة الفضيلة ثم ان يكون واضحًا وجيزًا

س هل يتقدَّم المَغزى على المثل

ج انهُ لَأَجدر بالمغزى ان يتأخَّر على المثل فيكون كالثمرة الناتجة منهُ ولكن ربَّما ذُكر في صَدْر المثل لاغراضٍ كتنبيه السامع واستجلاب خاطرهِ . وكثيرًا ما يأتي المغزى عن فم البهائم او مَن دارت عليهم رواية المثل فيزيد بذلك رونقًا

س اضرب على هذه المغازي مثلًا

١ً شاهد على مغزًى يلي المثل

الحمامة والنَّملة

حمامة مرة عطِشت فاتت الى نهر ماءٍ تشرب وبقُربها نملةٌ وقعت في الماء فأشرفت على الهلاك . فلمَّا عايَنت الحمامةَ استغاثت بها . فرمتْ لها الحمامة تِبنة في الماء فنجت من الموت . واذا بصيَّاد خرج على الحمامة فوتر قوسهُ ليقتلها فعضَّت النملة رِجل الصيَّاد فالتفت من الألم وتخلَّصت الحمامة

معناهُ

انَّ الاحسان لا يضيع (للسيوطي)

---

١ في مقدمة كليلة ودمنة

٢ً شاهد على مغزًى يتقدَّم المثل

التعلب والعنب

انَّ مَن ينكرُ فضلًا هو عندي كثعالَهْ
رام عُنقودًا فلمّا ابصر العُنقودَ طالَهْ
قال هذا حامضٌ لمَّا م رأى اَن لا ينالَهْ

(من مجمع امثال الميداني)

٣ً شاهد على مغزًى يُستخلَص من مثل على فم البهائم

الشاة والذئب

رأيتُ شاةً وذئبًا وهي ماسكةٌ بأذنهِ وهو منقادٌ لها ساري
فقلتُ أعجوبةٌ ثمَّ التفتُّ ارى ما بين نابَيهِ مُلقًى نصفُ دينارِ
فقلتُ للشاة ما ذا الأُلفُ بينكما والذئبُ يسطو بأنيابٍ واظفارِ
تبسَّمتْ ثم قالت وهي ضاحكةٌ بالتِّبرِ يُكسَرُ ذاك الضيغمُ الضاري

(من كتاب انيس الجليس)

البحث الثالث

في فوائد المَثَل وذِكر مَن برعوا فيهِ

س ما هي فوائد المثل

ج فوائد المثل جمّة عجيبة اذا ما أُحكم سَبكُهُ . منها اوّلًا نزهة البال وترويح الخاطر فيكون المثل أحبولة لموعظة الناس وارشادهم الى سواء السبيل او الى نيل غرَض من الاغراض كما فعل نَصر بن مَنيع وكان خارجيًّا قام على المأمون فسيَّر اليهِ

جيشًا تمكَّن منهُ وقادوهُ الى الخليفة . فامر بضرب عنقهِ فقال نصر : يا امير المؤمنين اسمع مثلًا خطر على بالي . قال : قل . فانشأ يقول :

زعموا بأَنَّ الصقرَ صادف مرَّةً عُصفورَ بَرٍّ ساقهُ التقديرُ
فتكلَّم العصفورُ تحت جناحهِ والصقرُ مُنقضٌّ عليهِ يطيرُ
اني لمثلك لا أُتمّم لُقمةً ولئن شُويتُ فانني لَحَقيرُ
فتهاونَ الصقرُ المُدِلُّ بصيدهِ كرَمًا وأفلَتَ ذلك العصفورُ

ثانيًا ان المثل بفكاهة ظاهرهِ يورث للمستبصر مجلَّة حِكَم تُفضي بالمرء الى معرفة نقائصهِ واصلاحها . واذا كان المثل على أَلسنة الحيوانات كان للراوي بذكر طبائعها وصفة احوالها مندوحةٌ لتقويض اركان الرذيلة وتعزيز اسباب الفضيلة على طريقة التعريض والاشارة

كما ترى في المثل الذي ضربهُ ناثان النبي لداود بعد خطيئته (سفر الملوك الثاني ١٢ : ١ — ١٥) :

فارسل الربُّ ناثان الى داود وقال لهُ كان رجلان في احدى المدن احدهما غنيٌّ والآخر فقير . وكان للغنيّ غنمٌ وبقر كثيرة جدًّا . والفقير لم يكن لهُ غير رِخلة واحدة صغيرة قد اشتراها وربَّاها وكَبِرت معهُ ومع بنيهِ تأكل من لقمتهِ وتشرب من كاسهِ وترقد في حضنهِ وكانت عندهُ كابنتهِ . فنزل بالرجل الغنيّ ضيف فشحَّ ان يأخذ من غنمهِ وبقرهِ ليهيّئ للضيف الوافد عليهِ فاخذ رخلة الرجل الفقير وهيَّأها للرجل الوافد عليهِ . فغضب داود على الرجل جدًّا وقال لناثان : حيٌّ الربُّ انَّ الرجل الذي صنع هذا يستوجب الموت . يردُّ عِوَض الرخلة اربعًا جزاءً لأنهُ فعل هذا الامر ولم يُشفق . فقال ناثان لداوُد : أنت هو الرجل . هكذا قال الربُّ الهُ اسرائيل : اني مسحتُك

ملكًا على اسرائيل وانقذتُك من يد شاول . . . فلماذا ازدريتَ كلام الرب وارتكبتَ القبيح في عينيهِ . قد قتلتَ أُوريَّا الحِثِّيّ بالسيف واخذتَ زوجتهُ زوجةً لك . . . فقال داود لناثان : قد خطئتُ الى الربّ . . .

س من واضع فنّ الامثال

ج ان الامثال قديمة العهد جدًّا ولا يُعرَف اسم اوَّل من تكلم بها

واقدم مثلٍ ذكرَهُ التاريخ مثل الاشجار ورد في الفصل التاسع من سفر القضاة ضربهُ يوثام اصغر بني جِدْعون لاهل شكيم (نابلس) وكانوا قد ملّكوا عليهم أبيمَلِك اخاهُ وكان أبيمَلِك قتل جميع اخوتهِ لم يُفلِت منهم الّا يوثام هذا فجاء الى جبل جريزيم ونادى باهل شكيم المجتمعين بسفح الجبل واشار بالاشجار الى اخوتهِ المقتولين . ولمح الى ابيملك بالعوسجة

ذهبتِ الشجر لِيَمْسحنَ عليهنَّ ملكًا فقلنَ لشجرة الزيتون كوني علينا ملكة . فقالت لهنَّ الزيتونةُ : أأدعُ زيتي الذي لاجلهِ تُكرمني الآلهة والناس واذهب لأستعلي على الشجر . فقالت الشجر للتينة : تعالَيْ انتِ فكوني علينا ملكة . فقالت لهنَّ التينة : أأدعُ حلاوتي وثمرتي الطيّبة واذهب لاستعلي على الشجر . فقالت الشجر للجَفنة : تعالي انتِ فكوني علينا ملكة . فقالت الجفنة : أأدعُ مُسْطاري الذي يسرُّ الله والناس واذهب لاستعلي على الشجر . فقالت الشجر كلُّها للعوسجة : تعالَيْ انت فكوني علينا ملكة . فقالت العوسجة للشجر : ان كنتنَّ حقًّا تَمسَحنَني ملكة عليكنَّ فتعالَيْنَ استظللنَ بظلّي والّا فلتخرج نارٌ من العوسجة وتحرق ارز لبنان

س اذكر اسماء من اجادوا بكتابة الامثال عند العرب

ج قد اشتهرت عنــد العرب الأَمثال المنسوبة (للقمان الحكيم) (١ نُقلت عنهُ بالتقليد ثم اودعت بطون الدفاتر في اواسط القرن العاشر للمسيح سِمَتها الايجاز والايضاح والضبط بيد انَّها لا تخلو من بعض الدِقَّة والذكاء وهي اشبهُ شيء بأَمثال ايزوب الروميّ . وقد اجاد ايضًا (ابن المقفَّع) (٢ في ترجمة كتاب كليلة ودمنة (٣ وهو كتاب جليل تضمَّن نيفًا ومائة مثل بافصح عبارة وابلغ لسان وفيها من الرشاقة والسهولة والطلاوة ما يُبهّجها الى القلوب ويُحسن موقعها في النفوس . غير انهُ يؤخذ على صاحبهــا تداخل الامثال ببعضها بحيث يتولَّد في ذهن القارئ شيء من الالتباس والتشويش . ومن كتب الامثال كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء (لابن عربشاه الدمشقيّ المتوفَّى سنــة ٨٥٤ هـ ـ ١٤٥٠ م) نحا فيهِ نحو كتاب كليلة ودمنة وضعهُ على عشرة ابواب وصنَّفهُ بانشاء لطيف غير ان امثالهُ مُسهَبة

١ اطلب ترجمتهُ في حواشي مجاني الادب الصفحة ٧
٢ اطلب ترجمتهُ في حواشي مجاني الادب الصفحة ٢٤٨
٣ اطلب ما قيــل في صدد هذا الكتاب في الصفحة ٢٢ من حواشي مجاني الادب

مملّة يشينها التصنّع والتكلّف . وقد ورد شيء كثير من الامثال الحسنة في كتاب سلوان المطاع (لحجّة الدين بن ظفَر المتوفّى سنة ٥٦٨ هـ ـ ١١٧٢ م) . وفي كتاب عنوان البيان (للشبراوي المتوفّى سنة ١٠٦٢ هـ ـ ١٦٥٢ م) وكذلك في كتاب الف ليلة وليلة قسم كبير من الامثال . وفي كتاب الاذكياء (لابي الفرج بن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧ هـ ـ ١٢٠٠ م) وفي آخر كتاب الكلم الروحانية (لابن هندو المتوفّى سنة ٤٢٠ هـ ـ ١٠٣٠ م) وفي مصنفات السيوطيّ وغيرهم من الأيمة

امّا المحدَثون فقد جدّ بعضهم في تأليف الامثال وادركوا بها قسمًا من السعادة نخصّ منهم (رزق الله حسُّون) في نفثاته (١ ومحمّد شوقي الشاعر المصري في ديوانه الشوقيّات ومحمّد عثمان جلال المصري في كتاب الامثال والمواعظ دونك منها مثلًا يُنبئك بمنزلة ناظمها :

---

١ طُبعت النفثات في لندرة والامثال والمواعظ في مصر واغلب الامثال الواردة فيهما معرَّبة عن الافرنسيَّة

الذئب والأُمّ وولدها

حكاية الذئب تُهدى　　الى الملوك حلالا
فانّها في القوافي　　حُسناً زَهتْ وَجمالا
قد مرّ يوماً بدارٍ　　نوقاً حوَت وجِمالا
ونعجةٌ ذات صوفٍ　　أحمالُها تَتَلالا
فرام يدخل لكن　　رأى الدخول مُحالا
والامّ للوقت صاحت　　على ابنها قُم تعالى
لأجلبَ الذئب عندي　　يأكلكَ اليومَ حالا
والذئب مذ سمع القو　　لَ طاب نفساً وقالا
لا بُدّ من اكل هذا　　وانقضّ فوراً وصالا
فصاحت الامّ صوتاً　　في الدار امّ الرجالا
حتّى الكلاب اتتهُ　　وجرّعتهُ القتالا
فقصّهم ما رآهُ　　فلَم يجيبوا سؤالا
وانّما قطّعوهُ　　ورشقوهُ نِبالا
والامّ للذئب قالت　　متى أكلتَ العِيالا
يا طامعاً في الثريّا　　قد زدتّ منها ضلالا
وانت يا ذئب تجزى　　بما فعلتَ خبالا
اما سمعتَ القوافي　　وما قرأتَ المثالا
ادعو على ابني وقلبي　　يقول يا ربِّ لا لا

(راجع ما جاء في مقالات علم الادب عن الامثال السائرة والمُختلَقة ص ٣٢٦ – ٣٣٢)



الفَنّ الثّاني

في الوصف

قد سبق القول آنفًا (ص ٢٦ و ١٠٠) انَّ الصفاتِ مُفرَداتٌ وُضعت لبيان المنعوت وكشف حالهِ ولكن كثيرًا ما يتوسَّع نطاق هذه الصفات بحيث ان الكاتب يتصرَّف بها لايضاح غرض من الاغراض وتبيان ظروفهِ وخواصّهِ فيخرج الوصف اذ ذاك الى حيز فنٍّ من فنون الانشاء يترتب علينا الآن ذكر اصولهِ

س ما الوصف

ج هو عبارة عن بيان الامر باستيعاب احوالهِ وضروب نعوتهِ الممثلة لهُ كقول المقدسي في وصف روضٍ :

فانتهيتُ الى رَوضَةٍ قد رقَّ اديمها. وراق نسيمها. ونمَّ طيبُها. وغنَّى عَندَليبها . وتحرَّكت عِيدانها . وتمايلَت اغصانُها. وتبلبلت بلابِلُها . وتَسَلْسلتْ جَدَاولها . وتسرَّحت انهارُها . وتضوَّعت اقطارُها . وتنمَّقت ازهارها. وصوَّت هَزَارُها . فقلت: يا لها من روضة ما اهناها . وخلوة ما اصفاها . . .

او كما قال زُهير بن ابي سُلْمى في وصف الحرب ونتائجها الوبيئة وقد شبهها بعركِ الرَّحى للحبوب :

وما الحربُ الَّا ما عَلِمتُمْ وذُقتُمُ ... وما هو عَنها بالحديثِ المُرَجَّمِ
متى تبعثوها تَبعثوها ذميمةً ... وتَضْرَ اذا ضرَّيتموها فتضرَمِ
فتعرككمْ عركَ الرَّحى بثفالها ... وتُلْقحْ كِشافًا ثُمَّ تُنْتَج فتُتْئم
فتُنْتَج لكم غِلمانَ اشأَمَ كلُّهُمْ ... كأحمرِ عادٍ ثمَّ تُرضِعْ فتَفطِمِ
فتُغلِلْ لكم ما لا تُغِلُّ لِأهلِها ... قُرًى بالعِرَاقِ من قفيزٍ ودِرْهَمِ

البحث الاوّل

في اصول الوصف

س على كم نوعًا اصول الوصف

ج اصول الوصف على نوعين عامّة وخاصّة

س كم هي اصول الوصف العامّة

ج ثلاثة: الاول ان يكون الوصف حقيقًا بالموصوف مُفرزًا لهُ عمّا سواهُ كقول المأمون في وصف القلم:

القلَم احد اللسانين يُفرغ ما يجمعهُ القلب ويصوغ ما يسبكهُ اللبُّ. بهِ حُفظت الآثار وسيقت التواريخ وعُرفت الاخبار وقُيِّدت الشهادات ونُقشت الصكوك وثُبتت الحقوق

الثاني ان يكون ذا طلاوة ورونق كقول البحتري في وصف الشام:

غُنيتُ بشرقِ الارضِ قِدما وغربِها ... أُجوّبُ في آفاقهـا وأسيرها
فلم أرَ مثلَ الشام دارَ اقامةٍ ... لراحٍ أُغاديها وكاسٍ أُديرُها
فصِحّةُ ابدانٍ ونُزهةُ أعيُنٍ ... ولهوُ نفوسٍ مستديمٌ سرورُها
مقدّسةٌ جاد الربيعُ بلادها ... ففي كلّ ارضٍ روضةٌ وغديرُها
تباشر قُطراها واضعفَ حسنَها ... بانّ اميرَ المؤمنين يزورها

الثالث ان لا يُخرَج فيهِ الى حدود المبالغة والاسهاب ويُكتفى بما كان مناسبًا للحال كما ترى في وصف عليّ ابن ابي طالب للدنيا اذ قال:

الدنيا كاسفة النور. ظاهرة الغرور. على حين أصفرار من ورقها. واياس من ثمرها. واغورار من مائها. قد درست منار الهدى. وأظهرت أعلام الردى. فهي متجهمة لاهلها عابسة في وجه طالبها. ثمرها الفتنة وطعامها الجيفة. وشعارها الخوف. ودثارها السيف. فانظروا اليها نظر الزاهدين فيها الصادفين عنها. فانها والله عما قليل تزيل الثاوي الساكن. وتفجع المترف الآمن. لا يرجع ما تولى منها فأدبر. ولا يدرى ما هو آت منها فينتظر. سرورها مشوب بالحزن. وجلد الرجال فيها الى الضعف والوهن. فلا تغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها. لقلة ما يصحبكم منها

ومن الاسهاب ان يتتبع الكاتب وصف دنايا الامور او ما دق وصغر منها ما لم يتعلق له غرض في ذلك كما جاء في نهج البلاغة في وصف النملة :

أنظروا الى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على ارضها وصبت على رزقها. تنقل الحبة الى جحرها وتعدها في مستقرها. تجمع في حرها لبردها وفي ورودها لصدورها مكفولة برزقها مرزوقة بوفقها. لا يغفلها المنان ولا يحرمها الديان ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس. ولو فكرت في مجاري اكلها وفي علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها وما في الراس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا. فتعالى الذي اقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعنه في خلقها قادر

س ما احسن طريقة للاجادة في الوصف

ج اولى طريقة لذلك ان ترسم اولا في بدء وصفك نظرا عاما جامعا لمجمل الامر الذي تحاول وصفه . ثم تاخذ بايراد

مُختلف الاجزاء قسماً فقسماً. وذلك إمّا (على تتابُع ورود هذه الاجزاء) كما يفعل مَن يُباشر في وصف حرب فانهُ يبدأ بذكر حالة الفريقَين ثمّ يأخذ إثر ذلك في وصف الواقعة على حسب ظروفها وترتيب احوالها الطبيعي. وعلى هذا الوجه توصف الاعياد والحفَلات والاسفار والعواصف وما شاكلها كما فعل ابن شدّاد حين ذكر وفاة السلطان صلاح الدين في دِمَشق:

وكان يومُ وفاة صلاح الدين يوماً لم يُصَب الاسلامُ والمسلمون بمثلهِ مُنذ فُقِد الخلفاء الراشدون. وغشيَ قلعةَ دمشق والبلد والدنيا من الوَحشة ما لا يعلمهُ الّا الله تعالى. وتالله لقد كنتُ اسمع من بعض الناس انّهم يتمنّون فِداء مَن يعزّ عليهم بنفوسهم فكنتُ أحمل ذلك على ضرب من التجوُّز والترخُّص الى ذلك اليوم فاني علمتُ من نفسي ومن غيري انهُ لو قُبل الفداء لفُدي بالنفس والنفيس. ثم جلس ولدهُ الملك الافضل العَزاء... وكان يوماً عظيماً قد شَغَل كل انسان ما عندهُ من الحزن والاسف والبكاء والاستغاثة عن ان يَنظر الى غيره. وكان اولادهُ يخرجون مستغيثين بين الناس فتكاد النفوس ترهَق لهول منظرهم ودام الحال على ذلك الى بعد صلاة الظُّهر... فأُخرج في تابوتٍ مُسجّى بثوبٍ فُوَطٍ فارتفعت الاصوات عند مُشاهدتهِ وعظم الضجيج حتّى ان العاقل تخيّل انّ الدنيا كلها تصيح صوتاً واحداً. وغَشِي الناس من البكاء والعويل ما شغلهم عن الصلاة وصلّى عليهِ الناس أرسالاً... ثم رجع الناس الى بيوتهم اقبح رجوع وما يوجد قلبٌ الّا حزيناً ولا عين الّا باكية. (سيرة صلاح الدين لابي المظفّر بن شدّاد)

وامّا (بتقديم اسمّ الاجزاء) او ايثار ما كان يراهُ

الكاتب اشدّ مناسبةً لغايتهِ . وعلى هذا النمط توصف البلاد والمدن والأبنية والمناظر الرائقة وهلمّ جرًّا كما ترى في وصف الشمس لبعض بني الحارث من شُعَراء الجاهليَّة :

أرانا مليكُ الكون بالشمس آيةً تبوء بإنعام الإلهِ وتُخبِرُ
مُخَبَّأةٌ امَّا اذا الليلُ جنَّها فتَخفَى وامَّا بالنهار فتَظهَرُ
اذا انشقَّ عنها ساطعُ الفَجرِ وانجلى دُجى الليلِ وانجاب الحجابُ المُستَّرُ
والبَسَ عَرضَ الارض لونًا كأنَّهُ على الأُفقِ الغربيّ ثوبٌ معصفَرُ
تجلَّت وفيها حين تبدو شُعاعُها ولم يعلُ العينَ البصيرةَ مَنظَرُ
عليها كرَدْع(١ الزعفران يَشُبُّهُ شعاعٌ تلالا فهو دُرٌ منوَّرُ
فلمَّا علتْ وابيضَّ منها اصفرارُها وجالت كما جال النسيجُ المُشهَّرُ
وجلَّلَتِ الآفاقَ ضوءًا وأسعرتْ بحَرٍّ لها مِنهُ الضُحى يتَسعَّرُ
ترى الظلَّ يَضوَى حين تبدو ورَوقُهُ تراهُ اذا زالت عن الارض يُنشَرُ
كما بدأت اذ أشرقت في مَغيبها تعودُ كما عادَ الكبيرُ المُعمَّرُ
وتُدنِف حتّى ما يكادُ شُعاعها يبين اذا ولَّت لمن يَتَبصَّرُ
وأفنت قرونًا وهي في ذاك لم تزل تموتُ وتَحيا كلَّ يومٍ وتُنشَرُ

(راجع باب الوصف في كتاب مجاني الادب الصفحة ١٨٧ من الجزء الثالث و٢١٤ من الجزء الرابع و٢٠٦ من الجزء الخامس و١٦٣ من الجزء السادس)

س ماذا يُستحبُّ في الاوصاف ·

ج انَّما يُستحبُّ فيها اولًا ان يُمثِّل الموصوف للسامع بحيث لا يَشكُّ انَّهُ يراهُ رأيَ العين . وممَّا يفيد هذا الغرض ان يعير الكاتبُ الامرَ الموصوفَ حياةً وحِسًّا ونُطقًا ان كان

١ الرَّدْع هو أثر الطيب في الجسم . والرَّدْع ايضًا الزعفران

مجرَّدًا عن ذلك او يجمع بين الامور المتباينة ليُظهر حسنَها بالمقابلة . وثانيًا ان تؤتلف الاوصافُ وتجتمع تحت حكم واحد وغاية واحدة . كما انك لو وصفتَ الربيع مثلًا صرفتَ الجهد في ان تبيّن بنعوتك محاسن الطبيعة او جودة الخالق او الانفعالات الناتجة عن هذه النعوت في النفس



البحث الثاني
في انواع الوصف

س كم هي انواع الوصف

ج أنواع الوصف كثيرة لكنها مع سعة مجالها تعود الى قسمين . وهما وصف الاشياء ووصف الاشخاص

س ما هي اخصّ الاشياء الحرّية بالوصف

ج هي الامكنة كوصف بلدةٍ والحوادث كوصف حربٍ ومناظر الطبيعة كوصف طلوع الشّمس

س اورد لنا شاهدًا على وصف الامكنة

وصف نَصيبين لابن جُبير

ان هذه المدينة شهيرة العَتاقة والقِدَم . ظاهرها شباب و باطنها هرِم . جميلة المنظر . متوسطة بين الكِبَر والصِغَر . يمتدّ امامها وخلفها بسيطٌ اخضر مدّ

البصر. قد اجرى الله فيهِ مذانبَ من الماء تسقيهِ. وتطَّرِد في نواحيهِ. وتحفُّ بها عن يمين وشِمال بساتينُ ملتفَّة الاشجار. يانعة الثمار. ويَنساب بين يديها نهر قد انعطف عليها انعطاف السِوار. والحدائق تنتظم بحافتَيه. وتفيئ ظلالُها الوارفة عليه. فرحم الله ابا نُوَاس الحسن بن هانئ حيث يقول:

طابت نَصيبينُ لي يوماً فطبتُ لها يا ليت حظّي من الدنيا نصيبينُ

فخارجها رياضيّ الشائل. اندلسيُّ الخمائل. يرقُّ غضارةً ونضارة. و يتألَّق عليهِ رونقُ الحَضارة. وداخلها شَعْث البادية بادٍ عليهِ. فلا مطمحَ للبصر اليهِ. لا تجد العين فيهِ فَسحةَ مَجال. ولا مَسْحةَ جَمال. وهذا النهر ينسرب اليها من عينٍ مَعينة مَنبعُها بجبل قريب منها. تنقسم منها مذانب تخترق بسائطَها وعمائرَها. ويتخلَّل البلد منها جزء يتفرَّق على شوارعهِ ويَلِج في بعض ديارهِ ويصل الى جامعها سرَب يخترق صَحنَهُ وينصبّ في صِهريجَين احدهما وسط الصحن والآخر عند الباب الشرقيّ منهُ ويُفضي الى سِقايتَين حول الجامع. وعلى النهر المذكور جسرٌ معقود من صُمّ الحجارة يتصل بباب المدينة القبليّ وفيها مدرستان ومارِستان واحد

(راجع ايضاً في مجاني الادب باب اوصاف البلاد في الصفحة ١٨٨ من الجزء الاول. والعدد ٣٩٥ و٣٩٦ من الجزء الثاني. والعدد ٣٣٠ و ٣٣٩ من الجزء الثالث. والعدد ٢٨٧ و ٣٠٨ من الرابع. والعدد ٢٠٢ من الخامس)

س اورد شاهداً على وصف الحوادث

وصف عاصفة في البحر لابن جُبير

وفي ليلة الثلاثاء الثامن عشر لذي القَعْدة والخامس عشر من شهر مارس (سنة ٥٧٨ هـ) فارقنا برّ سَرْدانية وهو برٌّ طويلٌ جرينا بحذائهِ نحو المائتَي ميل. وفي ليلة الاربعاء بعدَها من اوَّلها عصفت علينا ريح هاج لها البحرُ وجاء معها مَطَر تُرسلهُ الرياحُ بقوَّة كانهُ شآبيب سِهام فعظُم الخَطب واشتدَّ الكرْب وجاءنا الموج من كلّ مكان امثالَ الجبال السائرة فبَقينا على تلك الحال الليلَ كلَّهُ واليأسُ قد بلغ منّا مَبلغَهُ. وارتجينا مع الصباح فُرْجةً تخفّف عنّا بعض ما

نزل بنا لجاءة النهار وهو يوم الاربعاء التاسع عشر من ذي القَعْدة بما هو اشدُّ هَولاً واعظم كَرْبًا . وزاد البحر اهتياجًا وآزْبدت الآفاق سوادًا . وآستَشْرَت الريحُ والمطر عُصوفًا حتّى لم يَثبُت معها شِراع . فلُجيءَ الى استعمال الشُرُع الصِغار فاخذت الريح احدَها ومزّقتهُ وكسرت الخشبة التي ترتبط الشُرُعُ فيها وهي المعروفة عندهم بالقَرِيّة . فحينئذٍ تمكّن اليأسُ من النفوس وارتفعت ايدي الركّاب بالدعاء الى الله عزّ وجلّ واقمنا على تلك الحال النهار كلّهُ . فلمّا جنّ الليل فترت الحال بعض فتور وسرنا سيرًا سريعًا حتّى حاذَينا برّ جزيرة صِقِلّيَة . وبتنا تلك الليلة التي هي ليلة الخميس التالية لليوم المذكور متردّدين بين الرجاء واليأس . فلمّا أسفر الصبح نشر الله رحمتهُ وآقشعت السَّحابُ وطاب الهواء واضاءت الشمس واخذ البحرُ في السكون . فاستبشر الناس وعاد الأُنس وذهب اليأس والحمد لله الذي ارانا عظيم قدرتهِ . ثم تلافى بجميل رحمتهِ . ولطيف رافتهِ . حمدًا يكون كِفاءً لمنّتهِ ونعمتهِ . وفي هذا الصباح المذكور ظهر لنا برّ صِقِلّيَة وقد اجزنا اكثرهُ ولم يبقَ منهُ الّا الأقلّ . وآجمع مَن حضر من رؤساء البحر من الروم وممّن شاهد الاسفار والاهوال في البحر من المسلمين انّهم لم يُعاينوا قطُّ مثلَ هذا الهول فيما سلف من أعمارهم والخَبَر عن هذه الحال يصغر في خُبرها

(راجع العدد ٢٠٨ من الجزء الخامس من مجاني الأدب وفيهِ ايضًا صفة عاصفة)

س اذكر بعض شواهد على وصف مناظر الطبيعة

وصف الربيع لابن ابي طاهر

الربيع فصلٌ تامّ الجمال . حسَن الدّلال . عظيم الخطَر . لطيف النظَر . جميل الذكر . ذكيُّ العِطر . لذيذ النسيم . طيّب الشميم . غزير النعيم . قليل الهموم . ظليل الغموم

طلع الربيع بغرّةٍ زهراءِ ... تُجلَى العيونُ بها من الاقذاءِ
وبدت وجوهُ الارض بعد قطوبها ... مُفترّةً ببدائع الآلاءِ
فالارض في حُلَلٍ وحُليٍ مؤنقٍ ... في ما حَبَتهُ بهِ يَدُ الانواءِ

والروض يضحك عن بُكا وسميّه ... بتلألؤٍ من صُنعة الانداء
وترى الرياض كأنهنّ عرائسٌ ... يرفلنَ من صفراء في حمراء
او ما رأيتَ الارض غبراء الرُّبي ... حتَّى اغتدَت في بُردة خضراء
انَّ الربيع لَبهجةُ الارض التي ... منها تكون جواهر الاشياء
ولهُ هواءٌ كالهوى من رقَّةٍ ... دقَّت عن الأوهام والأهواء
واذا تنفَّس بالنسيم نسيمهُ ... كتنفُّس الصَّبَوات في الاحشاء
زمنٌ جديدٌ للسرور تجدُّدٌ ... فيهِ استحلَّت حُرمَة الصهباء

وصف سحابةٍ لابي اللّيث المعروف بابي حديدة الشاعر

يا رُبَّ هتَّانٍ تنوء بثِقلها ... تَسقي البلادَ بوابلٍ غَيداقِ
مرَّت فُوَيقَ الارض تَسحب ذَيلَها ... والريح تحملها على الاعناق
ودنت فكاد الارضُ تنهض نحوَها ... كنهوض مُشتاقٍ الى مشتاقِ
وكأنَّما همَّتْ تقبّل أرضَها ... او حاولت منها لذيذَ عِناقِ

وفي مجاني الادب من هذا القبيل اوصاف كثيرة تجدها مفرَّقة في الاجزاء الستَّة

س ماذا يوصف في الاشخاص

ج يوصف فيها امَّا الخَلق اي الصورة وامَّا الخُلق اي الطَّبع

س كيف يكون وصف الخَلق

ج يكون بذكر الهيئة كالوجه وحسن المنظر والحركات والزيّ كما وصف عبدُ الوحيد المرَّاكشي ابا يوسف عبدَ الرحمان في تاريخ الاندلس قال:

كان ابو يوسف صافي السُّمرة جدًّا أَعيَنَ أَفوهَ شديد الكَحَل مُستدير

اللحية ضخم الاعضاء جَهْور الصوت جَزْل الالفاظ أرقّ الناس لهجةً واحسنهم حديثاً

س ما هو وصف الخُلْق (١

ج هو عبارة عن ذكر ما طُبع عليهِ الانسان من المناقب الحميدة او ما خُصَّ بهِ من السجايا المذمومة كما وصف بعضهم اميرًا فقال يعدّد حسن صفاته:

كان الامير بسيط الكفّ رَحْب الصَدْر مُوَطَّأ الاكناف سَهْل الخُلْق كريم الطِباع غَيْثًا مَغُوثًا وبحرًا زخورًا ضحوك السنّ بشير الوجه بادي القبول غير عبوس. يستقبل الوافد بطلاقة ويجيبهُ برِفْق ويستدبرهُ بكرم غيث وجميل بِشْر تبهجهُ طلاقتهُ ويُرضيهِ بشرهُ. ضحّاك على مائدتهِ عبدٌ لضيفانهِ بطينٌ من العَقْل خميص من الجهل راجح الحِلم ثاقب الرأي معطاء غير سئّال كاسٍ من كلّ مكرُمةٍ عارٍ من كل مَلأمة. ان سُئِلَ بذل وان قال فعل

ومن ذلك وصف الخليفة المأمون للاتليدي

فاق المأمون اهل زمانهِ في الادب والبيان. والفصاحة واللسان. وكان حافظًا للأقدار. راويًا للاشعار. خبيرًا بسيَر الملوك في الايّام السالفة. بصيرًا في البحث عن امورهم في الايّام الآنفة. حاذقًا في التصنيف. فالقًا في التأليف. حُلْو الشمائل. جمّ الفضائل

وطالما جمعوا في الاوصاف بين صفة الخَلْق وصفة الطباع

كما وصف الإِرْبِلي هارون الرشيد قال:

كان الرشيد ابيضَ طويلًا سميناً جميلًا جعدًا ولم يَمُت حتّى وخطَهُ الشيب. وكان بهِ حَوَل في عينٍ لا يَبين إلّا لمن تأمَّلَهُ. وكان كثير العبادة فصيحًا

١ وكثيرًا ما يعبر عنها في كتب العرب بالخُلُق او الوصف ليس الّا

بليغاً اديباً فَهْمهُ فوق فهم العلماء وهو يتواضع لاهل العلم والدين . وكان طيّب النفس فكِهاً يُحبُّ المزح وكان مع حُبِّ اللهو كثير البكاء من خَشْية الله محبّاً للمواعظ ونَقَشَ على خاتمهِ : كن مِنَ الله على حَذَر . وكان طَلْق الوجه حسنَ الرأي والتدبير ليّن الجانب يجلس مع الناس على الطعام ويبذل الصِلات ويزور الصالحين

ومن ذلك وصف غلام خادم لابي عُثمان الخالدي

ما هو عبدٌ وإنَّما ولدٌ خوّلنيهِ المُهَيمنُ الصمَدُ
وشدّ إزري بحُسن خدمتهِ فهو يدي والذراعُ والعَضُدُ
صغيرُ سنٍّ كبيرُ منفعةٍ تمازج الضعفُ فيهِ والجلَدُ
في سنّ بدر الدُّجى وصورتهِ فمثلهُ يُصطفى ويُعتقَدُ
مبارك الوجهِ مُذ حظيتُ بهِ بالي رخيٌّ وعيشتي رَغَدُ
مُسامري ان دجا الظلامُ فلي منهُ حديثٌ كأنَّهُ الشهَدُ
ظريفُ مدحٍ مليحُ نادرةٍ جوهرُ حُسنٍ شرارهُ يقِدُ
خازنُ ما في داري وحافظهُ فليس شيءٌ لديَّ مُفتقَدُ
ومُنفِقٌ مُشفِقٌ اذا انا أسرَفتُ وبذَّرتُ فهو مقتصدُ
يصون كتبي فكلُّها حسَنٌ يطوي ثيابي فكلُّها جُدَدُ
وابصرُ الناس بالطبيخ فكالمِسْكِ القلايا وكالعنبر الثُّرَدُ
ويعرف الشعرَ مثل مَعرفتي وهو على ان يزيدَ مجتهدُ
وكاتبٌ توجدُ البلاغة في ألفاظهِ والصوابُ والرَّشَدُ
وواجدٌ بي من المحبَّة والرأفة اضعافَ ما بهِ أجدُ
اذا تبسَّمتُ فهو مُبتهجٌ وان تغرمرتُ فهو مُرتعدُ
ذا بعض اوصافهِ وقد بقيَت لهُ صفاتٌ لم يحوِها احَدُ

وربّما وصف الكتّاب شخصَين امّا لترجيح احدهما على الآخر وامّا للمقابلة بينهما على سبيل المغايرة فمن ذلك وصف

شهاب الدين المَقْدِسي في كتاب الروضتين لنور الدين وصلاح الدين قال ما ملخَّصهُ :

فلمَّا وقفت على ترجمة الملك العادل نور الدين أطربني ما رأيتُ من آثارهِ . وسمعتُ من اخبارهِ . مع تأخُّر زمانهِ . وتغيّر خُلّانهِ . ثم وقفت بعد ذلك على سيرة سيّد الملوك بعدهُ الملك الناصر صلاح الدين فوجدتهما في المتأخرين . كالعُمَرَين في المتقدّمين . فانَّ كلَّ ثانٍ من الفريقَين حذا حَذْوَ من تقدَّمهُ في العدل والجهاد . واجتهد في إعزاز الدين ايَّ اجتهاد . وهما ملكا مُلّتنا . وسلطانا أُمّتنا . فللَّهِ درُّهما من ملكَين تعاقبا على حُسْن السيرة . وجميل السريرة . وهما حنفيٌّ وشافعيٌّ . شفى الله بهما كلَّ عيٍّ . وظهرت بهما من خالقهما العناية . فتقاربا حتَّى في العمر ومدَّة الولاية . وكان نور الدين اسنَّ من صلاح الدين بسَنَة واحدة وبعضِ أُخرى وكلاهما لم يستكمل ستين سنة . فانظر كيف اتَّفق انَّ بين وفاتَيهما عشرين سنة وبين مولدِهما احدى وعشرين سنة . وملك نور الدين دمشقَ سنةَ تسع واربعين وخمسمائة . وملكها صلاح الدين سنةَ سبعين فبقيَت دمشقُ في المملكة الصلاحيَّة تسع عشرة سنة . وهذا من عجيب ما اتّفق في العُمر ومدَّة الولاية ببلدة معيَّنة للملكين متعاقبَين مع قُرْب الشبَه بينهما في سيرتها والفضلُ للمتقدّم . فكانت زيادة مدَّة نور الدين كالتنبيه على زيادة فضلهِ . والارشاد الى عظم محلّهِ . فانهُ اصلُ ذلك الخير كلّهِ مهّد الامور بعدلهِ وجهاده . وهيبتهِ في جميع بلادهِ . مع شدَّة الفَتْق . واتّساع الخَرق . وفتح من البلاد . ما استُعين بهِ على مداومة الجهاد . فهان على مَن بعدهُ على الحقيقة . سلوك تلك الطريقة . ولكنَّ صلاح الدين اكثرُ جهادًا . واعمُّ بلادًا . صبَر وصابَرَ . ورابَط وثابَرَ . وذخر لهُ من الفتوح انفَسَهُ . وهو الذي فتح الارض المقدسة . فرضيَ الله عنهما فما احقَّهما بقول الشاعر :

وألبسَ اللهُ هاتيك العظامَ وإن بَلِينَ تحتَ الثرى عفوًا وغُفْرانا
يُسقَى ثرًى أُودِعوهُ رحمةً ملأَت مثوى قبورِهم رَوحًا ورَيحانا

(راجع ايضًا ما مرَّ من وصف الغني والفقير والمقابلة بينهما ص ١٠٩ ونوع المختلف والمؤتلف ص ١٨٥)

وكثيرًا ما تعمُّ هذه الاوصاف أُمَّةً او قبيلةً او دولةً او طائفةً من الناس كما قال بعضهم في وصف التجار :

حضرتُ مع التجار وكان يومًا جَعلتُ حضورَنا فيهِ وَدَاعا
فذاك يقولُ كم اَطلَقتَ بيعًا ووفَّيتَ الذي بعتَ الذراعا
وهذا قال عندي كلُّ شيءٍ ولكن لا ابيعُ ولن يُباعا
فلا تجعلهمُ ابدًا ندامى فتكسبَ من مكاسبهم صُداعا

(راجع ايضًا صفة الدولة البرمكيَّة لابن الطِقْطِقَى في كتاب نخب المُلَح الجزء الثاني ص ٥٠)

وصف الوزير الكامل

ينبغي ان يكون الوزير جامعًا لخِصال الخير حسن الخَلْق والخُلق يجمع بين البَشاشةِ والوَقار والحلم والهيبة والعفَّة والنَّزاهة وعزَّة النفس. سديد الآراء حسن العبارة سريعَ الفهم عالمًا بالامور السياسية والناموسية والضوابط السُّلطانية والاحوال الديوانية والامور الحربية. يجمع ويفرّق ويُبعد ويُقرّب ويُشتّت ويُؤلّف. ويُضاف الى ذلك ان يكون قد بلغ أشُدَّهُ وكثُرت تجاربهُ وأُمِنت خيانتُهُ وتحقَّقت اَمانتهُ. كتومًا للاَسْرار يُسكتهُ الحِلم ويُنطقهُ العلم لهُ حفظ وبلاغة وايجاز في العبارة. حسن التأني في مُخاطبة الملك لطيف التوصُّل الى نقل طباعهِ من الميل الى الاعتدال. وليكن مُشتَمِلًا برِداء الصِدق والوفاء معروفًا بصفات الخير من نفسهِ متَّصفًا متبحّرًا في انواع العلوم. ما لكًا لزمام المَنثور والمنظوم. جامعًا لشتيت المكرُمات. عارفًا بكتابة الانشاء والترسُّلات. كافيًا في حسن النظر والمُباشرات. شافيًا في العَروض خبيرًا بالحال والمحاسبات. ماهرًا في الاستيفاء والمقابلات. قويًّا في صِناعة الحساب والتصرُّفات. بليغًا في الفصاحة والكلام. حاذقًا في البراعة والاهتمام. وفيّ الذِمام. شفوقًا بالاسلام. ذكيّ الفِكرة. زكيّ الفِطرة. سريعًا جوابهُ. كثيرًا صوابهُ. حسنًا خطابهُ. مفتنًا في الحِكم والاستنباطات. مطيقًا في اعمال المقترحات. متيقّظًا في تدبير الدولة العادلة. مخلّدًا ذكر السيرة الفاضلة. جيدًا في علم التواريخ والهندسة.

محمود العواقب في الاشارات والاَقْيِسة . معمِّرًا للجهات والاعمال . مثمّرًا لاصناف الاموال . كَتُومًا للاسرار . هادمًا للاَوْزار . مجتهدًا في تحصيل الغلال والاموال من جهاتها . مقتصدًا في وجوه صَرْفها ونفقاتها . قد تجلب في ذلك بجلباب التقوى . وقدَّم الله بين يديهِ حتَّى يقوى . هذه صفات الوزير الكامل ذي الجلالتين . والاثير الفاضل في الحالتين

(من كتاب ترتيب الدول للحسن بن عبدالله بن عبّاس)

١

(راجع في هذا المعنى صفة العرب في الجزء الثالث من مجاني الادب العدد ٣٩١ وفي الجزء الخامس العدد١٦١ . وصفة الكلدان والفرس واليونان والرومان في الجزء الثاني العدد ٤٣٧و٤٣٨ و٤٤٠ و٤٤١ و٤٤٣ . وصفة الدولة العبّاسية في الجزء الخامس العدد ٣١٣)

وقد الحقوا بوصف الناس وصف الحيوان وطباعهِ واخلاقهِ كما وصف إخوانُ الصفا الأَسد :

هو أكبر السِّباع جُثَّةً واعظمها خِلْقةً وأقواها بِنْيَةً . واشدُّها قوَّةً وبطشًا وأعظمها هيبةً وجلالاً . عريض الصدر دقيق الخَصْر لطيف المؤخَّر كبير الرأس مدوَّر الوجه واضح الجَبين واسع الشِدقَين مفتوح المنخَرَين متين الزَّندَين حادُّ الانياب صُلْبُ المخالب برَّاق العينَين جهيرُ الصوت شديد الزئير شجاع القلب هائل المنظر . لا يهاب احدًا ولا يقوم بشدَّة بأسهِ الجواميسُ والفيَلَة والتِمساحُ ولا الرجال ذوو الباس الشديد . ولا الفُرسان ذوو السلاح الشاكّ والدروع المُضاعَفة . وهو شديد العزيمة صارم الرأي اذا همَّ بامرٍ قام اليهِ بنفسهِ . سخيُّ النفس اذا اصطاد فريسةً أكل منها وتصدَّق بباقيها . ظَلَف النفس عن الامور الدنيَّة لا يتعرَّض للنساء والصبيان

صفة النحل

ومِمَّا خصَّ الله بهِ النحل وانعم عليها بهِ ان جعل خِلقة صورتها وهيأ كلها

وجميل اخلاقها وحسن سيرتها وتصاريف امورها عبرة لأُولي الالباب وآية لاولي الابصار. وذلك أنَّهُ خلق لها خلقةً لطيفةً وبِنيةً نحيفة وصورةً عجيبة. بيان ذلك انهُ جعل بنية جسدها ثلاث مفاصل محدودة فجعل وسط جسدها مُدمَجًا مخروطًا . ورأسها مدوَّرًا مبسوطًا . وركَّب في وسطها اربع ارجل ويدَين متناسبات المقادير كاضلاع الشَّكل المسدَّس في الدائرة لتستعين بها على القيام والقعود والوقوع والنهوض . وتُقدّر اساسَ بناء منازلها وبيوتها على اشكالٍ مسدَّساتٍ مكتنفاتٍ كيلا يداخلها الهواءُ فيضرّ باولادها او يُفسد شرابها الذي هو قوتها وذخائرها . وبهذه الاربعة الارجل واليدَين تجمع من ورق الاشجار والزهر والثمار الرطوبات الدُّهنية التي تبني بها منازلها وبيوتها . وجعل سبحانهُ وتعالى على كتفيها اربعة أجنحةٍ خفيفةٍ حريريّة لتسبح في الطيران في جوّ السماء . وجعل مؤخَّر بدنها مخروط الشكل مجوَّفًا مدمجًا مملوءًا هواءً ليكونَ موازيًا لثقل رأسها في الطيران . وجعل لها حُمَةً حادَّةً كانها شوكةٌ وجعلها سلاحًا لها لتُخوّف بها اعداءها وتزجر بها مَن يتعرَّض لها او يُؤذيها . وفتح لها مَنخرين وجعلهما آلةً لها لتشمّ بها الروائح من الطيّبات . وجعل لها فمًا مفتوحًا فيهِ قوَّةٌ ذائقةٌ تتعرَّف بها الطعوم الطيبات من المطعومات المَشروبات . وجعل لها مشفرَين حادَّين تجمعُ بها من ثمر الاشجار ومن ورق النبات والازهار وانوار الاشجار رطوباتٍ لطيفة وجعل في جوفها قوَّة جاذبة وماسكةً وهاضمةً طابخةً مُنضِجَةً تُصيّر تلك الرطوبات عَسَلًا حُلْوًا لذيذًا وشرابًا صافيًا وغذاءً لها ولاولادها وذخرًا وعونًا لشتوتها كما جعل في ضروع الانعام قوَّة هاضمة تُصيّر الدم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين (اخوان الصفا)

ومن اجود ما وُصف بهِ جريُ الفرس قول ابي تمَّام الاندلسي :

وأغرَّ تتَّقد البروق اذا جرى ... من غيظها حسَدًا لأنْ لم تَلْحَقِ
ملكَ الرياحَ قوائمًا فجرى بها ... فيكادُ يأخذ مَغرِبًا من مَشرِقِ

ولأيوب في وصف الفرس قولهُ :

أأنت الذي يؤتي الفرَس قوَّةً ويقلّد عُنقهُ رعدًا ويوثبهُ كالجراد . انَّ نخيرهُ هائل . يحدثُ في الوادي ويمرح نشاطًا ويقتحم للقاء السلاح . يضحك

على الذُّعر ولا يرهب ولا ينهزم من السيف . تُصلصل عليــهِ الجَعْبة وسنان الرُّمح والمِزراق . في هيجانهِ وفورتهِ يلتهم الارض ولا يصدّق ان يهتف البوق . اذا نُفخ في البوق يقول : ها . ويستروح القتال عن بعدٍ وصياح القوّاد واللجَب

وتجد ايضاً وصفاً للفرس في الجزء الرابع من مجاني الادب العدد ٣٠٧ وفي الجزء الخامس العدد ١٩٦ — ١٩٩ وفي الجزء السادس العدد ٨٦ في معلّقة امرئ القيس

(راجع ايضاً وصف الابل في الجزء الاول من مجاني الادب العدد ٣٣٨ والجزء الرابع العدد ١٤٠ . ووصف الفيل في العدد ٣٤٣ من الجزء الاوّل . ووصف الاسد في الجزء الرابع العدد ٣٦٣ . ووصف النحل في العدد ١٣٥ منــهُ وصفة الببغاء العدد ٣٠١ منهُ)

ومن انواع الاوصاف التي اكثر من استعمالها شعراء العرب الزهريّات (مرّ ذكرها في الصفحة ٥١) ودأبهم فيهـا اوصاف اجناس الازهار وما يلحق بها ممّا يبهج النظر في الطبيعـة ويسرُّ الخاطر كالانهار والاشجار والاثمار وما شاكلها

(راجع الجزء الخامس من مجاني الادب ص ١٩١ والجزء السادس ص ١٨١) .



ألفنّ الثَّالِثُ

في المناظرات

س ما هي المُناظرة

ج المناظرة في اللغة المجادلة وعند الاصوليين هي توجُّه خصمين في النسبة بين الشيئين اظهارًا للصواب (١)

س ما هي المناظرة البيانية

ج هي عبارة عن تأليف أنيق يوجّه الكلام لمتخاصمَيْن عاقلين او غير عاقلين يفاخر احدُهما الآخر طورًا في المدافعة عن امرٍ ينتصر لهُ واخرى بذكر خواصّ نفسهِ وعيوب خصمهِ

س ما الفائدة من المناظرات البيانيَّة

ج الفائدة منها اولًا ان يبيّن الكاتب اقتدارهُ على التصرُّف في وجوه الكلام . ثانيًا ان يُظهر ما في المتخاصمين من المحاسن والمساوئ مع التفاوت في مراتبهما

١ قولهُ « توجُّه خصمين في النّسبة بين الشيئين » يريد انَّ الخصمين يُحاولان في ذكر ما في كلا الشَّيئَيْن من الخواصّ . راجع مقدَّمة ابن خلدون والرشيدية وتعريفات الجرجاني

س ما هي شروط المناظرة

ج للمناظرة ثلاثة شروط: الاول ان يُجمَع بين خصمَين متضادَّين او متباينَين في صفاتهما بحيث تظهر خواصّهما بالمقابلة كالشيب والشباب والربيع والخريف وما شابه ذلك

الثاني ان يأتي كلٌّ من الخصمين في نُصْرتهِ لنفسهِ وتفنيد مزاعم قِرْنهِ بأدلّةٍ من شأنها ان ترفع قدرَهُ وتحطَّ من مقام الخصم بحيث يميل بالسامع عنهُ اليهِ

الثالث ان تصاغ المعاني والمراجعات صوغًا حسنًا وتُرتَّب على سياق مُحكَم ليزيد بذلك نشاط السامع وتنمي فيهِ الرغبة في حلّ المُشكِل

س اورد لنا شاهدًا على هذا الفنّ

مناظرة بين الشمع والخمرة

حكى الخِلُّ المُوافق . والرَّاوي الصادق . قال: كنتُ منذ نشأتُ شديدَ الكلَف بالراح . زائد الشَّغَف باللهو والأفراح . أنتدبُ لمجالسَ الكرام . واقطع بصُحبتهم دَياجي الظلام بالمُدام . فبينما نحن في بعض الليالي . منتظمون في نادٍ انتظامَ اللآلي . أحضَرنا ما تتكمَّلُ المَسرَّةُ بإحضاره . من رياحين الرَّوض وازهاره . من آسهِ وجُلَّناره . فجعلَتْ تلك الزهور تضوع . وأشرقت كواكب هاتيك الشموع . فأدَرْنا الاقداح . ودخلنا في الراح . واهدى لنا المُدامُ انواعَ سروره . وألقى الشَّمعُ علينا رِداءَ نُوره . فشكرنا مُنادَمةَ المدام والشَّمع . ومنحناهما من المدح بما يُطرب السَّمْع . فاراد كلٌّ منهما التقدُّم على الآخَر في

ذلك المقام . وزعم انهُ أحقُّ بالاكرام . فاشتدَّ بينهما الخِصام . وأفضى الكَلام الى الكِلام . فقال احدُنا : ليقُلْ كلٌّ منكما ما يوجب تفضيلهُ . وليُقِم عليهِ برهانهُ ودليلهُ . فقام (المدام) على رُكبَتَيهِ . وحمد الله واثنى عليـهِ . وقال : الحمد لله الذي أخرجني من سُلالة الكُروم . وخصَّني بازالة الهموم . امَّا بعدُ فاني احقُّ بالتقدُّم . واولى بالتفضيل والتكرُّم . وكفاني فضلًا وتفضيلْ . ما في مدحي قيلْ . ويُسقَون كاساً كأنَّ مزاجها زَنجَبيل . وليس الشمع مثلي . ولا فَضلُهُ كفضلي . انا أولى بخدمة الإخوان والرفاق . واحقُّ بالصِلة وألذُّ عند المَذاق . انا جالب الأنس والسرور . ومُذهِب الهمومَ من الصدور . أُلِمُّ الأفراح . وأهزِم الأتراح . يَبسِم حَبابي لأحبابي . وأسقي صافي شرابي لشُرَّابي . افوق على كل شراب . واجعل أعمــال الهموم كسَراب . وأمَّا انت ايها الشمع فضعيف الكَون . مُصفَرُّ اللون . لونُك حائل . ودَمعُك سائل . تُحرِق جسمَك بنارِك . وتؤذي نُدماءك بما طار من شرارِك . فهذه بعض خِصالك . فقصِّر في جدالك . واسمع في شرح حالي وحالك :

ما جرى يا أهلَ ودّي قليـلُ ‏ زعم الشمع انهُ لي مثيــلُ
انا أعلى عنـد الكِرام محـلًّا ‏ وكلامي لَدَيهم مَقبولُ
واذا كنتُ بينهم عظَّموني ‏ ولمثلي لا يُنكَرُ التبجيــلُ
ويَصيرون كلُّهم طَوعَ امري ‏ ويُطيعون كلَّ شيءٍ اقولُ
انا أُلقي السرور في كل قلب ‏ فتقول الهمومُ طاب الرحيــلُ
انت يا شَمعُ قد علاك اصفرارٌ ‏ مَن يراهُ يقول ذاك عليــلُ
لك عينٌ مثلُ الرقيب علينــا ‏ فهي تُكوى بنارها فتَسيــلُ
ولســانٌ يخشى النديمُ سَطاهُ ‏ كلَّ حينٍ يقطُّهُ فيطولُ

فلمَّا سمع (الشَّمع) كلام المدام . تهيَّأ للخصام . ونهض من شَمعَدانهِ على الأقدام . وجال في المجال . وابتدر عند ذلك فقال : الحمد لله مُنوّر النور . ومحرّم نَشوة الخمور . الذي اقتضت حكمتُهُ تحريكَ الراح . وجعــل نورهُ كَمِشكاةٍ فيها مصباح . امَّا بعد ايها المدام . فقد اغلظتَ في الكلام . ولم تفرِق بين الحلال والحرام . أما لك عينٌ تريك أنواري الباهرة . ونجومي الزاهرة . ومحاسني الظاهرة . طالما جمَّلتُكَ بحضوري . وأَمهرتُ عرائسَ أُنسك بنوري .

اين انت عن الشمع المَقْصور. وأشكالها وبياضها وحسن افعالهـا التي اذا أُوقدت ضمها نورٌ على نور. واذا برزتْ في الظلام مزّقت أديم الديجور. أَفما علمتَ انّي شقيق الشّراب. الذي شهد بفضلهِ الحبْرُ وأطنب الكُتّاب. أَنتحب في خدمة الاحباب. وافني جسدي في رضى الأصحاب. وربّما عمد اليّ الجاني. فقطع لساني. وخفض من شاني. فصبرتُ على ما دهاني. رضاعفتُ إحساني. واجتهدتُ في إنارة مكاني. ولو شئتُ. لأحرقتهُ بدُخاني. وطعنتهُ بسناني. واخذتُ منهُ بثاري. واعلمتهُ انهُ ما يُصْطَلَى بناري. واماً انت ايّها الخَمْرُ فحاسنك يسيرة. ومناحسك كثيرة. طالما أَضْلَلْتَ الرفيق عن الطّريق. وحمّلتَ الصديق ما لا يُطيق. وان كنتُ انا جالبَ الأَلسن على السّرور فتذيع انت الأَسرار. وتهتكُ الاستار. وتجترئ على الرؤّساء الكبّار. وتحلُّ فيهم كانك صاحبُ ثار. واماً ما عيّرتَني بهِ من نحولي واصفراري. وملازمَة دمعي الجاري. فهذا يوجب قَبُول اعتذاري. وعتيد أعذاري. اوَما علمتَ انّ جرَيان الدموع. يدلُّ على الالتهاب بين الضُلوع. وما احترقتُ الّا لإحراقي. والتّرقّي في مقام التراقي. فافهم سرّي. واسمع شعري:

إيها الخمرُ قد اطلتَ الفخَارَا أَعُقُولُ الصُّحاةِ مثلُ السَّكارى
قد سبيتَ العقول منهم فضلّوا وأصرُّوا واستكبروا أستكبارا
وتعدّيتَ فوق طَوْرِكَ حتّى قد تعدّيتَ فوقـهُ أَطوارا
إذا ما كنتُ في المجالس أَزْهُو كرياضٍ قد أَنْبتت ازهارا
او غوانٍ لَبِسْنَ عِقْدَ حُلِيٍّ نظَمُوهُ لآلِئاً ونُضارا
يستنيرُ الظلامُ من نور وجهي فترى الليلَ من ضيائي نهارا

فلماً أنجز الشمع شؤُون الذي انشدهُ. وفَهِم المُدام غرضَهُ ومقصدهُ. اضطرب واظهر زَبَدهُ. وخشينا من حصول العربدهْ. فنهضتُ من مقامي. واحضرت مُدامي قدّامي. وجعلتُ الشمع امامي. وقلتُ انتما نديمان حسنان. مشهوران بالاحسان. فلا تُنَغّصا هذا المقام. ولا تأْخذا في نفوسكما من هذا الكلام. وما منكما الّا مَن لهُ محاسن لا تحصرها الأَقلام. والصُّلح سيّد الاحكام. فانشرح الاحباب بذلك الصلح الجميل. ثمّ اخذنا بالقال والقيل. نتجاذب اطراف الاقاويل. فللّهِ ما اطيبها ليلة جديرة بالحمد والثناء. متّصلة باللهو

والصفاء . قد راقت ورقّت وقد هبّت عليها نسمة الزهر والمُدَام . والشمع في عسكره واقفٌ كالإمام . فلمّا طلع الفجر ولاح الصباح . رفعنا الشمع والراح . وعزمت الاصدقاء على الرواح . فودّعتهم متمسكًا منهم بأذيال الوعد . واثقًا بان يعودوا الى مجلس الأنس والسّعد . وتوجهوا في حِرْز السلامة . وهذه خاتمة المقامة

(راجع ايضًا في الجزء الرابع من مجاني الادب اشارات المقدسي الصفحة ١١٧ – ١٥٢ وفي الجزء الخامس مناظرة الازهار الصفحة ٩١ ومناظرة فصول العامّ الصفحة ١٠١ ومناظرة البحر والبرّ الصفحة ١٠٧ ومناظرة العرب والعجم الصفحة ١٠٨ . وفي الجزء السادس مناظرة بلاد الاندلس الصفحة ٦٢ ومناظرتين في السيف والقلم الصفحة ٦٦ و ٧٩)

س كم هي اقسام المناظرة

ج ثلاثة : المقدّمة والجدال والخاتمة

س ما هي صفات المقدّمة

ج كثيرًا ما تُفتتَح المناظرات بالحَمْدلة . ثم يليها المقدّمة وهي تقتضي رونقًا وطلاوة لا يشوبهما التباس ليقف السامع على حالة الخَصْمَين ومادّة جدالهما مثال ذلك مناظرة الربيع والخريف وقد كُنِي فيها بالشابّ عن الربيع وبالشيخ عن الخريف :

مقدّمة مناظرة الربيع والخريف للجاحظ

خرجتُ يومًا وانا في خِدْمة قِوام المُلْك ونظام الدين ابي يَعلي احمد بن طاهر . . متنزّهًا ومتفرّجًا ومن الحَفْلة بالوَحْدة متسلّيـًا . ومتشفيًا ببَرْد النسيم عن حُرْقة كنت بها مُتَصلّيًا . . . واذا برَوْضة دَعَتني واشرأبّت بي على عَيْن تَنفجر من مَحاجر الاحجار . كأنّما سيف الصُّبْح سُلَّ من غِمْد الظلام ولا

يُطاوعهُ القَرار . . . أو كأنّها النَضْناض ينساب على الرَضْراض في الانهار . فقعدتُ عليهِ وحدي خاليًا . وبالنظر فيهِ ساليًا . فلحقني رُفْقةٌ من اهل الادب . خرجوا للطرب . وفيهم شابٌّ كأَنَّ جُمْلة الجَمال منهُ خُلقت . وتفاريقها عنهُ سُرِقَت . يتصرَّف بشمائلهِ في القلوب . تصرُّفَ الهواء بالشَّمال والجَنُوب . اذ طلع علينا شيخ مُثْرٍ من ثياب الديباج والخزّ . مغرَق في كِسَى الحرير مبطَّنة بالقزّ . مديد القناة قصير الخُطَى . فحين قَرُب منَّا ملأَ الارواح خفَّة رَوْحٍ وظَرْفًا . والانفاسَ ذكاءً ونَشْرًا وعَرْفًا . والقلوبَ رقَّةً وبِشرًا وعُرْفًا . والعيونَ جمالاً وملاحةً وبهجةً . والمسامعَ بيانًا وفصاحةً ولهجةً . فقمنا واستقبلناهُ بل طِرْنا اليهِ . وطُرْنا حواليهِ . بقلوبٍ لهيبتهِ خافقة . ونفوس على شيبتهِ رافقة . فبرَّنا . وسرَّنا . وحفَّنا . ورَقَّنا . وخصَّ كلامنا بعُرفهِ و إحسانهِ . وابهج جملتنا بمليح لِسْنهِ وفصيح لسانهِ . فأقبلنا عليهِ وتركنا الشابَّ الذي عَلَّكنا حسنُهُ وأَصْبانا . واقتَنَصَنا ظُرْفُهُ وسبانا . واذا للشيخ بهاءٌ وأُبَّهة . ومجالستُهُ مُوقِظة للالباب ومُنبِّهة . . . فاقبل علينا بالوقار والسكينة . والبلاغة المكينة . وقال : الآن اذ سكنتم اليَّ وتمكَّنتم . ففيما كُنتم . فقلنا لهُ : أعجبَنا هذا الماء الصافي عن الكَدَر . وهذا المكان الخالي من القَتَر . فقال الشيخ : هكذا يكون الخريف يصفو ماؤُهُ . وتصفو نعماؤُهُ . ويَرِقُّ هواؤُهُ . وتخفُّ ارواحهُ . وترتاحُ بنعيمهِ المُقيم قلوبهُ وارواحهُ . فانتدب الفتى الطريُّ . والشابُّ الأَرْيَحِي . الذي تقدَّم ذِكرهُ وقال في غضب وحرَد : يا خَرِف أَبِالْخَرِيف تُدِلُّ علينا وهو زمانٌ امراضهُ مُزْمِنه . وفصل جُمْلتُهُ مُوهِية موهِنه . وحين طبعهُ حَيْنٌ وحَيْن ومزَاجهُ مُوحِش وَبيّ . ووجههُ عابس . وتُرابهُ يابس . وهواؤهُ كالح . وماؤهُ بطبيخ حرارة الصيف اياه زعاقٌ مالح . ولِمَ نسيتَ فصلَ الرَّبيع وفضلَهُ وسيماهُ ونَشْرهُ . وطلاقتهُ وبِشْرهُ . اذا اقبل يتهلَّل ويتبسَّم . ويكاد من الحسن يتكلَّم . طريُّ الاحشاء والحواشي . نديُّ الفَوادي والغواشي . لذيذ الأبكار مطرَّز الخمائل . سَجْسَج الهَواجر طيِّب الأَصائل . فقال الشيخ برُكُون . وتُؤَدة وسكون : ما اسمك أيُّها الظريف الطَلْق الوجه واللسان واليد . الماضي المُضيء كالسيف في الحدّ . اللطيف في المنظر . والمَخبر . والمطلع . والمقطع . فقال : اسمي الربيع بن الطيِّب . فما اسمك ايها الشيخ الكريم في اخلاقهِ واحلامهِ . . . المتجاوز

عن زلل كلامهِ . . . فقال : اهلًا بك وبقومك . ومرحبـًا بوقتك ويومك . اسمي الخريف بن المُنعم فما ضجَّرك مني وانا عن نفسي ناصح . ببرهاني اللائح الواضح . فقال الربيع : وانا كذلك فأعذرني وقد عرفتَ طبعي في تلوّنهِ وان كان مقبولاً . وحالي في تفننهِ وان كان لذيذًا معسولًا . فقال الخريف : انت يا فتى معذور . بل مشكور . فلِمَ تفضِّل الربيع على الخريف . يا ربيع الظريف . . .

س ما هي صفات الجدال في المناظرة

ج ينقسم الجدال الى قسمين : (الاول) هو استخراج البيّنات الجليّة الراغمة للخصم . ومصدرها اقوال الحكماء ونوادر الرُّواة والبلغاء وابيات الشعراء كما ترى في مفاخرة الهواء للماء :

الحمد لله الذي رفع فلَك الهواء . على عُنْصُر التراب والماء . امَّا بعد فمَن عرفني فقد اكتفى . ومن جَهلني فسأَبدو لهُ بَعْد الخفَا . انا هو الهواء الذي أُولِف بين السحاب . وأنقل نسيم الاحباب . واهبُّ تارةً بالرحمة واخرى بالعَذاب . وانا الذي سُيِّرَ بي الفُلك في البحر كما تسير العيس في البطاح . وطار بي في الجوّ كلُّ ذي جناح . وانا الذي يضطرب مني الما . اضطرابَ الانابيب في القَنا . اذا صفوتُ صفا العالم وكان لهُ نضرة وزَهو . واذا تكدَّرت إِنكدرت النجوم وتكدَّر الجوّ . لا اتلوَّن مثل الماء . المتلوّن بلون الإِناء . لولاي ما عاش كل ذي نَفَس . ولولاي ما طاب الجوّ من بخار الارض الخارج منها بعدَ ما احتبَس . ولولاي ما تكلَّم آدمي ولا صوَّت حيَوان . ولا غرَّد طائر على غُصْن بان . ولولاي ما سُمع كتاب ولا حديث . ولا عُرِف طيِّب المسموع والمشموم من الخبيث . فكيف يفاخرني الماء الذي شبَّه الله بهِ الدنيا البغيضة . التي لا تَعدل عندهُ جناحَ بَعوضة . وانا الذي اطير بلا جناح الى جميع الجهات . وحسبُ الماء ذمًّا خلوُّهُ من الحرارة المشتقَّة منها الحُرّية .

وكون الرطوبة فيهِ طبيعية غريزية . هذا ما خصَّني الله بهِ من المزايا يَعجز عنـهُ فم الدواة ولسان القلم وصدر الرَّقيم . وفوقَ كل ذي عِلم عليمٌ . واما انت فحَسْبُك عيبًا قولُ بعض الادباء : فلانٌ كالقابض على الماء . وبالله قلْ لي ايُّ فخرٍ لمن يعزّ مفقودًا ويهون موجودًا . ومن اذا طال مكثهُ . ظهر خُبْثهُ . واذا سكن نَتْنهُ . تحرّك نَتْنهُ . ومَن نبعَ من الصخور . ومرَّ مَذاقهُ في البحور . وشَرِق بهِ شاربُهُ . وغرق فيـهِ مجاورهُ ومصاحبه . وعلتْ فوقهُ الجيَف . وانحطَّت عندهُ اللآلي في الصَّدَف . وقد بان الصحيحُ من السقيم . والمُنتج من العَقيم . اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم . ثم انحدر من منبره . ووَعينا ما سردهُ من مَفخره . وقال للماء : هات يا ابا الدَّأما . . .

واما (القسم الثاني) من الجدال فهو الردّ على حُجَج المناضل ويقتضي ان يكون ذلك عن سابق خبرة وبصيرة في الامر مع سلامة الخطاب من الغِلْظة والجفاء في المناظرة كما ترى في جواب الماء وردّهِ على الهواء :

فعلا الماءُ بموجهِ . حتَّى صَعِد الى ما انحطَّ عنهُ الهواء من اَوْجهِ . ولولا الارض تَلكهُ لَسالَ . لكنهُ تجلَّد واقبل علينا وقال : الحمد لله الذي خلق كلَّ حيٍّ . . . . اما بعد فقد سمعت جَعجَعةً ووَعْوَعةً . ظننتُها صرير باب . او طنين ذباب . باطلٌ في صورة الحق . وسَرابٌ اذا تأملتَهُ زال وانمحق . فاسمع ايها الهواء ما أتلوهُ من آيات فخري الشامل . وما اجلوهُ عليك من عِقْد فضلي الذي انت منهُ عاطل . وقلْ : جاءَ الحقُّ وزهق الباطل .

فاقول انا اوَّل مخلوق ولا فَخر . وانا لذَّة الدنيا والآخرة ويوم الحَشْر . وانا الجوهر الشفَّاف . المشبَّه بالسيف اذا سُلَّ من الغِلاف . وقد خلق الله في جميعَ الجواهر حتَّى اللآلي والاصداف . أُحيي الارض بعـد مماتها . وأُخرج منها للعالم جميع اقواتها . واكسو عرائس الرياض انواع الحُلَل . وانثر عليها لآلئ الوَبْل والطَّلّ . حتَّى يُضرب بها في الحسن المثل . كما قيل :

ان السماء اذا لم تبكِ مُقلتها لم تضحك الارض عن شيء من الزَّهرِ

وانا الذي أُذهِب حرارة آب وتموز. وقد أفتى الافاضل انَّ مَن دخل عليَّ من باب المفاخرة انهُ لا يجوز. فكيف يُنكر فضلي مَن دبَّ او درَج. وانا البحر فَرْعي وفي الامثال: حدِّث عن البحر ولا حرَج. واما انت ايها الهواء فكم ذهبتْ فيك نصائحُ النُّصَّاح. كما قال ابن هَرْمة: « وبعض القول يذهب في الرياحِ ». ولعمري انهُ لا يفي قَبولُك بدَبورك. ولا تقوم جنَّتك بسَميرك. ولَطالما اهلكتَ أُمماً بسُمُومك وزَمهريرك. فكم تواترَ عنك حديثٌ تَشمئزّ منهُ النفس وتمجُّهُ الأُذُن. وحسبُك من العناد آنَّك « تجري بما لا تشتهي السفُن ». ومن عيوبك انك لا تسكن ولا يقرّ لك قرار. وقد ضرَبتِ العربُ في سالف الأعصار. بعدم استقامتك الامثال واطالت الأخبار. كما نقلهُ عنهم اصحاب القصص فمن ذلك قولهم:

انَّ ابن آوى لَشديد المقتَنَصْ وهو اذا ما صيد ريحٌ في قفَصْ

واما قولك (لولاي ما عاش انسان. ولا بقي على الارض حيوان). فجوابهُ لو شاء الله لعاش العالم بلا هواء. كما عاش عالَم الماء في الماء. ولكن لا يليق بالعاقل ان يفتخر بالأعراض. وما الافتخار بشيء سريع الزَّوال. او بعرَض ليس لطبيعة الشخص عليهِ انجبال

واما قولك (انَّ طبيعتي الرُّطوبة) فذلك اعظم فخري. لان الرُّطوبة مادَّة الحياة التي في الاجسام تسري. اذ الحرارة بمنزلة النار في الابدان. والرطوبة لها بمنزلة الأدهان. فاذا خلص الدُّهن انطفأ السراج. وزال ما فيهِ من النور الوهَّاج. واماً تعييرك لي (باني مُتلون) فالتلوُّن صفةُ عارف الزمان. المتخلّق بقول القائل: كلَّ يوم هو في شان. واماً قولك (ان الله شبَّه بي الدنيا) فقد شبَّه الله بك افئدة الكفَّار. وجعل زَمهريرك سعيرًا في النار. فانت المذموم مقصورًا او ممدودًا. ان مُدِدتَ كنت جبَّارًا عنيدًا. وان قُصِرتَ كنت الهًا معبودًا (١. وانا الذي لا اتغيَّر بالمدّ ولا بالجزر. وكيف يتغير مَن هو مادَّة

---

١ يُريد بقولهِ (ان قُصِرتَ كنتَ الهًا معبودًا) انَّ الهوَى (وهو اسم مقصور) يستعبدُ قلبَ الانسان اذا تملَّكهُ

البحر . واما (افتخارك برِفْعة المنازل . وعدُّك ذلك من اعظم الفضائل) . فانَّ فضيلة الشخص بالزمان . لا بالمكان . كما قيل :

وان علاني مَن دوني فلا عجبٌ لي أُسوةٌ بانحطاط الشمس عن زُحَلِ

هذا وأنشدُك اللهَ أما رأيت ما حباني الله بهِ من عظيم المنَّة . حيث جعلني نهرًا من انهار الجنَّة . انا ارفع الأحداث . وأُطهّر الاخباث . واجلو النظر . وأُزيلُ الوَضَر . أما رأيتَ الناس اذا غبتُ عنهم يتضرَّعون الى الله بالصوم والصلاة والصدقة والدعاء . ويسألونهُ تعالى ارسالي من قِبَل السماء . (واعلم) انني ما نلتُ هذا المقام الذي ارتفعتُ بهِ على ابناء جنسي . الَّا بانحطاطي الذي عيَّرتني بهِ وتواضعي وهضم نفسي

تفاخر الزيت على اللحم وردّ اللحم عليهِ

(للاديب نيقولا الترك)

فقال الزيتُ من صلَفٍ وعُجْبٍ مقالاً ذا افتخارٍ فيهِ أجمَعْ
انا الزيتُ الذي كلٌّ اليهِ بمحتاجٍ ووصفي قد تنوَّعْ
فنُوري شاهدٌ في عَظْمِ فَضْلي اذا ما في ظلام الليل لعلَعْ
وفي حلَكِ الدُّجى يغدو نهارًا مُضيئًا مُشرقًا بَهِجًا مشعشَعْ
يُفيضُ ضياهُ عن إشراقِ شمسٍ منوَّرةٍ وعن صُبحٍ تقشَّعْ
وكم عندَ النصارى لي مقامٌ يجلُّ ولي لِوا فضلٍ مُشرَّعْ
فان هم عتَّقوني زدتُ فضلًا وصرتُ بهِ من الإكسير انفعْ
وكم قوَّمتُ من عُرجٍ وكم قد اقمتُ مكسَّحًا وشفَيتُ أكتَعْ
ومنّي يكسبُ الصابونُ عَرْفًا ذكيًّا يُشبِهُ المسكَ المضوَّعْ
بهِ قد تُغسَلُ الأدرانُ طرًّا عن الأبدانِ والملبوس اجمعْ
وكم لي من مزياتٍ تناهتْ فضاق بوصفها الشرحُ الموسَّعْ
فقال اللحمُ مُحتدمًا عليهِ لقد وسَّعتَ ذا الشِدق المخلَّعْ
وقد اكثرتَ يا مِهْذارُ هَرْجًا فعُدْ وانكفَّ عن دعواك واهجعْ

فتحمي في الليالي عنـك يُغني ضياهُ بل وفي الاشراق يسطعْ
فريحك كيف ما حاولتَ تُردي ودهنك اينما قد حلَّ بقّـعْ
واكلُك مُنكَرٌ عنـد الاطبّا لانك مُحرقٌ للكَبْـدِ تلذعْ
وفيك كريهُ لونٍ ذو اخضرارٍ ويعلوهُ اصفرارٌ قد تفقّـعْ
ورُبَّ غذاك آل الى جنونٍ لانَّ بُخارك المذمومَ يصدَعْ
وجُلُّ الامر انك ذو أذاه مضرٍّ مؤلمٍ يُردي ويصرعْ
وأمَّا إن تسَلْ عني فاني انا اللحم الذي قَدْري ترفّعْ
ومطبوخي لذيذٌ مستطـابٌ شهيُّ الاكل طاب لكلّ مَبلَعْ
كذلكَ طعمُ أمراقي شِفـاءٌ يقوّي كلَّ مَن منـهُ تجرَّعْ
وانواعُ البقـول وكلُّ نبتٍ غـا للاكل لي خَدَمٌ وتُبَّعْ
لذاك ترى ملوك الارض اضحت لهم في مأكلي وَلَعٌ ومَطْمَعْ
وتُؤْلفُني جميـع الارض طرًّا ودوني كلّ ما قرَّرتَ يُدفَعْ
فانّي حاجةُ الدنيـا وحسْبي بأَنْ أُنشِئتُ للجوفِ المجوَّعْ
ولي دَسَمٌ يذكّي كلَّ جنسٍ من الطبخِ الذي لي فيهِ اصبَعْ
فمُدْ يا زيت عمَّا انت فيـهِ ومن هذا الجدالِ الشاذّ دَعْ دَعْ

س كيف تُختَم المغايرة

ج برَفع دعوى الخصمين الى حَكَم خبير يفصل الامرَ امَّا بالحكم على احدهما واما بالتوفيق بينهما كما فعل صاحب مفاخرة الغُرْبة والاقامة قال:

وبينما هما في الحديث وَرَد عليهما شيخ كبير. تقضي لهُ الفَراسة بانهُ عارف باحوال الزمان خبير. يخطر في كمال الأُبّهـة والعظمة والجَلال. وتلوح على وجههِ لوائح الفضل والكمال . فحيَّا بتحيّتهِ وسلامهِ . وآنس بحديثهِ وكلامهِ . فاستبشرا بحصول المُنى والوطَر. بعد ان أمعنا فيهِ النظر. وطلباه ان

يكون في هذا الامر حَكَماً . ويمنحهما من لطائفهِ آسراراً وحِكَماً. وقالا: نحن خصمان بغى بعضُنا على بعضٍ فاحكم بيننا بالحقّ . أوّل منّا رتبةَ الفضل مَن تأهل لها واستحقّ . وأعلمنا هل الغُربة افضل ام الاقامةُ . حتّى يُعرف كل منّا منزلتهُ ومَقامه . فامتنع من ذلك وطلب الاقالةْ . فاعادا عليهِ تلك المقالةْ . فقال: ان كان ولا بدَّ فتعاليَا بنا الى مجلس الائتلاف . بعـد خَلْع التعصُّب والاختلاف . فبايعاهُ على الطاعة والقَبول . فيما يقضي بهِ بينهما ويقول . فحمد الله تعالى واثنى عليهِ . ثم قال: امّا بعد فاني ارى لكل منكما حُجةً . تسلك بهِ الى مغنى الفضل اوضح مَحجَّة . وان آبيتما الّا التفصيل . وتعيين أحقّكما برتبة التفضيل . فاعلما اوّلًا انهُ ما مُدحت الغُربة لذاتهــا ولا الاقامة . بل لِما ينشأ عنهما على يد مَن حاز الفضل والاستقامة . وأُلهم بنور التوفيق رَشَدَه . وبلغ في الكمال أشُدَّه . مَن رعى الذِّمام . ووصلَ الارحام . وحَفِظَ الجار . ونظر في ملكوت السَّموات والارض بعين التفكُّر والاعتبار . فان فتحتما أقفال كَتَري . واستخرجتما إكسير إشارتي ورَمْزي . أيقنتما انَّ الشرّ في الساكن والنازل . لا في المساكن والمنازل . ولكن مع هذا فلا ريب انَّ لله خواصّ في الامكنة . كما أنَّ لهُ خواصّ في الاشخاص والازمنة . وبهذا القدر يتميَّزُ احد كما على الآخر لا محالة بقَدْرهِ الجليل . فاقول اذًا وظنّي فيكما بحمد الله جميــل . أمّا صاحب الاقامة . فحالهُ يدل على حسن الاستقامة . لكونه ارتشف من كأس الرِضى والتسليم . رحيقــاً خِتامهُ مِسْكٌ ومِزاجهُ من تَسْنيم . وامّا صاحب الغربة . المتلاشي بين حضور وغَيبة . فمناهل علومهِ رائقة . ورياض لطائفــهِ فائقة . لا يسبقهُ في الفضــل سابق . ولا يَلْحقهُ في شأْوهِ لاحق . قد عرف الزمانَ وبنيهِ . وما زال غافلًا من العاقل النبيــهْ . وجمع اشتاتَ الفضائل . واطّلع على آثار مَن غبر من الاوائل . فأنّى يُجارى هذا في مِضمار فضائله . ويُبارَى فيما تفرَّد بهِ من حسن شمائله . وهو ان رجع الى مقام الوطن . بعد أن ذاق احوال الغربة في السرّ والعلَن . جَنَى منهُ جَنى إنسهِ وراحتهِ . وجلا راحة التهاني براحتهِ . قال هذا ثم اخذ يُزيل عنهما ما اضرَّ بهما من الجَفَا والبَيْن . ويوقع بينهما انواع الأُلفة ويصلح ذات البَيْن . حتّى شكر كلّ منهما معروفــهُ وجميلهْ . ونظر صاحبه بعين الرضى فرأى جميع احوالهِ جميلهْ

ختام مفاخرة الماء والهواء

وعَرضتُ على الشيخ مُفاخرة الماء والهواء . وسألتُهُ فَصلَ الخطاب . والانعام بالجواب . فالتفتَ عند ذلك للماء واخيهِ . وقال : ان كلًّا منكما مُحِقٌّ فيما يدعيهِ فما أشبهكما في السماء بالفرقدين . وفي الارض بالعينَين . ففضلكما مُعجز . لا يكاد يُميّز احدكما عن اخيهِ مُميّز . وقد نفع الله بكما العالم على تبايُن انواعهِ واشكالهِ . وقد ورد انَّ الخَلْق عِيال الله وانَّ احبهم اليهِ انفعهم لعيالهِ . فلا تشتغلا بالمفاخرة عن شكر هذه النعمة . واعلما انَّ حُبَّ الفَخار أهبط ابليس الى حضيض اللعنة من أَوج شرف الرحمة . فلا تجعلاه لكما إمامًا فمن يفعل ذلك يَلقَ آثامًا . واعلما انَّ الفخر في الدنيا بالمال . وفي الآخرة بالاعمال . فمن كان عبد الله كان لهُ بهِ الافتخار . لا من كان عبد النفس او الهوى او الدرهم او الدينار . على ان مِرآة الحقّ أَرَتني فضيلةً تفضُلُ بها اخها الماء . اخاك الهواء . وحقَّقت لي بأنكما لستما في الفضل سواء . وهي ان الله خلق آدم من الماء وخلق منك ابليس (١ . فاعترف لاخيك بالفضل عليك ودَعْ زخارف التلبيس . فأكبرُ من الحق مَن قَبِلَهُ . وأصغرُ من الباطل مَن عَمِلَهُ . والتذلُّل للحق اقرب للعزّ من التعزُّز بالباطل . وأعظم الزلّات زلّة العاقل . فعند ذلك عدل الهواء عن عِوَجه وآعوجاجه . ومُخاصمتهِ وعِلاجهِ . واقبل يقبّل ذيلَ الماء ويعتذر اليهِ . من استطالتهِ عليهِ . واقبل كلٌّ منهما على صاحب المنزل يؤدي بالدعاء لهُ حقوقَهُ . حيث سلك بكلٍّ منهما مجاز الطريقة والحقيقة

س اي طبقة من الانشاء اولى بالمناظرة البيانية

ج طبقة الانشاء الانيق (راجع الصفحة ١٤٦)



١ جاء في سفر التكوين ان الله خلَق الانسان من تراب الارض ونفخ فيهِ نَسمة حياة . واما قول المؤلّف انَّ ابليس خُلق من الهواء فلا صحّةَ لهُ ايضًا اذ خُلِق الملاك قبل ان يُخلَق الهواء فضلًا عن انَّ ابليس لم يُخلَق في حالة عصيانهِ وانما كان ملاكًا فعصى خالقهُ وقُضي عليهِ من ثمَّ بالهلاك فصار شيطانًا رجيمًا

الفَنّ الرَّابِعُ

في الرواية

س ما هي الرواية

ج الرواية عبارة عن ذكر قولٍ او فعلٍ حدثا او امكن حدوثهما (١

فقولنا « ذكر قولٍ او فعل » فلأنَّ الرواية تُورد ما جرى من الاقوال كما تروي ما حدَث من الافعال . واماً قولنا « حدَث او امكن حدوثهما » فلكي يشمل التعريف القصصَ الخياليّة والاحاديث المختلَقة التي لا صحَّةَ لها في الواقع

البحث الاول

في اغراض الرواية وشروطها

س ما الغرَض من الرواية

ج اغراضها كثيرة نخصُّ منها ما ذكره الحصري (٢

١ قال الشريشي : الرواية هي نَقل الحديث من صاحبهِ الى طالبهِ (اه) . يريد بالحديث الخبر عن قولٍ او فعل

٢ في مقدَّمة كتاب المُلَح والنوادر

اذ قال: انّ الرواية ترتاح اليها الارواح وتطيب لها القلوب وتُشحذ بها الاذهان وتُطلَق النفسُ من رباطها فتُعيد بها نشاطَها اذا ما انقبضت بعد انبساطها

س ما احسن رواية

ج احسن رواية ما اتّصفت باربع خواصّ: الايضاح والايجاز والإمكان والتلطُّف.

س بماذا يقوم ايضاح الرواية

ج يقوم بثلاثة اشياء: اولًا بتقديم فَرْشٍ للحديث وتوطئةٍ للخبر يقرّب مأخذ الرواية (١

ثانيًا بمراعاة الترتيب الطبيعيّ في ايراد ظروف الخبر ما لم يكن للراوي غرضٌ لتجاوز هذا النظام

ثالثًا بالعدول عن كثرة الاستطرادات في انشاء الحديث لانّ ذلك يصرف العقل عن سياق الرواية ويَذهب برونقها

س كيف تتحلّى الرواية بالايجاز

ج بحذف الفضول وحشو الكلام مع انتقاء أخصّ

---

١ قال بديع الزمان الهمذاني: وربّما كان للقصة سبب لا تطيب الّا بهِ ومقدّمات لا تحسن الّا معها فعلى المحدّث ان يسوقها .

الظروف وأنسبها للغاية . ولا بأس بالاطناب اذا ما دعا اليهِ مقتضى الحال . فربَّ رواية وجيزة يستطيلها السامع وأخرى طويلةٍ يستقصرها المُطالع . وإنْ ذلك الّا من براعة الكاتب او القصَّاص يتنقيان ما وافق مقصدهما ويُنكّبان عمَّا ليس فيـهِ كبير امرٍ ويُحلّيان روايتهما بما يحبّبها الى القارئ فلا يُكاد يشعر بطولها

س ما المراد بإمكان الرواية

ج يُراد بهِ ترشيح الرواية للقبول في ذهن السامع لا سيَّما ان اردتَ ذكر شيء خارق العادة غريب الوقوع . وذلك إمَّا ببيان الظروف الواقعة فيها الرواية او بالاستناد الى راوٍ ثقةٍ او بقياس الرواية باشباهها ونحو ذلك ممَّا يُزيل الشبهة . وكثيرًا ما سَمِعنا أحاديثَ كاذبة نزَّلها مصنفها منزلة الحق فلم يكَدْ ينكرها السامع عليهِ . وربَّما كان الحديثُ صادقًا فردَّهُ السامعُ لعدم مُراعاة هذه الأُصول

ولك في ذلك مثل في اخبار الف ليلة وليلة فانها مع تمويه روايتها يستلذُّها مطالعها لما يراهُ فيها من التشابه بالحقّ . راجع في مجاني الادب « الصفحة ١٥٢ من الجزء الأول » قسمًا من اسفار السندباد البحري .

وحكاية المغفَّل والشاطر « في الصفحة ١١١ منهُ » وصفة غناء ابراهيم بن المهدي « في الصفحة ١٢٠ » لاسيَّما اذ قال الكاتب وهو يريد وصف اصغاء الوحوش لغناء ابرهيم :

وقد رأيتُ منهُ شيئًا عجيبًا لو حدَّثتُ بهِ ما صُدّق . كان اذا ابتدأ يغني أَصغت الوحوش ومدَّت اعناقها ولم تزل تدنو منـهُ حتَّى تضع رؤوسها على الدكَّان الذي كُنَّا بهِ . فاذا سكت نفرت عنا حتَّى تنتهي الى ابعد غاية يمكنها التباعد فيها عنَّا

س ما الطريقة للتلطُّف في الرواية

ج ان اولى طريقة لذلك أن يبلغ الكاتب كُنهَ القلوب. ويأخذ بمجامع اللبّ وذلك : اولًا اذا اثار في بدء روايتهِ في نفوس السامعين رَغبة الى استماعهِ وانشأ في ذهنهم نشوة غرام بأحاديثهِ كما فعل المسعوديّ في خبر مبارزة جرت بين الخليفة الامين وأسدٍ هائل :

حُكي أنَّ الخليفة الأمين بن هارون الرشيد اصطَبح يومًا وقد كان خُرج اصحابُ اللَّبابيد والحِراب على البغال وهم الذين كانوا يصطادون السباع الى سبعٍ كان بلغهم خبرهُ بناحية كُوثى والقَصر . فاحتالوا في السبع الى ان أتوا بهِ في قفصٍ من خشبٍ على جَمَل بُختيّ فحطَّ بباب القَصر وأُدخل . فمُثّل في صَحن القَصر والامين مصطبح فقال : خلُّوا عنهُ وشيلوا باب القفص . فقيل لهُ : يا أمير المؤمنين انهُ سبعٌ هائل أسود وحش . فقال : خلوا عنهُ . فشالوا بابَ القفص فخرج سبع أسود لهُ شعر عظيم مثل الثور . فزأر وضرب بذنبهِ الى الارض فتهارب الناس وأُغلقت الأبواب في وجههِ وبقي الأمين وحدهُ جالسًا موضعهُ غير مُكترثٍ بالأسد . فقصدهُ الأسد حتَّى دنا منهُ فضرب الأمين يده

الى مِرفقة آرمنيَّة فامتنع منهُ بها. ومدَّ السَّبُع يده اليهِ فجذبها الأمين وقبض على اصل أُذنَيْهِ وغمزهُ ثم هزهُ ودفع بهِ الى خَلْف فوقع السَّبُع مَيتًا على مُؤخرِهِ. وتبادر الناس الى الأمين فاذا اصابعهُ ومفاصل يديهِ قد زالت عن مَواضعها فأُتي بمُجبّرٍ فردَّ عظام اصابعهِ الى مواضعها وجلس كانهُ لم يعْمَل شيئًا. فشقُّوا بطن الأسد فاذا مرارتهُ انشقَّت عن كبدهِ

ثانيـاً اذا كان كثير التصرُّف في وجوه الكلام يسبكهُ في احسن القوالب ويدبّجهُ باشكال البديع ورائق العبارات ومحاسن المقالات فتارةً ينتقل من الإِخبار الى الخطاب وأُخرى يُطرف السامع بنكتة مُستملَحة وطُرْفة مستظرَفة. وآناتٍ يرقّق التحيُّل لبلوغ الغرض مع التصوُّن عن التصريح. واحيانًا يختلب القلوب بتحريك احساساتها وعواطفها كالفرح والحزن والخوف والرجاء والشاهد على ذلك رواية الأَعشي في وفاء السموأَل :

كُن كالسموأَل اذ طاف الهُمام به | في جَحْفَلٍ كسواد الليل جرّارِ
بالأبلـق الفرد من تيماء مَنْزِلهُ | حِصْنٌ حصينٌ وجارٌ غير غدّارِ
اذ سامَهُ خُطتَيْ خَسْفٍ فقال لهُ | مَهْما تَقُلْهُ فاني سامعٌ حارِ (١)
فقال غدرٌ وثُكلٌ انت بينهمـا | فاْختَرْ فمـا فيهما حظٌّ لمختارِ
فشكَّ غـيرَ طويلٍ ثمَّ قال لهُ | اقتـلْ اسيرَك انّي مانعٌ جاري
انَّا لهُ خلَفٌ ان كنتَ قاتلَهُ | وان قتلتَ كريمًا غير خوّارِ
وسوف يُعقِبُهُ ان كنتَ قاتلهُ | ربٌّ كريمٌ وقومٌ وُلْد أحرارِ

(١) حارِ ترخيم حارث اي يا حارث

فقــال مُحتدِماً اذ قام يقتلــهُ ‏ أَشرِف سموأَلُ فانظر للدمِ الجاري
أأقتل ابنك صبرًا او تجيءُ بهــا ‏ طوعًا فأُنكرَ هذا ايَّ إنكار
فشدَّ أوداجهُ والصدرُ في مُضَضٍ ‏ عليــهِ منطويًا كالدرع بالنار
واختارَ أدراعهُ ان لا يُسَبَّ بهــا ‏ ولم يكن عهدُهُ فيهــا بختّار
وقال لا نشتري عارًا بمَكرُمةٍ ‏ واختار مكرُمةَ الدنيــا على العارِ
فصان بالصبر عِرضًا لم يَشِنْهُ خَنًا ‏ وزَنْدهُ في الوفاء الثاقبُ الواري

ثالثًا ومن اقوى اسباب تحسين الروايات الانتقال فيهــا من حالٍ الى حالٍ لانَّ النفس قد جُبلت على محبَّة التحوُّل وطُبعت على ايثار التنقُّل كما فعل المسعوديّ في قصَّة المنصور والاسير الهَمَذاني :

ذكر ابن عيّاش المَنتوف قال : بينا كان المنصور جالسًا في مَجلسهِ المبنيّ على باب خُراسان من مدينتهِ التي بناها وأضافها الى اسمهِ وسمَّاها بمدينة المنصور مُشرفًا على دِجلة ... اذ جاءَهُ سهم عائرٌ ١ . فسقط بين يديهِ فذُعِر المنصور منهُ ذُعرًا شديدًا . ثم اخذهُ فجعل يقلّبهُ فاذا مكتوبٌ عليهِ بين الريشتين :

أتطمعُ في الحياة الى التَّنادي ‏ وتَحسب انَّ ما لك من مَعادِ
ستُسأَلُ عن ذنوبك والخطايا ‏ وتُسأَلُ بعد ذاك عن العِبادِ

ثمَّ قرأَ عند الريشة الاخرى :

أَحسنتَ ظنَّك بالايَّام اذ حَسُنَتْ ‏ ولم تخَفْ سُوء ما يأتي بهِ القدَرُ
وساعدَتْكَ الليالي فاغتررتَ بها ‏ وعند صفو الليالي يَحدُث الكدرُ

ثم قرأَ عند الريشة الاخرى :

هي المقادير تجري في أعِنّتهــا ‏ فاصبِرْ فليس لها صبرٌ على حالِ
يومًا تُريك خسيسَ القوم ترفعهُ ‏ الى السماء ويومًا تخفض العالي

(قال) واذا على جانب السهم مكتوب : همَذان منها رجل مظلوم في

١ السهم العائر الذي لا يُدرى راميهِ

حَبْسك . فبعث من فَوْره بعدَّة من خاصَّته ليُفتِّشوا الحبوس والمطابق فوجدوا شيخًا في بَنيَّةٍ من الحبس فيهِ سِراج مُسرَج وعلى بابهِ ثوبٌ مُسبَل واذا الشيخ موثَق بالحديد متوجّه نحو القِبلة يردّد هذه الآية : وسَيَعلَم الذين ظلموا أيَّ مُنقَلَبٍ ينقلبون . فسألوهُ عن بلاده فقال : همَذان . فحُمِل ووُضع بين يدي المنصور . فسألهُ عن حالهِ فاخبرهُ انهُ رجل من ابناء مدينة همَذان وارباب نِعَمها وانَّ واليَك علينا دخل الى بلدنا ولي فيهِ ضَيْعة تساوي الفَ الفِ درهمٍ فأراد اَخْذها مني فامتنعتُ فكبَّلني في الحديد وامر بسَوْقي اليك على أنّي رجل قد عَصِيتُ فطُرِحتُ في هذا المكان . فقال المنصور : مُنْذ كم لك في الحبس . قال : منذ اربعة أعوام . فامر بفكّ الحديد عنهُ والاحسان اليهِ والاطلاق لهُ وأنزلهُ احسن منزل . ثم ردَّهُ اليهِ بعد اَيَّامٍ فقال لهُ : يا شيخ قد ردَدْنا عليك ضيعتك بخراجها ما عِشتَ وعِشنا واماً مدينتك همذان فقد ولّيناك عليها وأمَّا الوالي فقد حكّمناك فيهِ وجعلنا امرَهُ اليك . فشكر الرجلُ الخليفةَ وجزاهُ خيرًا ودعا لهُ بالبقاء وقال : يا امير المؤمنين أمَّا الضيعة فقد قَبِلتُها واماً الولاية فلا أصلُح لها واماً واليك فقد عَفَوتُ عنهُ . فامر لهُ المنصور بمالٍ جزيل وبِرّ واسع واستحلَّهُ وحمَلهُ الى بلده مكرَّمًا بعد ان صرف الواليَ وعاقبَهُ على ما جنى من انحرافهِ عن سنَّة العدل وواضحة الحق وسأل الشيخَ مكاتبَتَهُ في مُهِمَّاتهِ واخبار بلده وإعلامهِ بما يكون من ولاتهِ على البريد . ثم انشأ المنصور يقول :

مَن يصحب الدهرَ لا يأمن تصرّفهُ يومًا فللدهرِ إحلاءٌ وإمرارُ
لكلّ شيءٍ وان دامت سلامتهُ اذا انتهى فلهُ لا بدَّ إقصارُ

وقد جاء في الكتاب الكريم عدَّة روايات حسَنَة السَّبك تأخذ بمجامع القلب كقصَّة يوسف الصدّيق وقصَّة طوبيا البارّ وقصَّة يهوديت الخ

(راجع ايضًا باب الحكايات واللطائف والنوادر في مجاني الادب . نخصّ بالذكر منها في الجزء الثاني الاعداد ٣٢٨ و٣٢٩ و٣٣٠ و٣٨٠ . وفي الجزء الثالث الاعداد ٣٠٧ و٣٠٩ و٣١٠ و٣١١ و٣١٥ و٣١٨ . وفي الجزء الرابع الاعداد ٣١٠ و ٣١١ و٣١٢ و٣١٧ و٣١٨)

البحث الثاني

في اجزاء الرواية وتركيبها

س كم جزءًا للرواية

ج للرواية ثلاثة اجزاء: صدرُها وعُقدتها وختامها

س ما هو الصدر

ج هو التوطئة للواقع بحيث يَقِف السامعُ على اسماء الاشخاص وطباعهم وعلى مكان الواقع وسوابق العمل . وقُصارى الكلام على الراوي ان ينهج في الصدر الطريق لحسن فهم الواقع. وسيماهُ الايجاز والوضوح والسذاجة

(راجع اوَّل حكاية عُمر بن الخطَّاب والعجوز الفقيرة في مجاني الادب الجزء الثالث العدد ٣٠٧ ومُقَدَّمة قصَّة الدهريّ وهارون الرشيد في الصفحة ١٧٠ من الجزء الاوَّل)

س ما هي العُقدَة

ج هي الجزء الذي على مِحوَرهِ تدور الرواية وهو المجال الأوسع الذي بهِ تتقابلُ الأشخاص وتشتبك الاحوال وتضطرم في النفس لواعج الشوق للوقوف على عاقبة الامر فتنتقل من الرجاء الى الخوف ومن الفرح الى الحزن. كما ترى ذلك في حكاية رحلة ابن بطوطة الى الصين ومِحْنتهِ بالإسر (في الجزء الاوَّل

من مجاني الادب الصفحة ١٣٧) وحكاية الفتية اصحاب الكهف (في الجزء الثاني منهُ الصفحة ٢٣٦) وقصّة عصيان ابراهيم ابن المهدي (في الجزء الرابع الصفحة ٢٣٦)

امّا شارة هذا القسم فهي الرقّة والتفنُّن في وجوه الكلام مع مراعاة نظام الرواية والتدرُّج في سياق الاحاديث بحيث لا تزال النفوس صابية الى فضّ المشكل مولَعة بمعرفة الختام

س ما هو الختام ·

ج هو الجزء الاخير من الرواية الذي بهِ تُفكُّ الأُربة وتُحلّ رِباق الحديث فتنال النفوس بذلك مرامها وتفوز بوطَرها . وسِمتهُ ان يكون فجائيًّا مرتبطًا مع ما قبلهُ ارتباطًا مُحكمًا وافيًا بالمراد بحيث ترضى بهِ النفوس وترتاحُ اليهِ القلوب

(راجع في حسن الختام آخر حكاية الرجلَين الكريمين الحاصلَين على الامارة بكرمهما في الصفحة ٣٠٣ من الجزء الثالث من مجاني الادب . وكذلك ختام حكاية الكريم الصافح عن قاتل ابنهِ في الصفحة ٣٠٩ منهُ . وحكاية المُغيث للرَّجل الخائف على دمهِ والمجازى على احسانهِ في الصفحة ٣٣٠ منهُ)

البحث الثالث

في انواع الرواية

س كم هي انواع الرواية

ج ثلاثة: الرواية الخبريّة والرواية الخياليّة والرواية القضائيّة

الرواية الخبريّة

س ما هي الرواية الخبريّة

ج هي التي تُورد ذكر واقع جرى فتثبتهُ على حقيقتهِ بلا تكلُّف. مثال ذلك قصّة مالك بن طوق مع الرشيد ذكرها ابن شاكر الكُتبي وياقوت الروميّ وغيرهما:

كان الرشيد أنفذ الى مالك بن طوق يطلب منهُ مالًا فتعلَّل ودافع ومانع وتحصَّن وجمع الجيوش وطالت الوقائع بينهُ وبين عسكر الرشيد الى ان ظفر بهِ صاحبُ الرشيد وحملهُ مكبَّلًا. فمكث في السجن عشرة ايام ولم يُسمَع منهُ كلمةٌ واحدة. وكان اذا اراد شيئًا أومأ برأسهِ ويدهِ. ثم امر الرشيد باخراجهِ فأُخرج من الحَبْس الى مجلس امير المؤمنين والوزراء والحجَّاب والامراء بين يدي الرشيد. فلمَّا مثل أمامَهُ قبَّل الارض ثمَّ قام قائمًا لا يتكلَّم ولا ينطق شيئًا ساعة تامَّة. فعجب الرشيد من صمتهِ وغاظهُ ذلك وامر بضرب عنقهِ فبُسط النطع وجُرِّد السيف وقُدِّم مالك فقال لهُ يحيى الوزير: ويلك يا مالك لِمَ لا تتكلَّم. فرفع راسهُ الى الرشيد وقال: يا امير المؤمنين أخرستُ عن الكلام دَهْشةً وقد أدهشت عن السلام والتحيَّة فأمَّا اذا أذِنَ اميرُ المؤمنين فاني اقول: السلام على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاتهُ. الحمد لله الذي خلق الانسان من سُلالة من طين. يا امير المؤمنين جبر الله بك صَدْع الدين ولمَّ بك شَعَث

المُسلمين وأخمد بك شهابَ الباطل واوضح بك سبيل الحق . ان الذنوب تُخرس الألسنة الفصيحة وتَصدع الافئدة . وايمُ الله لقد عظُمت الجريمة وانقطعت الحجّة ولم يبقَ الّا عفوك وانتقامك . ثم انشأ يقول بعد ما التفت يمينًا وشمالًا :

أرَى الموت بين النِطع والسيف كامنًا يُلاحظُني من حيثُ ما أتلفّتُ
وأكثرُ ظنّي انك اليوم قاتلي وايُّ امرئٍ ممّا قضى اللهُ يُفلِتُ
يعزُّ على الأوسِ بن تغلِب مَوْقفٌ يُهزُّ عليَّ السيفُ فيهِ وأسكتُ
وأيُّ امرئٍ يُدلي بعُذرٍ وحجّةٍ وسيفُ المنايا بين عينيهِ مُصلَتُ
وما بِيَ من خوفٍ اموتُ وانني لأَعلمُ انّ الموتُ شيءٌ موقّتُ
ولكنّ خوفي صِبيَةٌ قد تركتُهم وأكبادهم من حسرةٍ تتفتّتُ
كأني أراهم حين أُنعى اليهمِ وقد خمّشُوا تلك الوجوه وصوّتوا
فان عِشْتُ عاشوا آمنين بغبطة اذودُ الرَّدى عنهم وان متُّ مُوّتوا
فكم قائلٍ لا يُبعِد اللهُ دارَهُ وآخرَ جذلانٍ يُسَرُّ ويَشمتُ

(قال) فبكى هارون الرشيد ثمّ تبسّم وقال : لقد سكتَّ على همّة وتكلّمت على عِلم وحكمة وقد عفوت لك عن الصبوة ووهبتُك للصبيّة فارجع الى مالك ولا تُعاود فعالك . فقال : سمعًا لأمير المؤمنين وطاعة . ثم انصرف من عنده بالخُلَع والجوائز

وللرواية الخبريّة تفرّعات شتّى منها الحكايات والفكاهات واللطائف والنوادر ومنها الحوادث التاريخيّة ومنها الاسفار

س بمَ تختلف الفكاهات واللطائف والنوادر

ج ان الفكاهات هي الحكايات الهزليّة والقصص المزاحية . واللطائف هي الحكايات الدالّة على ذكاء وتوقّد فهمٍ فتُسفِر عن رقّة طباع فاعلها او قائلها . امّا النوادر

فهي الاحاديث المستغربة القليلة الوقوع القاضية للعجب

س اورد شاهدًا على الحكايات الهزليّة

قصّة علي بن المغربي

أصغوا أحدّثكم بما رأيتهُ من عجبِ	فانني سافرتُ في البحرِ لأجل المكسبِ
فعاندتْنا حوتةٌ تروم كسر المركبِ	حتّى اذا ما غرِق المركبُ بالتقلّبِ
طفوتُ فوق ساحةٍ وذو العلى يلطفُ بي	ولاح لي جزيرةٌ تلوحُ مثل كوكبِ
لمّا وصلتُ ارضها بعد العنا والتعبِ	صعدتُ أرعى في رياض ارضها من عُشُبِ
أصطادُ من طيورها في برّها بالقصَبِ	آكلُ من ثمارها ما طعمهُ كالرُّطبِ
ومشربي من مائها العذب النّمير الطيّبِ	بينا انا في صَعَدٍ من ارضها او صبَبِ
لقيتُ شيخًا جالسًا في ظلّ كرم العنبِ	لوّح لي بكفّهِ يبغي بـهِ تقرّبي
فرحتُ امشي نحوهُ انظرُ ما يريدُ بي	فسلّم الشيخُ سلامَ مؤذنٍ بالرّحبِ
وقال لي اجلس بكلا م غير لفظ العرَبِ	لمّا هممتُ بالجلو س صار فوق منكبي
مطوّقي منهُ بسا قاتٍ بغير رُكَبِ	طويلة مثل الصوا ري او حبال القنّبِ
فقلتُ بالله عليـك لا تكن معذّبي	فقال لي كيف وطئتَ ارضي يا غرا غبي
الجهل اني امرؤٌ من ذوي اهلِ الرُّتبِ	انا الذي أسدُ الشّرى بالحرب لا تُقاس بي
فأنتَ مَن قلتُ لهُ انا عليّ المغربي	انا امرؤٌ أُنكِرُ ما يجلُّ اهلُ الادبِ
ما انا ذو ترفّضٍ كلّا ولا تعصّبِ	ما قلتُ قطُّ ها انا ولم اقُل كان ابي
ولم أُزاحم ابدا على علوّ منصبِ	ولا دخلتُ قطُّ في عمري بيتَ الكتُبِ
ولا عرفتُ النحوَ غيـر الجرّ بالمُنتصبِ	كلّا ولا اجتهدتُّ في حفظِ لغات العربِ
ولا عرفتُ من عروض الشعر غير السبَبِ	ولا بحثتُ منهُ في المجتثّ والمُقتضَبِ
كلّا ولا اشتغلتُ با لنجوم في التطبّبِ	وليس في المنطقِ والحكمة اضحى اربي
وأينَ منّي البحثُ في البسيط والمركّبِ	والسحرُ ما عرفتهُ معرفـةَ المجرّبِ
ولا طمعتُ في الجما ل قطُّ مثل اشعبِ	كلّا ولا تخرّقتُ للناس لاجل الطلبِ
قال اطلبَنْ مهما ترى قلتُ لهُ تعبتُ بي	فقال لا قلتُ أعطِ ما أُنفق فيهِ نشبي
فقال خذ فهو لك ما رُمتُ بعين الذهبِ	ثمّ رجعتُ سالمًا اليكمُ في يثربِ

راجع ايضًا في اجزاء مجاني الادب الستَّة ما رويناهُ من الحكايات في هذه الابواب المختلفة فتستدلّ على وجوه اختلافها. وفي الجزء الثاني من ترقية القارئ عدد وافر من الفكاهات الحَسَنة والنوادر المُستملحة (ص ٨٦ — ١١٠)

س ماذا يختصّ بالرواية التاريخية

ج ينبغي ان تتحلّى بكلّ صفات التاريخ التي تُروى في أثنائهِ بحيث تكون مناسبة لاقسامهِ ملتحمة معها التحامًا حسنًا. وان كانت منظومة يجوز تنميقها مع مراعاة حقوق التاريخ كما يظهر في خبر سقوط الابوين الاوَّلين لعديّ بن زيد الشاعر الجاهليّ عن رواية الجاحظ والعصاميّ:

قضى لستَّةِ ايامٍ خليقتَهُ ... وكان آخِرَها الانسانُ من مَدَرِ
ثمَّتَ اَورثَهُ الفردوسَ يعمرُها ... دارًا من الخُلْد بين الروض والشجرِ
لم ينهَهُ ربُّهُ عن غيرِ واحدةٍ ... من شَجَرٍ طَيّبٍ إن شُمَّ او ثَمَرِ
فاغتاظَ ابليسُ من بَغيٍ ومن حسدٍ ... فأنطق الحيَّةَ الرَقْطاءَ بالغدرِ
سعى الرَجيمُ الى حوّا بوَسوَسةٍ ... غوت بها وغوى معها ابو البَشَرِ
تعمَّدا للتي عن اكلها نُهيا ... فبان عُريُهما في الوَقت للنَظَرِ
وأَرجع اللهُ ابليسَ الرجيمَ الى ... نارٍ تَلَهَّبُ بالسَعْرِ وبالشرَرِ
وعاقب الحيَّةَ الحَسْناءَ حين عصتْ ... مَسْخَ القوائمِ بَعْدَ السَعْيِ كالبَقَرِ
تمشي على بَطْنها في الدهر ما عمرت ... والتُربُ تأكُلُهُ بالخوفِ والكدرِ
وعاقب الله حوًّا بالذي فعلتْ ... بالطَلْق والذلّ والأحزانِ والفِكَرِ
وأُهْبطوا بمعاصيهم وكلُّهمُ ... نائي المَحلّ فَقيدُ العَيْنِ والأثَرِ.

وخبر يونانَ النبيّ وتبشيرهِ في نينوى (من كتاب الدرَّة الفريدة)

صفاتُ اللهِ ذي الأمرِ ... لقد جَلَّتْ عن الحَصْرِ

لهُ في الخَلْقِ أحكامٌ بِطَيّ الغيبِ والنَّشْرِ
قديرٌ كاشفُ الخفَى لديهِ السرُّ كالجَهْرِ
فرارُ العبدِ منهُ لا يُنَجّيهِ منَ الشَّرِّ
ترى يونانَ يُهدينا مثالًا لذَّ للذكرِ
دعاهُ اللهُ كي يوحي لما قد شاءَ أن يُجري
ويُخبِر نينَوى حتمًا بقربِ الهَولِ والضرِّ
لما ابداهُ أهلوها منَ الآثامِ والوزرِ
ففرَّ المرءُ من جهلٍ الى ترشيشَ في البحرِ
فهاجَ النوءُ من ريحٍ أثارتْ لجّةَ الغَمْرِ
سفينتُهُ لقد كادتْ تُصابُ لذاك بالكسرِ
فخاف الناسُ وارتاعوا منَ الأهوالِ والذُعْرِ
وكانَ المُرسَلُ العاصي اسيرَ النومِ لا يدري
فقالوا أيها النائمُ كالسكرانِ من خمرِ
ألا قُمْ واسألِ المولى عسى ننجو منَ العُسرِ
فألقَوا قرعةً جاءتْ على يونانَ بالقَدْرِ
فزجّوهُ بقلبِ الما ءِ وارتاحوا منَ الوقْرِ
وحوتُ اليمِّ آواهُ بجوفٍ صارَ كالقبرِ
فذا رمزٌ لفادينا عجيبٌ صارَ كالسرِّ
دعا يونانُ مولاهُ بجوفِ الحوتِ والغَمْرِ
فأوصى الحوتَ باريهِ فألقاهُ على البَرِّ
فوافى نينَوى يسعى بلا خوفٍ ولا نُكرِ
ونادى في ضواحيها بحكمِ اللهِ والأمرِ
فتابَ الناسُ عن شرٍّ وعن خبثٍ وعن غدرِ
وفي صومٍ لقد صلّوا وفي مسحٍ منَ الشَّعرِ
فلمّا أبصرَ الباري رجوعَ القومِ عن إصرِ
ثنَتْهُ الرحمةُ العظمى عنِ الإهلاكِ والقهرِ
فلمْ يُنزِلْ بهم شرًّا ولم يَحرِبْ ولم يَذْرِ

لأن الله مولانا كثيرُ اللُّطفِ والبِرِّ

س ماذا يُستحسَن في ذكر الاسفار والرِحَل

ج يُستحسَن فيها السهولة والتفنن والايجاز مع ذكر غرائب الامور المشاهدة بعد تحقيقها واثبات ما جرى للرحّالة من الوقائع الخارقة

(راجع الجزء الاوَّل من كتاب ترقية القارئ ص ٨٠ — ١٠١)

س أَورد اسماء من برعوا عند العرب في وصف الاسفار

ج اجدرهم بالذكر ابن جُبير (المتوفَّى سنة ٦١٤ هـ ١٢١٨م) في كتاب رحلتهِ وهو كتاب مؤنس ممتّع فصيح العبارة ذكر فيهِ رحلتهُ من بلاد الاندلس الى المشرق في ايام صلاح الدين. ومنهم ابن بطوطة (المتوفَّى سنة ٧٠٣ هـ ١٤٠٢م) في كتاب تحفة النظّار في غرائب الامصار وهو سهل العبارة قريب المأْخذ يُعابُ فيهِ تكرار الاوصاف فلا يكاد يفرق وصف بلد عن آخر فيحصل عن اوصافهِ للقلوب ملّةٌ. ومنهم عبد اللطيف البغدادي (المتوفَّى سنة ٦٢٩ هـ ١٢٣١م) لهُ تصنيف جليل في وصف مصر وعجائبها وابنيتها ونَباتها وحيوانها. ويُضاف الى ما تقدَّم كتاب عجائب الهند الّا انَّ صاحبَهُ يذكر مرارًا ما لم يتحقَّق صحّتهُ بنفسهِ

(راجع باب الاسفار في الاجزاء الثلاثة الاولى من مجاني الادب والقسم الثالث من نخب الملح ص ٣٤ — ٩٧)

الرواية الخياليّة

س ما هي الرواية الخيالية

ج هي ما اوردت ذكر احاديث غريبة فريّة

س ما الفائدة منها

ج فائدتها ترويح البال ونزهة العقل وتفكيه المخيّلة بيد انها كثيرًا ما تمزج السمّ بالدَسمِ فتفسد الذوق السليم وتلقي الروح في عالم الخيال فتغذوه بتُرّهات الاحاديث وتصرفهُ عن جادّة الصدق وسبيل الآداب.

(راجع الجزء الاول من كتاب نخب الملح من صفحة ١٢ الى ٩٥. والجزء الاول من مجاني الادب من الصفحة ١٥٢ الى ١٦٦. والجزء الاوّل من كتاب ترقية القارئ ص ١ — ٨٠)

س ما هي اشهر الروايات الخيالية عند العرب

ج قد بَعُدَ عند العرب صيت كتاب الف ليلة وليلة حتّى تأفّقت شهرتهُ وانَّما اصاب هذه السُّمعة لسهولة مأخذهِ وطلاوة انشائهِ بيدَ انَّ كاتبهُ قد شحنهُ بروايات خلاعيَّة تمسُّ الآداب السليمة (١) ومن روايات العرب اخبار عنترة وهو مصنَّف لا يخلو من بعض الرقّة والطلاوة فضلًا عن

(١) هذب الاب انطون صالحاني اليسوعي هذا الكتاب ونفي منهُ كلّ ما يمجُّهُ ذوق الأديب ونشرهُ مطبوعًا سنة ١٨٨٨ — ١٨٩٢

انهُ حماسيّ المشرب كثير الاوصاف للحروب والمآثر ولكن يؤخذ على كاتبهِ الاطالة المفرطة ووحدة السياق المسئمة والمبالغة في الاخبار حتّى لا تكاد تُصدَّق

الرواية القضائية

س ما هي الرواية القضائية

ج هي ما روت امرًا واقعًا تحت المخاصمة

س على اي شيء يُعوَّل في اصناف هذه الروايات

ج يُعوَّل فيها على ايراد الظروف الملائمة لغاية الكاتب ونبذ ما كان منها مخلًّا بهذا الغرض

(فائدة) لم نُطل الكلام على ذكر خواصّ الرواية القضائية في هذا الجزء لأنهـا اولى بعلم الخطابة وسيأتي الكلام عليها هناك (راجع الجزء الثاني من علم الادب ص ٩٢ — ٩٦)

س ما هو الانشاء الحقيق بالروايات

ج ان انشاء الروايات لمختلف جدًّا لكننَّا نقول على وجه الاجمال ان الانشاء الساذج أحقّ بالروايات الفكاهية والقصص والنوادر والاسفار . والانشاء الانيق اولى بالروايات الخيالية . وربما كانت الرواية القضائية والروايات الشعريّة من النمط العالي من الانشاء

ألفَنّ ألخامِسُ

في المقامات

س ما المَقامة

ج قال المطرّزي : المقامة في اللغـة كالمَقام اي موضع القيام ثم اتّسعوا فيها واستعملوها استعمال المجلس والمكان . ثم كثرت حتى سمَّوا الجالسين في المقامةِ مقامةً كما سمّوهم مَجلساً الى ان قيل لِما يُقام فيها من خُطبـة او عظة وما اشبههما مقامةٌ كما يقال له مجلسٌ فيقال : مقامات الخطباء ومجالس القصّاص (١

س ما المقامة في الاصطلاح

ج المقامة عبارة عن كتابة حسنة التأليف انيقة التصنيف تتضمن نُـكتة ادبية

س على ايّ شيء تدور المقامة

١ قال الشريشي : المقامة المجلس والحديث يُجتمَع بهِ ويُجلَس لاستماعهِ فيسمّى مقامةً ومجلساً لانّ المستمعين للمحدّث ما بين قائم وجالس ولانّ المحدّث يقوم ببعضهِ تارةً ويجلس ببعضهِ أُخرى . قال الاعلم : المقامة المجلس يقوم فيهِ الخطيب يحضُّ على فعل الخير

ج انَّ مَدارها على رواية لطيفة مُختلَقة تُسند الى بعض الرُّواة ووقائع شتَّى تُعزى الى احد الادباء

س ما المقصود من المقامة

ج المقصود منها على الغالب جمع دُرَر الالفاظ وغُرَر البيان وشوارد اللغة ونوادر الكلام من منظوم ومنثور فضلًا عن ذكر الفرائد البديعية والرقائق الادبية كالرسائل المبتكَرَة والخُطَب المحبَّرَة والمَواعظ المبكية والاضاحيك المُلْهية (١

س ما هي خواصّ رواية المقامة

ج انمَّا خواصُّها كخواصّ الرواية العادية (راجع الصفحة ٢٥٥) الَّا انها تقتضي اعظمَ تلطُّف واوسع تفنن فيحلّيها صاحبها ببدائع التراكيب وفرائد الاساليب ويرصّعها بالحِكَم الفائقة والنوادر الرائقة منتقيًا لكلّ معنًى دقيق لفظًا رقيقًا يطابقهُ

(فائدة) اعلم ان المقامات تُعرف بالمكان الذي تجري فيهِ فيقال المقامة الحلبية او الموصلية بناء على انّ محلّ وقوعها حلب او الموصل . وربَّما نُسبت الى المرويّ عنهُ فيقال مقامة القرّاد او الصوفيّ اذا كان ينتسب المرويّ عنهُ الى احدى هاتين الحالتين . او تنسب ايضًا

---

١ راجع فاتحة مقامات الحريري

الى بعض وقائع الرواية فيقال مقامة الميت او مقامة الغازي وهلمَّ جرًّا

س ما هي صفات راوي المقامة

ج يُستحَبُّ فيهِ ان يُمثَّل كرجلٍ ظريف النفس كثير الاسفار حسن الرواية متفرّغًا لفنون الادب جادًّا في طلب غُرَرِهِ كادًّا ذهنهُ في تحصيل دُرَرِهِ كالحارث بن همَّام في المقامات الحريرية وعيسى بن هشام في المقامات البديعيّة

س ما هي صفة صاحب النشأة في المقامات

ج من حقّ صاحب النشأة (وهو المَرْويُّ عنهُ) ان يكون فكِهًا ماضيًا في الأُمور يتنقَّل من بلدةٍ الى أُخرى للكُدْية ويتقلّب مع صروف الدهر متنكرًا . يقف تارةً في مواقف التعليم وأُخرى يَرقى منبر الخطابة . وطورًا يَتعارج او يتعامى وطورًا يتفاقه او يتشاعر الى غير ذلك من احوال الجدّ والهزل ينوي بهِ الاستعطاء وإحراز المال كما يفعل ابو زيد في مَقامات الحريريّ وابو الفتح الاسكندريّ في مقامات الهمذاني

س ما هي اقسام المقامة

ج لا تختلف اقسام المقامة عن اقسام الرواية (راجع الصفحة

٢٦٥) فلها مثل هذه صدرُها وعقدتُها وختامُها. غير انّ آخرها يتحلّى في الغالب بابيات هزليَّة على لسان صاحب النشأة

س ما اليق نمط من الانشاء بفنّ المَقامات

ج الاليق ان يتحرَّى بها الكاتب النمط العالي من الانشاء لانّ المَقامات وُضعت لمجالس العلماء وخُصَّت بحلَقات البلغاء

س من المبتدع لفنّ المقامات عند العرب ومن الذين فازوا بقصبات السَبق فيهِ

ج ان مُخترع هذا الفَنّ هو بديع الزمان الهمَـذاني (١ ومقاماتهُ نحو اربعمائة مقامة كلُّها انيقـة اللفظ قريبة المأخذ رشيقة السَّجع كثيرة التفـنُّن . لكنَّهُ لم يبقَ منها سوى خمسين مقامة نشرها بالطبع الشيخ الفاضل محمد عبده المصري وشرحها شرحًا وافيًا. امَّا فارس ميدان فنّ المقامات المبرّز فيهِ سابقًا ولأَقرانهِ فائقًا فهو الحريريّ (٢ فانَّ مقاماتهِ وان تلا فيها تِلوَ البديع ابلغُ لسانًا واتمُّ بيانًا ولقد راق مجتلاها ومجتناها وتناهى في الحسن لفظها ومعناها . ضمَّنها قسمًا كبيرًا من اخبار العرب وامثالهم وفرائد لُغتهم

١ راجع ترجمتهُ في الصفحة ٢٨٣ من الجزء الخامس من مجاني الادب ١

٢ اطلب ترجمتهُ في الصفحة ٢٨٤ من الجزء نفسهِ

وقام بعد البديع والحريري كثيرون ممّن نسجوا المقامات على منوالهما وان لم يبلغوا شأوهما فدونك ما اشتهر منها : (١) مقامات احمد بن الاعظم الرازي وهي اثنتا عشرة مقامة كتبها في سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م) طُبعت في تونس سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٦). يروي فيها القَعْقاع بن زَنْباع وغيرهُ. (٢) المقامات الزينيَّة لزين الدين بن صَيْقل الجزَري المتوفَّى سنة ٧٠١ هـ (١٣٠٢) وهي خمسون مقامة عارض بها المقامات الحريريَّة وهي دونها في الطبَقة نسبها الى ابي نصر المصري وعزى روايتها الى القاسم بن جِريال الدمشقي [١]. (٣) المقامات السَّرَقُسْطية لابن الاشتَرْكوني المتوفَّى سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٣م) وهي خمسون مقامة انشأها بقُرْطُبة عند وقوفهِ على ما انشأهُ الحريري بالبصرة وقد اتعب فيها خاطرهُ واسهر ناظرهُ ولزم في نثرها ونظمها ما لا يلزم فجاءت على غاية من الجودة حدَّث فيها المُنذر بن حمَّام عن السائب بن تمَّام. (٤) مقامات السيوطي [٢] طُبع منها حديثًا قسمٌ في الاستانة وليست هذه المقامات على

١ وفي خزانة كتب مدرستنا الكليَّة نسخة منها استنسخناها عن نسخة مكتبية لندرة

٢ راجع ترجمة السيوطي الصفحة ١٨٠ من الجزء الخامس من مجاني الادب

طريقة ما سواها وانمّا هي بالرسالات اشبه منها بالمقامات ٠ (٥) المقامات الفلسفية لبعض الادباء وضعها سنة ٧٠٦ هـ (١٣٠٧ م) في العلوم الطبيعية والرياضية والالهية وضروب من الفنون جعل مصنِّفُها الراويَ لها ابا القاسم النوَّاب والمرويَّ عنهُ ابا عبدالله الاوَّاب ٠ (٦) المقامات المسيحية لابي عبّاس يحيي بن سعيد بن ماري النصراني البصري الطبيب المتوفَّى سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) نسج فيها على منوال الحريري وهي على جانبٍ من الدقَّة والرونق (١

وقد سعى بعض المحدثين من ابناء العصر لا سيما النصارى في نهج هذه الطريقة الوعرة منهم الشاعر الفكِه نيقولا الترك لهُ احدى عشرة مقامة كلُّها انيقة عليها مسحة من الطلاوة والانسجام يروي فيها الحازم عن ابي النَّوادر ٠ ومنهم الطيّب الذكر الشيخ ناصيف اليازجيّ انتحى في مقاماتهِ نحو الحريريّ وكتابهُ مجمع البحرين من احسن ما ورد في هذا الفنّ

س اذكر بعض شواهد على فنّ المقامات

١ منها نسخة في احد جوامع بغداد هدانا اليها حضرة الاب الفاضل الاديب انسطاس ماريني المرسل الكرملي فاستنسخها وقابلها على الاصل بمساعدة صاحب الفضل الشيخ الالوسي

مقامة الحاجّ لبديع الزمان الهمذاني

حدَّثنا عيسى بن هشام قال: لمَّا قَفَلْتُ من اليَمَن. وهممتُ بالوطن. ضمَّ اليَّ رفيقٌ رحلَهُ فترافقنا ثلثة ايَّام حتَّى جذَبني نَجْد. والتقمَهُ وَهْد. فصعدتُ وصوَّب. وشرَّقتُ وغرَّب. وندمتُ على مفارقتهِ بعد ان ملكَني الجبَل وحَزنهُ. وأخذهُ الغوْر وبطنهُ. فوالله لقد تركني فراقُهُ. وانا اشتاقهُ. وغادرَني بَعدَهُ أقاسي بُعدَهُ. وكنت فارقتهُ ذا شارة وجمال. وهيئة وكمال. وضرب الدهر بنا ضروبهُ وانا اتمثّلهُ في كلّ وقت واتذكرهُ في كل لَمْحة. ولا اظنُّ ان الدهر يُسعدني بهِ ويُسعفني فيهِ حتَّى اتيتُ شيرازَ. فبينا انا يوماً في حُجْرتي اذ دخل كهل قد غبَّر في وجههِ الفَقْر. وانتزف ماءهُ الدهر. وامال قناتهُ السَّقَم. وقلَّم أظفارهُ العَدَم. بوجهٍ اكسف من بالهِ. وزيٍّ اَوحش من حالهِ. ولِثة نَشِفة. وشَفَة قشفة. ورجل وَحِلَة. ويد نَجِلَة. واثياب قد تَجرعها الضُّرّ. والعيش المُرّ. وسلَّم فازدَرَتْهُ عيني لكني اَجبتهُ فقال: اللّهمَّ اجعلنا خيرًا ممَّا يُظنُّ بنا. فبسطتُ لهُ أَسِرَّةَ وجهي وفتقتُ لهُ سمعي وقلتُ لهُ: إيهِ قال: انا رجلٌ أُعرَفُ بابي الفتح الاسكندري. فقلتُ: سقى الله ارضاً انبَتت هذا الفضل. وأبًا خلَّف هذا النسل. فاين تُريد. قال: الكعبةَ. فقلتُ: بخٍ بخٍ فنحن اذًا رفاق. فقال: وكيف ذلك وانا مصعِّد وانت مصوِّب. قلتُ: فكيف تصعد الى الكعبة. قال: أمَا اني اريد كعبة المحتاج. لا كعبة الحُجَّاج. ومَشْعَر الكرم. لا مَشعَر الحرَم. وبيت السبي. لا بيت الهَدي. وقِبلة الصِلات. لا قِبلة الصَّلاة. ومُنى الضيف. لا مِنى الخَيف. فعجبتُ من فصاحتهِ في وقاحتهِ. وفلاحتهِ في استماحتهِ. فقلتُ لهُ: أنت مع هذا الفضل. تعرّض وجهك لهذا البذل. فأنشد:

ساخفْ زمانَك جدًّا ان الزمان سخيفْ
دَعِ الحميَّةَ نَسْيًا وعِشْ بخيرٍ وريفْ

المقامة اللبنانيَّة وهي آخر مقامات ابن الاعظم الرازي

حكى صَعْصعة بن نُواس قال: بينا انا اطوف في نواحي لبنان اذ سمعت في غِيرانها اَنيناً. ومن جيرانها حَنيناً. فدخلتُ بعض تلك المغارات. على إثر

تلك الاصوات . فرأيتُ فيهِ صاحبنا فَرْطوس بن مَعرور قائمًا وراكعًا . وساجدًا وخاضعًا . وقانتًا وخاشعًا . وعَهْدي بهِ من قبلُ مُنهمكًا في المناهي . مُنسلكًا في سِلْك الملاهي . وقد صار متورِّعًا عن المحارم . متبرِّعًا بالمكارم . مُتَمسِّكًا بالورع والتَّقوى . متنسكًا بنَهي النفس عن الهوى . يُزجي الليلَ الطويل . بالبكاء والعويل . فقلتُ لهُ : ما كان سبَب التوبة والزهادة . والداعي الى الطاعة والعبادة . قال : اني ذات يوم في غُلُوّ شبابي . مررتُ مع جماعة من احبابي . بمسجد بني قُضَاعة . المشتمل على ذوي المعارف والبراعة . فاذا نحنُ بواعظ لهُ لسان وشيبة . وطيلسان وهيبة . وهو يعظ القريب والبعيد . بالوعد والوعيد . والناسُ بين صارخ وصائح . من تلك المواعظ والنصائح . وهم في المَنادب والزَّماجر . من تلك الاوامر والزواجر . فدنوتُ من مِنْبرَه . لاستنشق من ريح عَنبره فسمعتهُ يقول :

شَغَلْتَ باللهو اللّهَا ولم تُبَلْ بِما لها وقد بَخُلت بالنُّهي
أهكَذَا نَهْيُ النُّهى

عهدُ الشباب قد ذهبْ وانت في جمع الذهبْ ولم تَهَبْ من اللَّهَبْ
جمعتَ مالاً للمدى وانت مسئولٌ غدا ولم تُفكّر في الرَّدى
يا جامحًا في شَهْوهِ وجانحًا في لهوهِ ورائحًا في زهوهِ
يا حائمًا حولَ الحِمى وهائمًا تشكو الظما ودائمًا تبغي الدما
يا تائهًا في المَهْمَهِ كُفَّ الهوى وَنَهْنِهِ وعن ذَرَاهُ دَهْدِهِ
يا مزدهي لِما دها وقد سَها عن السُّها وفي هواهُ ما دهى
تعصي الاله في الطَّلا ولم تزل تبغي الطِّلا والشيب يعرو في الطُّلى
يا غافلًا في نفسهِ ورافلًا في لِبسهِ وآفلًا في رمسهِ
تنسى القبور والبلى ولم تخفْ شيئًا ولا ربَّ السموات العُلى
إنْ بابُ فضلٍ يُغلَقُ فلست منهُ تُشفِقُ وفوت فَلْس تَعلَقُ
فاحذر ورود الموبِقِ وعن هواك فارتقِ واخشَ الاله واتّقِ

قال فرجف قلبي ووجف . واخذهُ الاسى والأسف . على ما اسرف واسلف . وخالف وخلّف . واعترف بالاقتراف . وتكسّر على ما تعاسر . وتحسّر على ما تجاسر . فأنبتُ ممّا اذنبتُ . وتَنَدّمت على ما قدّمت . وليس رجاء للذين افرطوا

وفرَّطوا . وخالطوا وخلَّطوا . الَّا قولهُ يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا . قالت : فاوصني بوصيَّة . فقال : انهج بالصدق واليقين . واعبد ربك حتَّى يأتيك اليقين

المقامة الديرية للاديب نقولا الترك باختصار (١

حدَّث الحازم قال : مَلِلتُ من الجدار . ومِلتُ بِجَوْب الديار . وقلتُ : ما بالاستكانة . غير الاهانة . ولا بالكسل . سوى خَيبة الأَمل . ومَن قلَّ سعيهُ . كثر نعيهُ . ومن عَزُرَت حركتهُ . وفَرَت بركتهُ فَظعنتُ عن الاوطان . وباينتُ القطَّان . وطَفِقتُ اجوبُ في كلّ نادٍ . واطوي كلَّ طَودٍ وواد . حتَّى بلَغَتْ بي همَّة السَّير . الى بلدة تلقَّب بالدَّير . فأَلفَيتها خير منزلة سنيَّة . ذات معيشة هنيَّة . فشرعتُ ادورُ في سفحاتها . واطوف في ساحاتها . حتَّى طمح اللحظ الى رامة شهيرة . محتوية على شِرْذِمةٍ كبيرة . فجريتُ بجَواد الجَدّ . واطلقتُ عنان الكدّ . لأَسبُرَ ما بُغْية الانام . بهذا الازدحام . فلمَّا ائتلفتُ مأْلَفهم . ووقفتُ مَوقِفَهم . الفيتُ شخصاً في وسط الجمع . يسرِد ما يلذُّ بهِ السَّمع . ويقصُّ على القوم حُلماً . ويفيدهم بهِ علماً . فصغوتُ اليهِ . وهو يروي عمَّا تجلَّى عليهِ . من غرائب ما رآهُ في منامهِ . واضغاث احلامهِ . فقال : اصغوا يا محافل القوم . لعجائب ما رأيتـهُ في سِنَةِ النوم . وهي اني عاينتُ تِلالاً تزلزلت . وجبالاً تقلْقلَت . وأَهوية تعاسفت . ورياحاً تقاصفت . وبروقاً تزاحمت . وصواعقَ تراكمت . وانهاراً تعاظمت . وبحاراً تلاطمت . فنأَت السلامة . وقامت القيامة . وغاب وجه الارض . وغارت الجبال بالطول والعَرض . فلم ادرِ الَّا وانا فوق بحرٍ عجَّاج . مرتفع بين الأَوج والامواج . فانحلَّت مني عُرى الأَمل . وايقنتُ فروغ الأَجل . فبينا انا على هذه الحال . عادم النجاة بلا محال . واذا بشهاب خرقَ الجوّ . وامتدَّ الى البحر ففرَّق النوّ . وانقضَّ عليَّ انقضاض العُقاب . وجذبني الى اَوج السَّحاب . فشملني الانذهال . واعتراني الاختبـال . ثمَّ سكن ارتيابي . وزال اكتئابي . فرمقتُ بعيني . واذا بنيّرٍ على صورة الاسد . يسوس المعالي بالرأي

١) هذا المقامة قدَّمها المؤَلف للامير بشير الشهابيّ سنـة ١٢١٩ هـ (١٨٠٤ م) يطلب منهُ داراً يسكنها فاجاب الامير طلبتهُ

الأسدّ . بهيّ الاشراق . رضي الاخلاق . فقلتُ : ومن ذا . فقيل لي : هذا شهاب الآفاق الذي تشلَّكَ من وَهْدة النِقَم . الى ذُروة النِعَم . . فقلتُ : تالله اني لمحتاج الى دار وانا رهينُ القضـا . وليس لي مأوى سوى الفَضا . فعوَّلتُ على عَرْض امري . واذاعة سرّي . وقدمتُ على ذلك النيّر الوضَّاح . وابديتُ لهُ ما لاقيتُ من آلَم البَراح . وما انا بهِ من البلوى . بعدم المأوى . فأخذ لوحاً من الالواح . ورقم بهِ باحسن إفصاح . انني لَأهبنَّك منزلة في منازل القمَر وأُحلنَّك محلًّا تستقرُّ بهِ على سائر البشَر . وأُقرّبنَّك نحو قبَّة الفلَك . وأُملِكنَّك بها خيرَ مُمتلَك . وأُظفرنَّك بخير مسكن . واشرف مُستَكَن . فلمَّا استوعبتُ الخطاب وتفقَّهت الجواب . هزَّني الطرَب . واعتراني العجَب . فاستيقظتُ من اندهاشي . فوجدتُ ذاتي على فراشي . فاستعذتُ بربّ الانام . وقلتُ : اللهمَّ وازرهُ بخير اتمام . واحسن ختام . ونهضتُ من رُقادي . وطفقتُ اجول في القُرى والبوادي . واسوم ذوي الأفهـام . ومفسّري الاحلام . لعلّي احظى بمن عندهُ مفتاح هذه الكنوز . وكشف هذه الرموز . فوُصف لي شخصٌ من المقتدرين . قد اخذ عن ابن سيرين . وهو مشهورٌ بالفقيه النبيه . فسعيتُ اليه . وسردتُ لما رأيتُ عليهِ . وقلتُ : بادر ايها الفقيه النبيه بافراج همّي . وشرح حُلمي . واحسن التخبير . وصحّح التعبير . وانا اجيزك جوهرةً مكنونة . منقودة موزونة . فأطرق الفقيه برهةً وقال : امَّا حدوث الزلزال . وقلقلة الجبال . وهياج الرّياح . وقيام الصياح . ووميض البروق . ووقوع الصواعق والخُفوق . فهذا دليل على ما بك من البلوى . لعدم المأوى . وامَّا ارتفاعك فوق اللُّجج . وقطـع الآمال من الفرَج . فهذا دليل نهاية النحوس . واضمحلال البؤس . ورؤياك لذاك النيّر الساطع . ذي السيف القاطع . هو عبارة عن ذاك الملاذ المفخَّم . والامير المعظَّم . بشير السلام . وشهاب الانام . وامَّا ما أصبتَ منهُ من المَنزلة . والهبَة الجليلة المكمَّلة . دليـل على حلولك في قطره الزاهر . وحماهُ الباهر . المعروف بدير القمر . المنظوم في سلك عدلهِ الذي اشتهر . وستُعطَى ارضاً خليَّةً . تبني لك بها داراً سنيَّة . بالقرب من قبَّة الشَّرْبين . فهذا ما رأيتهُ باليقين . ثم بعـد أن آبان وحصحص . وأكمل التبيان واستخلص . اطبق صُحُفَهُ . ومدَّ إليَّ أكُفَّهُ . وقال : أجزني عمَّا اخبرتك . وأوفني حقّ ما بشَّرتك . فقلتُ لهُ : وسرِّ من اودعك

هذه الاسرار. وأطلعك على حقائق هذه الاخبار. اني مُذ فتحَ عليَّ المولى باب القريض. ما قرعتْ كفّايَ باب الصفْر والبيض. ثم طفقتُ أُوليهِ شكرًا. وانشدهُ شعرًا:

حيّاك ربُّكَ من خبيرٍ ماهرٍ ... في روض فضلٍ بالمناقب زاهرِ
يا عالمًا فطِنًا لبيبًا حاذقًا ... يا كاشفًا عمَّا تضمَّن خاطري
جوزيتَ خيرًا دائمًا عني ولا ... زلتَ المُغيث لكلّ لهفة حائرِ
مولاي أغمد سيف لومك لي ولا ... تُطِلِ العتاب عليَّ بل كن عاذري
هَبْها زكاة العلم واعلم انني ... بكَ خيرُ مدَّاحٍ واعظمُ شاعرِ

قلمَّا رآني الفَقيه اطلتُ الخطاب. وقضيتهُ بدلاً من المال مدحًا واطناب. هزَّ هامَهُ. واوشك ان يستلَّ حسامهُ. ونظر اليَّ شَزْرًا. وقال: ويحك أعضتَنا عِوَض الدراهم شعرًا. ثمَّ حوَّل وجههُ عنّي. وابتعد مني... فتركتهُ على هذا المنوال. يتقلَّب على جمرات الوبال. وتخلَّيت عنهُ وهروَلْت. وخاتلتهُ وتحوَّلت.

قال الحازم: فلمَّا أكمل الاديب قصَّتهُ. وانهى منصَّتهُ. انفرط سِلْك الكَوْم. وتفرَّق جمع القوم. فدنوتُ اليهِ. بالتحيَّة عليهِ. وامعنتُ فيهِ النظَر. وحقَّقتُ فيهِ البصَر. فرأيتهُ ابا النوادر. ونزهة الحاضر. فتلقَّاني بوجه البشاشة. ولطف وهشاشة. واطلعني على حقائق اخباره ودقائق اسراره. وذهب بي الى مأواهُ. وجديد مُبتناهُ. وشرع ينشدني ما نَسجهُ من الابيات. بمديح آل المروءات. حيث أحلُّوهُ هذه الحلَّة. وصرفوا عن قلبهِ كل علَّة. وهذه هي:

يا بحار النَّدَى وُقيتُمْ ضيمًا ... ولقيتمْ أجرَ العطاء نعيمًا
عظَّم الله أجركم اذ اغثتم ... مُدنفًا بات بالامانِ مقيمًا
هكذا الله في المصاحف اوصى ... في البرايا وقال قولاً قويمًا
كلُّ من قد سعى بمأوى غريب ... نال من ربهِ ثوابًا عظيمًا

قال الحازم فكنت عندهُ مدةً. وانا التقط الجواهر من فيهِ. ثم افترقتُ عنهُ وقلبي مُولَعٌ فيهِ

(راجع ايضًا في هذا الباب فصل المقامات في الجزء الخامس من مجاني الادب الصفحة ٧٤. وفي السادس الصفحة ١٠٦. والقسم الاخير من كتاب نخب الملح)

ألفنّ السّادس

في التاريخ

البحث الاول

في حقيقة التاريخ وشرفهِ

س ما هو التاريخ

ج التأريخ لُغةً تعيين الوقت وعُرفًا علمٌ يُبحث فيهِ عن سوالف الامور ويُخبِر عن احوال الغوابر من الأُمم

س ما موضوع التاريخ

ج موضوعهُ أخبار الماضين من الأنبياء والملوك والمشاهير والدُوَل من حيث نشأتها ونموّها وهبوطها

س ما شرف التاريخ

ج اعلم ان هذا الفنّ من اجلّ العلوم قدرًا وارفعها شرفًا فهو كما قيل تذكرةٌ لما دوَّنهُ الأوَّلون من العلوم وتَبْصِرةٌ لأُولي الالباب في المستقبل وعُمرٌ آخَر للمطالعين ١١

ة قال الشاعر في شرف التاريخ :

ليس بانسانٍ ولا عاقلٍ من لا يَعي التاريخَ في صدرهِ

س ما فائدة التاريخ

ج ان التاريخ جمّ الفائدة اذ بهِ يطّلع العاقل على سِيَر من مضى فيقيس نفسهُ عليهم ويتصح بأحوالهم في دينهم ودنياهم. ويكتشف على عورات الكاذبين فيحتذر من سوء اعمالهم ويقف على احوال الصادقين فيأتسي بهم ويحرز لنفسهِ من علوم الأقدمين وتصانيفهم واكتشافاتهم باقرب الطرق ما لم يحصل عليهِ من سَبَقَهُ الّا بعد العناء والكدّ

(راجع ما قيل في حقيقة التاريخ وموضوعه وشرفهِ في مقالات علم الادب ص ٣٣٤ - ٣٤١ وما جاء عن فوائد التاريخ في الجزء الثالث من مجاني الادب الصفحة ٢٠٤ وفي إوّل الجزء الثالث من نخب الملح)

البحث الثاني

في اركان التاريخ

س كم ركنًا للتاريخ

ومن درى أخبار مَن قبلهُ اضاف اعمارًا الى عمرهِ

قال آخر:

اذا عرَف الانسانُ أخبار مَنْ مضى توهّمتَهُ قد عاش من اوّل الدهرِ
وتحسبهُ قد عاش آخر دهره الى الحشرِ إن ابقى الجميل من الذكرِ
فكن عالمًا اخبارَ من عاش وانقضى وكن ذا نوالٍ واغتنم آخر العمرِ

ج التاريخ ركنان اصوله وصفات كاتبه

س ما هي اصول التاريخ

ج ان اصول التاريخ التي يُرجع اليها في تسطيره ثلاثة: الاول تصانيف المُعاصرين من نثرٍ ونظم لا سيما اذا عاينوا بانفسهم ما اثبتوهُ في تآليفهم كتاريخ صلاح الدين لابن شدّاد والفتح القُدسي للعماد الكاتب

الثاني الاحاديث المنقولة بالتقليد. ويُقتضَى في اختيارها دقّة نظر وانتقاد لان هذه التقاليد كثيرًا ما يُلفّقها المحدّثون ويشوّهها الرُّواة بالتمويه والاكاذيب

الثالث الآثار القديمة كالنقود المضروبة والابنية المشيّدة والاعمدة والرسوم مع ما رُقم عليها من الكتابات الى غير ذلك ممّا يشهد لحقيقة الامر شهادةً تنطق بلسان حالها عن صحّة الواقع

س كم هي صفات كاتب التاريخ

ج لا بُدَّ لكاتب التاريخ من صفتين هما العلم والامانة. امّا العلم فلأنّ المؤرّخ يحتاج الى مآخذ متعدّدة ومعارف متنوّعة وحسن نظر وتثبُّت ليقف بذلك على الحقّ ويُنكِّب

عن المَزلّات والمغالط. ولا يعتمد على مجرَّد النقل غثًّا او سمينًا (١

امّا الامانة فلا مُنتَدَح عنها ليتجرَّد الكاتب عن كل تعصُّب وينزّه نفسهُ عن كل مُحاباة وغرَض في حكاية الوقائع فيتشبَّث بالحقّ ليس الّا

(راجع في مقالات علم الادب نبذةً رويناها عن كتاب الفخري في شروط التاريخ ص ٣٤١ – ٣٤٣)

البحث الثالث

في تركيب التاريخ وجمع مَوادّهِ

س ماذا يستلزم فنّ التاريخ

ج لتركيب التاريخ وتأليف اجزائهِ وحُسن سبكها لوازم كثيرة مرجعها الى ثلاثة امور: الاول اختيار الموادّ. والثاني ترتيبها ونظامها. والثالث تنميقها

س ما طريقة اختيار الموادّ

ج ينبغي اولًا على المؤرّخ قبل الشروع في الكتابة ان

---

١ راجع مقدمة ابن خلدون

يُطيل النظر في ما جمعهُ من الموادّ فيفرز سمينها من غثّها ويؤثر منها ما كان غزير النفع عميم الفائدة منزّهًا للالباب مبيّنًا لاحوال الماضين هاتكًا حجاب امورهم ويعدل عمّا ليس تحتهُ كبير امرٍ او ما تستهجنهُ الآداب السليمة

ثانيًا ان يبحث حقّ البحث عن اسباب الحوادث وخفيّ بواعثها مع ذكر نتائجها وعواقبها

ثالثًا ان يجمع كل ما عوَّل على ذكرهِ تحت حكم واحد وضابط منفرد هو الغاية القصوى التي تحرَّاها في بدء تاريخهِ

س كيف يتوخَّى الكاتب الترتيب والنظام في سياق تاريخهِ

ج اعلم ان المؤرّخين قد اتّبعوا في ذلك طريقتين: احداهما سهلة مطروقة على انها مبتذلة مُسْئمة مولّدة للتشويش واللبس وهي ان تُذكر السنون سنةً فسنة وتُروَى الحوادث منخرطة في سلكها. والطريقة الاخرى وهي اجدر بترويح الخاطر وتفكيه العقل ان تُذكَر الحوادث مسرودةً آخذةً بعضها برقاب البعض تامّة مُوفَّاةً مصحوبةً باسبابها وظروفها

ونتائجها دفعاً للشبهة وتنشيطاً للعقل . وهذا الاسلوب هو الشائع في زماننا

س كيف تُنمّق رواية التاريخ

ج انما يبلغ ذلك بالتصرُّف في المعاني والاخذ باطراف الكلام وفنون الانشاء كي ينتبه القارئ من سِنَتهِ ويزيد نشاطهُ بالمطالعة . وذلك اذا أعطى الكاتب اجزاء التاريخ حقَّها من حسن البيان وموافقة الاحوال مع مراعاة تفاوُت الاغراض فيحلّي روايتهُ حيناً بنكتة او خطاب . وحيناً باوصاف الامكنة او مواطن الوقائع اوطباع الاشخاص الذين عليهم يدور محوَر الكلام . وتارةً ببعض التقارير العلمية او الرسالات وما شاكلها . وتارةً بابراز حكمهِ فيما رواهُ وسطَّرهُ وهذا يتمّ بفلسفة التاريخ

فلسفة التاريخ

س ما هي فلسفة التاريخ

ج هي علم بهِ تُرَدُّ حوادثُ التاريخ الى اصول كليّة وتعرَض على قواعد عامّة راسخة مع ايراد اسبابها وغاياتها وارتباط الوقائع ببعضها ونتائجها

س ما هو المحوَر الذي تدور عليهِ هذه الاصول

ج لاصول فلسفة التاريخ محوَران هُما الدين والهيئة الاجتماعيّة ولكلّ منهما احكامٌ يجب على المؤَرّخ أن يبحث عنها ويراعيها

انهُ لامرٌ مقرَّر عند جمهور الحكماء ان الله سبحانهُ وتعالى لم يخلق فقط الافراد لغاية معلومة هي مجدهُ عزّ وجل بل أقام ايضًا الشعوب واختار الامم لمثل هذه الغاية. فيترتَّب على ذلك ان الطوارئ والحوادث والاحوال البشرية وتقلبات الدوَل وبعثة الانبياء وتملك السلاطين انما تكون كلها بقضاء إرادتهِ وتدبير عنايتهِ الصَّمدانية. فتارةً يُظهر فيها قدرتَهُ وجلالهُ برفع من يريد كرامتهُ من حضيض الخمول الى ذُرَى المجد وتارةً يكشف عن عدلهِ بسلب ما ابتدأ بهِ من الفضل والاحسان الى غير ذلك من المقاصد الجليلة التي تقف عليها العقول النيّرة. ومن ثمَّ لا يكفي الكاتب ان يبحث عن اسباب الحوادث القريبة الجزئية او نتائجها الدانية بل عليهِ ان يمدَّ بصرهُ الى ما هو اسمى من كل ذلك ويُلاحظ في الأحوال البشرية نور الهداية الصَمدية واليد القابضة على ازمَّة الدنيا باسرها

س ما هي التآليف الموضوعة في هذا الصدَد

ج قد اشتهر في هذه المباحث الاثيرة قديمًا القديس اغسطينوس في كتاب مدينة الله واوسابيوس المؤرّخ في

التوطئة الانجيلية والعلامة بوصويت في تاريخهِ العام المعرب حديثاً . وفي مقدَّمة ابن خلدون لمعة عن هذه الاصول لا تخلو عن دقَّة فكر واصابة رأي

س اورد لُمعة عن الرواية التاريخية

ظهور جنكزخان ومحاربتهُ لسلطان خُوارَزم

في سنة الف وخمس مائة واربع عشرة للاسكندر (١٢٠٣ م) كان ابتداء دولة المُغول وذلك انَّ في هذا الزمان كان المُستولي على قبائل الترك المَشارقة اونك خان وهو المسمَّى المَلك يوحنَّا من القبيلة التي يقال لها كُرَيت وهي طائفة تدين بدين النصرانيَّة . وكان رجل موَيَّد من غير هذه القبيلة يقال لهُ تُموجين مُلازماً لخدمة اونك خان من سنّ الطفوليَّة الى ان بلغ حدَّ الرُّجولية وكان ذا بأس في قهر الاعداء فحسدهُ الاقران وسعوا بهِ الى اونك خان ولا زالوا يتتابعونهُ عندهُ حتَّى اتَّهمهُ بتغيُّر النيَّة وهمَّ باعتقالهِ والقبض عليهِ . فانضمَّ اليهِ غلامان من خدم اونك خان فاعلماه القضيَّة وعيَّنا لهُ الليلة التي فيها يريد اونك خان كبسهُ . وفي الحال امر تُموجين اهلهُ باخلاء البيوت من الرجَّال وتَركها على حالها منصوبةً وكَمَن هو مع الرجال بالقُرْب من البيوت . وفي وقت السَّحر لمَّا هجم اونك واصحابهُ على بيوت تُموجين لقيها خالية من الرجال وكرَّ عليهِ تُموجين واصحابهُ من الكمين واوقعوا بهم وناوشوهم القتال والخنوا فيهم وهزموهم وحاربوهم مرَّتين . حتَّى قتلوهُ وأبطالَهُ وسبَوا ذراريَّهُ . وفي اثناء هذا الامر ظهر بين المغول امير مُعتبر كان يَسيح في الصَّحاري والجبال في وسط الشتاء عُرياناً حافياً ويغيب ايَّاماً ثمَّ يأتي ويقول : كلَّمني الله وقال لي : ان الارض بأسرها قد اعطيتها لتموجين وولده وسميتهُ جنكِزْخان . فعُرِف بهذا الاسم وكان يرجع الى قولهِ ولا يعدل عن رايهِ . ولمَّا علا شان جنكزخان ارسل الرُّسلَ الى جميع شعوب التُّرك فمَن اَطاعهُ وتبعهُ سُعِد ومن خالفهُ خُذِل . . .

ثمَّ ارسل رُسُلًا الى سُلطان خوارَزْم علاء الدين محمد بن تُكْش يقول لهُ : قد سيَّرنا وَفْدًا من غِلْمانِنا ليحصّلوا من طرائف اطرافكم ونفائسها. فينبغي ان يعودوا الينا آمنين ليتأكَّد الوِفاق بين الجانبَين. وتنحسم موادُّ النِفاق من ذات البَين. فلمَّا وصل الرُسل الى مدينة أُترار طَمِع اميرها غايرخان فيما معهم من الاموال. فطالع السلطان محمَّدًا في امرهم وحسَّن لهم إبادتهم واغتنام مالهم فأَذِن لهُ بذلك فقتلَهم طُرًّا الَّا واحدًا منهم فانهُ هرب من السجن. ولمَّا رأى ما جرى على اصحابهِ لحق بديار التاتار واعلمهم بالمُصيبة فعظُم ذلك عند جنكزخان وتأَثَّر منهُ الى الغاية وهجر النوم وصار يُحادث نفسهُ و يفتكر فيما يفعلهُ. وقيل انهُ صعد الى رأس تلٍّ عالٍ وكشف رأسهُ وتضرَّع الى البارئ تعالى طالبًا نصرهُ على من بادأَهُ بالظلم وبقي هناك ثلثة ايَّام بلياليها صائمًا . وفي الليلة الثالثة رأى راهبًا عليهِ السَّواد و بيده عكَّازة وهو قائم على بابهِ يقول لهُ : لا تخفْ افعل ما شئتَ فانك مؤيَّد. فانتبه مذعورًا ذُعْرًا مَشُوبًا بالفرح وعاد الى منزلهِ وحكى حُلمهُ لزوجتهِ وهي ابنة اونك خان . فقالت لهُ : هذا زيّ اسقف كان يتردَّد الى ابي و يدعو لهُ ومجيئهُ اليك دليل انتقال السعادة اليك . فسأَل جنكزخان لِمن في خدمتهِ من نصارى الإيغور : هل ههُنا احد من الاساقفة. فقيل لهُ عن دِنْحا الاسقف فلمَّا طلبهُ ودخل عليهِ بالبيرون الاسود قال : هذا زيّ من رأيتهُ في منامي لكنَّ شخصهُ ليس ذاك. فقال الاسقف : يكون الخان قد رأى بعض قدّيسينا. ومن ذلك الوقت صار يميل الى النصارى ويُحسِن الظنَّ بهم ويكرمهم. وفي سنة ٦١٠ ﻫ (١٢١٤م) قصد جنكزخان بلاد السلطان محمَّد خوارزمشاه لمقاتلتهِ . . .

حرب جنكزخان لجلال الدين خُوارَزْمشاه بن محمَّد

ولمَّا فرغ جنكزخان من تخريب بلاد خُراسان سمع ان السلطان جلال الدين بن محمَّد قد استظهر بالعراق فسار نحوهُ ليلًا ونهارًا بحيثُ انَّ المغول لم يتمكَّنوا من طبخ لحمٍ اذا نزلوا. فحين وصلوا الى غَزْنة أُخبروا انَّ جلال الدين من خمسة عشر يومًا رحل عنها وهو عازم على ان يَعْبُرَ نهر السِّند. فلم يستقرَّ جنكزخان ورحل في الحال وحمل على نفسهِ بالسير حتَّى لحقهُ في اطراف

اسنّد . فطاف بهِ العسكر من قدّامهِ ومن خلفهِ وداروا عليهِ دائرة وراء دائرة كالقوس الموتورة ونهرُ السِّنـد كالوتَر وهو في وسط . وبالغ المغولُ في المُـكاوحة وتقدَّم جنكزخان ان يُقبَض جلالُ الدين حيًّا ووصل جناتاي واوكتاي ولداهُ ايضاً من جانب خُوَارَزْم . فلمَّا رأى جلال الدين انهُ يوم عَمَلِ شَهْمٍ وضرغمٍ أبطالٍ عاد الى المغول وتطلَّب أطـلاءَهم وحمل عليهم حَمَلات وشقّ صفوفهم مرَّة بعد مرَّة . وطال الامر بمثل ذلك لامتناع المغول عن رميـهِ بالنشَّاب ليُحضروهُ غير مَؤُوف بين يدَي جنكزخان امتثالاً لرسومهِ . فكانوا يتقدّمون اليـهِ قليلًا قليلًا . فلمَّا عاين تضييق الحلَقة عليهِ نزل فودَّع اولادهُ بل اكبادهُ من نسائهِ وخواصّهِ باكيًا كئيباً ثم رمى عنهُ الجوشن وركب جَنيبَهُ وهو كالاسد الغَيُور وهمَّ بالعبور واقحم فرَسهُ النهرَ فانقحم وعام وخلَص الى الساحل . وجنكزخان واصحابهُ ينظرون اليهِ ويتأمَّلونهُ حَيارى . ولمَّا شاهد ذلك جنكزخان وضع يدهُ على فمهِ متعجّباً والتفت الى ولَدَيهِ وقال لهما : مِنَ الابِ مثلُ هذا الابن ينبغي ان يولد . اذا نجا من هذه الوقعة فوقائع كثيرة تجري على يَدَيهِ ومن خَطبهِ لا يَغفل مَن يَعقل . واراد جماعة من البهادوريَّة ان يتبعوهُ في الماء فنهم جنكزخان قائلًا : انكم لستم من رجالهِ . لانهُ كان يُرامي المغول بالسهام وهو في وسط الشطّ . . . فلمَّا فاتهم جلال الدين اخذوا امر الخان بإحضار حرَمهِ واولاده وتقدَّم بقتل جميع الذكور حتى الرُّضَّع . ولانَّ جلَال الدين عند ما اراد الخوض في النهر القى جميع ما كان صحبهُ من آنية الذهب والفضة والنُّقْرة فيهِ امرَ الغوَّاصين فاخرجوا منها ما امكن اخراجهُ . وكان هذا الامر من عجائب الانام ودواهي الأيَّام في رَجَب وقيل في المثل : عِشْ رَجَباً ترَ عجباً

(من كتاب تاريخ مختصر الدول لابن العبري)

(راجع مقالةً من كتاب الفخريّ لابن الطِقْطِقَى في شروط التاريخ نقلناها عنهُ في مقالات علم الأدب ص ٣٤١—٣٤٣)



الباب الرابع
في اقسام التاريخ

س كم قسمًا التاريخ

ج التاريخ بالاجمال قسمان : ديني ودُنيوي

(فالديني) وهو اجلُّ التواريخ نفعًا واعزُّها شأنًا وأثبتها مَوْرِدًا يبحث عن امور الدين الحقيقيّ منذ الوَحي بهِ الى ايّامنا . وفروعهُ ثلاثة : الاول ما سطَّر الاخبار الدينية من بدء العالم الى زمان المسيح وذلك هو تاريخ العهد القديم وركنهُ الاسفار الالهية القديمة . والثاني ما دوَّن اخبار المسيح وسيرة المخلّص وهو تاريخ العهد الجديد ويؤخذ من الانجيل الشريف ومن اعمال الرُّسُل ورسائلهم . والثالث ما ذكر الاحوال الدينية بعد المسيح وهو تاريخ الكنيسة ونشأتها ونموّها وانتصارها على المغتصبين واهل البِدَع وذِكر مجامعها وسواد أحبارها المعظَّمين

امّا التاريخ (الدنيوي) ويقال لهُ ايضًا التاريخ (المَدَنيّ) فيتجزّأُ ايضًا الى ثلاثة اجزاء باعتبار زمانهِ : الأوّل هو التاريخ القديم يبتدئُ من نَشْأَة الشعوب الكبيرة وينتهي سنة

٤٧٦ م بانقراض الدولة الرومانية في الغرب . ومبحثهُ في احوال الامم القديمة كالاشوريّين والكلدان والمصريين والفُرس واليونان والرومان والعرب . والثاني هو تاريخ القرون المتوسّطة يبتدئ سنة ٤٧٦ م وينتهي سنة ١٤٥٣ م بفتح القسطنطينية على يد محمَّد الثاني الغازي . والثالث هو تاريخ القرون المتأخرة من سنة ١٤٥٣ م الى ايَّامنا

وللتاريخ الدنيوي هذا تقسيم آخر باعتبار موضوعهِ فهو كلّي وعامّ وخاصّ . (فالكلّي) يشمل اخبار العالم كلِّهِ اجمع . (والعامّ) هو ما يبيّن اخبار بعض الدوَل والممالك او الطوائف من الامم كتاريخ العرب . (والخاصّ) هو ما اقتصر على ذكر امرٍ منفرد مثل تاريخ مدينةٍ او بلدةٍ او ترجمة بعض الملوك وما شاكل ذلك

وربَّما مُزج التاريخانِ الدينيّ والمدَني لتعميم الفائدة

البحث الخامس

في طبقة انشاء التاريخ وذكر مشاهير ائمتهِ

س ايّ طبقة من الانشاء احرى بالتاريخ

ج لمَّا كان وَضعُ التاريخ لاستنارة الذهن وفائدة الاقتداء

قد استحسنوا فيهِ الانشاء الساذج مشفوعًا بعذوبة الالفاظ ووضاءة التعابير مستنكفًا عن الاسهاب المُمِلّ كثير التصرُّف والتفنن في ايراد الاخبار فرارًا من وحدة السياق والضجر. وربَّما ارتقى الكاتب في رواية بعض الوقائع الخطيرة الى نمط الانشاء الانيق

س ما قولك في مؤرّخي العرَب على وجه الاجمال

ج قال ابن خلدون في مقدّمتهِ : ان فحول المؤرّخين في الاسلام قد استوعبوا اخبار الايَّام وسطَّروها في صفحات الدفاتر. ولكن قد خلطها المتطفّلون بدسائس من الباطل ولفّقوها بزخرُف الروايات ولم يلاحظوا اسباب الوقائع والاحوال ولم يراعوها ولا رفضوا تُرَّهات الاحاديث. فتحقيقهم قليل وطَرْف تنقيحهم في الغالب كليل

س اذكر من اصابوا السبق في ميدان التاريخ عند العرب

ج قال ابن خلدون : ان الذين ذهبوا بفضل الشهرة والإمامة المعتبرة في التاريخ هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الانامل (اه). واننا نخصُّ منهم بالذكر ابن جرير الطبريّ وابن الاثير في كاملهِ اخذ عنهُ ابو الفِداء وابن

الوردي . ومنهم ابن خلدون في ديوان العِبَر . وابو الفرج اسقف ملاطية في تاريخ مختصر الدول . وابن بطريق في كتاب نظم الجوهر . وابن العميد وغيرهم . ولهؤلاء تاريخ يبتدئ منذ بدء العالم وينتهي الى ايامهم

ومن التواريخ الجليلة العامّة تاريخ الفخريّ في الدوَل الاسلاميَّة لابن الطِقطقى وكتاب الروضتين في تاريخ الدولتين النوريّة والأيّوبيّة لشهاب الدّين المقدسيّ وتاريخ ابن الراهب واخبار المغرب للمرّاكشي وتاريخ مصر للسيوطي

وأمّا التواريخ الخاصّة فكثيرة منها سيرة صلاح الدين لابن شدّاد وتاريخ تيمورلنك لابن عربشاه ووفيات الاعيان لابن خلكان وتاريخ ائمّة الأندلس لابن بشكوال وتاريخ القدس لمجير الدين الحنبلي واخبار تونس لابن دينار وكتاب اخبار مكّة للازرقيّ . وغيرهم كثيرون يطول بنا ذكرهم كالواقدي والمسعودي وابي المحاسن وفي كلهم مطاعن ومغامز يضيق بنا المقام عن شرحها [1]

---

١ اطلب تراجم من نوّهنا بذكرهم آنفاً إمّا في الجزء الخامس من مجاني الأدب وإمّا في الحواشي والتعليقات منهُ

الفنّ السابع

في المكاتبة

البحث الاول

في تعريف المكاتبة وطريقتها على وجه الاجمال

س ما هي المكاتبة

ج المكاتبة وتعرف ايضًا بالمراسلة هي مخاطبة الغائب بلسان القلم

س ما فائدتها

ج ان فائدتها اوسع من ان تُحصَر من حيث انَّها تَرْجُمان الجَنان ونائب الغائب في قضاء اوطارهِ ورباط الوَداد مع تباعد البلاد

س ما هي طريقة المكاتبة

ج هي طريقة المخاطبة البليغة مع مُراعاة احوال الكاتب والمكتوب اليهِ والنسبة بينهما

قال ابراهيم بن محمد الشيبانيّ : اذا احتجتَ الى مُخاطبة اعيان الناس او اوساطهم او سوقتهم فخاطب كلاًّ على قدر أُبهتهِ وجلالتهِ وعلوّ

ارتفاعهِ وفطنتهِ وانتباههِ . ولكل طبقة من هذه الطبقات معانٍ ومذاهب يجب عليك ان ترعاها في مراسلتك . فلا يكتَب لمن أُصيب في ماله او عيالهِ كما يكتب لمن فرغ بالهُ ووفُر مالهُ . قال آخر: ان بلاغة الرسالة تُستفاد من ملاحظة مقامات الكلام واوقاتهِ ومراعاة احوال المخاطَبين بالنسبة الى المتكلّم (اه) . وقد حصر ابن قتيبة قوانين الكتابة في قولهِ: لكلّ مقام مقال (١



البحث الثاني

في خواصّ المكاتبة

س ما هي خواصّ المكاتبة

ج للمكاتبة خمس خواصّ: السذاجة والجلاء والايجاز والملاءمة والطلاوة

(فالسذاجة) تجعل الكلام فِطْريًّا سليمًا من شوائب التكلُّف منزَّهًا عن زُخرف القول بعيدًا عن بهرجة الكلام

قال الشيخ مُرْصِفي: ان السلف المتقدّمين كانوا لا يتحرّون في مكاتباتهم تسجيع الالفاظ ولا تنميقها . . . واماَّ المتأخرون فقد بالغوا في

١ راجع توطئة الشهاب الثاقب في صناعة الكاتب

ترويق الالفاظ وتحسينها وتنميق الكلمات وتزيينها ومع ذلك فقالوا: السذاجة وعدمُ التطويل اولى

(والجلاء) يعدل عن الكلام المُغلَق والتشابيه المستبعَدة والتراكيب المُلتبسة الى الكلام المهذَّب الصريح

(والايجاز) ينقّح الرسالة من حشو الكلام وتطويل الجُمَل فيُبرزها وافيــة الدلالة على المقصود مُقتَصرة على المحسِّنات القريبة المنال . هذا ولا يُعدُّ مناقضًا للايجاز ما يستدعيهِ المقام من البَسْط في الموضوع إمَّا تعزيزًا للمعنى وامَّا حَذَرًا من الابهام او دلالةً على عواطف القلب او رغبةً في تفكيه الخواطر

قال الاقدمون: خير الكلام ما قلَّ ودلَّ ولم يُملَّ

(والمُلاءمة) على ما قال الشيباني تُنزِّل(١) الالفــاظ والمعاني على قَدْر الكاتب والمكتوب اليهِ فلا تُعطي خسيسَ الناس رفيع الكلام ولا رفيع الناس خسيس الكلام على انها تجعل الرسالة وتعابيرها مُستعذَبة الاوضاع حسنة الارتباط يأخذ بعضها بأزِمَّة بعض

(والطلاوة) تكسو الكلام رونقًا واشراقًا بجودة العبارة

---

(١) راجع ما قيل في الصفحة ٢٩٥

وسلامة المعاني وسلاسة الالفاظ وتجعلهُ بذلك احسن موقعًا عند سامعهِ

البحث الثالث

في ابواب الرسالة

س الى كم تقسم ابواب الرسالة

ج تقسم باعتبار موضوعها الى ثلثة اقسام: الاول الرسائل الاهلية . والثاني الرسائل المتداولة . والثالث الرسائل العلمية

وقد قسمها بعضهم تقسيمًا آخر . جاء في العقد الفريد عن ابرويز: دعائم المقالات اربع ان التُمس لها خامس لم يوجد وان نقص منهـا واحد لم تتمّ وهي: سؤَالُك الشَيء (في رسائل الطلب والوصاة) : وسؤالك عن الشيء (في رسائل الاستخبار واستعلام والرسائل الاهلية) وامرك بالشيء (في رسائل الروساء وكتب المشورة والنصح والملامة والعتاب) . وإخبارك عن الشيء (في رسائل الاخبار والشكر والتهنئة والتَعزية والمايدات والمقالات العلمية واجوبة)

النوع الاول

الرسائل الأهلية

س ما هي الرسائل الاهلية

ج الرسائل الاهلية وتعرف برسائل الاشواق هي ما دارت

بين الاقارب والاصدقاء واسفرت عن مكنون الوداد وسرائر الفؤاد. ولا حَرَج على الكاتب اذا بسط فيها الكلام على احوالهِ واحفى السؤال في احوال اصحابهِ

س بماذا تتفرَّد هذه الرسائل

ج تتفرَّد بان يُطلِق الكاتبُ فيها العِنان للاقلام ويتجافى عن الكلفة ويعدل عن الانقباض وقد قيل: الأُنس يُذهِب المهابة والانقباض يُضيع المودة وقال عليّ: شرط الأُلفة ترك الكُلفة. هذا ولا بدَّ من مراعاة مقتضى الحال والاعتصام بركن الفطنة أخذًا بقول أبي الاسود الدؤَليّ:

لا تُرسلنَّ رسالةً مشهورةً لا تستطيع اذا مضَتْ إدراكَها

والى هذا الباب ترجع مكاتيب الاشواق وحسن التواصُل والهدايا ورُقَع الدعوات وبعض الرسالات الهزلية

س اذكر لنا بعض شواهد على الرسائل الاهلية

كتب ابو الفضل ابن العميد الى بعض اخوانهِ

قد قرُب ايَّدك الله محلُّك على تَراخيهِ. وتصاقَب مُستقرُّك على تنائيهِ. لانَّ الشوق يُمثِّلك. والذكر يُخيِّلك. فنحن في الظاهر على افتراق. وفي الباطن على تَلاق. وفي التسمية متباينون. وفي المعنى متواصلون. ولئن تفارقت الأشباح. لقد تعانقت الارواح

وكتب الصاحب بن عبَّادٍ الى صديقٍ لهُ

نحن يا سيدي في مجلسٍ غنيٍّ الَّا عنك شاكرٍ الَّا منك. قد تفتّحت فيهِ



عيون النرجس وتوردت خدود البنفسج وفاحت مجامر الأترجّ وفُتِقت فارات النارنج وانطلقت ألسُن العيدان وقامت خطباء الاطيار وهبّت رياح الاقداح ونفقت سوق الأنس وقام مُنادي الطرب وامتد سحاب الند. فبحياتي إلّا ما حضَرت فقد أبَت راحُ مجلسنا ان تصفو الّا ان تتناولها يُمناك. وأقسمَ غناؤهُ أن لا يطيبُ حتى تعيهُ أذناك. فخدود نارنجهِ قد احمرَّت خجلًا لإبطائك وعيون نرجسهِ قد حدَّقت تأميلًا للقائك. فتعجَّل لهذه الاوطار. لئلَّا يخبث من يومي ما طاب ويعود من همّي ما طار

وكتب الامير ابو الفضل الميكاليّ من رسالة

انا اشكو اليك زمانًا سَلَب. ضِعفَ ما وهب. وفجَع. بأكثر ممَّا متَّع؛ واوحش فوقَ ما آنس. وعنَّف في نَزْع ما ألبس. فانهُ لم يذقنا حلاوة الاجتماع حتَّى جرَّعنا مَرارة الفِراق. ولم يُمتِعنا بأُنس الالتقاء حتَّى غادرَنا رَهْن التلهُّف والاشتياق. والحمد لله تعالى على كل حال يسوء ويَسرُّ. ويحلو ويَمُرُّ. ولا آيأَسُ من روح الله في إباحة صُنْع يجعَل رَبْعَهُ مُناخي. ويُقصِّر مدَّة البعاد والتراخي. فألاحظ الزمان بعين راضٍ. ويُقبلُ اليَّ حظي بعد إعراض. وأستأنفُ بعزَّتهِ عيشًا عَذبَ الموارد والمناهل. مأمون الآفات والغوائل

ولبعض الفضلاء الى اخيهِ يستعطفهُ

أنت سليل أُبوَّة. وشقيق أُخوَّة. اصلها من سَرحة. وفروعها من دَوْحة. فنحن لدَّة أوان. ونشوة زمان. ورضيعا لِبان. وركيضا أُمومة. وغصنا جُرثومة. درجا من وكر. وولدا في حِجر. فكيف توقظ عين الدهر. وتبسط يد الهجر. وتنبَّه غافي الرُّقاد. والحسود لنا بمِرصاد

(وكتب آخر الى صديق يستعطفهُ) أصفيت لك ودي. وأكديت لك عقدي. ومنحتك اخائي. ولم امزِّق لك صفائي. فقرِّب الاخاء بالودّ انقع للغلَّة. وانفع للعِلَّة. واسكن للروعة. واشفى للَّوعة. وأطفأ للحرقة. وآنس للفرقة

ومنهُ قول بعض الكتَّاب لاخٍ لهُ

انفذ اليَّ ابو فلان كتابًا منك فيهِ ذَرَّة من عتاب كان أحلى عندي من الرُّضاب. والذّ من زُلال المياه العِذاب. ولو شئت مع هذا ان اقول ان

العتب عليك اوجب والاعتذار لك الزم لفعلتُ . ولكني أُسامحك ولا أُشاحّك واسلِّم اليك ولا أُرادُّك لانَّ افعالك عندي مَرْضيَّة وشِيَمك لديَّ مقبولة . ولو ان للحجَّة موقعها لاعترضتُ عمَّا اومأت اليهِ وما عرضتُ عمَّا بدأت بهِ وقلتُ :

اذا مَرِضتم آتيناكم نعودكمُ وتُذنبون فنأتيكم فنعتذرُ

زيّن الله أُلفتنا بمعاودة صلتك واجتماعنا بترادُف زيارتك وإيّامنا الموحشة لغيبتك برؤيتك

وكتب بعضهم في الاشواق

لولا انَّ اجودَ الكلام ما يدلّ قليلهُ على كثيرهِ وتُغني جملتهُ على تفصيلهِ لوسَّعت نطاق القول فيما أنطوي عليهِ من خلوص المودَّة وصفاء المحبَّة فجال مجال الطِرْف في ميدانهِ. وتصرَّف تصرُّف الدَوْح في إفنانهِ. ولكنَّ البلاغة بالايجاز ابلغ منها بالبيان والاطناب

(وقد روينا عدَّة رسائل في الاشواق وما شاكلها في الجزء الثالث من مجاني الأَدب ع ٣٥٥ — ٣٦٤ وفي الجزء الرابع منهُ ع ٣٣٣ — ٣٣٦ وفي الخامس ع ٢٦٠ — ٢٦٤ وفي السادس ع ١٤٧ — ١٤٨)

النوع الثاني

الرسائل المتداولة

هذه الرسائل تتفرَّع الى ثلاثة اقسام باعتبار الغرض المقصود فإمَّا ان تُقصَد بها امور الكاتب وإمَّا امور المكتوب اليهِ وإمَّا اغراض ثالثة . فالضرب الاول يشتمل على الرسائل التجارية والطلب والشكر والاعتذار. والثاني على رسائل النصح والملامة والاخبار والتهنئة والتعزية والاجوبة . والثالث على رسائل الوصاة والشفاعات

الضرب الاول

الرسائل المقصود بها امور الكاتب

١ الرسائل التجاريّة

س ما هي الرسائل التجارية

ج هي التي تدور على المعاملات العاديّة والمبايعات وضروب التصرُّف في المال والامتعة

س كيف تُصاغ هذه الرسائل

ج انَّ هذه الرسائل لا تقتضي شيئًا من دقّة الفكر وكدّ الخاطر من حيثُ العبارة لأنّها تَنفُر عن كل كُلفة وتلطُّف فيقتصر الكاتب بعد إهداء السلام المألوف بعَرْض المطلوب باوجز الكلام واضبط المعاني واوضح الاساليب مع ابداء الثقة بهمّة المكتوب اليهِ لانجاح مصالح الكاتب (١

٢ رسائل الطلب

س ما هو الطلب

ج الطلب هو ان يحاول الكاتب نَيْل نعمةٍ ما

س ما هي انهج طريقة للطلب

١ راجع كتاب الشهاب الثاقب في صناعة الكاتب ص ١٧٦ — ٢٠٧ وكتاب نهج المراسلة ص ١٠٥ — ١٤٩

ج ان براعة الطلب تقتضي اولًا استعطاف خاطر المطلوب منهُ امّا بذكر نعم سابقة إمّا بثناء جميل الى غير ذلك من وجوه التلطُّف

ثانيًا ان يتخلّص الكاتب برقّة الي مقصوده فيلوّح بالطلب بالفاظ عذبة مهذَّبة (١ قال الشاعر:

والنفس ان دُعيت بالعنف آبيةٌ وهي اذا أُمِرتْ باللطف تأتمرُ

ولا بأس في أثناء الطلب بتعظيم من قصدتَهُ مُنتجعًا وذكر البواعث الداعية لهُ على المبادرة الى قضاء حاجتك والاعتذار اليهِ عن تصديع خاطرهِ (٢

ثالثًا ان يختم كتابهُ بما يشير الى استمرار معرفة الجميل وشكر النعمة (٣

س اذكر لنا بعض رسائل من هذا القبيل

من حسن التلطف في المكاتبة ما ذكرهُ اسمعيل بن ابي شاكر

١ راجع ما قلنا سابقًا في براعة الطلب (ص ٩٤). قال الاقدمون: ان طلبت فاستجح اي تلطَّف

٢ قال عليُّ بن جَهْم:

انّ لينَ السؤالِ والاعتذارِ خطَّةٌ صَعْبةٌ على الاحرارِ

وليذكر الطالب ايضًا قول زُهَير:

سألنا فأعطيتم وعُدْنا وعُدتمُ ومن يُكثر التسآلَ يومًا سيُحرَمِ

٣ قال عنترة: والكفر مَخبثةٌ لنفسِ المُنعِمِ

قال: لمّا اصاب اهل مكة السيل الذي شارف الحجَر ومات تحتهُ خلقٌ كثيرٌ كتب عبدالله بن الحسن العلويّ وهو والي الحرمين الى المأمون

يا امير المؤمنين ان اهل الحرَم وجيرانَ بيتهِ وأُلّاف مَسْجدهِ وعَمَرة بلادهِ قد استجاروا بعزّ معروفك من سَيْلٍ تراكَم جَرَيانهُ في هدم البنيان. وقتل الرّجال والنسوان. واجتاح الاصول وجرَف الاثقال حتّى ما ترك طارفًا ولا تالدًا للرّاجع اليها في مطعَم ولا ملبَس. فقد شغلهم طلب الغذاء. عن الاستراحة الى البكاء. على الأُمّهات والاولاد. والآباء والاجداد. فأَجِرْهم امير المؤمنين بعَطْفك عليهم. واحسانك اليهم. تجد الله مكافئَك عنهم. ومُثيبك عن الشكر منهم

قال فوجّه المأمون اليهم بالاموال الكثيرة

وكتب معاوية الى عليّ يطلب منهُ ولاية الشام

امّا بعد فلو علمنا انّ الحرب تَبلُغُ بنا وبك ما بلَغت لم يَجْنِها بعضٌ على بعض وان كنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا ما نَرُمُّ بهِ ما مضى ونُصلح ما بقي. وقد كنتُ سألتك الشام على ان تلزمني لكَ طاعةٌ وانا ادعوك اليوم الى ما دعوتك اليهِ أمس. فانك لا ترجو من البقاء الّا ما ارجو ولا تخاف من القتال الّا ما اخاف. وقد والله رقّت الاجناد وذهبت الرّجال ونحن بنو عبدِ مَناف وليس لبعضنا على بعض فضلٌ يُستذل بهِ عزّ ويسترقّ بهِ حُرّ والسلام

(راجع ايضًا الجزء الرابع من مجاني الادب صفحة ٢٦٨)

٣ رسائل الشكر

س ما الشكر

ج هو الثناء على المحسن بذكر احسانهِ

س ما الذي ينبغي للكاتب مراعاتهُ في هذا الباب

ج ينبغي لهُ اولًا ان يعظّم في رسالتهِ قَدْر الاحسان

ثانيًا ان يتلطَّف في بيان شكرهِ بما يقوم بحرمة الصنيعة حتّى يتّضح للمنعم انهُ لم يصطنع الى لئيمٍ ناكر الجميل . وقد قيل: الشكر نسيم المعروف . قال الشاعر

يزيد تفضُّلًا وأزيد شكرًا وذلك دأبهُ ابدًا ودأبي

وعلى كل حال لا بُدَّ ان يكون الثناء هذا ملائمًا لقَدْر الاحسان وطبقة المنعم

ثالثًا ان يترجّى للمحسن في آخر كتابهِ مع طول البقاء ان لا يزال منهلًا مقصودًا ومَشْرَعًا موردًا ينتابُهُ ذوو الحاجات في امورهم وقضاء مصالحهم

(راجع امثال هذا الباب في الجزء الثالث من مجاني الادب الصفحة ٢٨٧ . والجزء الرابع ص ٢٧٦ . والجزء الخامس ص ٢٧٢ . والجز السادس ص ٢٧٧)

٤ رسائل الاعتذار والتنصُّل

س ما الاعتذار

ج الاعتذار محاولة مَحْو أَثر الذَّنب (١

س ماذا يُستصوب في هذه المكاتبات

ج ان اعتذر الكاتب عن ذنبٍ اقترفهُ فالأَحرى بهِ اولًا

١ التعريفات

ان يصدّر كتابهُ بالاقرار بسوء صنيعهِ فانّ ذلك يمهّد الطريق لنيل الصفح عنهُ . قال بعضهم:

أقرِرْ بذنبك ثمَّ اطلب تجاوُزَنا عنهُ فانَّ جُحود الذنبِ ذنبانِ

قال آخر :

اذا كان وجهُ العُذرِ ليسَ ببيّنٍ فانَّ اطّراحَ العُذرِ خيرٌ من العُذرِ

ثمَّ يُظهر ثانياً ما لحقَ بهِ من الكآبة لداعي غمّ المُعاتِب مُعلِنًا ما كان عليهِ من خلوص النيَّة وصفاء الوداد في عملهِ الذي لم يصدر الّا سهوًا منهُ

واخيرًا يتلطَّف في الوسائل لاسترجاع رِضى المعاتب بتجديد عواطف الاحترام واستئناف اسباب المودَّة

س ما هي رسائل التنصُّل وباي شيء تختلف عن رسائل الاعتذار

ج التنصُّل هو التبرّؤ ممَّا نُسب اليك من الذَنْب . ولا تختلف رسائل التنصُّل عن رسائل الاعتذار في طريقتها سوى انك تحاول فيها تبرير نفسك بايضاح حقيقة الامر وتبديد أوهام المكتوب اليهِ برقّة ورِفق

س اذكر بعض امثلة في الاعتذار والتنصُّل

كتب ابن مكرَّم الى بعض الرؤساء

نبت بي غِرَّة الحداثة فردَّتني اليك التجربة وقادتني الضَّرورة ثقةً باسراعك اليَّ وان ابطأتُ عنك وقَبُولِك لعُذْري وان قصَّرتُ عن واجبك . وان كانت ذنوبي سدَّت عليَّ مسالك الصفح عني فراجع فيَّ مجدك وسؤْدُدك . واني لا اعرِف مَوْقفًا اذلَّ من موقفي لولا انَّ الخاطبة فيهِ لك ولا خُطَّة ادنى من خطَّتي لولا انَّها في طلب رِضاك

رسالة ابراهيم بن سبَّابة الى يحيى بن خالد البرمكي

للاصيل الجواد . الواري الزِناد . الماجد الاجداد . الوزير الفاضل . الاشم الباذل . اللُّباب الحُلاحل . من المستكين المستجير . البائس الضرير . فاني احمد اللهَ اليك ذا العزَّة القدير . وليّ الصغير والكبير . بالرحمة العامَّة . والبركة التامَّة امَّا بعدُ فاْغنم واسلَم . واعلم ان كنتَ لا تعلم . انَّهُ مَن يَرْحَمُ يُرْحَم . ومن يَحرِم يُحرَمٍ . ومَن يُحسِن يَغنَم . ومَن يصنع المعروف لا يُعدِم . وقد سبَق اليَّ . غضبك عليَّ . واطراقُكَ لي وغفلَتُك عنّي بما لا اقوم بهِ ولا اقعُد . ولا انتبه ولا ارقُد . فلستُ بذي حياةٍ صحيح . ولا بميتٍ مستريح . ففررتُ بعد الله منك اليك . وتحمَّلتُ بك عليك

وكتب ابو بكر الى ابي عليٍّ البَلْعَمي لما طال عتابهُ وكثُرت رقاعهُ اليهِ

لو بغير الماء حَلْقي شَرِقٌ كنتُ كالغصَّان بالماء اعتصاري

كيف يقدر ابقى الله الشيخَ على الدواء من لا يهتدي الى اوجه الداء . وكيف يُداري اعداءهُ مَن لا يَعرِف الاصدقاء من الاعداء . وكيف يُعالج العليلُ القَرْحةَ العمياء . ام كيف يسري الساري بلا دليل في الظلماء . ام كيف يخرج الهارب من بين الارض والسماء . الكريمُ ايَّد الله الشيخَ اذا قدر . غفَر . واذا أوثق . اطلق . واذا أسَر أعتَق . ولقد هربتُ من الشيخ اليهِ وتسلَّحتُ بعفوهِ عليهِ . والقيتُ رِبقة حياتي ومماتي بيدَيهِ . فليُذقني حلاوة رضاهُ عنّي . كما اذاقني

مرارة انتقامهِ منّي . ولتَلُحْ على حالي غُرة عفوهِ . كما لاحت عليها مواسم غضبهِ وسَطوهِ . وليعلم ان الحُرَّ كريمُ الظفرِ اذا نال احال . وانَّ اللئيمَ لئيمُ الظفر اذا نال استطال . وليغتنم التجاوز من عثرات الأحرار . وليَنتَهِز فُرَص الاقتدار . وليَحمد الله الذي اقامهُ مقامَ من يُرتجَى ويُخشَى . .

وكتب ابن الروميّ الى القاسم بن عبيد الله

ترفَّعْ عن ظُلمي ان كنتُ بريئًا . وتفضَّل بالعفو ان كنتُ مُسيئًا . فوالله اني لأطلب عفو ذنبٍ لم أُجنِهِ وألتمس الإقالة ممَّا لا اعرفهُ لتزداد تطوُّلاً . وازدادَ تذلُّلًا . وانا أُعيذ حالي عندك بكرمك من واشٍ يكيدها واحرُسُها بوفائك من باغٍ يُحاول افسادها . واسأل الله تعالى ان يجعل حظِّي منك بقدر ودّي لك ومحلّي من رجائك بحيثُ استحقُّ منك

واعتذر آخر فقال :

لُذتُ بعفوك واستجَرتُ بصفحك فأذِقني حلاوة الرضا . وأَجِرْني من مرارة السخط فيما مضى

(وكتبَ آخر) لكلّ ذنب عفوٍ وعقوبة فذنوب الخاصة مستورة . وسيّآتهم مغفورة . وذنب مثلي من العامّة لا يُغفَر . وكَسرهُ لا يُجبَر . وان كان ولا بدَّ من العقوبة فعاقبني بإعراض لا يؤدّي الى إبعاد . ولا يُفضي في الصفح الى ميعاد . لئن تُحسنوا وقد اسأنا خيرٌ من أن تُسيئوا وقد احسنّا . فان كان الاحسان منّا فما احقّكم بمكافأتهِ وان كان منكم فما احقّكم باستتمامهِ

(اطلب ايضاً في مجاني الادب الجزء الرابع الصفحة ٢٧١ . والجزء الخامس ٢٦٧)

الضرب الثاني

في الرسائل الراجعة الى غرض المكتوب اليهِ

١ رسائل الاخبار

هذه الرسائل لا تختلف من الروايات الّا بصورتها فعليك بمراجعة ما قيل في باب الروايات (ص ٢٥٣ — ٢٦٩) . بيد انّها لمّا كانت على الغالب بين الاخوان يُستحَبُّ فيها الاسترسال ونبذ الكلفة

٢ النصح والمشورة

س بايّ صورة تورَد هذه الرسالات

ج من عادة الكتّاب ان يصدّروا هذا النوع من الرسالات بكلام يكشف عمّا في نفس المشير من الخلوص والودّ لمن حاولوا نصحهُ . اللهمّ الّا اذا كان الناصح من ذوي الامر والنهي فانّ لهُ في مرتبتهِ غنًى عن ذلك . ثمّ يسبكون ما أَتوا بهِ من ضروب النصح والتوصية باحسن القوالب كي يتلقّاها المكتوب اليهِ بوجه القبول والرضا

س هاتِ بعضَ شواهد على النصح

من كتاب لعليّ الى بعض عمّالهِ

دَعِ الاسرافَ مُقتصدًا . واذكر في اليوم غدًا . وأَمسِك من المال بقدر

ضرُورتك وقدّم الفضل ليوم حاجتك . أترجو ان يُعطيك الله أجر المتواضعين وانت عندهُ من المتكبّرين . أوَ تطمع وانت متمرّغ في نعيم تمنعهُ الضعيف والارملة ان يُوجبَ لك ثوابَ المتصدّقين . وانما المرء مجزيٌّ بما أسلَف وقادمٌ على ما قدّمَ والسلام

من وصيّةٍ لهُ وصّى بها جيشًا بعثهُ الى العدو

اذا نزلتم بعدوّ او نزل بكم فليكن مُعسكركم في قُبيل الأشراف وسفاح الجبال أو أثناء الانهار كيما يكون لكم ردءًا ودونكم مَرَدًّا . ولتكن مُقاتلتكم من وجه واحد او اثنين . واجعلوا لكم رُقباء في صَياصي الجبال ومناكب الهِضاب لئلّا يأتيكم العدوّ من مكان مخافة او أمن . واعلموا انَّ مُقدّمةَ القوم عيونُهم وعيونَ المقدّمة طلائعهُم . واياكم والتفرُّق فاذا نزلتم فانزلوا جميعاً واذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً . واذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كُفةً ولا تذوقوا النوم الّا غِرارًا او مَضْمَضةً

ومن كتاب لهُ الى معاوية ينصحهُ

اتّقِ الله فيما لديك . وانظر في حقّهِ عليك . وارجع الى معرفة ما لا تُعذَر بجهالتهِ فانَّ للطاعة أعلاماً واضحةً وسُبلًا نيّرة ومَحجّة نهجة وغاية مطلوبة يردُها الأكياس . ويخالفها الأنكاس . مَن نكّب عنها جار عن الحقّ وخبط في التيه وسلبَهُ الله نعمتهُ . واحلَّ بهِ نقمتهُ . فنفسَك نفسَك فقد بيّن الله لك سبيلك . وحيث تناهت بك أُمورك فقد اجريتَ الى غاية خُسْر ومزلّة كُفر

ومن وصيّةٍ لهُ وصّى بها شريح بن هانئ لمّا جعلهُ على مقدمته الى الشام

اتّقِ الله في كل صباح ومساء وخف على نفسك الدنيا الغرور ولا تأمنها على حال . واعلم انك إن لم تردَع نفسك عن كثير ممّا تحبّ مخافة مكروهه سَمت بك الاهواء الى كثير من الضرَر . فكن لنفسك مانعاً رادعاً . ولنزوتك عند الحفيظة واقماً قامعاً

ولبديع الزمان يحذّر بعض اصدقائهِ من رجلٍ

اظنّك يا سيدي لم تسمع بيتَي القائل وهما:

اسمع نصيحة ناصحٍ جمعَ النصيحةَ والمِقَهْ
ايّاك واحذرْ ان تكو نَ من الثِقات على ثِقَهْ

صدَق الشاعر واجاد. وللثقات، خيانة في بعض الاوقات. هذه العين تُريك السَّرابَ شرابًا. وهذه الأُذن تُسمعك الخطأَ صوابًا. فلستَ بمعذور. ان وثِقتَ بمحذور. وهذه حالة الواثق بعينهِ. السامع بأذنهِ. وأرى فلانًا يُكثر غِشْيانَك. وهو الدنيّ دُخْلَتُهُ. الرديّ جُمْلَتُهُ. السيّئ وُصْلَتهُ الخبيث كَلِمَتهُ. وقد قاسمتهُ ودّك. وجعلتهُ موضع سرّك. فأرني موضع غلَطك فيهِ. حتّى أريك موضع تلافيهِ. أفظاهرهُ غرّك. ام باطنهُ سرّك. يا مولاي يُوردك ثم لا يُصدرك. ويُوقعك ثم لا يَعذرك. فاجتنبهُ. ولا تقربهُ. وان حضر بابَك. فاكنُس جنابك. وان مسّ ثوبك فاغسل ثيابك. ثم افتتح الصلوات بلَعْنِهِ. واذا استعذتَ بالله من الشيطان فأَعْنهِ. والسلام

وكتب ازدشير الى بعض عمّالهِ

بلغني انك تؤثر اللِّين على الغِلظة والمودّة على الهيبة والجُبن على الجُرْأة. فليشتدّ اوّلُك ويَلِنْ آخرك. ولا تُخلينّ قلبًا من هيبة ولا تعطِلنّهُ من مودّة ولا يَبعد عليك ما اقول لك فانّهما يتجاوران

(راجع ايضًا الجزء الثالث من مجاني الادب الصفحة ٢٨٢ . والجزء الرابع الصفحة ٢٧٥)

٣ رسائل الملامة والعتاب

س ما هي رسائل الملامة والعتاب

ج هي التي تتضمّن زجرًا للمذنب وتقريعًا لهُ عن إتيان سيئةٍ او إهمال مفروضٍ قُضِي عليهِ

س كيف تُرقم هذه الكتب

ج للملامة خُطَّة صعبة لمن اراد سلوكها فانها تقضي على الكاتب ان يُبيّن للملوم وجه خطإِهِ ويصوّر لهُ فظاعة زلّتهِ . فيُخشى اذ ذاك ان يصرم المعذولُ حبائلَ الودّ والصداقة ان لم يصُن العاذل قلمهُ عمَّا يُستشفُّ من ورائهِ حموضة وغضب . فمن ثمَّ يترتَّب على الكاتب ان يرقّق التحيُّل لبلوغ الغرَض من ردع الملوم مع صيانة نفسهِ عن الافراط .

قال الناشئ وقد احسن :

واذا عتبتَ على أخٍ في زلّةٍ أدمجتَ شدَّتهُ لهُ في لِينهِ

واحسن منهُ قول ابن الرشيق :

ثمَّ ان كنتَ عاتبًا شُبتَ بالوعدِ وعيدًا وبالصعوبة لينا

فتركتَ الذي عتبتَ عليهِ حَذِرًا آمنًا عزيزًا مهينا

(فائدة) امَّا الرؤساء والسادة فيقتصرون في الغالب على ذكر الخطإِ مع الانذار وذلك اقرب الى وجه الصواب عندهم . قال المتنبيُّ :

لعلَّ عتبك محمودٌ عواقبهُ وربَّما صحَّتِ الاجسام بالعللِ

س أورد لُمعة من هذه الرسالات

كتب بعضهم

لو كانت الشكوك تختلجني في صحَّة مودَّتك وكريم إخائك ودوام عهدك لطال تجنّي عليك في تواتُر كُتُبي واحتباس جواباتها عني . ولكنَّ الثقة بما تقدَّم عندي تعذِرك وتُحسّن ما يقبّحهُ جفاؤك والله يُديم نعمتهُ لك ولنا بك

ومن كتابٍ لعليٍّ الى معاوية قبل وقعة صِفّين

وكيف انت صانع اذا تكشّفت عنك جلابيبُ ما انتَ فيهِ من دنيا قد تبهّجتْ بزينتها وخُدعتَ بلذّتها . دَعَتْك فأجبتَها وقادتك فاتّبعتَها وأمرتك فأطعتَها . وانهُ يوشكُ ان يَقِفَك واقف لا يُنجّيك منهُ مِجَنّ فاقعَس عن هذا الامر وخذ أُهبَة الحِساب وشمِّرْ لما قد نزل بك ولا تُمكّن الغُواة من سَمْعك . والّا تفعل أُعلِمْك ما اغفلتَ من نفسك فانك مُترَف قد اخذ الشيطان منك مأخَذَهُ وبلغ فيك أَمَلَهُ وجرى منك مجرى الروح والدم . ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعيّة وولاة امر الأُمّة بغير قَدَم سابقٍ ولا شرف باسق ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء . وأُحذّرك ان تكون مُتمادياً في غِرَّة الأُمنيّة مختلف العلانية والسريرة . وقد دعوتَ الى الحرب فدَع الناس جانباً واخرج اليّ واعفُ الفريقَين من القتال ليُعلَم أيّنا المُرينُ على قلبهِ والمغطّى على بصرهِ . فانا ابو حسن قاتل جدّك وخالك واخيك شَدْخاً يوم بَدْر وذلك السيف معي وبذلك القلب ألقى عدوّي

ومن كتابٍ لهُ الى بعض عمّالهِ

امّا بعد فانّ دَهاقين اهل بلدك شكَوْا منك غِلْظة وقسوةً واحتقاراً وجفوة ونظرتُ فلم ارَهم اهلًا لأن يُدنَوا لشِركهم ولا ان يُقصَوا ويُجفَوا لعهدهم . فالبَس لهم جلباباً من اللين تَشوبُهُ بطرَفٍ من الشدّة وداوِل لهم القسوة والرأفة وامزج لهم بين التقريب والادناء والإبعاد والإقصاء ان شاء الله

ومن كتابٍ لهُ الى عثمان بن حنيف الانصاري

امّا بعد يا ابن حنيف فقد بلغني ان رجلًا من فتية اهل البصرة دعاك الى مأدبة فاسرعتَ اليها تُستطاب لك الالوان وتُنقَل اليك الجِفان . وما ظننتُ انك تُجيب الى طعام قوم عائلُهم مجفوّ وغنيُّهم مدعوّ . فانظُر الى ما تَقضَمهُ من هذا المقضم فما اشتبه عليك علمهُ فالفِظهُ وما ايقنتَ بطيب وجوههِ فنَلْ منهُ

ومن كتابٍ لهُ الى المنذر بن الجارود العبدي وكان قد خان في بعض ما ولّاهُ من أعمالهِ

امَّا بعد فانَّ صلاح ابيك غرَّني وظننتُ انك تتبع هَدْيَهُ وتسلك سبيلهُ فاذا انت فيما رُقّيَ اليَّ عنك لا تدَع لهواك انقيادًا ولا تُبقي لآخرتك عتادًا. تُعَمِّر دنياك بخراب آخرتك وتَصِل عشيرتك بقطيعة دينك. ولئن كان ما بلغني عنك حقًّا لَجَمَلُ اهلك وشِسْعُ نعلك خيرٌ منك. ومن كان بصفتك فليس باهل ان يُسَدَّ بهِ ثغرٌ او ينفَذ بهِ امر او يُعلَى لهُ قَدْر او يُشرَك في أمانة او يؤمن على خيانة فأقبِل اليَّ حين يصل اليك كتابي هذا ان شاء الله

وكتب سلطان مصر الى شريف مكة

بسم الله الرحمن الرحيم. الحسنَة حسنَةٌ وهي من بيت النبوَّة احسن. والسيِّئة سيِّئة وهي من الدار العَلَويَّة أشيَن. وقد بلغنا عنك ايها السيد الحسيب. الحيِّد النسيب. انك بدلتَ الأمن بالخاوف. وفعلتَ ما يُحمِّر الصفائح ويسوِّد الصحائف. والعجَب منك انك من بيت الكرَم. ومخزِن الحرَم. أويتَ المُجرِم. واستحللتَ المُحرِم. ومَن يُهِنِ اللهَ فما لهُ من مُكرِمٍ. فان تقفُ آثار جَدِّك. والّا أغمدنا بك غِرار حدِّك. فاذا خلَع الشّتاء جلبابهُ. ولبس الربيع أثوابهُ. فلنأتينَّهم بجنود لا قبل لهم بها ولنُخرجنَّهم منها أذلَّةً وهم صاغرون

كتب هشام لاخيهِ وكان اظهر رغبتهُ في الخلافة

امَّا بعد فقد بلغني استثقالُك حياتي واستبطاؤُك موتي ولعمري انك بعدي لواهي الجَناح أجذم الكفِّ وما استوجبتُ منك ما بلغني عنك

(راجع في مجاني الأدب فصولًا وردت في الذمّ واللوم والعتاب في الجزء الثالث ص ٢٨٤ وفي الرابع ص ٢٧٣ وفي الخامس ص ٢٦٧ وفي السادس ٢٧٦)

٤ رسائل التهانئ

س ما هي رسائل التهانئ

ج هي ما كُتبت لمن حصل على نعمةٍ او نجا من مصيبةٍ

س ما ركن مكاتبات التهانئ

ج ركنها مشاركة المكتوب اليهِ في الفرح الناشئ لهُ عن اصابة خيرٍ او تملُّص من شرٍّ

س ما الذي يُقتضَى تحرّيه في هذه الرسالات

ج يُقتضَى في مكاتيب التهانئ بسطُ الكلام في جدارة المُنعَم اليهِ بما حازهُ ووَصْف ما أُعطي من النِعَم وما مُنِحَ من الحظّ . وكلّما اتّسع مجال الكلام في ذكر النعمة كان ادلَّ على عواطف المُهنّئ وادعى لسرور المكتوب اليهِ (١

وقد الحقوا بهذه الرسائل الكتابات ألتي تُرسل في الاعياد وفي رؤوس السنة . فالحذَر الحذَر من ايراد هذه التحارير على وجهٍ مبتذَل مطروق بل لتكن التهانئ مشفوعةً بعواطف القلب مطوَّقةً بقلادة الحسن والذكاء . وكثيرًا ما يفتح مُقتَضَى الحال بابًا واسعًا ومجالًا رحبًا للاجادة في مثل هذه الكتابات

١ راجع كتاب صناعة الترسُّل

س اورد على التهانئ بعض شواهد

كتب ابو الفضل بديع الزمان الهمذانيّ الى طاهر الداوردي يهنئهُ بمولودٍ

حقًّا لقد أنجز الاقبال وعدَهُ . ووافق الطالعُ سَعْدَهُ . وانَّ الشأن لفيما بعدَهُ . وحبَّذا الاصلُ وفرعُهُ . وبُورك الغيث وصوبُهُ . واينع الروض ونورُهُ . وحبَّذا سماء اطلعت فرقدًا . وغابة ابرزت اسدًا . وظهرٌ وافق سَندًا . وذِكرٌ يبقى ابدًا . ومجدٌ يسمَّى ولدًا . وشرفُ لُحمَةٍ وسدًى

وللمعرّي في تهنئةٍ بمولود

قد سُرَّت الجماعة بالمولود القادم أجزل الله حظَّـهُ من اسمهِ واعطاه الغاية ممَّا كُني بهِ وتفاءلتُ لهُ ضروبًا من الفأل منها انهُ قَدِمَ يوم الجُمُعة فدلَّ ذلك على اجتماع الشَّمل . وهو يوم فرَحٍ ونفقة . فبسط الله يدهُ بالنفقات . والجمعة ذات نُسُك ودين فان الله يبلّغهُ مبالغ اهل التقوى بكرمهِ . وكان ورودهُ في مقابلة ايَّام العجوز وذلك فألٌ بالسلامة واليُمْن . لأنَّ العجوز ارفق بالولد من الشوابّ . وقالوا : أرفقُ من عجوز بصبيّ . واتَّفق مجيئهُ عند إفصاء الشتاء وهم يتمنَّون بالفَصيَّة وهي الخروج من البرد الى الحرّ او من الارض ذات الشجر الى الارض البراح . ومن سعادة القادم الى هذه الدار ان يستقبلهُ الرَّبيع ضاحكًا في وجههِ محيِّيًا له بورده وزهره . مُهديًا اليهِ ريًّا روضهِ . فالحمد لله الذي جعل قدومهُ في زمان تجدُ بهِ المُجْدِبَةُ مرعى . وتَسْتَنُّ فصالهُ حتَّى القَرْعى . وتشبع سارحةٌ من حلّ وبلّ

وكتب آخر الى عليل يهنئهُ بشفائهِ

لئن تخلَّفتُ عن عيادتك بالعُذر الواضح من العلَّة ما اغفل قلبي ذكرك ولا لساني فحصًا عن خبرك . ومُحبُّك يُحبُّ ان تتقسَّم جوارحُهُ وصَبَك وان زاد في ألمها ألمُك وان تتَّصل بهِ احوالك في السرَّاء والضرَّاء . ولمَّا بلغني إفاقتُك كتبتُ مهنئًا بالعافية مُعفيًا من الجواب الَّا بخبر السلامة ان شاء الله

وكتب ابن الروميّ الى بعضهم في معناهُ

آذِن الله في شفائك. وتلقّى داءك بدوائك . ومَسَح بيد العافية عليك. ووجّه وفد السلامة اليك . وجعل علّتك ماحيةً لذنوبك مُضاعِفةً لمثوبتك

وكتب بعضهم لامير يهنئهُ بالعام الجديد

يقبّلُ الارضَ عبدٌ بالعام جاء يُهنّي
آتاكُمُ اللهُ فيهِ بكلّ خيرٍ وأمنِ

وكتب آخر

يلقاكَ هذا العامُ احسنَ مُلتَقى وَوُقيتَ فيهِ ما يخافُ ويُتّقى
لا زلتَ تلقى فيهِ كلَّ مسرَّة لا زلتَ ترقى فيهِ اكرمَ مُرتَقى

(راجع ايضاً الصفحة ٢٨١ من الجزء الثالث من مجاني الادب . ومن الجزء الرابع الصفحة ٣٧٦ . ومن الخامس الصفحة ٢٧٢ . ومن السادس الصفحة ٢٧٢)

٥ رسائل التعازي

س ما التعزية

ج هي التسليــة عن مصيبةٍ والحثّ على الصبر بوعد الأجر (١)

س ما هي اصول مكاتيب التعازي

ج تقتضي هذه المكاتيب رقّةً وتلطّفًا عظيمَين لتخفيف وجع المصاب بالبليّة

وانهجُ طريقة لذلك هي ان يذكر الكاتب اولًا ما طرأ على المعزّى من المحنة او الكآبة . ثمّ يحاول ثانيًا مقاسمتَــهُ

١ صاحب بديع الانشاء

في حزنهِ فيبكي لبكائهِ ويأسف لاسفهِ . واخيرًا ينتقل الى اسباب التسليـة التي من شأنها ان تضمّد جروح المعزّى وتُظاهرهُ على محنتهِ

س ما مورد اسباب السلوان

ج انّ اصفى موارده وارحب طُرُقهِ الديانة . فانها البلسم الشافي لمثل هذه الادواء . ويضاف اليهـا اسباب التعازي المأخوذة من اعتبار الدنيا وزوالها وتقلّبات الدهر وصروفهِ وانقضاء الأَجل مع ذكر ما عُرِف بهِ المنكوب من الثبات والتجلُّد بين المصائب والرجاء . بانّ الله يعوّض عن البليّة ويُجزل الأَجر لمن أَحسن الصبر

س اذكر لنا بعض امثلة في التعازي

كتب عبدُ الحميد بن يحيى عن مروان الى هشام يعزّيه بامرأة

ان الله تعالى أَمتع اميرَ المؤمنين من أُنسيَّتهِ وقرينتـهِ إمتاعَ مدّةٍ الى اجلٍ مُسمّى فلمَّا تمّت لهُ مواهب الله وعاريتهُ قبض اليـهِ العاريّة . ثمَّ اعطى امير المؤمنين من الشكر عند بقائها والصبر عند ذهابها انفسَ منها في المُنقَلب وارجح في الميزان واسنى في العوَض . فالحمد لله ربّ العالمين وانَّا لله وانَّا اليهِ راجعون

وكتب ايضًا الى اهله وهو مهزوم مع مروان

اما بعد فان الله تعالى جَعـلَ الدنيا محفوفةً بالكرَه والسرور فمن ساعدهُ الحظُّ فيها سكَن اليها . ومن عضّتهُ بِنابها ذمَّها ساخطًا عليها . وشكاها مُستزيدًا

لها وقد كانت اذاقتنا أفاويق استحليناها ثم جمحت بنا نافرةً ورمحتنا موليةً فملح عذبها وخشن لينها فأبعدتنا عن الاوطان . وفرّقتنا عن الاخوان . والدار نازحةٌ . والطير بارحةٌ . وقد كتبتُ والايّام تزيدنا منكم بعدًا . واليكم وجدًا . لمَّا ان تتمّ البليّة الى اقصى مدّتها يكن آخر العهد بكم و بنا . وان يلحقنا ظُفر جارحٍ من اظفار من يليكم نرجع اليكم بذُلّ الإسار . والذلّ شرُّ جارٍ . نسأل الله الذي يعزُّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء ان يهب لنا ولكم أُلفةً جامعةً . في دارٍ آمنة . تجمع سلامة الابدان . والاديان . فانهُ ربُّ العالمين . وارحم الراحمين

مات ولد لعبد الرحمن بن مهدي فكتب اليهِ الشافعي

يا أخي عزِّ نفسك بما تُعزّي بهِ غيرك واستقبحْ من فعالك ما تستقبحهُ من غيرك . واعلم انّ امض المصائب فَقْدُ سرور وحرمان أجرٍ . فكيف اذا اجتمعا مع اكتساب وزرٍ . فتناول حظّك يا أخي اذا قرب منك قبل ان تطلبهُ وقد نأى عنك . ألهمك الله عند المصائب صبرًا . وأحرز لنا ولك بالصبر اجرًا

اني أُعزّيك لا أني على ثقةٍ   من الحياةِ ولكن سُنّة الدينِ
فما المُعزّى بباقٍ بعد ميّتهِ   ولا المعزّي وان عاشا الى حينِ

وكتب ابن السمَّاك يُعزّي هارون الرشيد بولدٍ

امَّا بعد فان استطعتَ ان يكون لله شكرُك حيثُ قبضَهُ كشكرك لهُ حيثُ وهبَهُ لك فافعل . فانَّهُ حيث قبضَهُ منك أحرز هبتَهُ لك . ولو بقي لم تسلم من فتنتِهِ وقد رأيتَ جزَعك على ذهابهِ وتلهّفك على فراقهِ . وكيف ترضى هذه الدار لابنك ولا ترضاها لنفسك امَّا هو فقد خلّص من كدرٍ . وبقيتَ انت متعلّقًا بالخطر . والسلام

وكتب ابو القاسم محمَّد بن عليّ الاسكاف عن الامير نوح بن نصر الى ابي طاهر وشمكير يعزيهِ :

إنَّ أحقّ مَنْ سلّم لامر الله تعالى ورَضِيَ بقَدَرهِ حتَّى يَمضي مُصطَبِرًا ويخلص مصطَبِرًا وحتَّى يكون بحيث ما أمر الله من الشكر اذا وهب والرضاء

اذا سلب أنتَ اعزَّك اللهُ تعالى لحذّك من الشكر والحجا وحظّك من الصبر والنُّهى . ثم لِمَا ترجع اليهِ من ثبات الجنان عند النازلة وقوّة الاركان تُعزِ الدولة الفاضلة فانَّ لك فيها وفي سهمك الفائز ومقامك البارز عوضاً عن كلّ مرزوقٍ لكلّ مرجوّ . ونسأل الله تعالى ان يجعلك من الشاكرين لفضلهِ اذا ابلى والصابرين لحكمهِ اذا ابتلى وان يجعل لك ولابنك التعزيةَ ويقيك الرزيّة بمنّهِ وقدرته

وكتب حمدون بن نهراق الى عاملٍ عُزِل عن عملهِ :

بلغني أعزَّك الله انصرافك من عملك ورجوعك الى منزلك فسُررتُ بذلك ولم استفظعهُ وأجزع لهُ لعلمي بان قدرك اجلّ واعلى من ان يرفعك عملٌ تتولّاه او يضعك عزلٌ عنهُ . ووالله لو لم تختر الانصراف وتُرِدِ الاعتزال لكان في لطف تدبيرك وثقوب رؤيتك وحسن تأنّيك ما تزيل بهِ السبب الداعي الى عزلك والباعث على صرفك . ونحن الى ان نهنئك بهذه الحال اولى بنا من ان نعزّيك . اذ اردتَ الانصراف فأُوتيتهُ وأحببت الاعتزال فأُعطيتهُ . فبارك الله لك في منقلبك وهنّاك النِعَمَ بدوامها ورزقك الشكر الموجب لها الزائد فيها

(راجع الجزء الثالث من مجاني الادب الصفحة ٢٨٨ . والجزء الرابع الصفحة ٢٧٩ . والجزء الخامس الصفحة ٢٧٥ . والجزء السادس الصفحة ٢٧٨)

٦ الاجوبة

س ما الذي يجب مراعاتهُ في الاجوبة

ج ان الاجوبة كثيرة الشعب تتفرّع حسب تفرّعات اغراض الكتابة فلا يمكن التفصيل عنها بابًا بابًا . وانمّا نقول على وجه الاجمال ان الجواب يقتضي ان يوافق الخطاب واغراض الرسالة المبعوثة اليك

س اورد بعضاً من هذه الرسائل

لابي بكر الخوارزمي من جواب الى رجل اعلمهُ بمرضهِ

وقفتُ على ما شكاهُ سيّدي من العلّة شفاهُ الله تعالى منها وعوَّضهُ الصحّة عنها . وقد وَدِدتُ لو قَبِلَتني العلّة فداءً . وامكنني ان أُقرض سيّدي شفاءً . فكنتُ انقُل اليهِ الصحّة نقلًا . وأَبذل لهُ ما عندي من العافية بذلاً

جواب الخليفة المأمون الى عبدالله والي الحرَمين (راجع الصفحة ٣٠٤)

امّا بعد فقد وصلَت شكيَّتك لاهلِ حرَم الله الى أمير المؤمنين فبكاهم بقلب رحمتهِ . وانجدهم بسَيْب نعمتهِ . وهو متّبع لما أسلف اليهم . بما يخلفهُ عليهم . عاجلًا . وآجلًا . ان أذن الله في تثبيت نيّتهِ على عزمهِ

(قيل ان هذا الجواب كان اسرّ لاهلِ مكة من الاموال التي انفذها المأمون اليهم)

جواب المأمون شريف مكة الى سلطان مصر (انظر الصفحة ٣١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم . إعترَف المملوكُ بذنبهِ . ورجع الى دينهِ وربّهِ . وهو يسأل منكم الرضا . والعفو فيما مضى . ويلتمس من الاخلاق الطاهرة . والمكارم الظاهرة . العفوَ عن سوء فعلهِ . وليس من شيَمكم ان تكافئوهُ بمثلهِ . فان انتقمتم فيدُكم أقوى . وان تعفوا فهو أقرب للتقوى . وفي مقدُرتكم ما يكفيهِ . وكل إناءٍ ينضح بما فيهِ

جواب على كتاب تعزية لابي القاسم الإسكاف

وَصل كتابك أعزَّك الله تعالى مُفتتَحًا بالتعزية عن فلان وتصيف وجمعك للمصيبة ونحنُ نحمَد الله تعالى الذي يُنعِمُ فضلًا . ويحكم عدلًا . ويهبُ إحسانًا . ويسلُب امتحانًا . على مجاري قبضتهِ كيف حوت آخذةً ومُعطيةً . ومَوقع مواقع مشيئتهِ كيف مضت سارَّةً ومُسيئةً . حمدَ عالمين لا حُكمَ الّا لهُ ولا حقّ الّا بهِ ومستمسكين بما أمر بهِ عند المساءة من الصبر . والمسرَّة من الشكر . راجين ما اعدّهُ الله من الثواب للصابرين . والمزيد للشاكرين . وما توفيقُنا الّا بالله عليهِ توكل واليهِ نُنيب

وكتب عليٌّ الى معاوية يجاوبهُ على كتابهِ في امر توليتهِ الشام *

(راجع الصفحة ٣٠٤)

امَّا بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيهِ انك لوْ علمتَ ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلَغَت لم يجنِها بعضهم على بعض وانا وايَّاك نلتمس غايةً لم تبلغها بعد. فامَّا طلبك مني الشام فاني لم اكن لِأُعطيك اليوم ما منعتُهُ امس. وامَّا استواؤنا في الخوف والرجاء فلستَ بأَمضى على الشكّ مني على اليقين وليس اهل الشام على الدنيا باحرص من اهل العراق على الآخرة. وامَّا قولك «انَّا بنو عبدِ مناف» فكذلك نحن وليس أُميَّة كهاشم ولا حَرْب كعبد المُطَّلب ولا ابو سُفيان كابي طالب ولا المهاجر كالطليق ولا المُبْطِل كالمُحقّ. وفي ايدينا النبوءة التي قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحُرّ والسلام

كتاب يزيد الى اخيهِ الخليفة هشام يتبرَّأ اليهِ وجواب هشام لهُ

(راجع ص ٣١٤)

امَّا بعد فانَّ امير المؤمنين متى فرَّغ سَمْعَهُ لقول اهل الشنآن واعداء النعم يوشك ان يقدح ذلك في فساد ذات البين ويقطع الأرحام. وامير المؤمنين بفضلهِ وما جعلهُ الله لهُ اهلًا اولى ان يتغمَّد ذنوب اهل الذنوب. فأمَّا انا فمعاذ الله أن استثقل حياتك واستبطئ وفاتك. (فكتب اليهِ هشام): نحن معترفون ما كان منك ومكذّبون ما بلغنا عنك. فاحفظ وصيَّة عبد الملك ايَّانا وقولَهُ لنا في ترك التباغي والتخاذل وما أَمر بهِ وحضَّ عليهِ من صلاح ذات البَيْن واجتماع الاهواء فهو خير لك وآملكُ بك. واني لأكتب اليك وانا اعلم انك كما قال الاوَّل في قولهِ:

وانّي على اشياء منك تُريبني ... قديمًا لذو صفحٍ على ذاك يحمِلُ
ستقطعُ في الدنيا اذا ما قطعتني ... يمينَك فانظُر ايَّ كفٍّ تُبدِّلُ
وان انتَ لم تُصفِ اخاك وجدتهُ ... على طرَف الهجران ان كان يعقِلُ

* لهذه الرسالة رواية مختلفة في نهج البلاغة

الضرب الثالث

المكاتيب التي مرجعها الى اغراض شخص ثالث

رسائل الوصاة والشفاعة

س ما هي الوَصاة والشفاعة

ج الوصاة هي استمالة ذوي الرُّتَب الى ثالثٍ ليُحسنوا وِفادتهُ او يُنعموا عليهِ. امَّا الشفاعة فهي سؤَال التجاوز عن الذنوب مِمَّن وقعت الجناية في حقّهِ (١

س ما هو منهاج هذه الرسالات

ج انَّ الكاتب يتخلَّص فيها بعد التوطئة الى ذكر العلاقة التي وَثُقت عروقها بينهُ وبين الشخص الذي تحرَّى الوصاة بهِ او الشفاعة فيهِ

ثم يذكر جدارة الموصَي بهِ بان يُصطنَع اليهِ بوصف مناقبهِ كالذكاء والامانة وحُسن السلوك. وان أراد طلَب الصَفْح عن ذنبٍ اقترفَهُ المشفوعُ فيهِ فليبيّنْ خلوص ودادهِ وحسن نيّتهِ وتوبتهُ عمَّا فرط منهُ سهوًا

واخيرًا تُختَم الرسالة بوعد عرفان الجميل والشكر سواء

١ الجرجانيّ

كان ذلك من قبل الكاتب او من قبل الموصى بهِ

س اذكر مثلًا في الوصاة والشفاعات

رسالة القديس بولس الى فيليمون

(كتبها اليهِ بولس الرسول من سجنهِ في رومية يسألهُ قبول عبدهِ اونيسيموس الآبق اليهِ ويطلب منهُ ان يتلقَّاهُ بالصفح لاجل قبولهِ الايمان)

من بولس اسير يسوع المسيح ومن تيموتاوس الأخ الى فيليمون حبيبنا ومعاوننا . . . والى الكنيسة التي في بيتك . النعمة لكم والسلام من الله ابينا والرب يسوع المسيح . اشكر الهي ذاكرًا ايَّاك في صلواتي كل حين لسماعي بمحبَّتك وايمانك من جهة الرب يسوع وجميع القديسين لكي تكون شركةُ إيمانك فعَّالةً بمعرفة كلّ ما هو صالح فينا بيسوع المسيح . فانَّ لنا سرورًا وعزاءً عظيمًا في محبَّتك لان احشاء القديسين قد استراحت بك ايها الاخ . فلذلك وان كان لي بالمسيح يسوع ان آمرك بالواجب بجرأة كثيرة قد آثرتُ لاجل المحبَّة ان اسألك سؤال رجلٍ هو بولس الشيخ بل أسير يسوع حالاً . فاسألك من جهة ابني اونيسيموس الذي ولدتهُ في القيود وقد كان حينًا غير نافعٍ لك امَّا الآن فهو نافعٌ لك ولي (١ وانا رادُّهُ اليك فاقبلهُ قبول احشائي بعينها . وكنتُ اوَدُّ ان أُمسكهُ عندي ليخدمني بدلاً منك في قيود الانجيل غير اني كرهتُ ان افعل شيئًا دون رايك ليكون إحسانُك عن اختيارٍ لا كأَنهُ على سبيل الاضطرار . ولعلَّهُ فارقك حينًا لتملكهُ مدى الدهر لا كعبد فيما بعد بل كمن هو افضل من عبدٍ كأخٍ محبوبٍ وعلى الخصوص اليَّ فكم بالاحرى اليك في الجسد وفي الرب . فان كنتَ قد اتَّخذتني من شركائك فاقبلهُ قبولك لشخصي . وان كان ظلمك في شيء او كان لك عليهِ دينٌ فاحسب ذلك عليَّ . انا بولس كتبتُ ذلك بخطّ يدي . أنا أفي . ولست بقائلٍ لك انك مديونٌ لي حتَّى بنفسك ايضًا . نعم يا أخي لتكن لي منك منفعة في الرب . أرحِ احشائي

١ في هذا القول اشارة لطيفة الى اسم اونيسيموس العبد المشفوع بهِ ومعناهُ بالرومية نافع

في المسيح . وانا كتبتُ اليك لثقتي بطاعتك ولعلمي بانك تفعل اكثر مما اقول . . . نعمة ربّنا يسوع المسيح مع روحكم . امين

(راجع ايضاً في الجزء الثالث من مجاني الادب الصفحة ٢٩٠ . وفي الجزء السادس الصفحة ٢٨٥)

النوع الثالث

الرسالات العلمية

س ما هي الرسالات العلمية

ج هي مقالات في المطالب العلمية او المسائل الادبية . وانما سُمّيت بالرسالات لانّ اصحابها يُرسلونها الى مَن اقترحها عليهم

س ما هي صفات هذه الرسالات

ج لمّا كانت هذه الرسالات تخوض في مباحث العلوم اقتضى لصاحبها ان يسلك فيها منهاجًا قياسيًّا كما في مقالات الادب وليس لها من المكاتبات العاديّة شيء سوى انهُ يُسلك فيها منهج الاسترسال والمخاطبات البليغة

والشواهد على هذا النوع عدّة ابحاث تجدها في كتاب مقالات علم الادب . فلا حاجة لذكرها هنا

البحث الرابع

في هيئة الرسالات وآدابها

اعلم ان للرسالات مُقتضَيات لا يُنكَب عنها الّا من سها عن

عادات بلادهِ وطباع مُواطنيهِ . ومرجعها الى هيئة الرسالة وآدابها نقتصر على لمعة منها (١

س ما المراد بهيئة الرسالة وآدابها

ج هي الطريقة المأنوسة عند ارباب الادب لحسن افتتاح الرسالة ومقدَّمتها ومقصد المكاتبة وختامها وتوقيعها وتاريخها وعُنوانها

س اذكر ما يختصّ بكلٍ من هذه الاقسام

ج (حسن الافتتاح) هو ان تُصدَّر الكتابة بما فيهِ تعظيم المكتوب اليهِ من ذكر ألقابهِ ونعوتهِ الملائمة لمقامهِ ورتبتهِ واحوالهِ

(المقدَّمة) هي اوَّل الرسالة يبتدأ بها إمَّا بالحمدَلة تبرُّكًا كما جرت العادة عند الأقدمين . وامَّا بالدُّعاء للمكتوب اليهِ والتماس رضاهُ والشوق اليهِ او تقبيل يدهِ ان كان كبيرًا الى غير ذلك كما شاع في ايَّامنا . ويُقتضَى في المقدَّمة الايجاز ومراعاة النسبة بين الكاتب والمكتوب اليهِ مع الاسراع في الانتقال الى غرَض الكتاب

(مقصد الكتابة) هو ما بُنيت عليهِ الرسالة . وقد مرَّ

---

١ راجع كتاب الشهاب الثاقب ص ١٠ — ٣٠ وكتاب نهج المراسلة ص ١ — ١٠

الكلام على كل غرَض من الأَغراض على حِدَةٍ فان تبصَّر الكاتب في كل حالة من حالات المكاتبة فانهُ يجد لامحالة الطريق لاِصابة المرمى فيها

(الختام) هو انتهـاء الرسالة ومقطعها يلزمهُ ان يتَّسم بالايجاز وحسن السبك لانهُ آخر ما يبقى في الاسماع

(الإمضاء) هو ذكر اسم الكاتب مع الايذان بمنزلتهِ بالنسبة الى رتبة المكتوب اليهِ يوضع في آخر الكتاب . وكان قديمًا يُوضع فى الصدر

(التاريخ) هو تعريف الوقت الذي بهِ كُتِبَت الرسالة يصحبها اسم المكان الذي عنهُ صدَرَت وذلك امَّا في اعلى الكتاب وإمَّا في اسفلهِ على عادة كل بلدةٍ

(العنوان) ما كتب على ظهر الكتاب ليُستدَلّ بهِ على المكتوب اليهِ فيُذكر اسمهُ مع القابهِ ونعوتهِ المنبئة عن حالهِ والدعاء بدوام بقائهِ واثبات محلّ سكناهُ

(فائدة) اعلم اننا قد ضربنـا صفحًا عن امور كثيرة ترجع الى آداب الكتابة مثل اختيار القرطاس والحبر وترك هامشٍ في المكتوب الى غير ذلك ممَّا يُوكل الى الذوق ويؤخذ من الاستعمال والعادة

(راجع في مقالات علم الادب مقالة اودعت شروط المراسلة ص ٣٤٣ — ٣٤٩)

ملحق

الجزء الاول من كتاب علم الادب

الباب الاول

في الاحتذاء

س ما هو الاحتذاء

ج هو ان يعمد الكاتب الى اساليب الكُتَّاب فيقتصُّ أثرها وينسج على منوالها

س هل من فائدة في ذلك

ج قال عبد الرحمن الهمذاني: لا غنًى للكاتب ولا الشاعر المُفلق ولا الخطيب المِصقَع عن الاقتداء بالاولين والاقتباس من المتقدمين واحتذاء مثال السابقين فيما اخترعوهُ من معانيهم وسلكوهُ من طرقهم. قال ابن خلدون: انَّ التقليدَ عريق في الآدميين. قال الشاعر:

وتشبَّهوا ان لم تكونوا مثلَهمْ ان التشبُّهَ بالكِرام فَلاحُ

س كم نوعًا للاحتذاء

ج للاحتذاء انواع كثيرة منها مقبولة مستحسنة وتعرف

بحسن الاتّباع ١) وحسن الأَخذ ٢) ومنها مردودة وتعرف بالسّرقات ٣) وقبح الأَخذ ٤)

س ما هي طرق الاحتذاء الحسن

ج هي التي بها يأتي الكاتب الى معنًى سبقهُ اليهِ غيرهُ فيحسن اتباعهُ بحيث يستحقّهُ بوجهٍ من الزيادات ٥) . فتارةً يأخذ المعنى ويستخرج منهُ ما يشبههُ كقول بعض شعراء الحماسة :

لقد زادني حُبّاً لنفسيَ انّني بغيضٌ الى كلّ امرئٍ غير طائلِ

اخذ المتنبي هذا المعنى واستخرج منهُ معنًى آخر شبيههُ فقال :

واذا اتتكَ مذمّتي من ناقصٍ فهي الشّهادةُ لي بأنّي كاملُ

وتارةً يأخذ المعنى دون اللفظ كقول ابن المقفّع في الرثاء :

فقد جرّ نفعاً فقدُنا لك أنّنا أَمِنّا على كل الرزايا من الجزَعْ

اخذهُ من قول بعضهم :

وقد عزّى ربيعةَ أنّ يوماً عليها مثلَ يومِكَ لا يعودُ

وهذا النوع يُستحسن جدّاً اذا تلطّف بسياقهِ الكاتب

١ راجع الحموي وصناعة الترسل
٢ راجع كتاب الصناعتين للعسكري
٣ راجع المثل السائر ٤ راجع كتاب الصناعتين
٥ المثل السائر والحموي . قال ابو الرحمان الهمذاني : انَّ من اخذ معنًى عاريًا من غيرهِ وكساهُ من عنده لفظًا فهو احقُّ بهِ ممَّن اخذه منهُ

إمّا بزيادةٍ على معنى المتقدم إمّا بايجازهِ او كسوتهِ عبارةً احسنَ من عبارتهِ كقول المتنبي في مدح ابي الشُّجاع فاتكٍ :

وقد اطال ثنائي طولُ لابسهِ　　إنَّ الثَّناء على التِّنبال تنبالُ

اخذهُ من قول حسَّان بن ثابت :

ما ان مدحتُ محمَّدًا بمقالتي　　لكن مدحتُ مقالتي بمحمَّدِ

وكقول ابي تمَّام وقد اورد في شطرٍ معنى المتقدّم :

افنامُ الصبرُ اذ ابقاهمُ الجزَعُ

اخذهُ من قول السموأل :

يقرّب حبُّ الموتِ آجالَنا لنا　　وتكرههُ آجالُهم فتطولُ

وكقول مُسلم بن الوليد وقد زاد على من سبقهُ :

أُحِبُّ الرِّيح ما هبَّت شمالاً　　وأحسِدها اذا هبَّت جَنوبا

اخذهُ عن بعض شعراء الجاهلية :

اذا هبَّت الأرواحُ من نحو ارضكم　　وجدتُ لرَيَّاها على كَبِدي بَرْدا

فانَّ مسلمًا زاده تقسيمًا وحسنًا . ومعناه ان الشمال تجيء من ناحية صديقهِ فيحبُّها والجَنوب تهبّ الى الصديق فيحسدها لمباشرتها شخصَهُ

وكقول ابي نواس وهو احسن لفظًا وسبكًا من المتقدّم :

اذا نحن أثنينا عليك بصالحٍ　　فانت كما نُثني وفوق الذي نُثني

وان جرتِ الالفاظُ يومًا بمدحةٍ　　لغيرك انسانًا فانت الذي نعني

— اخذهُ من قول الخنساء في اخيها :

وما بلغ المُهدون في القول مِدحَةً　　وان أطنبوا الّا الذي فيك افضل

وطورًا يأخذ المعنى فيعكسهُ او ينقلهُ الى معنًى مختلف كقول ابي نُواس :

ليس على الله بمستنكرٍ　　آن يجمعَ العالمَ في واحدِ

اخذهُ عن قول جرير :

اذا غضبتْ عليك بنو تميم حسبتَ الناسَ كلَّهمُ غضابا

وكقول ابي الفتح الموصلي :

لولا الكرام وما تَشْوهُ من كرمٍ لم يدرِ قائل شعرٍ كيف يمتدحُ

اخذهُ بعكسهِ عن قول ابي تمَّام :

ولولا خلالٌ سنَّها الشعرُ ما درى بُناةُ العُلى من اينَ تُؤْتَى المكارمُ

وطورًا يأخذ المعنى فيكسوهُ عبارةً احسن من عبارة المتقدّم أو يَسبِكهُ سبكًا ادقّ كقول أعرابي :

انَّ الندى حيثُ ترى الضِغاطا

اخذهُ بشَّار وبيَّنهُ وزاد في حسنهِ :

يسقط الطيرُ حيث ينتشرُ الحبُّ م وتغشى منازلَ الكرماء

واخذهُ آخر فقال في مدح اميرٍ :

يزدحم الناس على بابهِ والمَشربُ العَذبُ كثير الزحامْ

وكقول بشَّار :

من راقبَ الناس لم يَظفَر بحاجتهِ وفاز بالطيِّبات الفاتكُ اللَّهِجُ

اخذهُ تلميذهُ سَلْم الخاسر فقال واجاد :

من راقب الناس مات غمًّا وفاز باللَّذَّة الجَسُورُ

وآناتٍ يأخذ المعنى عامًّا فيجعلهُ خاصًّا ويُعكس كقول الاخطل :

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثلَهُ عارٌ عليك اذا فعلتَ عظيمُ

اخذهُ ابو تمَّام فقال :

أألوم مَن بَخِلتْ يداه وأغتدي للبُخل تربًا ساء ذاك صنيعا

وكذلك قول علي بن ابي طالب:

لا تكن كمن يعجز عن شكر ما أوتي ويلتمس الزيادة فيما بقي

اخذه احمد بن يوسف فكتب:

احق من اثبت لك العذر في حال شغلك من لم يخل ساعة من برك في وقت فراغك

واخذه احمد بن صبيح اخذا ظاهرًا فقال في شكر امير:

انَّ ما تقدَّم من احسان الأمير يشغلني عن استبطاء ما تأخر منهُ

واخذه ايضًا ابو نواس فقال يمدح الامين:

لا تسدينَّ اليَّ عارفةً حتَّى اقوم بشكر ما سلفا

(راجع مقالة للعسكري في حسن الاخذ نقلناها في كتاب مقالات علم الادب ص ٣٤٩–٣٥٣)

س ما الاخذ المذموم.

ج قال العسكري: هو ان تعمَد الى المعنى فتتناولَهُ بلفظهِ كلّهِ او اكثره أو تُخرجهُ في معرِض مُستهجَن وفي مُخرَج قبيح وكُسوة مُستَرذَلة كقول ابي تمّام وقد سرق المعنى مع قسم من اللفظ:

قد قلَّصتْ شفتاه من حفيظتِهِ فخِيلَ من شدَّة التعبيس مُبتسما

اخذهُ من قول ديك الجنّ الشاعر:

إلقَ ليثًا قد قلَّصت شفتاهُ فيُرَى ضاحكًا لعبس الصيال

وكقول ابي تمّام ايضًا ولم يحسن الاخذ:

ملَّمني جودُك السماحَ فما ابقيتَ شيئًا لديك من صِلَتِكْ

اخذهُ عن قول ابن الخيّاط وهو ابلغ واجود:

لمست بكفي كفهُ ابتغي الغنى ولم أدرِ انَّ الجود من كفهِ يُعدي

ومن الاخذ المذموم قول بعضهم :

بانت وصَدْعُ القلب كان لها صَدْعَ الزجاجة ليس يتَّفقُ

اخذهُ من قول الاعشى بلفظهِ :

فبانت وفي الصدر صدعٌ لها كصدع الزُّجاجة لم يلتئمْ

(قلنا) ولا حاجة للاكثار في هذا الباب ففي ما تقدَّم كفاية (١

١ ويحسن بنا ان نورد هنا ما اخبرهُ الجاحظ قال : كان كُلثوم العتَّابي يضع من قَدْر ابي نُواس فقال لهُ راويةُ ابي نواس يوماً : كيف تضع من قدر ابي نواس وهو الذي يقول :

اذا نحن أثنينا عليكَ بصالحٍ فانت الذي نُثني وفوقَ الذي نُثني

وان جرَت الالفاظُ منّا بمدحةٍ لغيرك انسانًا فانت الذي نَعني

فقال العتَّابي : هذا سَرِقة . قال : ممَّن . قال : من ابي الهُذَيل الجَمَحيّ . قال : حيث يقول ماذا . قال : حيث يقول :

واذا يُقال لبعضهم نِعْم الفتى فابنُ المُغيرة ذلك النِعمُ

عُقِم النساءُ فلا يَجِئْنَ بمثلهِ انَّ النساء بمثلهِ عُقْمُ

قال الراوية : فقد احسن ابو نُوَّاس في قولهِ يصف الخمر :

فتمشَّت في مَفاصلهم كتمشِّي البُرءِ في السَّقَمِ

قال : سَرِقةٌ ايضاً . قال لهُ : وممَّن . قال : من شَوْسة الفَقْعسي . قال : حيث يقول ماذا . قال : حيث يقول :

اذا ما السقيمُ حلّ عنها وِكاءها تصعَّدَ فيهِ بُرْؤُها وتصوَّبا

وان خالطتْ منهُ الحَشا خِلْتَ انهُ على سالفِ الايَّام لم يَبقَ مُوصَبا

قال الراوية : فقد احسن في قولهِ يمدح البرامكة :

فما خُلقَتْ الَّا لبذلٍ اكُفُّهم واقدامهم الَّا لأعواد مِنْبَرِ

قال : وقد سرقهُ ايضاً . قال : ممَّن . قال : من مَروان بن ابي حَفْصة . قال : حيث يقول ماذا . قال : حيث يقول :

وما خُلِقَتْ الَّا لبَذْلٍ اكُفُّهم وألسنُهم الَّا لتَحْبير مَنطِقِ

(راجع مقالةً لصاحب كتاب الصناعتين في قبح الاخذ في كتاب مقالات علم الادب ص ٣٦٣ — ٣٦٧)

س ما هي مراتب الاحتذاء

ج اعلم ان للاحتذاء مراتب تفضي بالكاتب الى حسن الانشاء ان ترقّى اليها بالتدريج

المرتبة الاولى ان يأخذ المعنى وينقلهُ بلفظهِ الى معنًى آخر وهذه ادنى درجات الاحتذاء

الثانية ان يعمد الى المعنى فيحفظهُ بتغيير التركيب واللفظ

الثالثة ان يعمّم المعنى الخاصّ او يخصّص المعنى العامّ

الرابعة ان يأخذ التعبير وينقلهُ الى معانٍ مختلفة

الخامسة ان يبسط معنًى موجزًا او يوجز معنًى موسَّعًا

السادسة ان يزيد في المعاني تحسينًا إمّا بالعبارة او بابتداعِ ما تكميلًا لها

وفي ما سبق من الامثال شواهد حسنة على هذه المراتب فراجعها

فيومًا يُبارون الرياح سماحةً وَيومًا لبذل الخاطب المُتشدّقِ
(قال) فسكت الراوية ولو اتي بشعرهِ كلهِ لقال لهُ كلثوم: سَرِقة



الباب الثاني

في العقد والحلّ (١

البحث الاول

في العقد

س ما هو العقد

ج هو ان يأخذ الكاتب المنثور من الكلام فيتحرّى نظمَهُ ويسبكهُ بالشعر سبكًا حسنًا . كما فعل ابو تمام وكان قد اطَّلع على قول علي بن ابي طالب للاشعث بن قيس : « انَّك ان صبرتَ جرى عليك قضاء الله وانت مَوْزور . وانك ان لم تَسْلُ احتسابًا سلوتَ كما تسلو البهائم فان التسليم والسُّلوة لحزماء الرجال واما الهَلَع والجَزَع فلربَّات الحجال » . فنظمهُ الطائي قائلًا :

وقال عليٌّ في التعازي لِأَشعَثٍ وخاف عليهِ بعضَ تلك المآثمِ
أَتَصبِر للبلوى عَزاءً وَحِسبةً فتؤْجَرَ ام تسلو سُلوَّ البهائمِ
خُلِقْنا رجالاً للتجلُّد والأسى وتلك الغواني للبكا والمآتمِ

وكقول المتنبي وقد نظمهُ عن قول أرسطاطاليس : « من لم يقدر على الفضائل فلتكن فضائلهُ تَرْكَ الرذائل » . فقال ابو الطيب :

انَّا لفي زمنٍ ترك القبيح بهِ من اكثر الناس إحسانٌ وإجمالُ

وقال ارسطو : « اعجزُ العَجْز مَن قدَر ان يُزيل العَجْز عن نفسهِ فلم يفعل » فنظمهُ المتنبي :

---

١ قد لخَّصنا هذا الفصل عن كتاب الوشي المرقوم في حل المنظوم لضياء الدين ابن الاثير

ولم ارَ في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على الكمالِ

وما اخذهُ ابو الطيّب عن ارسطو كثير كما بيّنهُ الحاتميّ في مقالةٍ لهُ في هذا المعنى

وهاك رواية نظمها الاديب المقّري :

حُكي انَّ افلاطون كتب الى بُقراطَ قبل ان يتعلَّم منهُ : اني اسألك عن ثلاثة اشياء ان أجبتَ عنها تتلمذتُ لك . فكتب اليهِ بقراط : سَلْ و بالله التوفيق . فكتب اليهِ : أخبرني مَن أحقُّ الناس بالرحمة ومتى يَضيع امرُ الناس وما تُتَلقّى بهِ النعمةُ من الله . فكتب اليهِ بقراط : أمّا أحقُّ الناس بالرحمة ثلاثة : البرّ يكون في سُلطان فاجرٍ فهو الدهرَ منهُ حزين لِما يرى و يسمع . والعاقل في تدبير الجاهل فهو الدهرَ مُتْعَبٌ مغموم . والكريم يحتاج الى اللئيم فهو الدهرَ خاضع ذليل . وأما تضييع امور الناس فاذا كان الرأي عند من لا يُقبَل منهُ . والسلاح عند من لا يستعملهُ والمال عند من لا يُنفقهُ . وامَّا ما بهِ تُتَلقّى النعمة من الله فبكثرة الشكر لهُ تعالى ولزوم طاعتهِ واجتناب معصيتهِ . فاقبل اليهِ افلاطون وصار لهُ تلميذاً الى ان مات

قال المقّري : وقد نظمت هذا السؤالَ والجوابَ في قولي :

أرسلَ أفلاطونُ وهو الذي قِدْماً سما في الناس بالحِكْمَهْ
لشيخهِ بُقراطَ من قبل أن يكونَ ممَّن قد حوى عِلمَهْ
إنْ انتَ حققْتَ جوابي على ثلاثة تخفضُك الخِدْمَهْ
وكنتُ تلميذاً مُقرّاً بما تُسديهِ من علمٍ ومن حُرْمَهْ
فقال بيّنها فقال اكشفنْ عمَّن أحقُّ الناس بالرَّحمهْ
وعن امور الناس أوضحْ متى تضيع واستقبالُنا النعمهْ
من ربّنا سبحانَهُ ما الذي بهِ تُلاقى فاُشرحِ القسْمهْ
فقال بُقراط احقُّ الورى برحمةٍ يا مُوفيَ الذمّهْ
ذو العقل في تدبير ذي الجهل لا يبرحُ طولَ الدهر في غُمَّهْ
والبرُّ ان اضحى بسلطان مَنْ فجورهُ عمَّ الورى نقْمَهْ

يُحزنهُ ما يُسمع او يرى منهُ لانَّ الظُّلم ذو ظُلْمَهْ
كذا كريم النفس ذو حاجةٍ الى لئيمٍ ساقطِ الهمَّهْ
يَغدو ذليلًا خاضعًا خاشعًا لهُ وناهيك بذا وَصْمَهْ
فأسألُ الرَّحمن سبحانَهُ عن الثلاث الحفظَ والعصمَهْ
وذي ثلاثٌ إنْ تكن في الورى ضاعت امور الناس في تَهْمَهْ
المالُ في كفِّ امرئٍ مُمْسكٍ لهُ يرى إنفاقَهُ ثُلْمَهْ
والرأيُ ان كان لَدَى من أبَوْا منهُ قَبولاً وأبَوا حَزْمَهْ
وذو سلاحٍ ليس مستعملًا لهُ ولم يكسِب بهِ حِشْمَهْ
وذي ثلاثٌ غيرها أوضحت عمًّا بهِ تُستقبَل النعمهْ
تَرْكُ المعاصي ولزوم التُّقى وكثرة الشكر فصُنْ نَظْمَهْ

(قلنا) ولولا خوف الاطالة لذكرنا من ذلك قسمًا اوفر ولكن في الايماء كفاية للاديب

واما الامثلة في التوسيع فكقول الفاسي(١ وقد نظم قول بعضهم: «طالب الادب ابقى من طالب الذهب»:

العلم افضل مُكتسَب والعِلم احسنهُ الادبْ
فاشدد يديك بحبلهِ فلَحبلُهُ اقوى سببْ
هذا هو الكنز الذي يبقى اذا فنيَ الذهبْ

وقال ايضًا وقد نظم قول القائل: «كثرة العتاب تُفسد ودّ الاصحاب»

ومن لم يغمِّض عينَهُ عن صديقهِ وعن بعض ما فيهِ يَمُتْ وهو عاتبُ
ومن يتتبَّعْ جاهدًا كلَّ عثرة يجدها ولا يَسلم لهُ الدهرَ صاحبُ

١ للفاسي كتاب سمَّاهُ تحفة الاديب ونزهة اللبيب نظم فيهِ الاقاويل الشائعة وهو كتاب مفيد ، راجع ايضًا في نظم النثر ديوان ابي العتاهيَة فانهُ نقل في شعره كثيرًا من اقاويل الحكماء . ولابن الهبارِيَّة تأليفٌ نظم بهِ كتاب كليلة ودمنة طُبع حديثًا في الهند . وفي خزانة كتب مكتبتنا نظم آخر لهذا الكتاب وضعَهُ جلال الدين حسن المعروف بالنقَّاش سنة ٨٢٨هـ — ١٤٢٥م



البحث الثاني

في الحلّ

س ما الحلّ

ج الحلّ عكس العقد وهو ان يعمِد الكاتب الى ما نظمهُ غيرهُ فيرويهِ بالنثر

س الى كم قسمًا ينقسم حلّ الشعر

ج ينقسم الى ثلاثة اقسام : (الاوَّل) وهو ادناها أن تَحُلّ الشعر بلفظهِ

قال ابن الاثير: هذا الحلّ لا فضيلة فيهِ وقد يجيء منهُ ما عليهِ مَسْحة من جمال وذلك نَزْر يسير. الَّا ان الغالب على ما يُحَلّ بلفظهِ ان يأتي غثًّا باردًا عليهِ قِرَّة البَلَل وفَتْرة الحَمَل. ومثالهُ كمن هدم بناء ثم اخذ تلك الآلات المهدومة فانشأ بناء آخر فانهُ يجيء حينئذٍ مخلولق البناء لا محالة. . . وهذا لا أَعُدّهُ من صناعة حلّ الشعر في شيء على انّي أُجيزهُ للمبتدئ فانهُ لا يستطيع الَّا ذلك. فامَّا اذا حصل لهُ الإدمان وساعدهُ الإمكان فاني أحظُر عليهِ ما أجزتهُ لهُ اوَّلًا

ولربما استُحسن هذا النوع في حلّ الابيات المتضمّنة مثلًا من الامثال. فالأَوْلى ان تُحَلّ بلفظها لان الأَمثال شائعة أَلِفتها الناس وكثيرًا ما يعسر على الكاتب ان يُواخيها بلفظٍ آخر كقول البُحتري :

نطلُبُ الأكثر في الدنيا وقد   تُبلَغُ الحاجةُ فيها بالأقلْ

فتقول في نثرها :

نطلب في الدنيا الاكثر وانمّا الحاجة ربّما تبلَغ فيها بالاقلّ

وكقول المتنبي :

لعلَّ عَتْبَكَ محمودٌ عواقبهُ   فربّما صحّتِ الاجسامُ بالعِلَلِ

فتقول في حلّهِ :

اني ارجو لعتبك محمودَ العاقبة وربّما تصحُّ الاجسام بالعلل

وكذلك لايستحسن تغيير اللفظ في كل بيت تضمّن الفاظًا فرائد في محلّها لا يسدُّ غيرُها مَسدَّها كبعض التشابيه والالفاظ العلميَّة والإشارات والتلميحات ١)

(والقسم الثاني) ان تحُلَّ الشعر ببعض لفظهِ وهذه هي الطريقة الوسطى

قال ابن الاثير: هذا القسم عندي اصعب مَنالاً من الطريقة العليا التي هي حلّ الشعر بغير لفظهِ. وسبب ذلك انك اذا حللتَ شعر شاعر مُجيد قد نقَّح الفاظهُ وزيَّنها واجاد في ديباجة سبكها فاذا تصدَّيت لفكّ نظامهِ فقد الزمتَ نفسك ان تُواخي لفظهُ بمثلهِ في الحسن والجودة. وهذا لايسمو اليه الّا من غُذي بلِبان الفصاحة مُرضعًا وعرف مواضعها فلم يجهل منها مَوضِعًا. واذ لم يأتِ بالمُماثلة والمواخاة بين لفظـهِ ولفظ الشاعر فقد كشف عن عِرضهِ لنائلهِ وعَرَض لحمَهُ لآكلهِ. وان حلّ الشعرَ بغير لفظهِ فقد أَمِن من هذه العَورة

١ راجع كتاب الوشي المرقوم في المنثور والمنظوم لابن الاثير

س اورد في ذلك بعض امثلة :

رسالة في حلّ الشعر

فلو كان للشكر شخصٌ يَبين   اذا ما تأمّلهُ الناظرُ
لصوّرتُهُ لك حتّى تراهُ   فتعلمَ اني امروءٌ شاكرُ
ولكنّهُ ساكنٌ في الضمير   يحرّكهُ الكلمِ السائرُ

(فقيل في حَلّهِ) شكري لعالي مجلس مولانا الملك السيد المؤيّد وليّ النعم خوارَزْم شاه اطال الله بقاه. وادام عُلاه. ونَصَرَ لِواه. على نِعَمهِ التي غرّقتني. واستعبدتني. وملأت يدي وقلبي. شُكْرُ الروض للمطر. والساري للقمر. بل شكرُ الظمآن الوارد. للزُلال البارد. بل شكرُ الاسير لمُطْلِقهِ. والمملوك لمُعتقهِ. فلو كان للشكر شخصٌ يُدركهُ البصر. ويحصّلهُ النظر. لصوّرتهُ فأحسنتُ تصويرهُ. كما قرّرتُهُ فاحكمت تقريرهُ. حتّى يراهُ مولانا اعزّ الله نصرهُ بعينهِ العالية. كما سمعهُ بأذنهِ الواعية. فيعلم اني شاكرٌ لأياديهِ المتّصلة كاتّصال السعود. ذاكرٌ لِمِنَنهِ المنتظمة كانتظام العقود. ولئن سكن الشكر سواءَ نفسي. وسُوَيداءَ قلبي. لقد حرّكهُ ما يسير من كلامي مسير الامثال. ويسري في الآفاق مسرى الخَيال. وبالله آستعين على النهوض. بالمفروض. من شكر النعمة. وبَذْل الوسع في الخدمة. انهُ خيرُ مُعين. وأقوى ظهير

رسالة اخرى في حلّ قول الصاحب

اقبل الجوُّ في غلائل نورِ   وتهادى بلؤلؤٍ منثورِ
فكأنَّ السماءَ ظاهرتِ الأرْ   ضَ وصار النِثارُ من كافورِ

هذا يا مولاي ادام الله بقاك يومٌ اقبل هواؤهُ في غلائل النور. وجاءنا باللؤلؤ المنثور. حتّى كأنَّ السماواتِ ظاهرت الارضَ. ونثرت لها الكافورَ الغَضّ. فالبِرُّ علينا السرور بطلعتك. وأسعدنا بمساعدتك. على ما ازمعناه من امتطاء مراكب الفرح. وقَدْح نار الطرب بالقدَح. ان شاء الله

اما (القسم الثالث) وهي الطبقة العليا فهو ان يُحلَّ الشعرُ بغير لفظهِ فلا يعلم السامع من اين اخذ الناثر. ويكثر في

هذا النوع استعمال الالفاظ المترادفة كقول ابن الاثير في حل هذين البيتين لابي تمّام:

اري فضلَ مال المرء داءً لعِرْضهِ　　كما انَّ فضلَ الزاد داءٌ لجسمهِ
فليس لداء العِرْض شيءٌ كَبَذْلهِ　　وليس لداء الجسم شيءٌ كحَسْمهِ

الانسان في هَيْج اخلاط مالهِ كهو في هيج اخلاط جسده . وكلاهما شيء واحد في تقويم أَوَده . فهذا يُطَبّ بتنقيص شيء من دمهِ . وهذا يُطب بتنقيص شيء من درهمهِ . وقد قيل انَّ الغنى داء عند بعض الناس . ولا يُسكِن من سَوْرتهِ الّا استعمالُ مُسهِلات الاكياس . وهذا فلان قد طغى حيث استغنى . وامتلأَ عيناً ويداً وبطناً . فينبغي ان يُعالَج بهذا العلاج . الذي فيهِ اصلاحٌ للمَزاج

وقال ايضاً في وصف قلم حلَّ قول المتنبي :

يمجُّ ظلاماً في نهارٍ لسانُهُ　　ويُفهِم عمَّن قال ما ليس يسمعُ

اخرس وهو فصيح الايراد . واصمُّ وهو يُسمِع مناجاةَ الفؤاد . ومن عجيب شأنهِ . انهُ لا ينطق الأَ اذا قُطع من لسانهِ . ولا يضحك الّا اذا همى الدمعُ من اجفانهِ

الباب الثالث

في التعريب

س ما هو التعريب

ج التعريب عبارة عن نقل الكلام من اللسان الأعجمي الى العربي

س ما هي فوائد التعريب

ج اعلم انَّ التعريب افضل ما يَرْتاض بهِ المُرشَّح لصناعة الكتابة . بهِ تُشحذ فكرتهُ وتَتوافَر بضاعتهُ ويتَّسع نطاق فهمهِ

اذ يقتبس من انوار اللغات الاعجميَّة ثروةَ تراكيبَ وصُورٍ وكنز تعابيرَ ومعانٍ يتصرَّف بها عند الحاجة

س الى اي شيء يحتاج المعرب لحسن النقل

ج يحتاج الى امرين: اولًا الى فضل معرفة وثاقب نظر ليدرك ما اراد نقلهُ من اللسان الاعجمي الى العربيّ فيستبطن خفيّ امرهِ ويتمكَّن من مُبهمات الفاظهِ ومُشكِلات تعابيرهِ وعويص معانيهِ

ثانيًا ينبغي لهُ ان يكُدَّ خاطرهُ على استخراج الموضوع الى العربيّة بغاية ما امكنهُ من الجودة. ولمَّا كانت اللغات متباينة القرائح مختلفة التعابير يتحتَّم على الناقل لاستيفاء غرضهِ ان يتبصَّر طورًا بعد طور في الاساليب العربية الموافقة لتأدية المعاني التي تحرَّى استخراجها اليها مع دفع الالتباس وسلامة الكلام ممَّا يُنكِرهُ ذوو الذوق السليم من اهل اللغة حتى اذا وقف عليهِ العربي لا يجد فيهِ اثرًا للتعريب واذا عرضهُ الاعجميُّ على اصلهِ الذي نقل عنهُ لا يكاد يراهُ شاذًّا عنه بشيء

س ايُّ طريقة انتهجها تراجمة العرب في التعريب

ج قال الصفدي: للترجمة في النقل طريقان. احدهما (وهو

طريق يوحنا بن بطريق وابن الناعمة الحمصي وغيرهما) ان ينظر في كل كلمة مفردةٍ من الكلمات الأعجميّة وما تدلُّ عليهِ من المعنى وينتقل الى الاخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه. وهذه الطريقة رديئة لوجهين احدهما انهُ لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع كلمات الأعاجم ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الالفاظ الغريبة على حالها. الثاني انَّ خواصَّ التركيب والنِّسَب الإسنادية والمجازات وهي كثيرة في جميع اللغات لا تطابق دائماً نظيرها من لغة اخرى

الطريق الثاني في التعريب (وهو طريق حُنَين بن اسحاق والجوهري وغيرهما) ان يأتي الجملة فيحصل معناها في ذهنهِ ثمَّ ينقلها الى اللغة الاخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الالفاظ ام خالفتها. وهذا الطريق اجود (اه)

(قلنا والطريقة الفاشية اليوم بين المعرّبين ان يتتبعوا الكلام الأعجمي فما وافق منهُ أسلوب اللُّغة العربية نقلوه بحرفهِ وما خالف مناحِيَها نقلوهُ بمعناهُ. وهي الطريقة المُثلَى إن أَحسنَ المُعَرِّبونَ استعمالها

س اورد ذكر من اجادوا النقل عن اللغات الاعجمية

ج اجاد في التعريب عن البَهلويَّة ابن المقفَّع في كليلة ودمنة وتاريخ الفرس . وعن اليونانية ابن رُشد والفارابي وابن سينا وثابت بن قرَّة الحرَّاني وحنين بن اسحاق النصراني وله في ذلك السبق على اقرانهِ عرَّب اكثر كتب ارسطاطاليس . واحسنَ النقلَ عن السريانية ابو الفرج الملطيّ وغيرهُ من النصارى السريان . ولبعض المُحدثين يدٌ رَحْبة في التعريب لاسيما عن اللغات الاوربيّة . وممَّا وقع في زماننا موقع الاستحسان من هذا القبيل ترجمة الاسفار الالهية التي طُبعت في مطبعتنا وقد آنس ناقلوها من الجمهور ميلًا وإقبالاً لصحَّة نقلها وتهذيب عبارتها

الباب الرابع

النقد البياني

س ما هو النقد

ج النقد لغة هو النظر في الدراهم لتمييز جيّدها من فاسدها . وفي الاصطلاح هو عبارة عن تفقُّد التآليف الادبية بالبصيرة لبيان محاسنها وغرائبها وللدلالة على مغالطها وشوائبها

س ما الفائدة من النقد البياني

ج ليس في الوسائل الكتابية والذَّرائع الارتياضيَّة شيءٌ كالنقد البياني لتذكية العقل وتهذيب النفس واصلاح الذوق • على انهُ مِحَكٌّ خطير لمعرفة بدائع التصانيف من قبائحها • فانَّ كثيرًا من المقالات والقصائد اذا ما أُفرغت في كِير الفكر وعُرضت على مشاغل النظر وأُزيل عنها زُخرف قشرتها وبهرجة الفاظها تراها سقيمة المباني غثَّة المعاني ضعيفة التركيب عدمُها خير من وجودها

س ما هي خواصّ النقد البياني

ج للنقد البياني ثلاث خواص: اولًا ان يكون المُنتقِد خاليًا عن كل غرض وميل لا يطلب الَّا وفاء حقّ النقد بكشف رموز التصانيف المُنتقَدة وتمييز حسنها من سيّئها مع الاحتراس من كلِّ تنديدٍ وقدحٍ لا سيَّما اذا كان صادرًا عن سابق توهُّم وهوًى (١

١ قال الماوردي: انَّ الهوى اذا تملَّك على النفس يخفي عنها القبيح لحسن ظنّها وتتصوَّرهُ حسنًا لشدَّة ميلها . وقد قيل: حبُّك الشيء يُعمي الرُّشد ويُصِمُّ عن المَوعظة . وقال علي: الهوى عمى . وقال عبيد الله بن معاوية:

ولستُ براءٍ عيبَ ذي الودّ كلَّهُ ولا بعضَ ما فيهِ اذا كنتُ راضيًا
فعينُ الرضَى عن كل عيبٍ كليلةٌ ولكنَّ عينَ السخط تُبدي المساويا

ثانيًا ان يسلك في نقدهِ طريقة مهذَّبة معلومة سهلة المأخذ يتيسَّر تناولها على المطالع

ثالثًا انْ يتحامى الملاحظات العامَّة التي لا يحصل الناظرُ منها بطائل . ولا يكفي لحسن النَّقــد ان يلقي الكاتب اصوات التعجب والانذهال كقولهِ : « ما احسن هذا البيت . ولله درُّهُ في قولهِ : وهذا كلام بديع لم يسبق اليهِ » وغير ذلك ممَّا لا يُجنَى منهُ كبير فائدة ما لم يؤَيَّد بالبرهان

س على اي وجه يأتي النقد البياني

ج يأتي على وجوه مختلفة فمن المُنتقدين من يقتصر على تبيان رسم التأليف المُنتقَد عليهِ مع ذكر تركيبهِ واجزائهِ . ومنهم من يتوسَّع بكشف بدائعهِ وهتك ستر معايبهِ . وتارةً يتأنَّقون في نقدهم فيُخرجونهُ مُخرَج مقالةٍ ادبيَّة ليِّنة الاعطاف بليغـة الاطراف جديرة بان تُنظم في سلك الكتابات الادبيَّــة . وطوراً يَعرضون ما حاولوا نقدهُ على أشباههِ من التصانيف فيسبرونهُ بمعيــار غيرهِ للاستطلاع على مِصداق نظمهِ او محض نثرهِ وتفاوُت طبقاتهِ وذلك على طريقة الموازنة والمقابلة

س ما اولى طريقة لحسن النقد

ج لمّا كانت التصانيف الادبية متألفة من ثلاثة اشياء متباينة هي الايجاد والتنسيق والبيان ترتّب على الناقد البصير ان يستقري هذه الوجوه الثلاثة في نقده

١ً (الايجاد) يبحث عن حسن اختيار المادّة وتوسيع اقسامها وابتداع معانيها المصوّرة لها وموافقتها للموضوع

٢ً (التنسيق) وهو ان يستقري نظام التأليف الادبي فيبيّن تلاحُم اجزائهِ وارتباط معانيهِ واتّفاق الصور والعواطف مع المعاني وإفراغ الاقسام المختلفة في قالب واحدٍ مع نموّها جميعًا في الحُسْن والتأثير

٣ً (البيان) وهو ان يبحث المنتقد: اولاً عن خواصّ الالفاظ كحسن سبكها وسلاستها أو بعكسهِ على نفورها وعدم قرارها في موضعها وهجنتها وما شاكل ذلك

ثانيًا عن خواص المعاني مفسراً عن ابتكارها وعذوبتها وتفنّنها وانسجامها أو بالعكس عن ابتذالها وتراكبها وتداخلها ببعضها وقبح اختيارها الى غير ذلك

ثالثًا عن بسط المادّة وتوسيعها بضروب البيان واشكالها المعنوية واللفظية

رابعًا عن طبقة انشاء التأليف أهو من الساذج أو من الانيق أو من النمط العالي وعن سبب ذلك

خامسًا عن اشكال البديع اللفظي والمعنوي وباقي المحسّنات المنمِّقة للتصانيف الادبية

وهاك بعض امثلة في هذا الفن اوردها صاحب المثل السائر وان لم تكن مستوفاة

نقد بيت السموأل

وان هو لم يَحمِل على النفس ضَيمَها فليس الى حسن الثناء سبيلُ (١

ان هذا البيت قد اشتمل على مكارم الاخلاق من سماحة وشجاعة وعفّة وتواضع وحلم وصبر وغير ذلك فانّ هذه كلّها من ضَيْم النفس لانّها تجد بحملها ضيمًا اي مشقّة وعناء . ومن المعلوم أن الايجاز بالقصر يكون فيما تضمّن لفظُهُ مُحتَمَلات كثيرة وهذا البيت من ذلك القبيل . ولا اعلم انّ شاعرًا قديمًا ولا حديثًا أتى بمثله وقد اخذهُ ابو تمّام فاحسن اخذهُ وهو :

وظلمتَ نفسكَ طالبًا إنصافَها فعجبتُ من مظلومةٍ لم تُظلَمِ

ففاز في بيتهِ هذا بالمقابلة بين الضدّين في الظلم والانصاف . ثم قال « فعجبت من مظلومة لم تُظْلَم » وهذا احسن من الاوّل . ومعنى قولهِ « ظلمت نفسك طالبًا انصافها » اي انّك اكرهتَها على مشاقّ الامور واذا فعلتَ ذلك ظلمتَها ثم انك مع ظُلْمك ايّاها قد أنصفْتَها لانك جلبتَ اليها اشياء حسَنة تُكسبها ذكرًا جميلًا ومجدًا مؤثّلًا فانت مُنصِف لها في صورة ظالم . وكذلك قوله « فعجبت من مظلومة لم تظلم » اي انّك ظلمتَها وما ظلمتَها لانّ ظلمك ايّاها أدّى الى ما هو جميل حسن

١ هذا البيت من قصيدة السموأل المذكورة في الجزء الخامس من مجاني الأدب الصفحة ٢٥٩

نقد مرثيتين لابي تمام والمتنبي

قال ابو تمام في رثاء ولدين صغيرين:

مجدٌ تأوَّبَ طارقًا حتَّى اذا قُلنا أَقام الدهرَ أَصبح راحلا
نجمان شاء الله أَن لا يَطلُعا الَّا ارتدادَ الطَّرْف حتَّى يأْفلا
إِنَّ الفجيعةَ بالرياض نواضرًا لَأَجلُّ منها بالرياض ذَوابلا
لهفي على تلك الشَّواهدِ فيهما لو أُمهلتْ حتَّى تكونَ شمائلا
لغدا سكونُهما حجًى وصباهما حِلْمًا وتلك الاريحيَّةُ نائلا
انَّ الهلالَ اذا رأَيتَ نموَّهُ أَيقنتَ ان سيكونُ بدرًا كاملا
قُلْ للامير وان لَقيتَ موقَّرًا منهُ بريب الحادثاتِ حُلاحلا (١
ان تُرزَ في طرفَيْ نهارٍ واحدٍ رُزْءَينِ هاجا لوعةً وبلابلا
فالثِقلُ ليس مُضاعَفًا لمَطيَّةٍ الَّا اذا ما كان وَهْمًا بازلا (٢
لا غروَ انْ فَنَنان من عَيْدانةٍ (٣ لقيا حمامًا للبريَّة آكلا
انَّ الأَشاءَ اذا اصاب مشذِّبٌ منهُ اتْمَهَلَّ ذُرًى وأَثَّ أَسافلا (٤
شمخت خلالُكَ أَن يؤسِّيكَ امرؤٌ أَو أَن تُذكَّرَ ناسيًا أَو غافلا
الَّا مواعظَ قادها لكَ سمحةً أَسجاحُ لُبِّكَ سامعًا أَو قائلا
هل تكلَفُ الايدي بهزّ مهنَّدٍ الَّا اذا كان الحُسامُ الفاصلا

وقال ابو الطيب في مرثية طفل صغير:

فان تكُ في قبرٍ فانَّكَ في الحشا وان تكُ طفلًا فالأَسى ليس بالطفلِ
ومثلُكَ لا يُبكى على قدر سنِّهِ ولكن على قدْرِ الفراسة والأَصلِ
أَلستَ من القوم الذي من رماحهم نَداهم ومن قتلاهمُ مُهجةُ البخلِ
بمولودهم صَمْتُ اللسان كغيره ولكنَّ في اعطافهِ مَنطِقَ الفَصْلِ

---

١ الموقَّر المجرَّب المُحنَّك. والحُلاحِل السيِّد الشجاع ٢ الوَهم الجَمَل الضخم القويّ الذلول. والبازل الذي طلع نابهُ وذلك في السنة التاسعة من عمرهِ ٣ الفَنَن الغصن. والعَيْدانة النخلة الطويلة
٤ الأَشاء صغار النخل. والمُشذِّب الذي يُصلح النخل بقطع اغصانها. واتمهلَّ اعتدلَ. وأَثَّ اي كثُر والتفَّ. والاسافل ما سفل من اغصانهِ

تُسَلّيهم عَلْياؤهم عن مُصابهم ويشغَلُهم كَسْبُ الثناء عن الشغلِ
عزاءك سيف الدولة المقتدى بهِ فانك نصلٌ والشدائد للنصلِ
تحون المنايا عهدَهُ في سليلهِ وتَنصُرهُ بين الفوارس والرّجلِ
بنفسي وليدٌ عاد من بعد حَمْلهِ الى بطن امٍّ لا تَطرّقُ بالحملِ
بدا ولهُ وعدُ السحابة بالروى وصدٌّ وفينا غُلّة البلد المحْلِ
وقد مدّت الخيل العتاقُ عيونها الى وقت تبديل الركاب من النعلِ
وريعَ لهُ جيشُ العدوّ وما مشى وجاشت لهُ الحرب الضَّروسُ وما تغلي

فتأمل ايها الناظر الى ما صنع هذان الشاعران في هذا المقصد الواحد وكيف هام كلُّ واحد منهما في وادٍ منهُ مع اتفاقهما في بعض معانيهِ. وسأُبيّن ما اتّفقا فيهِ وما اختلفا واذكر الفاضل من المفضول فاقول: (امّا الذي اتّفقا فيهِ) فانّ ابا تمّام قال: « لهفي على تلك الشواهد » البيت. واما ابو الطيّب فانهُ قال: « بمولودهم » البيت. فاتى بالمعنى الذي اتى بهِ ابو تمّام وزاد عليهِ بالصناعة اللفظية وهي المطابقة في قولهِ « صَمْت اللسان ومَنطِق الفصل ». وقال ابو تمّام: « نجمان » البيت. وقال ابو الطيب: « بدا ولهُ وعد السحابة » البيت. فوافقهُ في المعنى وزاد عليهِ بقولهِ: « وصدٌّ وفينا غلّة البلد المحلِ ». لانهُ بيّن قَدْرَ حاجتهم الى وجوده وانتفاعهم بحياتهِ. (واما ما اختلفا فيهِ) فانّ ابا الطيب اشعر فيهِ من ابي تمّام ايضاً. وذاك انّ معناهُ أمتن من معناهُ ومبناهُ احكم من مبناهُ. وربّما اكبرَ هذا القولَ جماعةٌ من المُقلدين الذين يقضون مع شبهة الزمان وقدَمهِ لا مع فضيلة القول وتقدُّمهِ. وابو تمّام وان كان اشعر عندي من ابي الطيب فان ابا الطيب اشعر منهُ في هذا الموضع. وبيان ذلك انهُ قد تقدَّم القول على ما اتّفقا فيهِ من المعنى. واما ما اختلفا فيهِ فان ابا الطيب قال: « عزاءك سيف الدولة » البيت. وهذا البيت بمفردهِ خير من بيتَيْ ابي تمام وهما « ان تُرزَ ... فالثقل... » فانّ قول ابي الطيب « والشدائد للنصل » اكرم لفظاً ومعنًى من قول ابي تمام: انّ الثقل انما يضاعف للبازل من المطايا. وكذا قولهُ ايضاً: « تحون . . » البيت. فهذا اشرف من بيتي ابي تمام « لا غرو . . انّ الاشاء . . ». وكذلك قال ابو الطيب: « الستّ . . . نسليهم . . ». فهما بيتان خير من قول ابي تمام: « شجعت . . الّا مواعظ . . » البيتين

نقد قصيدتين للمتنّي والبحتري في وصف الأسد

قال البحتري وقد ألمّ بطرف ممّا ذكر بِشر بن عَوانة في ابياتهِ التي اولها « افاطم لو شهدتِ (١) » فقال :

وما نقم الحُسَّاد الّا اصالةً لديكَ وعَزمًا اريحيًا مُهذّبا
وقد جرَّبوا بالامس منك عزيمةً فَضَلْتَ بها السيفَ الحُسامَ المجرَّبا
غداةَ لَقِيت الليثَ والليثُ مُخْدِرٌ مُحدّد نابًا باللِقاء ومِخْلَبا
اذا شاء غادى عَانةً او غدا على عَقائل سِرب او تقنَّص رَبربا
يجرُّ الى اشبالِهِ كلَّ شارقٍ عَبيطًا مُدَمًّى او رميلًا مُخضَّبا
شهدتُ لقد أنصفتَهُ حين ينبري لهُ مُصلتًا عضبًا من البيض مِقْضبا
فلم ارَ ضِرْغامَينْ اصدقَ منكما عِراكًا اذا الهيَّابةُ النِكس كذَّبا
هِزَبرًا مَشَى يبغي هِزَبرًا وأغلبا من القوم يغشى باسلَ الوجهِ أغلبا
اذلَّ بشغبٍ ثمَّ هالَتْـهُ صولةٌ رآك لها امضى جنانًا وأشغبا
فأحجم لمَّا لم يجِـد فيك مَطمَعًا وأقدم لمَّا لم يجِد عنك مَهربا
فلم يُغنِهِ أن كرَّ نحوك مُقبلًا ولم يُنجِهِ أن حاد عنك مُنكّبا
حملتَ عليهِ السيفَ لا عزمُك انثنى ولا يدُك ارتدَّت ولا حدُّهُ نبا

وممّا جاء لابي الطيب المتنبي في قصيدتهِ :

أمُعفِّرَ الليث الهِزَبر بسَوْطِهِ لِمَن ادَّخرتَ الصارمَ المَصقولا
وَرْدٌ اذا وَرَدَ البُحَيْرَةَ شاربًا وردَ الفُراتَ زئيرُهُ والنيلا
مُتخضِّبٌ بدم الفوارس لابسٌ في غِيلِـهِ من لِبْدَتَيْهِ غيلا
ما قُوبلت عيناهُ الّا ظُنَّتـا تحت الدُّجى نارَ الفريق حُلولا
في وَحدة الرُّهبان إلّا أنّهُ لا يعرف التحريمَ والتحليلا
يطأُ الثّرى مُترَفّقًا من تيهِـهِ فكأنّهُ آسٍ يجسُّ عليلا
ويرُدُّ عُفرَتهُ الى يافوخهِ حتّى تصيرَ لرأسهِ اكليلا
قَصَرت مَخافتهُ الخُطَى فكأنّما رَكِبَ الكميُّ جوادَهُ مشكولا
ألقى فريسَتَهُ وزمجرَ دونها وقَرُبتَ قربًا خالهُ تطفيلا

---

١ راجع هذه القصيدة في الجزء السادس من المجاني الصفحة ١٧١

فتشابَهَ الخُلُقانِ في إقدامِهِ وتخالفا في بَذْلِكَ المأكولا
أَسدٌ يرى عُضْوَيهِ فيكَ كليهما مَتْناً أزلَّ وساعداً مفتولا
ما زال يجمع نفسَهُ في زَوْرِه حتّى حسبْتَ العَرْضَ منهُ الطولا
وكأنّما غرّتهُ عينٌ فادّنى لا يبصر الخَطْب الجليل جليلا
أَنَفُ الكريم من الدنيّة تارك في عينِهِ العددَ الكثيرَ قليلا
والعار مضّاضٌ وليس بخائف من حتفِهِ مَن خاف ممّا قيلا
خذلَتْهُ قوّتهُ وقد كافحتَهُ فاستنصرَ التسليمَ والتجديلا
سَمِعَ ابنُ عمّتِهِ بهِ وبحالِهِ فمضى يهرول أمس منك مَهولا
وأمَرُّ ممّا فرَّ منهُ فرارُهُ وكقتلِهِ أن لا يموت قتيلا
تلَفُ الذي اتّخذ الجراءة خُلّةً وعظَ الذي اتّخذ الفرارَ خليلا

وسأحكم بين هاتين القصيدتين والذي يشهد بهِ الحق وتنفيه العصبية أذكرهُ وهو أنّ معاني ابي الطيّب أكثر عدداً وأمدّ مقصداً. ألا ترى ان البحتري قد قصَر مجموع قصيدتهِ على وصف شجاعة الممدوح في تشبيههِ بالاسد مرّة وتفضيلهِ عليهِ اخرى ولم يأت بشيء سوى ذلك. وامّا ابو الطيّب فانهُ اتى بذلك في بيت واحد وهو قولهُ : « أمُعَفِّرَ الليث » البيت . ثم انهُ تفنَّن في ذكر الاسد فوصف صورتهُ وهيئتهُ وذكر احوالهُ في انفرادهِ في جنسهِ وفي هيئة مَشْيهِ واختيالهِ. ووصفَ خُلق نجلهِ مع شجاعتهِ وشبَّه الممدوح بهِ في الشجاعة وفضَّلهُ بالسخاء. ثم انهُ عطف بعد ذلك على ذكر الأنَفة والحميّة التي بعثت الاسد على قتل نفسهِ بلقاء الممدوح واخرج ذلك في احسن مُخرَج وابرزهُ في اشرف معنى. واذا تأمّل العارف بهذه الصناعة أبيات الرجلين عرف بديهة النظر ما اشرتُ اليهِ. والبحتريّ وان كان افضل من المتنبّي في صَوْغ الالفاظ وطلاوة السبك فالمتنبي افضلُ منهُ في الغَوْص على المعاني. وممّا يدلّك على ذلك انهُ لم يعرّض لما ذكرهُ في اياتهِ الرائية لعلمهِ انّ بِشْراً قد ملك رقاب تلك المعاني واستحوذ عليها ولم يترك لغيره شيئاً بقولهِ فيها. ولفطانة ابي الطيب لم يقع فيما وقع فيهِ البحتري من الانسحاب على ذيل بشر لانهُ قصّر عنهُ تقصيراً كثيراً. ولمّا كان الامر كذلك عدل ابو الطيب عن سلوك الطريق وسلك غيرها فجاء فيما اورد مبرّزاً

نقدٌ بيانيٌ

على قصيدة ابي البقاء صالح الرندي في رثاء الاندلس ر ،

الموضوع

انهُ على إثر الحروب التي دارت رحاها على بلاد الاندلس فاستأصلت شأفة الدول الاسلاميـة انبرى عدَّة من شعراء العرب فقدحوا زناد الفكرة لرثاء بلادهم ووَصْف ما صارت اليهِ الاوطان من الذلّ والهوان بعد العزّ والفخار رجاء ان يثيروا في قلوب مواطنيهم عواطف الحميَّة فينفروا للجهاد والحَمْلة على العدوّ . وكان في عداد هؤلاء الشعراء ابو البقاء صالح الرندي الذي خلَّف بمرثيتهِ هذه النونيَّة اثرًا يشهد على جودة قريحتهِ وسموّ مداركهِ وجزيل حبهِ لوطنهِ

تقسيم هذا النقد

تيسيرًا لادراك ما تضمَّنتهُ هذه المرثيـة من المحاسن يجب ان ننظر الى امور ثلاثة تكفَل بتبيين ما اشتملت عليـهِ من المعاني البليغة والعواطف الحماسيَّة وهي الايجاد والتنسيق والبيان

١ً الايجاد

هلمَّ لِنَغُصْ في اعماق قلب الناظم فنطلع على ما بذلهُ من الوُسع في إعْمال القوى الشعرية نسجًا لبردة هذه المرثية البديعة

١ (عمل الحسّ) اعلم ان قلب الشاعر لا يهتزّ مضطربًا الّا اذا استولت عليهِ حركة قوية فاحدثت فيهِ تأثيرًا وهياجًا وبما انَّ أبـا البقاء صالحًا كان مسلمًا في مذهبهِ وعربيًا في اصلهِ واندلسيًا في ولادتهِ لم يكن في وُسعهِ

---

١ تجد هذه القصيدة في الصفحة ٢٤٥ — ٢٤٧ من الجزء الخامس من مجاني الادب . فوضعنا عليها هذا النَقد البياني ليكون مثالاً يَنسج على منوالهِ طَلَبة البيان

ان يشاهد أركانَ ديانتهِ متقوّضة وقومَهُ مستذلّين وبلادهُ خربة دون ان تتحرَّك فيهِ عواطف الأسى فصرخ من فؤاد جريح قائلًا: « دَهَى الجزيرةَ أمرٌ لا عزاءَ لهُ » البيت. فلقد ايقظت هذه النكبة المؤلمة في نفسهِ حاسّة الحزن الشديد فلم يقوَ على ضبطها وكتمانها فجرتْ على لسانهِ نظماً. على أنَّهُ لو كان من اهل الذكاء الاعتيادي بين الناس لاقتصر على الإعراب عن أسفهِ وشدَّة غيظهِ وحنقهِ بالفاظ جافَّة ومعانٍ مُبتذلة وتراكيب قاصرة عن ايصال التأثير المطلوب الى السامع. الَّا انهُ لمَّا كانَ من الذكاء وقوة الفهم في منزلة عالية ومكانة رفيعة تمكَّن من بسط الكلام على موضوعهِ وحلَّى ما تزاحم عليهِ من المعاني الكثيرة بصور البديع ومحاسن التشبيه. كما سترى

٢ (عمل الخيال) كلُّ من اطَّلع على هذه المرثية رأى انَّ لقوَّة الخيال فيها قسماً عظيماً فهي التي صوَّرت لنفس ابي البقاء الرزيئة بجميع اجزائها وتفاصيلها فكأنَّ اشعارَهُ كادت تنطق بانَّ ما جرح فؤادهُ لم يكن حزناً وهمياً لا حقيقة لهُ بل صُوَر حيَّة مثَّلت لعينيه اصناف المذابح والملاحم التي اصابت قومَهُ. ولهذا نراهُ يتكلم بالتخصيص والتنصيص عن اندلس زمانهِ مع ما كانت متحلِّية بهِ في القرن الثالث عشر من الحضارة الباهرة واسباب اللهو والمسرَّات والاراضي المخصبة والمدن العامرة مثل مُرسية وجيَّان وقُرطبة « دار العلوم » وحمص (اشبيلية) « وما تحويهِ من نُزَهٍ ونهرها العذب ». وقصارى القول ان قوة الخيال شخَّصت الحوادث الماضية وصوَّرتها امام عينيهِ كانَّها حاضرة فوصفها بما لقَّنتهُ ايَّاهُ عواطفهُ المذهبيَّة والوطنيَّة وماحاد قطُّ في قصيدتهِ هذه عن المنهاج السابق ذكرهُ فتراهُ اذا شكا من الدهر بأنَّهُ ينكُبُ العظماء ويجور على الاغنياء صوَّرهُ لهُ الخيال كجبَّار عنيد « يمزّق حتماً كلَّ سابغة » و« ينتضي كل سيف للفناء ». واذا ذكر حوادث الدهر وفتكاتهِ السابقة فيمثّلهُ بصور محسوسة قائلًا « أين الملوك ذوو التيجان من يمنٍ الخ ». وكذلك اذا وصف مرارة الأسر ومَصير مُواطنيهِ الى ايدي العدوّ فيخيل لسامعيهِ كأنَّهُ يراهم بمقلتيهِ « حيارى لا دليل لهم » ويبصر ما التحفوا بهِ من « ثياب الذلّ ». فكان لهذه التصاوير التي أوجدَتها المخيِّلة احسنُ وقع في النفوس فكادت تُمثِّل المصابَ للعيان وتبعث القلوب وتثير ما اكتمن فيها من العواطف

٣ (عمل الذهن) نعم انَّ للحسّ والخيال اعظمَ نصيب في الايجاد الّا أنَّ الذهن لا يبقى معهما دون عمل فانهُ يأتي بالمعاني الادبيَّة على تقلُّب الأحوال وفجائع الدهر وحوادث الايَّام ويُوضح مساوئ الغَفْلة وقبح التقاعد امَّا الفرق بين الشاعر والمتشاغل بالمنطق فهو أن كلّ فكر يخطر للشاعر يخرج بقلمهِ متكيّفًا بكيفيَّة قلبيَّة او حسيَّة

٢ التنسيق

انَّ وظيفة الذهن في المنظومات الشعرية هو ترتيب المعاني التي تكون قد اجتمعت بالايجاد وتقرير النسبة والوحدة بين اقسام القصيدة المختلفة

١ (الوَحْدة) تقوم الوحدة في كل منظوم بوحدة العاطفة . امَّا العاطفة الوحيدة التي يُشْعَر بها في كل بيت بل في كلّ كلمة من هذه القصيدة فهي حزن ابي البقاء وتحسُّرهُ على مصاب وطنهِ . ولقد نحا في ايضاح هذا الحزن مناحي مختلفة ففي بَدْء الكلام اوضح شدَّتهُ بطريقة الإجمال ثم اخذ يبيّنـهُ تفصيلًا بتذكر الفخار الماضي والمجد الفائت وقد تظهر العاطفة في بعض الابيات كأنَّها قد تبدَّلت لانَّ الشاعر يُوضح المرَّة بعد المرَّة ما لحِقـهُ من التعجُّب والاندهاش والاستياء الشديد بسبب تغافلَ المسلمين ويظهر رغبته المحرقة في ان يجبّوا لنجدة وطنهِ الداثر . ولكنَّ ذلك من باب التفنُّن وانَّما العاطفة واحدة اخرجها الشاعر على طرائق مختلفة وفنون شتَّى لتتمكَّن في ذهن السامع وتثير فيهِ الحميَّة والغيرة على وطنهِ

٢ (الرَسم) تشتمل هذه المرثية على ثلاثة اجزاء متميّزة حسنة الترتيب

(الجزء الاول) ان المرثيَة مفتتحة بمعانٍ ادبية عن تقلب الدهر وصروفه ولقد يخال القارئ لاوَّل وهلةٍ انهُ بعيد عن الموضوع لا يصل اليهِ الّا بعـد مدًى طويل ولكنَّ الامرَ بالعكس لان الشاعر خرج منـهُ خروجًا يسيرًا على سبيل الاستطراد ولا يخفى انَّ ذلك جائز في الرثاء على شرط ان تكون الاستطرادات مرتبطة بالموضوع ارتباطًا محكمًا . وكأَنهُ قصَّر عن ايضاح مبلغ حزنهِ فالتجأَ الى التشبيه والمقابلة

امّا المعنى الذي بسط الكلام عليهِ في هذا الجزء فهو انّ الحكيم متى دهمتهُ صروف الايّام يجب ان يهرع الى قضاء المولى والتسليم الى حكمهِ عزّ وجلّ بحرز لهُ

(الجزء الثاني) وكأنّ الشاعر بعد ذكر مصائب الدهر السابقة حاول ان يعرضها على المُصاب الجديد فوجدها خفيفةً بالنسبة اليهِ فهتف صارخاً :

« وللحوادث سلوانٌ يسهّلها وما لما حلّ بالاسلام سلوانُ »

وهذا بيت التخلّص وهو في غاية الحسن والملاءمة لانهُ يتضمّن خلاصة تصوُّرَين مرتبطين ارتباطاً منطقيّاً وقد اخذ الناظم في بقيـة هذا الجزء الثاني يبيّن عظم المصاب وشدّتهُ

(الجزء الثـالث) لا شك ان هذه النكبات من شأنها ان توقظ عيون الحماسة والنجدة في مشاهديها ويقضي الواجب على كل عاقل ان يهبّ مكافحاً في سبيل اسعاف الاندلس وامدادها بالمساعدة والّا حُسب لئيماً خاليـاً من المروءة والنخوة ولهذا انحى صالح مرثيته بتحريضات موثّرة جدًّا . وبدء هذا الجزء الثالث قولهُ :

يا غافلًا ولهُ في الدهر موعظةٌ ان كنتَ في سِنَةٍ فالدهرُ يقظانُ

٣ (تنسيق التفاصيل) وقد اظهر الشاعر دقّةً وحذقاً ليس فقط في تنسيق الاجزاء العموميّة التي ذكرناها ولكن ايضاً في الامور الثانوية ولقد يمكنك أن تتحقق ذلك اذا ما قرأتَ مثلًا في الجزء الاوّل الابيات التي وصف بها الشاعر حدثان الليالي وفتـكات الدهر فانهُ اولًا وضع مبدأً عامًّا قائلًا « لكل شيء اذا ما تمّ نقصان » ثم انتقل من العـامّ الى الخاص مؤيدًا الامور النظرية بالعملية فقال : « يُمزّق الدهر حتماً كل سابغةٍ » . . . « اين الملوك . . . واين عاد . . . » الابيات

٣ البيان

ان غاية ما يُقال إجمالاً عن البيان في هذه المرثاة انّ التعبير مطابق لمقتضى الحال تكاد الطبيعة تقذفهُ قذفاً دون تـكلُّف

١ (اتّساق الابيات) اوّل ما يجدهُ القارئ في مطالعة هذه القصيدة

انما هو اتّساق الايات وانتظامها على طريقة بديعة . فترى عَجُز كلّ بيت يتمّم معنى الصدر او يزيدهُ بيانًا او يضادُّهُ . وكل ذلك من باب المجانسة والطباق وهي اشكال مُستفيضة يُحبّ الشرقيون عمومًا والعرب خصوصًا ان يُحلّوا بها جيد نظمهم

٢ (صفات الانشاء العموميّة) من صفات هذه القصيدة تصرُّف صاحبها وتفنُّنه بايراد المعنى الواحد على وجوهٍ شتّى . ولعلَّهُ افرط في استعمال هذا الشكل فادّى ذلك بهِ الى بعض الاسهاب لاسيّما في مطلع القصيدة عند وصفهِ لصروف الدهر . فانَّهُ لمن شأن قصيدة حماسيّة مثل هذه ان يحلّيها الشاعر بالمتانة والحزم وينتقي لها من المعاني ما يأخذ بمجامع القلوب ويختطف العقول بمضائهِ وحدّتهِ

ولكنَّ المرثية تتضمّن محاسن عديدة تشفع بهذا النقص الخفيف واخصُّ هذه المحاسن الطلاوة والجزالة ولاسيّما مُوافقة الكلام لِمُقتضى الحال . وبيانهُ انَّ صالحاً بصفة كونهِ عربيًّا ويخاطب قومًا من العرب قد تكلَّم معهم بما ينطبق على اذواقهم ويلائم مشاربهم . ومع انهُ كان من اهل الاطّلاع عارفًا بتواريخ الامم الاجنبية كما يدل على ذلك ما اودعهُ في قصيدتهِ من الايماءات الى دارا وكسرى وسليمان وغيرهم عرف كيف يُبقي شعرهُ مقبولاً وواضحًا عند مخاطبيهِ ولا شك انهُ لا بدَّ من قلب عربي حتّى يرثي بحماستهِ « قومًا بعد عزهم أحال حالهم جورٌ وطغيان » ويندب سيوفًا مرهفةً « كأنَّها في ظلام النقع نيرانُ » . ثم ان القصيدة قد أُودعت من المبالغات ما قد يتوهمهُ السامع لأوّل وهلةٍ غير مقبول ولكن العرب يلتجئون الى هذا النوع بيانًا لكون الشيء قد بلغ من الاتّصاف بالصفة مبلغًا لا يقوى الذهن على تأديتهِ بالحقيقة . ولهذا قال ان المصاب الذي دهى الجزيرة « هوى لهُ أُحدٌ وانهدَّ ثهلانُ » وانَّ تاثيرهُ اتّصل الى كلّ من المحاريب والمنابر حتّى « بكت وهي جامدة . . ورثت وهي عيدان » . وبما انَّ مراثي الحرب يجب ان تُشعر دائمًا بالروح الحربي لذلك ترى كلام صالح في كل اياتهِ ككلام جُندي يخوض معارك القتال فيأخذ كثيرًا من تشابيههِ عن الفنون الحربية ليزيد القلوب تحمُّسًا وحميَّة

٣ (الاشكال البديعية والمجازات) حالما يُجيل القارئ نظرهُ في مرثية

ابي البقاء يعرف صفة الانشاء المستحبة عند العرب اي الاكثار في مثل هذا المقام من الاشكال البديعية فانهُ ينثرها نثرًا في اياتهِ حتَّى صارت منها بمنزلة جواهر قد رُصّعت بها بعضُ برود يَمَنيَّة او منسوجات عَجَميَّة . اما المجازات والتشابيه فانَّهُ يستعيرها من المشاهد التي أَلِفتْها عينهُ ولقد ذكَّرتهُ غفلة مُواطنيهِ ساعات الرقاد الذي طالما ذاق لذَّتهُ بنفسهِ تحت سماء الاندلس ولذلك قال « ان كنت في سِنَةٍ فالدهر يقظانُ » وشبَّه ايضًا من زال من الملوك والمالك بطيف النوم فقال :

« وصار ما كان من مُلْكٍ ومن مَلِكٍ كما حكى عن خَيال الطيف وسنانُ »

وتذكَّر ايضًا المنسوجات الفاخرةَ التي كانت تتبرَّج بها نساء قومهِ في ايَّام المواسم وإشراق الشمس على ما يتحلَّين بهِ من الياقوت والمرجان فقال :

« وطفلة مثل حسن الشمس قد طلعت كأنما هي ياقوتٌ ومرجانُ »

ثم أثَّر في نفسهِ ما رأى من الفرق بين امس واليوم فقابل بين كلا الزمانين فقال :

« بالأمس كانوا ملوكًا في منازلهم واليوم هم في بلاد الكفر عُبدانُ »

وعلقت نفسهُ المتأثرةَ من هذا الرزء تتبَّع احوال مَن سلبتهم العبوديَّةُ اوطانهم وذكر ما ينبئ بسوء حالتهم فقال :

« يا رُبَّ أُمٍّ وطفلٍ حيلَ بينهما كما تُفرِّق أرواحٌ وأبدانُ »

وقد بقي من محاسن القصيدة ما يجدر بذكرٍ خصوصي فانهُ قد برَّز وأجاد لمَّا اوضح حميَّتهُ الوطنية بهتاف الاستغاثة مقرونًا بالتأنيب المُرّ وذلك عند قولهِ :

« وماشيًا مرحًا يلهيه موطنهُ أبعد حمصٍ تَغُرُّ المرءَ اوطانُ »

وهذا غاية في التقريع .

(الختام) فصارى القول أنَّ كلَّ هذا حسن لأنَّهُ كلَّهُ حقيقي من حيث العواطف والاشكال والاهواء وليس ثمَّت تصنُّع ولا تكلُّف لا في المعاني ولا في طريقة التعبير عنها بل انَّ قلب الشاعر يبدو على لسانهِ ولسانهُ يُترجم عن جنانهِ . ولهذا وجب ان يكون تأثير مرثيته في اخوانهِ شديدًا نفَّاذًا وكيف لا يهتزّون حميةً ويضطربون غيرةً وأنفةً عند سماعهم آخر بيت منها :

« لمثل هذا يذوب القلبُ من كمدٍ إن كان في القلب اسلامٌ وايمانُ »

القسم الثاني

في

العروض والقوافي (*)

الفصل الاول

في

النظم والعروض

س ما النظم

ج النظم لغةً جمع اللؤلؤ في السِلك. وفي الاصطلاح هو تأليف الالفاظ وتركيب الجمل على وفق ترتيب يقتضيهِ العَدَد (١

س من أين يُعرَف ذلك الترتيب

ج من علم العروض

س ما علم العروض

(*) اننا قد اكتفينا في هذا القسم من تأليفنا بذكر ما يختصّ بفنّ العروض واصوله وانواعهِ. امَّا الشعر واساليبهُ ومعانيهِ ونقدُهُ فسنفرد لهُ قسمًا في آخر الجزء الثاني من كتابنا ان شاء الله

١ الجرجاني والتهانوي وكليات ابي البقاء

ج هو صناعة يُعرَف بهـا صحيح اوزان الشعر العربي وفاسدها (١ قال الخزرجي:

وللشعر مـيزانٌ يسمّى عروضَهُ بِهِ ٱلنَّقْصُ وَٱلرُّجْحانُ يَدريهما الفتى

س ما موضوع علم العروض

ج موضوعهُ الشعر من حيثُ صحَّة وزنهِ وسُقْمهِ (٢

س من واضع العروض

ج واضعـهُ على المشهور الخليل بن احمد الفراهيدي في القرن الثاني من الهجرة (٣. وكان الشعراء قبلَهُ ينظمون القريض على طراز من سبقهم او استنادًا الى مَلَكتهم الخاصَّة

س ما سبب تسمية هذه الصناعة بالعروض

ج انما سُمّي بالعروض لعراض الشعر على قواعد الخليل. وقيل بل لانَّ الخليل وضعهُ في العروض وهي مكَّة فدعاهُ بها

١ كلّ العروضيين ٢ الايباري والتهانوي

٣ قيل ان الخليل اهتدى الى وضع هذا الفن بمعرفة علم الانغام والايقاع لتقاربهما. وقيل انهُ مرَّ يومًا بسوق الصفَّارين فسمع دقدقة مطارقهم على الطُسوت فادَّاهُ ذلك الى تقطيع ابيات الشعر وفتح الله عليهِ بعلم العروض. وكانت وفاة الخليل سنة ١٧٠ هـ (٧٩١ م). ومما يخبر انَّ ابا العتاهية نظم شعرًا فقال لهُ بعضهم: خرجت فيهِ عن العروض فقال: سبقتُ انا العروض. وكان ابو العتاهية معاصرًا للخليل توفّي بعدَهُ بقليل

الباب الاول
في
اركان علم العروض

س ما هي اركان علم العروض

ج هي اجزاؤهُ او تفاعيلهُ . والتفاعيل متحرّكات وسكَنات مُتتابعة على وضع معروف

س مِمَّ تتألَّف التفاعيل

ج تتألَّف من حروف التقطيع . ومن حروف التقطيع تتألَّف الأسباب والاوتاد والفواصل . ومن هذه الثلاثة تتركَّب الاجزاء الصحيحة الثمانية ومن الاجزاء ينظم البيت(١

س كم هي حروف التقطيع

ج هي عشرة يجمعها قولك «لمعت سيوفنا»

س ما هو السبب والوتَد والفاصلة (٢

ج السبب عبارة عن حرفين . فان كانا متحركين فهو

١ قد اخذ اهل العروض اكثر هذه الاسماء عن الخيمة واقسامها فالبيت هو بيت الشَعَر اي الخيمة . والسبب هو الحبل بهِ تُربط الخيمة . والوتد هو الخشبة بها تُشدّ الاسباب . والفاصلة الحاجز في الخيمة . وكذلك المصراع هو نِصْف البيت ٢ تُدعى الاسباب والاوتاد والفواصل اصول علم العروض

السبب الثقيل كقولك: «لِمَ . غَدُ» . وان كان الاوّل متحرّكاً والثاني ساكناً فهو السبب الخفيف كقولك: «هبْ . لِيَ»

والوتد عبارة عن ثلاثة أحرف متحركَيْن فساكن وهو الوتد المجموع كقولك: «نَعَمْ . غزَا» . او متحركَيْن يتوسطهما ساكن كقولك: «مَاتَ . نَصْرُ» . وهو الوتد المَفروق

والفاصلة ثلاث أو اربع متحرّكات يليها ساكن . فان كان الساكن بعد ثلاث متحركات فهي الفاصلة الصغرى كقولك: «سَكَنُوا مُدُنَا» . وان كان بعد اربع متحركات فهي الفاصلة الكبرى كقولك: «قَتَلَهُمْ مَلِكُنَا»

(فوائد) الاولى ان الاسباب والاوتاد والفواصل قد جُمعت في جملة لسهولة استظهارها وهي قولك: «لَمْ أَرَ عَلَى ظَهْرِ جَبَلٍ سَمَكَةً»

الثانية انّ تقطيع الاجزاء في العروض يَتْبَع اللفظ لا الكتابة . وعليهِ فلا تكون همزة الوصل حرفاً لسقوطها في اللفظ . وبالعكس يُعَدّ التنوين حرفاً ساكناً «جَبَلُنْ» والمدّة والشدّة حرفين الخ «أَامِنُ . قَرْرَ»

الثالثة ان الفاصلة الصغرى ليست الّا تركيب سببَيْن ثقيل فخفيف «جَمَ عَتْ» . والفاصلة الكبرى هي عبارة عن سببٍ ثقيل مع وتدٍ مجموع «ضَرَ بَنَا»

س كم هي التفاعيل التي تتولّد من ائتلاف الاسباب مع الاوتاد والفواصل

ج ثمانية: فَعُولُنْ . مَفَاعِيلُنْ . مُفَاعَلَتُنْ . فَاعِلاتُنْ . فَاعِلُنْ . مُتَفَاعِلُنْ . مُسْتَفْعِلُنْ . مَفْعُولَاتُ

(فائدتان) الاولى . اعلم ان هذه التفاعيل يطرأ عليها بعض تغييرات كحذف قسم منها او تسكين متحركٍ الى غير ذلك كما سترى

الثانية . انَّ فَاعِلَاتُنْ وَمُسْتَفْعِلُنْ يجوز فيهما ان يُردَّا الى اصلَيْن فتقول في فاعلاتن « فَاعِ لَا تُنْ » . او . « فَاعِلَاتُنْ » وفي مُسْتَفْعِلُنْ « مُسْ تَفْ عِلُنْ » . او . « مُسْ تَفْعِ لُنْ » بخلاف الاجزاء التي لا تُقطع الَّا على نوعٍ واحد فلا يقال مثلًا في : فاعلن « فَاعِ لُنْ » . وهذا الاختلاف لاظهار التغييرات التي تلحق الجزئين « فاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ » في بعض البحور على حسب اعتبار تقطيعهما . فانَّ « فَاعِلَاتُنْ وَمُس تَفْعِ لُنْ » يدخلهما من الزحافات والعِلَل ما لا يدخل « فَاعِ لَا تُنْ ومُس تَفْ عِلُنْ »

الباب الثاني
في
البيت واقسامهِ والبحر وتقطيعهِ

س ما هو البيت

ج البيت كلامٌ تامٌ يتألَّف من اجزاء وينتهي بقافية كقول الشاعر :

لا تنفعُ الصلواتُ مَنْ هو ساحبٌ   ذيلَ الضَّلالِ وعن هواهُ أَزْوَرُ

س ما هي اقسام البيت

ج للبيت قسمان يعرفان بالشطرَين او المصراعين يُدعى

الاوَّل صدرًا والثاني عجزًا كقول الشاعر:

عليك بالنفسِ فاستَكمِلْ فضائلها (صدر)
فانتَ بالنفس لا بالجسم إنسانٌ (عجز)

س ما العروض والضرب

ج العروض آخر جزء من الصدر . والضرب آخر جزء من العجز . كقول بعضهم:

مَنْ ذَا الذي تصفو لهُ اوقاتهُ طرًّا ويبلغ كُلَّ ما يختارُهُ

فانَّ العروض « اوقاتهُ » والضرب « يختارهُ »

س ما هو البيت التامّ . والمجزوء . والمشطور . والمنهوك

ج البيت التامّ ما استوفى كلَّ اجزائهِ . والمجزوء ما حُذف جزء من احد شطرَيهِ في آخرهما . والمشطور ما حُذف ثاني شَطرِيهِ بتمامهِ . والمنهوك ما حُذف ثُلثا شَطْرَيهِ

س ما هو البحر وكم هي البحور

ج هو الوزن الخاصّ الذي على مثالهِ يجري الناظم . والبحور ستَّة عشر وَضَع الخليلُ اصولَ خمسة عشر منها وزاد عليها الاخفش بحرًا آخر سماهُ المتدارك . ودونك اسماء البحور:

الطويل . المديد . البسيط . الوافر . الكامل . الهزج . الرجز . الرمَل . السريع . المُنسرِح . الخفيف . المُضارع . المقتضب .

المجتثّ . المتقارِب . المتدارَك . وقد جمعها بعضهم في بيتين :

طويلٌ يمدُّ البَسط بالوَفر كاملٌ ويَهزَج في رَجزٍ ويَرْمِـل مُسْرِعَا
فسَرِّحْ خفيفًا ضارعًا تقتضِب لنا من اجتثَّ مِن قُربٍ لتُدرِكَ مَطمَعا

س ما التقطيع

ج هو عرض البيت على الاصول ليتميَّز صحيحها من فاسدها

كقول الشاعر :

ان شئت ان تبني بناءً شامخًا يلزمْ لذا البنيان إسٌّ شامخُ

فقياس البيت مُسْتَفعِلُنْ ستّ مرّات وتقطيعهُ :

إنْ شئْتَ أَنْ	تَبْنِي بِنَا	ءَنْ شَامِخَنْ	يَلْزَمْ لِذَلْ	بُنْيَانِ إِسْ	سُنْ شَامِخُو
مُسْتَفْعِـلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ

وكقول المتنبي :

واذا حصلْتَ من السلاحِ على البكا فحشاك رُعْتَ بهِ وخدَّك تقرَعُ

وقياس البيت مُتَفَاعِلُنْ ستّ مرّات . وتقطيعهُ :

وَإِذَا حَصَلْ	تَ مِنَسْ سِلَا	حِ عَلَلْبُكَا	فَحَشَاكَ رُعْ	تَ بِهِ وَخَدْ	دَكَ تَقْرَعُو
مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ

الباب الثالث
في
التغيير اللاحق بالتفاعيل

س كم هي انواع التغيير اللاحق بالاجزاء

ج هي على نوعين : الزحاف والعلَّة

البحث الاول
في الزحاف

س ما هو الزحاف

ج هو تغيير يلحق بأسباب الاجزاء في حشو البيت غير لازمٍ لها على الغالب اي انهُ يقع في سببٍ دون آخر

س كم نوعًا الزحاف

ج نوعان: مُنفرِد وهو الذي يدخل في سبب واحد من الاجزاء ومُزدوِج وهو الذي يلحق بسببين

س كم هي تغييرات الزحاف المنفرد

ج ثمانية:

١ً الخبْن وهو حذف الثاني الساكن: فَاعِلُنْ = فَعِلُنْ

٢ً الوَقْص وهو حذف الثاني المتحرك: مُتَفَاعِلُنْ = مُفَاعِلُنْ (مَفَاعِلُنْ)

٣ً الإضمار وهو تسكين الثاني المتحرك: فَعِلُنْ = فَعْلُنْ (فِعْلُنْ)

٤ً الطَيّ وهو حذف الرابع الساكن: فَعِلُنْ = فَعِلُ

٥ً القَبْض وهو حذف الخامس الساكن : فَعُولُنْ = فَعُولُ

٦ً العَقْل وهو حذف الخامس المتحرّك : مُفَاعَلَتُنْ = مُفَاعَتُنْ (مَفَاعِلُنْ)

٧ً العَصْب وهو تسكين الخامس المتحرّك: مُفَاعَلَتُنْ=مُفَاعَلْتُنْ (مَفَاعِيلُنْ)

٨ً الكَفّ وهو حذف السابع الساكن: مَفَاعِيلُنْ = مَفَاعِيلُ

وقد جمع الصوريّ اسماء الزحاف المنفرد في قولهِ:

زحاف الشعر قَبْضٌ ثُمَّ كَفٌّ جِنَّ الاحرف الاُخرى تُغَصُّ
وَخَبْنٌ ثُمَّ طيٌّ ثُمَّ عَصْبٌ وَعَقْلٌ ثُمَّ إضْمار وَوَقْصُ

س كم هي تغييرات الزحاف المزدوج

ج اربعة:

١ الخَبل وهو مركَّب من الخَبْن والطيّ: مَفْعُولُنْ = فَعُلُنْ (فَعِلُنْ)

٢ الخَزْل وهو مركَّب من الإضمار والطيّ: مُتَفَاعِلُنْ = مُتْفَعِلُنْ (مُفْتَعِلُنْ)

٣ الشَّكْل وهو مركَّب من الخَبْن والكفّ: فَاعِلَاتُنْ = فَعِلَاتُ

٤ النقص وهو مركَّب من العَصْب والكفّ: مُفَاعَلَتُنْ = مُفَاعَلْتُ (مَفَاعِيلُ)*

وقد جمع الخليل الزحاف المزدوج في بيتين بقوله:

أَلخَبْنُ والطيُّ هو الخبولُ والضَّمْر والطيُّ هو المخزولُ
والعَصْبُ والكَفُّ هو المنقوصُ والخَبْنُ والكَفُّ هو المشكُولُ

البحث الثاني

في العلَّة

س ما هي العلَّة

ج هي تغيير يشترك بين الاوتاد والاسباب لا يقع الّا في الأعاريض والضروب لازمًا لها اي انَّهُ اذا لحق بعروض او ضرب اوَّل بيت قصيدة وجب استعمالهُ في سائر ابياتها

* ما ذُكر بين هلالين هي الالفاظ المأنوسة التي تُنقَل اليها الاجزاء بعد التغيير الطارئ عليها

س على كم نوع العلّة

ج على نوعين: احدهما بالزيادة والآخر بالنّقص . فامّا التي هي بالزيادة فثلاث :

١ً الترفيل وهو زيادة سبب خفيف على وتد مجموع : مُسْتَفْعِلُنْ = مُسْتَفْعِلُنْتُنْ (مُسْتَفْعِلَاتُنْ)

٢ً التَّذييل وهو زيادة حرف ساكن على الوتد المجموع : مُسْتَفْعِلُنْ = مُسْتَفْعِلُنْنْ (مُسْتَفْعِلَانْ)

٣ً التسبيغ وهو زيادة حرف ساكن على سبب خفيف : مُفَاعَلَتُنْ = مُفَاعَلَتُنْنْ (مُفَاعَلَتَانْ) .

امّا التي تكون بالنقص فتِسع :

١ً الحَذْف وهو إسقاط السبب الخفيف : مَفَاعِيلُنْ = مَفَاعِي (فَعُولُنْ)

٢ً القَطف وهو إسقاط السبب الخفيف مع اسكان ما قبلهُ : مُفَاعَلَتُنْ = مُفَاعَلْ (فَعُولُنْ)

٣ً القَصْر وهو اسقاط ثاني السبب الخفيف واسكان اوّلهِ : مَفَاعِيلُنْ = مَفَاعِيلْ

٤ً القَطْع هو حذف آخر الوتد المجموع واسكان ثانيهِ : فَاعِلُنْ = فَاعِلْ (فِعْلُنْ)

٥ً التشعيث هو حذف اوّل أو ثاني الوتد المجموع : فَاعِلُنْ = فَالُنْ او فَاعِنْ (فِعْلُنْ)

٦ً الحَذَذ هو حذف الوتد المجموع برمّتهِ : مُسْتَفْعِلُنْ = مُسْتَفْ (فِعْلُنْ)

٧ الصَّلْم هو حذف الوتد المفروق من آخر الجزء: مَفْعُولَاتُ = مَفْعُو (فِعْلُنْ)

٨ الكَشْف هو حذف آخر الوتد المفروق: مَفْعُولَاتُ = مَفْعُولَا (مَفْعُولُنْ)

٩ الوَقْف هو تسكين آخر الوتد المفروق: مَفْعُولَاتُ = مَفْعُولَاتْ

وقد يجتمع الحذف والقطع معاً فيسمّى ذلك البَتْر: فَاعِلَاتُنْ = فَاعِلْ (فِعْلُنْ)

س ما هي العلل التي تجري مجرى الزحاف

ج هي تغييرات تلحق بالاوتاد لكنها غير لازمة لها اي تقع في جزء دون آخر بخلاف العلل السابقة. وهي تسعة:

١ الخَزْم وهو زيادة حرف او اكثر في اول صدر البيت او عَجُزِهِ على الوزن في بعض البحور وهو غير مأنوس

٢ الخَرْم وهو حذف اول الوتد المجموع من اوّل البيت: فَعُولُنْ = عُولُنْ (فِعْلُنْ). واذا لم يلحق بهِ تغيير آخر يسمّى الجزء أثلَم

٣ الثَّرْم هو مركب من الخَرْم والقَبْض فَعُولُنْ = عُولُ (فِعْلُ)

٤ الشَّتْر هو مثل الثَرْم الّا انّهُ في مَفَاعِيلُنْ فتصير « فاعِلُنْ »

٥ الخَرَب هو مركب من الخرم والكَفّ: مفاعيلن = فَاعِيلُ (مَفْعُولُ)

٦ العَضْب هو كالخَرْم الّا انهُ في مُفَاعَلَتُنْ فتصير « فَاعِلَتُنْ »

٧ القَصْم هو مركب من الخرم والعَصْب: مُفَاعَلَتُنْ = فَاعَلْتُنْ (مَفْعُولُنْ)

٨ الجَمَم هو مركب من الخرم والعَقْل: مُفَاعَلَتُنْ = فاعَتُنْ (فَاعِلُنْ)

٩ العَقْص وهو مركب من الخَرْم والنَّقْص: مُفَاعَلَتُنْ = فَاعَلْتُ (مَفْعُولُ)

جدول التغييرات التي تلحق بالاجزاء

فَعُولُنْ

تغييراتهُ	ما يصير اليهِ	ما يُنقل اليهِ
القَبْض	فَعولُ *	»
القَصر	فَعُولْ	»
الخَرْم	عُولُنْ	فِعْلُنْ
الثَرْم	عُولُ	فِعْلُ
الحَذْف	فَعُو	فَعَلْ
البَتر	فَعْ	»

مَفَاعِيلُنْ

تغييراتهُ	ما يصير اليهِ	ما ينقل اليهِ
القَبْض	مَفَاعِلُنْ	»
الكَفّ	مَفَاعِيلُ	»
الحذف	مَفَاعِي	فَعُولُنْ
الخَرْم	فَاعِيلُنْ	مَفْعُولُنْ
الشَتر	فَاعِلُنْ	»
الخَرَب	فَاعِيلُ	مَفْعُولُ
القَصْر	مَفَاعِيلْ	»

مُفَاعَلَتُنْ

تغييراتهُ	ما يصير اليهِ	ما ينقل اليهِ
العَصْب	مُفَاعَلْتُنْ	مَفَاعِيلُنْ
العَقْل	مُفَاعَتُنْ	مَفَاعِلُنْ
النَقْص	مُفَاعَلْتُ	مَفَاعِيلُ
القَطْف	مُفَاعَلْ	فَعُولُنْ
العَضْب	فَاعَلْتُنْ	مُفْتَعِلُنْ
القَصْم	فَاعَلْتُنْ	مَفْعُولُنْ
الجَمَم	مَاعَتُنْ	فَاعِلُنْ
العَقْص	فَاعَلْتُ	مَفْعُولُ

فَاعِلَاتُنْ

تغييراتهُ	ما يصير اليهِ	ما ينقل اليهِ
الخَبْن	فَعِلَاتُنْ	»
الكَفّ	فَاعِلَاتُ	»
الشَكل	فَعِلَاتُ	»
التَسبيغ	فَاعِلَاتُنْنْ	فَاعِلَاتَانْ
الحَذْف	فَاعِلَا	فَاعِلُنْ
القَصْر	فَاعِلَاتْ	فَاعِلَانْ
التَشْعيث	فَعْلَاتُنْ	مَفْعُولُنْ
البَتر	فَاعِلْ	فِعْلُنْ

فَاعِ لَاتُنْ

تغييراتهُ	ما يصير اليهِ	ما ينقل اليهِ
الكَفّ	فَاعِ لَاتُ	»

* ربما بقيت التفاعيل بعد الزحافات والعلل اللّاحقة بها على اوزان مأنوسة مستعملة فلا تنقل الى غيرها

تابع جدول التغييرات التي تلحق بالاجزاء

فَاعِلُنْ

تغييراته	ما يصير اليه	ما ينقل اليه
اَلْخَبْنُ	فَعِلُنْ	»
اَلْقَطْعُ	فَاعِلْ	فِعْلُنْ
اَلتَّذْيِيلُ	فَاعِلُنْنْ	فَاعِلَانْ
اَلتَّرْفِيلُ	فَاعِلُنْتُنْ	فَاعِلَاتُنْ
اَلتَّشْعِيثُ	فَعْلُنْ	فِعْلُنْ

مُسْتَفْعِلُنْ

تغييراته	ما يصير اليه	ما ينقل اليه
الخَبْنُ	مُتَفْعِلُنْ	مَاعِفَلُنْ
الطيّ	مُسْتَعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ
الخَبْلُ	مُتَعِلُنْ	فَعِلَتُنْ
التَّذْيِيلُ	مُسْتَفْعِلُنْنْ	مُسْتَفْعِلَانْ
القَطْعُ	مُسْتَفْعِلْ	مَفْعُولُنْ
مُسْتَفْعِ لُنْ		
الخَبْنُ	مُتَفْعِ لُنْ	مَفَاعِ لُنْ
الكَفُّ	مُسْتَفْعِ لُ	»
اَلشَّكْلُ	مُتَفْعِ لُ	مَفَاعِ لُ
اَلْقَصْرُ	مُسْتَفْعِ لْ	مَفْعُولُنْ

مُتَفَاعِلُنْ

تغييراته	ما يصير اليه	ما ينقل اليه
الوَقْصُ	مُفَاعِلُنْ	مَفَاعِلُنْ
الإضمار	مُتْفَاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ
الخَزْلُ	مُتْفَعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ
التَّرْفِيلُ	مُتَفَاعِلُنْتُنْ	مُتَفَاعِلَاتُنْ
التَّذْيِيلُ	مُتَفَاعِلُنْنْ	مُتَفَاعِلَانْ
الحَذَذُ	مُتَفَا	فَعِلُنْ
التَّشْعِيثُ	مُتَفَالُنْ	فَعِلَاتُنْ
القَطْعُ	مُتَفَاعِلْ	فَعِلَاتُنْ

مَفْعُولَاتُ

تغييراته	ما يصير اليه	ما ينقل اليه
الخَبْنُ	مَعُولَاتُ	فَعُولَاتُ
الطيّ	مَفْعُلَاتُ	فَاعِلَاتُ
الصَّلْمُ	مَفْعُو	فِعْلُنْ
الكَشْفُ	مَفْعُولَا	مَفْعُولُنْ
الخَبْلُ	مَعُلَاتُ	فَعِلَاتُ
الوَقْفُ	مَفْعُولَاتْ	مَفْعُولَانْ

الباب الرابع
في
الجَوازات الشّعريّة

يجوز: ١ً صرف ما لا ينصرف كقول الشاعر وقد صرف « اندلس »:

في ارض أَندُلسٍ تَلتذُّ نَعماءُ . ولا يفارق فيهـا القلبَ سرّاءُ

امّا منع المنصرف عن الصرف فهـو غير مأنوس كقول مقري الوحش في زهريتهِ فمنع « جامع » من الصرف:

والروض جامعُ والازاهرُ بُسْطُهُ وقنادلُ الأُترُنج لاحتْ في الندِ

٢ً قصر الممدود ومدّ المقصور كقول ابي تمّام في محمد بن خالد فقصر « القضاء » ومدّ « الهُدَى » :

ورث النّدى وحوى التُّعَى و بنى العُلى وجلا الدُّجى ورَمَى الفضـا بهُدَاء

٣ً ابدال همزة القطع وصلًا كقول الشاعر وقد وصل همزة « أُمّ » :

ومَن يصنعِ المعروف مع غيرِ اهلِهِ يُلاقي الذي لاقى مُجيرِ أمّ عامرِ

٤ً وبالعكس قطع همزة الوصل كقول ابي العتاهية وقد قطع همزة الامر من « بَنَى » (اْبنِ) وهي همزة وصل:

ايهـا الباني لهدم الليالي إبنِ ما شئتَ ستَلقى خرابا

٥ً تخفيف المشدَّد وهذا كثر وقوعهُ في القوافي المقيدة

المختومة بحرف صحيح ساكن ولا يسوغ في غيره كقول محمّد بن البشير وخفّف شدّة « تجفّ » :

لِيَ بستانٌ أنيق زاهر غَدِقٌ تُربتُهُ ليست تجفْ

ويلحق بهذا الباب تخفيف الهمزة كقول اميّة ابن أبي الصلت وخفّف همزة « الباريْ » :

هو الله باري الخَلْقِ والخَلْقُ كلُّهم إماءٌ لهُ طوعًا جميعًا وأعْبُدُ

٦ً وتثقيل المخفّف كقول الشاعر وقد شدّد الميم في « دَمٍ » :

أهانَ دَمّك فرغًا بعد عزّتهِ يا عمرو بغيُك إصرارًا على الحسَدِ

٧ً تسكين المتحرّك وتحريك الساكن كقول المتنبيّ وقد اسكن الضاد في « قُضُب » جمع « قضيب »

ومَنْ بَنوهُ زَينُ آبائهِ كأنّها النَّوْر على قُضْبِهِ

وهذا كثير في ضمير الغائب والغائبة كقول الشاعر واسكن الهاء في « هوَ » :

فالدُّرُّ وهْو أجلُّ شيءٍ يُقتنَى ما حطَّ قيمتَهُ هَوانُ الغائصِ

وكقوله وقد حرّك الهاء الساكنة في « الزّهْر » :

تبقى صنائعهم في الارض بعدهمُ والغيث ان سار ابقى بعده الزَّهَرا

وكقول ابن الجوزي وحرّك لام « حُلْم » :

تبًّا لطالب دنيا لا بقاء لها كأنّما هي في تصريفها حلُمُ

٨ً تنوين العلم المنادى كقول الشاعر وقد نوّن « مطَر » :

سلام الله يا مطرٌ عليهِ وليس عليك يا مطرٌ سلامُ

٩ً وقد اشبعوا الحركة حتّى يتولّد منها حرف مدّ كقول امرئ القيس وقد اشبع الكسرة بزيادة ياء في « انجلي » :

أَلا ايها الليلُ الطويل أَلا انْجَلي بصُبْحٍ وما الإصباح منك بأَمْثَل

وكقول الخوارزمي وقد أَشبع فتحة « أَقام » بالالف :

فما انت الّا البدرُ ان قلّ ضوؤُهُ اغبّ وان زاد الضياء أَقاما

والاشباع كثير في الضمائر كقول الشاعر وقد اشبع الكاف في « أَخاكَ » فصيرها « أَخاكا » وفي « لهُ » فصيّرها « لهو » :

اخاك اخاك إنَّ من لا اخا لهُ كساعٍ الى الهيجا بغير سلاحِ

١٠ ويجوز تحريك ميم الجمع كقول ابي أُذَيْنَة وقد حرّك الميم في « هُمْ . ومجدهُمْ » :

هُمُ اهلَةٌ غسَّانٍ ومجدُهمُ عالٍ فان حاوَلوا ملكًا فلا عجبَا

١١ وكذلك كسر آخر الكلمة ان كان ساكنًا كقول عنترة وقد كسر ميم « أَقدِمْ » :

ولقد شفي نفسي وابرأَ سقمَها قيلُ الفوارس ويكَ عنترَ أَقدِمِ

(فائدة) اعلم انّ ما ورد في بعض قصائد العرب من منع صرف المنصرف ومدّ المقصور وتذكير المؤنث وتأنيث المذكر وفكّ الإدغام وغير ذلك من المسوّغات الغريبة قد اتت على سبيل الشذوذ ولا يحقّ للشاعر أن يلتجئ اليها

الباب الخامس
في
صورة الابحر

س كيف تقسم الابحر الستة عشر

ج . الابحر على ثلاثة اقسام: ثلاثة منها (الطويل والمديد

والبسيط) تعرف بالممتزجة لاختلاط جزء خماسي « كَفَعُولُنْ وفاعِلُنْ » مع جزء سُباعي « كَمُسْتَفعِلُنْ او مُتَفَاعِلُنْ » . واحد عشر تسمّى سباعيــة هي : الوافر والكامل والهزج والرَّجز والرَمَل والسريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتثّ . وسبب تسميتها بالسباعية لانها مركبة من اجزاء سباعية في اصل وضعها . وبحران يعرفان بالخماسيين همـا المتقارب والمتدارك لاشتمالها على اجزاء خُماسيَّة

البحث الاول

في الابحر الثلاثة الممتزجة

١ً البحر الطويل

س ما هو وزن البحر الطويل

ج وزنهُ « فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ » اربع مرات :

فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ

(فائدة) ان التنوين لا يقع مطلقًا في آخر البيت وانما تحسب فيها الحركة مُشبَعة فتقوم الضمّة مقام الواو والفتحة مقام الالف والكسرة مقام الياء

س ما هي اعاريضهُ واضربهُ

ج للطويل عروض واحدة مقبوضة « مَفَاعِلُنْ » لها ثلاثة

اضرب : ١ً تامّ « مَفَاعِيلُنْ ». ٢ً مقبوض « مَفَاعِلُنْ ». ٣ً محذوف « مَفَاعِي » فينقل الى « فَعُولُنْ »

(فوائد) الاولى. قد سبق ان ما يطرأ على العروض من التغييرات يلزم في كلّ القصيدة. ولكن يجوز في مطلع القصيدة اي اوّل بيتها ان تبقى عروضهُ تامّة « مَفَاعِيلُنْ » اذا ما كان الضرب تامًّا. ويسمّون ذلك التصريعَ كقول ابي العتاهية :

نَصَبتِ لنا دون التفكُّر يا دنيا اماني يَفْنَى العُمْرُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَفنَى

الثانيـــة . ان الضروب واقعة تحت حكم العروض. فان اخذ الشاعر عروضًا فهو مخيَّر بين ضروبها بشرط ان يلزم الضرب الذي اختارهُ

الثالثة. ان كثيرًا من قصائد شعراء الجاهلية الواردة على هذا البحر يبتدئُ مطلعها « بفِعْلَن » بدلًا من « فَعُولُنْ » كقول عنترة :

لِلّهِ عَيْنا مَنْ رأَى مِثْلَ مالكٍ عَقِيرَةَ قومٍ ان جرى فَرَسانِ

س ما هي جوازات هذا البحر

ج يجوز في فَعُولُنْ القبض « فَعُولُ » وهو مُستحسن. واذا قبض ما قبل الضرب الثالث المحذوف فان ذلك يلزم القصيدة كلَّها. وربّما جاء « فِعْلن » بدلًا من « فعولن » في صدر القصيدة. وقد ورد في مفاعِلَن « مَفَاعِلُن » وهو غير مأنوس

س اذكر تقطيع هذا البحر

١ً العروض المقبوضة « مَفَاعِلُنْ » مع الضرب الاوّل « مَفَاعِيلُنْ » :

غِنَى النفس ما يكفيكَ من سدّ خلّةٍ فانْ زاد شيئًا عاد ذاكَ الغنى فقرا

تـقطيعهُ :

غنْنُنَفْ	سِما يَكْفِي	كَمِنْ سَدْ	دخلْلَتِن
فَعُولُنْ	مَفَاعِيلُنْ	فَعُولُنْ	مَفَاعِلُنْ
فَا نْ زَا	دَشَيْئَنْ عا	دَ ذَا كُلْ	غِنًى فَقْرَا
فَعُولُنْ	مَفَاعِيلُنْ	فَعُولُنْ	مَفَاعِيلُنْ

٢ العروض المقبوضة « مَفَاعِلُنْ » مع الضرب الثاني « مَفَاعِلُنْ » :

سَتُبدي لكَ الأيَّامُ ما كُنْتَ جاهلًا ويأتيك بالأخبـار مَنْ لم تُزَوِّدِ

تقطيعهُ :

سَتُبْدِي	لَكَلْ أَيْيَا	مُما كُنْ	تَجَاهِلَنْ
فَعُولُنْ	مَفَاعِيلُنْ	فَعُولُنْ	مَفَاعِلُنْ
وَيَأْتِي	كَبِلْ أَخْبَا	رِ مَنْ لَمْ	تُزَوْوِدِي
فَعُولُنْ	مَفَاعِيلُنْ	فَعُولُنْ	مَفَاعِلُنْ

٣ العروض المقبوضة « مَفَاعِلُنْ » مع الضرب الثالث « فَعُولُنْ » :

وَلَا خيرَ فِي مَنْ لا يُوطِّنُ نفسهُ على نائبات الدهر حين تَنوبُ

تقطيعهُ :

وَلَا خَيْ	رَ فِي مَنْ لا	يُوَطْطِ	نُنَفْسَهُو
فَعُولُنْ	مَفَاعِيلُنْ	فَعُولُ	مَفَاعِلُنْ
عَلَى نَا	ئِبَاتِدْدَهْ	رِ حِينَ	تَنُوبُو
فَعُولُنْ	مَفَاعِيلُنْ	فَعُولُ	فَعُولُنْ

٢ البحر المديد

س ما هو وزنهُ .

ج وزنهُ « فَاعِلَاتُنْ فاعِلُنْ » اربع مرَّات لكنهُ لا يستعمل الَّا مجزوءًا فيصير :

فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ

س كم هي اعاريضهُ واضربهُ

ج للمديد ثلاث اعاريض واربعة اضرب : ١ً العروض الاولى تامة مجزوءَة صحيحة « فَاعِلَاتُنْ » . لها ضرب مثلها « فَاعِلَاتُنْ » . ٢ً والعروض الثانية مجزوءَة محذوفة « فَاعِلُنْ » عوض « فَاعِلَا » . لها ضربان : مقصور « فَاعِلَانْ » . ومحذوف مثلها « فَاعِلُنْ » . ٣ً والعروض الثالثة مجزوءَة محذوفة مخبونة « فَعِلُنْ » . ولها ضربٌ مثلها « فَعِلُنْ »

س ما هي جوازات هذا البحر

ج يجوز في فَاعِلَاتُنْ الخَبن « فَعِلَاتُنْ » حتى في العروض الاولى وضربها . والكفّ « فَعِلَاتُ » ويشترط ان لا يلتقي الخبن والكفّ معًا في الجزء الواحد (١ . ويجوز في فَاعِلُنْ الخَبنُ « فَعِلُنْ »

س اذكر تقطيع هذا البحر

١ً العروض الاولى « فَاعِلَاتُنْ » وضربها مثلها « فَاعِلَاتُنْ » :

انّما الدنيا بلاءٌ وكدٌّ واكتئابٌ قد يسوقُ اكتئابا

تقطيعهُ :

(١ يدعو العروضيّون عدمَ جواز التقاء علّتين في الجزء الواحد معاقبةً

إِنْ تَمَدْدُنْ	يَا بِلَا	ؤُنْ وَكَدْدُنْ	وَكُنْتَا بِنْ	قَدْ يَسُو	فُكُنْتَا بَا
فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ

٢ً العروض الثانية « فَاعِلُنْ » وضربها الاوَّل « فَاعِلَانْ »:

لا يَغُرَّنَّ امرءًا عيشــةٌ كلُّ عيشٍ صائرٌ للزوالْ

تقطيعهُ:

لَا يَغُرْرَنْ	نَمْرَءَنْ	عَيْشَتُو	كُلْلُعَيْشِنْ	صَائِرُنْ	لِزْزَوَالْ
فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلَانْ

٣ً العروض الثانية « فَاعِلُنْ » وضربها الثاني « فَاعِلُنْ » :

إعلموا اني لكم حافظٌ شاهدًا ما كنتُ او غائبا

تقطيعهُ:

إِعْلَمُو أَنْ	نِي لَكُمْ	حَافِظُنْ	شَاهِدَنْ مَا	كُنْتُ أَوْ	غَائِبَا
فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ

٤ً العروض الثالثة « فَعِلُنْ » وضربها « فَعِلُنْ » :

للفتى عقــلٌ يعيش بهِ حيث تهدي ساقَهُ قدمُهْ

تقطيعهُ:

لِلْفَتَى عَقْ	لُنْ يَعِي	شُبِهِي	حَيْثُ تَهْدِي	سَاقَهُو	قَدَمُهْ
فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ	فَعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ	فَعِلُنْ

(فائدة) حكي للعروضَيْن الثانية والثالثة ضربٌ آخر ابتر « فِعْلُنْ » وهو نادر في كلتيهما

٣ً البحر البسيط

س ما هي اجزاء البسيط

ج هي « مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ » اربع مرَّات:

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ

س كم هي اعاريضهُ واضربهُ

ج لهُ ثلاث اعاريض وستة اضرب : ١ً العروض الاولى تامّة مخبونة « فَعِلُنْ » . ولها ضربان : مخبون مثلها « فَعِلُنْ » ومقطوع « فِعْلُنْ » بشرط ان يدخلهُ الرِدْف اي حرف لِين قبل رويهِ . ٢ً العروض الثانية مجزوءة صحيحة « مُسْتَفْعِلُنْ » ولها ثلاثة اضرب : مذيّل « مُسْتَفْعِلَانْ » . وصحيح مثل العروض « مُسْتَفْعِلُنْ » . ومقطوع « مَفْعُولُنْ » . ٣ً العروض الثالثة مجزوءة مقطوعة « مَفْعُولُنْ »

س ما هي جوازات وزحافات البحر البسيط

ج يجوز في « مُسْتَفْعِلُنْ » الخَبنُ « مَفَاعِلُنْ » . وذلك حتّى في الضرب المذيّل . والطيّ « مُفْتَعِلُنْ » لكنهُ مقبول في الشطر الأوّل فقط . ويجوز في « فَاعِلُنْ » الخبن « فَعِلُنْ »

س اذكر تقطيع البسيط

١ً العروض الاولى « فَعِلُنْ » والضرب الأوّل « فَعِلُنْ » :

لا تَحقِرنَّ صغيرًا في مُخاصمةٍ انَّ البعوضة تُدمي مُقلة الاسدِ

تقطيعهُ :

لَا تَحْفِرِنْ	نُصَغِي	رَنْ فِي مُحَنَا	صَمَتَنْ
مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ
إِنْنَكِلْمُو	صَتَتُدْ	مِي مُقْلَتَلْ	آسَدِي
مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ

٢ العروض الاولى « فَعِلُنْ » والضربُ الثاني « فِعْلُنْ » :

الخـيرُ أبقى وان طال الزمانُ بهِ والشرُّ اخبث ما اوعيتَ من زاد

تقطيعهُ :

اَلْخَيْرُ اَبْ	قَى وَإِنْ	طَالَزْزَمَا	نُبِهِي
مُسْتَفْعِلُنْ	فَاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ
وَشْشَرْرُاَخْ	بَثُمَا	اَوْعَيْتَ مِنْ	زَادِي
مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فِعْلُنْ

(فائدة) انّنا نكتفي بتقطيع ما تقدّم ولا حاجة لذكر العروضين الأُخْرَيَيْن لقلّة استعمالها

البحث الثاني

في الابحر السباعية

١ البحر الوافر

س ما هو وزن البحر الوافر

ج وزنهُ « مفاعَلَتُنْ » ستّ مرات لكنهُ لا يستعمل تامًّا بل مقطوفًا فيصير :

مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُولُنْ مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُولُ

س ما هي اعاريضهُ واضربهُ

ج للوافر عروضان وثلاثة اضرب: العروض الاولى مقطوفة « مُفاعَلْ او فَعُولَنْ » وضربها مثلها . الثانية مجزوءة صحيحة « مُفاعَلَتُنْ » . لها ضربان: ضربٌ مثلهــا مجزوء « مُفاعَلَتُنْ » . وضرب معصوب « مَفاعِيلُنْ »

س ما هي زحافات هذا البحر وجوازاته

ج يجوز على الكثير عَصْب مُفاعَلَتُنْ فتصير « مَفاعِيلُنْ » وعَضبها قليلًا فتصير « مُفتَعِلُنْ » . والعصب يدخلها حتّى في العروض المجزوءة بشرط ان تبقى صحيحةً على الأقلّ مرَّةً واحدةً لئلاَّ يَلتَبِس البسيط مع الهزج

س اذكر تقطيع هذا البحر

١ً العروض الاولى « فَعُولُنْ » مع ضربها « فَعُولُنْ »:

جراحات السِّنان لها التئامٌ ولا يَلْتامُ ما جرحَ اللسانُ

تقطيعهُ:

جِرَاحَاتُس	سِنَا نِلَهَلْ	تِئَامُن	وَلَا يَلتَا	نمَا جَرَحَل	لسَانُو
مَفَاعِيلُنْ	مُفَاعَلَتُنْ	فَعُولُنْ	مَفَاعِيلُنْ	مُفَاعَلَتُنْ	فَعُولُنْ

٢ً العروض الثانية المجزوءة « مُفَاعَلَتُنْ » والضرب الاوّل « مُفَاعَلَتُنْ »:

هي الدُّنيا اذا كَمَلَتْ وتمَّ سرورها خذَلَتْ

تقطيعهُ:

هِيَدُدُنْيَا	إِذَا كَمَلَتْ	وَتَمْ شُرُو	رُهَا خَذَلَتْ
مَفَاعِيلُنْ	مُفَاعَلَتُنْ	مُفَاعَلَتُنْ	مُفَاعَلَتُنْ

٣ العروض الثانية المجزوءة « مُفَاعَلَتُنْ » والضرب الثاني « مَفَاعِيلُنْ » :

أعاتِبُــهُ وآمُرُهُ فَيُغْضِبُني ويَعْصيني

تقطيعهُ :

أُعَاتِبُهُو	وَآمُرُهُو	فَيُغْضِبُنِي	وَيَعْصِينِي
مُفَاعَلَتُنْ	مُفَاعَلَتُنْ	مُفَاعَلَتُنْ	مَفَاعِيلُنْ

٢ البحر الكامل

س ما هي اجزاء البحر الكامل

ج اجزاؤُهُ « مُتَفَاعِلُنْ » ستّ مرّات :

مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ

س كم هي اعاريضهُ واضربهُ

ج اعاريض الكامل ثلاث واضربهُ سبعة : ١ العروض الاولى صحيحة « مُتَفَاعِلُنْ » لها ثلاثة اضرب : الاوّل صحيح « مُتَفَاعِلُنْ » . الثاني مقطوع « مُتَفَاعِلْ » . الثالث مُضمَر « فِعْلُنْ » عوض « مُتَفَا » . ٢ العروض الثانية حذّاء « فَعِلُنْ » منقولة عن « مُتَفَا » . ولها ضربان : احذّ مثلها « فَعِلُنْ » واحذّ مُضمر « فِعْلُنْ » . ٣ العروض الثالثة مجزوءة صحيحة « مُتَفَاعِلُنْ » . ولها ضربان مرفّل : « مُتَفَاعِلاتُنْ » . ومُذيّل « مُتَفَاعِلانْ »

س ماذا يدخل مُتَفَاعِلُنْ من الزحاف

ج كثيرًا ما يدخلها الاضمار «مُسْتَفْعِلُنْ» عوض «مُتَفَاعِلُنْ» ويجوز فيها قليلًا الوقص «مَفَاعِلُنْ» والخَزْل «مُفْتَعِلُنْ» بدلًا من «مُتَفَاعِلُنْ» . امّا الاضمار فيدخل حتى على الاعاريض والاضرب ومع الترفيل والتذييل

س قطّع شواهد هذا البحر

١ً العروض الاولى «مُتَفَاعِلُنْ» وضربها الاوّل «مُتَفَاعِلُنْ» :

انّي لَأَجْبُنُ من فراق احبّتي   وتُحِسُّ نفسي بالحِمام فأَشْجُعُ

تقطيعهُ :

إِنْنِي لَأَجْ	بُنُمِنْ فِرَا	قِ أَحِبْبَتِي	وَتُحِسْسُنَفْ	سِي بِلْحِمَا	مِفَأَشْجُعُو
مُسْتَفْعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ

٢ً العروض الاولى «مُتَفَاعِلُنْ» والضرب الثاني «مُتَفَاعِلْ» :

أَمَعَ المماتِ يَطيب عيشُكَ يا اخي   هيهاتَ ليس مع المماتِ يطيبُ

تقطيعهُ :

أَمَعَلْمَمَا	تِيَطِيبُعَيْ	شُكَيَا أَخِي	هَيْهَاتَلَيْ	سَمَعَلْمَمَا	تِيَطِيبُو
مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلْ

٣ً العروض الاولى «مُتَفَاعِلُنْ» مع الضرب الثالث «فِعْلُنْ» :

لِمَنِ الديارُ برأمَتَيْنِ فعاقلٍ   دَرَستْ وغيَّر رسمَها القطرُ

تقطيعهُ :

لِمَنِدْدِيَا	رُبِرَأْمَتَيْ	نِفَعَاقِلِنْ	دَرَسَتْ وَغَيْ	يَرَرَسْمَهَلْ	قَطْرُو
مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	فِعْلُنْ

٤ العروض الثانية « فَعِلُنْ » والضرب الأول « فَعِلُنْ »

وحلاوة الدُّنيا لجاهلها   ومرارة الدنيا لِمَن عَقَلا

تقطيعهُ :

وَحَلَاوَتُدْ | دُنْيَا لِجَا | هِلِهَا || وَمَرَارَتُدْ | دُنْيَا لِمَنْ | عَقَلَا

مُتَفَاعِلُنْ | مُسْتَفْعِلُنْ | فَعِلُنْ || مُتَفَاعِلُنْ | مُسْتَفْعِلُنْ | فَعِلُنْ

٥ العروض الثانية « فَعِلُنْ » والضرب الثاني « فِعْلُنْ »

فكَّرْتُ في الدنيا وجِدَّتها   فاذا جميعُ جديدها يَبْلَى

تقطيعهُ :

فَكَكَرْتُفِدْ | دُنْيَا وَجِدْ | دَتَهَا || فَإِذَا جَمِي | عُجَدِيدِهَا | يَبْلَى

مُسْتَفْعِلُنْ | مُسْتَفْعِلُنْ | فَعِلُنْ || مُتَفَاعِلُنْ | مُتَفَاعِلُنْ | فِعْلُنْ

٦ العروض الثالثة « مُتَفَاعِلُنْ » والضرب الأول « مُتَفَاعِلَاتُنْ »

وإذا اسأتَ كما أسأ   تُ فأين فضلك والمروءة

تقطيعهُ :

وَإِذَا أَسَأْ | تَكَمَا أَسَأْ | تُفَأَيْ نَفَضْ | لُكَوَلْمُرُوءَهْ

مُتَفَاعِلُنْ | مُتَفَاعِلُنْ | مُتَفَاعِلُنْ | مُتَفَاعِلَاتُنْ

٧ العروض الثالثة « مُتَفَاعِلُنْ » والضرب الثاني « مُتَفَاعِلَانْ »

الظُّلم يَصرع أهلهُ   والبغيُ مصرعهُ وخيم

تقطيعهُ :

أَظْظُلْمُيَصْ | رَعُ أَهْلَهُو || وَلْبَغْيُ مَصْ | رَعُهُو وَخِيمْ

مُسْتَفْعِلُنْ | مُتَفَاعِلُنْ || مُسْتَفْعِلُنْ | مُتَفَاعِلَانْ

(فائدة) وكثيرًا ما يأتي ضرب المجزوء صحيحًا مثل العروض كقول الشاعر :

اصبر على كيدِ الحسو   دِ فإنَّ صبرك قاتِلُهْ

٣ً بحر الهزج

س ما وزن بحر الهزج

ج وزنهُ « مَفَاعِيلُنْ » ستّ مرَّات لكنهُ لا يستعمل الَّا مجزوءًا فيصير:

مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُنْ

س ما هي اعاريضهُ واضربهُ

ج للهزج عروض واحدة « مَفَاعِيلُنْ » وضربٌ واحد مثلها

س ماذا يجوز من الزحاف في مَفَاعِيلُن

ج يدخلها الكفّ « مَفَاعِيلُ » وهو مُسْتحسن يدخل حتى في العروض. والقبض « مُتَفَاعِلُن » وهو مقبول بشرط ان لا يتفق الزحافان في الجزء الواحد اي لا يجوز ان يأتي « مَفَاعِلُ »

س قطِّع هذا البحر

العروض « مَفَاعِيلُنْ » وضربها « مَفَاعِيلُنْ » .

هزَجنا في اغانيكم وشاقتنـــا معانيكم

تقطيعهُ:

هَزَجْنَا فِي	أَغَانِيكُمْ	وَشَاقَتْنَا	مَعَانِيكُمْ
مَفَاعِيلُنْ	مَفَاعِيلُنْ	مَفَاعِيلُنْ	مَفَاعِيلُنْ

٤ً بحر الرجز

س ما هي اجزاء بحر الرجز

ج اجزاؤُهُ « مُسْتَفْعِلُنْ » ستّ مرَّات

مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

س ما هي اعاريضهُ واضربهُ

ج للرجز عروضان مشهورتان وثلاثة اضرب: ١ً العروض الأولى صحيحة « مُسْتَفْعِلُنْ » : لها ضربان : صحيح مثلها « مُسْتَفْعِلُنْ ». ومقطوع « مَفْعُولُنْ » عوض « مُسْتَفْعِلْ ». ٢ً العروض الثانية مجزوءة صحيحة « مُسْتَفْعِلُنْ » . لها ضرب مثلها

وحُكي للرجز عروضان أُخرَيان تقعان في ختام القصائد : الواحدة مشطورة كقول الحريري في آخر مدحهِ للدينار :

لولا التُّقى لقلتُ جلَّت قدرتُهُ

والعروض الأُخرى منهوكة مركَّبة من « مُسْتَفْعِلُنْ » مرَّتين وهي نادرة جدًّا

س ما هي جوازات مُسْتَفْعِلُنْ

ج جوازات بحر الرجز كثيرة وهو اقرب الابحر من النثر فسمّوهُ لذلك حمار الشعراء. فاجازوا في « مُسْتَفْعِلُنْ » اولًا الخبن « مَفَاعِلُنْ » في حشوهِ وعروضهِ الثانية والعروضين الأُخريين. ثانيًا الطي « مُفْتَعِلُنْ » في كل اجزائهِ . ثالثًا الخَبل « فَعِلَتُنْ » لكنهُ غير مستحسن

س ماذا يختصّ بقافية بحر الرجز

ج ان الشعراء اجازوا تغيير قافية كل بيت من ابيات الرجز لكنهُ يعوّض عن ذلك بالتصريع اي المطابقة بين الشطرين فتكون العروض والضرب تارة صحيحين «مُسْتَفْعِلُنْ» وتارة مخبونين «مَفَاعِلُنْ» وحينًا مطويّين «مُفْتَعِلُنْ» وحينًا مخبولين «فَعِلَتُنْ». وطورًا مقطوعين «مَفْعُولُنْ» بجواز خبن «مَفْعُولُنْ» فتصير «فَعُولُنْ». وربّما جمع الشطران بين الصّحيح والخبن او الطي كما ويجمعون بين المقطوع وخبنهِ «مَفْعُولُنْ وفَعُولُنْ»

س اوْرِدْ تقطيع هذا البحر

١ العروض الاولى «مُسْتَفْعِلُنْ» والضرب الاول «مُسْتَفْعِلُنْ»

أكرم بِهِ اصفرَ راقت صُفرَتُهْ جَوّاب آفاقٍ تَرَامت سَفرَتُهْ

تقطيعهُ:

أكْرِمْ بِهِي	اَصفَرَرَا	قَتْ صُفْرَتُهْ	جَوْوَابُ آا	فَاقِنْ تَرَا	مَتْ سَفْرَتُهْ
مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ

٢ للعروض الاولى «مُسْتَفْعِلُنْ» والضرب الثاني «مَفْعُولُنْ»

لاخَيرَ في مَنْ كفَّ عنّا شرَّهُ ان كان لا يُرجى ليوم الحاجَهْ

تقطيعهُ:

لَا خَيْرَ فِيْ	مَنْ كَفْفَ عَنْ	نَاشَرْرَهُو
مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ

إنْ كَانَ لَا	يُرْجَى لِيَوْ	مِلْحَاجَهْ
مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفْعُولُنْ

٣ً العروض الثانية المجزوءة « مُسْتَفْعِلُنْ » وضربها المجزوء مثلها

حسبي بعلمي ان نفعْ ما الذلُّ الّا في الطمعْ

تقطيعهُ :

حَسْبِي بِعِلْ	مِي إِنْ نَفَعْ	مَذْ ذُلْ لُلِا	لَا فِطْطَمَعْ
مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ

س اذكر بعض ابيات مزدوجة وقطعها

انَّ الفَراغ والشبابَ والجِدَهْ مُفسدةٌ للمرء ايّ مُفسدَهْ

حَسْبُكَ ممَّا تبتغيهِ القوتُ ما اكثرَ القُوتَ لمن يموتُ

والفَقْرُ في ما جاوزَ الكَفافا مَنِ اتَّقى اللهَ رجا وخافا

لكل ما يؤذي وان قلَّ أَلَمْ ما أَطولَ الليلَ على من لم ينمْ

تقطيعهُ :

١	إِنْنَلْ فَرَا	غَوَشْشَبَا	بَوَلْ جِدَهْ	مُفسِدَتُنْ	لِلْمَرْءِ آيْ	يُمُفْسِدَهْ
	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفَاعِلُنْ	مَفَاعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفَاعِلُنْ
٢	حَسْبُكَمِمْ	مَا تَبْتَغِي	هِلْقُوتُو	مَا أَكْثَرَ لْ	قُوتَلِمَنْ	يَمُوتُو
	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفْعُولُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	فَعُولُنْ
٣	وَلْفَقْرُ فِي	مَا جَاوَزَلْ	كَفَافَا	مَنْتَتَقَلْ	لَاهَا رَجَا	وَخَافَا
	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعُولُنْ	مَفَاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعُولُنْ
٤	لِكُلْ لِمَا	يُؤْذِي وَإِنْ	قَلْ لَأَلَمْ	مَا أَطْوَلَلْ	لَيْلَعَلَى	مَنْ لَمْ يَنَمْ
	مَفَاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ

٥ً بحر الرمل

س ما وزن بحر الرمل

ج وزنهُ « فَاعِلاتُنْ » ستّ مرَّات لكنهُ لا يستعمل تامًّا فيصير :

فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ فاعِلُنْ

س ما هي اعاريضهُ واضربهُ

ج لهُ عروضان وستة اضرب : ١ً العروض الاولى محذوفة « فَاعِلُنْ ». لها ثلثة اضرب : صحيح «فَاعِلَاتُنْ » . ومقصور « فَاعِلَانْ » ومحذوف « فَاعِلُنْ ». ٢ً والعروض الثانية مجزوءة صحيحة « فَاعِلَاتُنْ » . لها ثلاثة اضرب ايضـًا : مسبَّغ « فَاعِلَاتَانْ » . وصحيح « فَاعِلَاتُنْ » . ومحذوف «فَاعِلُنْ»

س ماذا يجوز في فَاعِلَاتُنْ من الزحاف

ج يجوز فيها الخبن « فَعِلَاتُنْ » وهو مستحسن وربما دخل كل الاجزاء حتى في العروض الاولى فتصير« فَعِلُنْ». ويجوز الكف « فَاعِلَاتُ ». ولكن لا يجوز الجمع بينهما على سبيل المعاقبة

س اذكر تقطيعهُ:

١ً العروض الاولى « فَاعِلُنْ » والضرب الاول « فَاعِلَاتُنْ »

انما الدُّنيــا غرورٌ كلُّها . مثل لمع الآلِ في ارض القفارِ

تقطيعهُ:

ضِلْ قِفَارِي	أَلِفِي أَرْ	مِثْلُ لَمْعِلْ	كُلْلُهَا	يَا غُرُورُنْ	إِنْنَمَدُنْ
فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ

٢ً - العروض الاولى « فَاعِلُنْ » والضرب الثاني « فَاعِلَانْ »

تنال ذلك بتقطيع البيت السابق مع اسكان الراء في « قِفَار »

٣ً العروض الاولى « فَاعِلُنْ » والضرب الثالث « فَاعِلُنْ »

لاتقل اصلي وفصلي دائبًا   انما اصل الفتى ما قد حَصَلْ

تقطيعهُ :

لَا تَقُلْ أَصْ	لِي وَفَصْلِي	دَائِبَنْ	إِنَّمَا أَصْ	لُلْفَتِي مَا	قَدْ حَصَلْ
فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ

٤ً العروض الثانيــة المجزوءة « فَاعِلَاتُنْ » والضرب الاول « فَاعِلَاتَانْ »

يا خليلَيْ اربعا واسـ م تخبرا ربعًا بعسفان

تقطيعهُ :

يَا خَلِيلَيْ	يَرْبَعَا وَسْ	تَخْبِرَا رَبْ	عَنْ بِعَسْفَانْ
فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتَانْ

٥ً العروض الثانيــة المجزوءة « فَاعِلَاتُنْ » والضرب الثاني مثلها « فَاعِلَاتُنْ »

كلما ابصرتُ ربعًا   خاليًا فاضت دموعي

تقطيعهُ :

كُلْلَمَا أَبْ	صَرْتُ رَبْعَنْ	خَالِيَنْ فَا	ضَتْ دُمُوعِي
فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ

٦ً العروض الثانيــة المجزوءة « فَاعِلَاتُنْ » والضرب الثالث « فَاعِلُنْ »

قَلَّ مَنْ يَنْقَادُ للحقِّ م وَمَنْ يَصْغَى لهُ

تقطيعهُ :

قَلْلَمَنْ يَنْ	قَادُ لِلْحَقْ	قِوَ مَنْ يَصْ	غَى لَهُو
فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ

٦ً بحر السريع

س ما هي اجزاء بحر السريع

ج اجزاؤهُ « مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولَاتُ » مرَّتين . لكنهُ لا يستعمل تاماً فيصير على الغالب:

مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ

س ما هي اعاريضهُ وضروبهُ

ج لهُ عروضان مشهورتان وخمسة ضروب: ١ً العروض الاولى مكشوفة مطوية « فَاعِلُنْ » عوض « مَفْعُولا » . لها ثلاثة ضروب : موقوف مطويّ « فَعِلَانْ » عوض « مَفْعُلَاتْ » . ومكشوف مطوي مثل العروض « فَاعِلُنْ » . واصلم « فِعْلُنْ » « مَفْعُو » . ٢ً العروض الثانية مكشوفة مخبولة « فَعِلُنْ » عوض « مَعُلَا » . ولها ضربان الواحد كالعروض « فَعِلُنْ » والثاني اصلم « فِعْلُنْ »

س ما هي الزحافات الداخلة على السريع

ج يُستحسن في مُسْتَفْعِلُنْ الخبن « مَفَاعِلُنْ » والطي « مُفْتَعِلُنْ »

س اذكر تقطيع اعاريضهِ وضروبهِ

١ً العروض الاولى « فَاعِلُنْ » والضرب الاول « فَاعِلَانْ »

قد يُدرك المبطئُ من حظهِ والخيرُ قد يسبق جهدَ الحريصْ .

تقطيعهُ :

قَدْ يُدرِكُلْ	مُبطِئِ مِنْ	حَظْظِهِي	وَلْخَيْرُ قَدْ	يَسْبِقُ جَهْ	دَ لْحَرِيصْ
مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	فَاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	فَاعِلَانْ

٢ً العروض الاولى « فَاعِلُنْ » والضرب الثاني « فَاعِلُنْ »

مِن رُزِق العقل فذو نعمة آثارها واضحــة ظاهرهْ

تقطيعهُ :

مَنْ رُزِقَلْ	عَقْلَفَذُو	نِعْمَتُنْ	أَاثَارُهَا	وَاضِحَتُنْ	ظَاهِرَهْ
مُفْتَعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	فَاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	فَاعِلُنْ

٣ً العروض الاولى « فَاعِلُنْ » والضرب الثالث « فِعْلُنْ »

تأَنَّ في الشيء اذا رُمتَهُ لِتُدرِكَ الرُّشد من الغيِّ

تقطيعهُ :

تَأَنْنَفِشْ	شَيْءِ إِذَا	رُمْتَهُو	لِتُدرِكَرْ	رُشْدَ مِنَلْ	غَيْيِي
مَفَاعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	فَاعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	فِعْلُنْ

٤ً العروض الثانية (فَاعِلُنْ) والضرب الأوّل (فَعِلُنْ)

سبحان من لا شيء يَعدلهُ كم من غنيٍّ عيشهُ كَدِرُ

تقطيعهُ :

سُبْحَانَمَنْ	لَا شَيْءَ يَعْ	دِلُهُو	كَمْ مِنْ غَنِي	يِنْ عَيْشُهُو	كَدِرُو
مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ

٥ً العروض الثانية (فَاعِلُنْ) والضرب الثاني (فِعْلُنْ)

مَن أصبحت دنياهُ غايتــهُ كيف ينالُ الغايةَ القُصوى

تقطيعهُ :

مَنْ أَصْبَحَتْ	دُنْيَاهُغَا	يَتُهُو	كَيْفَيَنَا	لُلْغَايَتَلْ	قُصْوَى
مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فِعْلُنْ

٧ً البحر المنسرح

س ما هي اجزاء المنسرح

ج اجزاؤُهُ « مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولَاتُ مُستَفْعِلُنْ » مرّتين . ولا يستعمل تامًّا فيصير على الغالب :

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلَاتُ مُفْتَعِلُنْ   مُستَفْعِلُنْ فَاعِلَاتُ مُفْتَعِلُنْ

س ما اعاريضهُ وضروبه

ج عروضهُ المشهورة واحدة وهي المطويّة « مُفْتَعِلُنْ » . لها ضربٌ واحد مثلها

س ما هي التغييرات اللاحقة باجزائه

ج قد اجازوا في مُسْتَفْعِلُنْ وَمَفْعُولَاتُ الطيّ « مُفْتَعِلُنْ وَفَاعِلَاتُ » عوض « مُسْتَعِلُنْ وَمَفْعُلَاتُ » بل يستحسن بهما

س قطِّع بيتًا من هذا البحر

لا تسألِ المرء عن خلائقه   في وجههِ شاهدٌ من الخبرِ

تقطيعهُ :

لَا تَسْأَلِلْ	مَرْءَ عَنْخَ	لَائِقِهِ	فِي وَجْهِهِي	شَاهِدُنْ مِ	نَلْخَبَرِي
مُسْتَفْعِلُنْ	فَاعِلَاتُ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَاعِلَاتُ	مُفْتَعِلُنْ

٨ً بحر الخفيف

س ما هي اجزاء بحر الخفيف

ج اجزاؤُهُ « فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِ لُنْ فَاعِلَاتُنْ » مرّتين فيكون :

فاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِ لُنْ فَاعِلَاتُنْ   فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِ لُنْ فَاعِلَاتُنْ

(فائدة) ان تقطيع (مُسْتَفْعِلُنْ) هو على كونهِ مركّب من سببين خفيفين يتوسطهما وتد مفروق (مُسْ تَفْعِ لُنْ) وذلك لبيان الزحافات التي تدخل عليهِ وهي مختلفة كما قدَّمنا في ذكر الزحافات (راجع الصفحة ٣٦٣)

س ما هي اعاريض البحر الخفيف وضروبهُ

ج لهُ عروضان مشتهرتان وضربان مثلهما : ١ً العروض الاولى صحيحة « فَاعِلَاتُنْ » لها ضرب مثلها يجوز فيهِ التشعيث فيصير « مَفْعُولُنْ » عوض « فَعْلَاتُنْ » ٢ً العروض الثانية محذوفة « فَاعِلُنْ » لها ضرب مثلها . ويحكى لهُ عروض ثالثة مجزوءة وهي نادرة فيصير « فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ » مرّتين

س ما هي زحافات البحر الخفيف

ج يدخل على « فاعِلَاتُنْ وَمُسْتَفْعِلُنْ » الخَبْنُ وهو مستحسن يكون دخولهُ فيهما حتى على العروضين والضربين فيصيران فَعِلَاتُنْ وَمَفَاعِلُنْ » . ويدخل عليهما الكفّ قليلًا « فَاعِلَاتُ وَمستَفْعِلُ » . ولا يجوز وجود الخبن مع الكفّ بل يأتيان بالمعاقبة

س اورد تقطيع هذا البحر

١ً العروض الاولى « فاعِلَاتُنْ » وضربها « فاعِلَاتُنْ »:

كم كريمٍ ازرى بهِ الدهرُ يوماً ولئيمٍ تسعى اليـهِ الوفودُ

تقطيعهُ:

كَمْ كَرِيمِنْ	أَزْرَى بِهِدْ	دَهْرُيَوْمَنْ	وَلَئِيمِنْ	تَسْعَى إِلَيْ	هِلْ وُفُودُو	
فَاعِلَاتُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَعِلَاتُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ	

٢ً العروض الثانية « فَاعِلُنْ » وضربها « فَاعِلُنْ »:

ليتَ شعري ماذا ترى في هوًى قادكَ عاجلًا الى رمسـهِ

تقطيعهُ:

لَيْتَ شِعْرِي	مَاذَا تَرَى	فِي هَوًى	قَادَكَ عَا	جِلَنْ إِلَى	رَمْسِهِي
فَاعِلَاتُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ	مَفَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ

٩ً بحر المضارع

س ما هي اجزاء بحر المُضارع

ج اصلهُ « مَفَاعِيلُنْ فَاعِ لَاتُنْ مَفَاعِيلُنْ » مرّتين لكنّهُ لا يُستعمل الّا مجزوءًا فيصير:

مَفَاعِيلُنْ فَاعِ لَاتُنْ مَفَاعِيلُنْ فَاعِ لَاتُنْ

« فائدة » انّ « فَاعِ لَاتُنْ » تُعتبر في هذا البحر مُركّبة من سببَيْن يتقدّمهما وتدٌ مفروق لاجل الزحافات كما مرَّ (راجع الصفحة ٣٦٣)

س ما هي عروض المُضارع وضروبهُ

ج للمضارع عروض واحدة «فَاعِ لَاتُنْ» لها ضربٌ واحد مثلها . ويجوز الكفّ في العروض فتصير « فَاعِ لَاتُ »

س ماذا يدخلهُ من الزحاف

ج لا يأتي « مفاعِيلُنْ » في شطريهِ الَّا مقبوضًا « مَفَاعِلُنْ » او مكفوفًا « مَفَاعِيلُ » بشرط ان يتعاقب الزحافان

س اذكر تقطيع هذا البحر

وقفنـا على الرجالِ فلم نلقَ مثل زيدِ

تقطيعهُ :

وَقَفْنَاعَ	لَرْ رِجَالِ	فَلَمْ نَلْقَ	مِثْلَ زَيْدِي
مَفَاعِيلُ	فَاعِلَاتُ	مَفَاعِيلُ	فَاعِلَاتُنْ

١٠ بحر المُقتضب

س ما هي اجزاء بحر المُقتضب

ج اجزاؤُهُ الاصليَّة « مَفْعُولَاتُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ » مرَّتين ، لكنهُ لا يأتي الَّا مجزوءًا فيصير :

مَفْعُولَاتُ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولَاتُ مُسْتَفْعِلُنْ

س كم هي اعاريضهُ واضربهُ

ج للمقتضب عروض واحدة مجزوءة مطويَّة « مُفْتَعِلُنْ » عوض « مُسْتَفْعِلُنْ » لها ضَرْبٌ واحد مثلها

س ماذا يدخل عليهِ من الزحاف

ج يجب في « مَفْعُولَاتُ » او الخَبْنُ او الطيّ على سبيل

المراقبة فيصير بالخبن « مَفَاعِيلُ » عوض « فَعُولَاتُ » وبالطي « فَاعِلَاتُ » عوض « مَفعُلَاتُ »

س قطّع هذا البحر

هل لديكَ مِنْ فَرَجٍ من سِهـامِ غَيبَتِهِمْ

تقطيعهُ:

هَلْ لَدَيْكَ	مِنْ فَرَجِنْ	مِنْ سِهَامِ	غَيبَتِهِمْ
فَاعِلَاتُ	مُفْتَعِلُنْ	فَاعِلَاتُ	مُفْتَعِلُنْ

١١ً بحر المجتث

س ما هي اجزاء المجتثّ

ج اصلهُ « مُسْتَفْعِ لُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ » مرّتين وهذا البحر لا يستعمل الّا مجزوءًا فيصير:

مُستَفْعِ لُنْ فَاعِ لَاتُنْ مُستَفْعِ لُنْ فَاعِ لَاتُنْ

(فائدة) انّ (مُستَفْعِ لُنْ) يتوسط اجزاءهُ وتد مفروق لاجل الزحافات . (راجع الصفحة ٣٦٣)

س ما هي عروضهُ وما ضربهُ

ج عروضه مجزوءة صحيحة « فَاعِلَاتُنْ » ولها ضَرْبٌ مثلها « فَاعِلَاتُنْ » . يجوز فيهما التشعيث فتصيران « مَفْعُولُنْ »

س ماذا يدخلهُ من الزحاف

ج يستحسن في اجزائهِ كلها الخبن فتصير مُسْتَفْعِ لُنْ

« مَفاعِلُنْ » . وَفَاعِلَاتُنْ « فَعِلَاتُن » . ويُقبل فيهما الشكل فيصيران « مُستَفعِلُ وفَاعِلَاتُ » ويجوز ان يجتمع الخبن والشكل معًا

س بيّن تقطيع هذا البحر

طوبى لعبدٍ تقيٍّ لم يألُ في الخيرِ جُهدَا

تقطيعهُ :

طُوبَى لِعَبْ	دِنْ تَقِيِينْ	لَمْ يَأْلُفِلْ	خَيْرِ جُهْدَا
مُسْتَفْعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ

(فَائدة) ان المضارع والمقتضب والمُجتث بجوزٌ قلّ استعمالها عند الشعراء

البحث الثالث

في الابحر المنفردة الخماسيَّة

١ البحر المُتقارب

س ما هي اجزاء البحر المُتقارب

ج اجزاؤُهُ « فَعُولُنْ » ثماني مرَّات اعني :

فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ

س ما هي اعاريضهُ وضروبهُ

ج للمتقارب عروض واحدة صحيحة « فَعُولُنْ » . لها ثلاثة



ضروب: صحيح مثلها « فَعُولُنْ ». مقصور «فَعُولْ» . ومحذوف «فَعَلْ» عوض « فَعُو» . ومع هذا الضرب الثالث يجوز ان تكون العروض صحيحة او محذوفة في القصيدة ذاتها

س ماذا يدخل على فعولن من الزحافات وشبه الزحافات

ج يدخل على «فَعُولُن» القبض في كل الاجزاء فتصير « فَعُولُ » . ويدخلها من شبه الزحاف الثلم فتصير « فَعْلُنْ »

س اذكر تقطيع هذا البحر

١ العروض الاولى « فَعُولُنْ » وضربها الاوّل « فَعُولُنْ » :

وكنّا نُعدُّك للنائبـاتِ فها نحن نطلب منك الأمانا

تقطيعهُ :

وَكُنْنَا	نُعِدْ دُ	كَلِنْنَا	ئِبَات	فَهَا نَحْ	نُنَطْلُ	بُمِنْكَلْ	أمَانَا
فَعُولُنْ	فَعُولُ	فَعُولُنْ	فَعُولُ	فَعُولُنْ	فَعُولُ	فَعُولُنْ	فَعُولُنْ

٢ العروض الاولى « فَعُولُنْ » مع الضرب الثاني « فَعُولْ » :

تُنافس في جمع مالٍ حطامٍ وكلٌّ يزولُ وكلٌّ يبيـدْ

تقطيعهُ :

تُنَافِ	سُفِي جَمْ	عِمَالِنْ	حُطَامِنْ	وَكُلْلُنْ	يَزُولُ	وَكُلْلُنْ	يَبِيدْ
فَعُولُ	فَعُولُنْ	فَعُولُنْ	فَعُولُنْ	فَعُولُنْ	فَعُولُ	فَعُولُنْ	فَعُولْ

٣ العروض الأولى « فَعُولُنْ » مع الضرب الثالث « فَعَلْ »

تلقّ الامور بصبرٍ جميلٍ وصدرٍ رحيبٍ وخلِّ الحَرَجْ

تقطيعهُ :

تَلَقْقَلْ	أُمورَ	بِصَبْرِنْ	جَمِيلِنْ ‖	وَصَدْرِنْ	رَحِيبِنْ	وَخَلْلِلْ	حَرَجْ
فَعُولُنْ	فَعُولُ	فَعُولُنْ	فَعُولُنْ ‖	فَعُولُنْ	فَعُولُنْ	فَعُولُنْ	فَعَلْ

(فائدة) وربّما أتى هذا البحر مجزوءا محذوفًا كقول الشاعر:

ولا تَذْكُرِ ما مضي   عفا اللهُ عمّا سلفْ

٢ البحر المتدارك

س ما هي اجزاء البحر المتدارك .

ج اجزاؤهُ « فَاعِلُنْ » ثماني مرّات اعني :

فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ   فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ

س ما هي اعاريضهُ وضروبهُ

ج للمتدارك عروضان وضربان : ١ العروض الاولى صحيحة « فَاعِلُنْ » . لها ضرب مثلها « فَاعِلُنْ » . ٢ العروض الثانية مجزوءَة صحيحة « فَاعِلُنْ » لها ضرب مثلها

س ماذا يدخل هذا البحر من الزحافات

ج كثيرًا ما يدخل على « فَاعِلُنْ » في كل اجزائهِ الخبن فيصير « فَعِلُنْ » ويُسَمّى البحر اذ ذاك الخَبَب لشبههِ بخَبَب الخيل وركضها . ويدخلهُ ايضًا الاضمار بعد الخبن فيصير « فَعْلُنْ » ويُعرف اذ ذاك بدقّ الناقوس وقَطْر الميزاب

س قطِّع هذا البحر

١ العروض الاولى « فَاعِلُنْ » وضربها « فاعِلُنْ » :

لَمْ يَدَعْ مَنْ مضى للذي قد عبرْ فضلَ علمٍ سوى اخذهِ بالأَثَرْ

تقطيعهُ :

لَمْ يَدَعْ	مَنْ مَضَى	لِلْلَذي	قَدْ عَبَرْ	فَضْلَ عِلْ	مِنْ سِوَى	أَخْذِهِي	بِلْأَثَرْ
فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ

٢ العروض الثانية « فَاعِلُنْ » وضربها « فَاعِلُنْ » :

قِفْ على دارهم وابكِيَنْ بينَ أَطلالِها والدِّمَنْ

تقطيعهُ :

قِفْ عَلَى	دَارِهِمْ	وَأْبكِيَنْ	بَيْنَ أَطْ	لَا لِهَا	وَدْ دِمَنْ
فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ

ملخَّص

البحور الستة عشر نظمها صفي الدين الحلّي

مع ذكر الاعاريض والضروب المأنوسة

١ الطويل

طويلٌ لهُ دون البحور فضائلُ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِلُ

عروضهُ : مَفَاعِلُنْ . وضروبهُ ثلاثة : مَفَاعِيلُنْ وَمَفَاعِلُنْ وفَعُولُنْ

٢ المديد

لِمديد الشعْر عندي صفاتُ فَاعِلَاتُن فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُ

لهُ عروضان مأنوستان : ١ فَاعِلُنْ . لها ضربان : فَاعِلَانْ وفَاعِلُنْ .
٢ فَاعِلُنْ . ضرباها : فَعِلُنْ وفِعْلُنْ . وهذا البحر قليل الاستعمال

٣ البسيط

انَّ البسيطَ لديهِ يُبسَطُ الأَمَلُ مستَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُستَفْعِلُن فَعِلُ

لهُ عروضان : ١ً فَعِلُنْ . لهـا ضربان : فَعِلُنْ وفعْلُنْ . ٢ً مجزوءة : مُسْتَفْعِلُنْ . لها ثلاثة ضروب : مُسْتَفْعِلَانْ مُسْتَفْعِلُنْ وَمَفعُولُنْ

٤ً الوافر

بحور الشعر وافرها جميلُ مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُولُ

لهُ عروضان : ١ً فَعُولُنْ . ٢ً مجزوءة : مُفَاعَلَتُنْ . يشبههما الضرب

٥ً الكامل

كَمَلُ الجمال من البحور الكاملُ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُ

لهُ ثلاث اعاريض : ١ً مُتَفَاعِلُنْ . لها ثلاثة ضروب : مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلْ وفعْلُنْ . ٢ً فَعِلُنْ ضرباها : فَعِلُنْ وفعْلُنْ . ٣ً مجزوءة : مُتَفَاعِلُنْ . ضروبها ثلاثة : مُتَفَاعِلَاتُنْ مُتَفَاعِلَانْ ومُتَفَاعِلُنْ

٦ً الهزج

على الأهزاج تَسْهِيلُ مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُ

عروضهُ مجزوءة : مَفَاعِيلُنْ . وضربها مثلها

٧ً الرجز

في أبحرِ الأرجازِ بحرٌ يَسهلُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُ

لهُ عروضان : ١ً مُسْتَفْعِلُنْ . ضرباها : مُسْتَفْعِلُنْ وَمَفعُولُنْ . ٢ً مجزوءة : مُسْتَفْعِلُنْ . ضربها مثلها

٨ً الرمل

رَمَل الأبحر ترويه الثقاتُ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ فاعِلَاتُ

لهُ عروضان : ١ً فَاعِلُنْ : ضروبها ثلاثة : فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَانْ وفَاعِلُنْ . ٢ً مجزوءة : فَاعِلَاتُنْ . لها ثلاثة ضروب : فَاعِلَاتَانْ فَاعِلَاتُنْ وفَاعِلُنْ

٩ً السريع

بحـرٌ سريعٌ ما لهُ ساحلُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُ

لهُ عروضان : ١ً فَاعِلُنْ . ضروبها : فَاعِلَانْ فَاعِلُنْ وفِعْلُنْ . ٢ً فَعِلُنْ . ضرباها : فَعِلُنْ وفِعْلُنْ

١٠ً المنسرح

مُنْسَرِحٌ فيهِ يُضرَبُ المَثلُ مُسْتَفْعِلُنْ مَفعُولَاتُ مُفْتَعِلُ

عروضهُ : مُفْتَعِلُنْ . لها ضرب مثلها

١١ً الخفيف

يا خفيفًا خفَّت بهِ الحركاتُ فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِ لُنْ فَاعِلَاتُ

لهُ عروضان : ١ً فَاعِلَاتُنْ . ضربها مثلها . ٢ً فَاعِلُنْ . يشبهها ضربها

١٢ً المضارع

تُعَـدُّ الْمُضارعاتُ مَفَاعِيلُ فَاعِ لَاتُنْ

لهُ عروض واحدة مجزوءة : فَاعِلَاتُنْ . لها ضرب واحد مثلها

١٣ً المقتضب

اقتضب كما سألوا فَاعِلَاتُ مُفتَعِلُ

لهُ عروض واحدة مجزوءة : مُفْتَعِلُنْ . لها ضرب واحد مثلها

١٤ً المجتثّ

ان جُثَّت الحركاتُ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلَاتُ

لهُ عروض واحدة مجزوءة : فَاعِلَاتُنْ . ضربها مثلها . وهذه البحور الثلاثة نادرة جدًّا

١٥ً المُتَقارب

عن المتقارب قالَ الخليــلُ فَعولُنْ فَعولُنْ فَعولُنْ فَعولُ

لهُ عروضان : ١ً فَعُولُنْ . ضروبها ثلاثة : فَعُولُنْ وفَعُولْ وفَعَلْ . ٢ً مجزوءة : فَعَلْ . ضربها مثلها

١٦ً المُتدارك ويُسمى المُحدَث

حركات المحدَث تنتقلُ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُ

لهُ عروضان : ١ً فَاعِلُنْ او فَعِلُنْ . ضربها مثلها . ٢ً مجزوءة : فَاعِلُنْ او فَعِلُنْ . ضربها مثلها

الفصل الثاني

في القافية

البحث الأول

في حقيقة القافية

س ما هي القافية

ج القافية في اللغة مؤخّر العنق وفي اصطلاح العروضيين هي آخر البيت سواء كان الكلمة الاخيرة منه على زعم الاخفش كلفظة « مَوْعِد » في قول زهير :

تَزَوَّدْ الى يوم المماتِ فانَّهُ ولو كرِهَتْهُ النفسُ آخِرَ مَوْعِدِ

او كما قال الخليل من آخر ساكن في البيت الى اقرب ساكن يليهِ مع المتحرّك الذي قبله . فعليهِ تكون القافية امّا كلمة كلفظة « مَوْعِد » في بيت زهير، فان آخر ساكنها في البيت الياء (مَوْعِدي) (١) واقرب ساكن يليهِ المتحرك الواو يسبقها الميم . او اكثر من كلمة مثل « لَمْ يَنَمْ » في قول الشاعر :

لِكلّ ما يؤذي وان قَلَّ ألَمْ ما اطولَ الليلَ على مَنْ لَمْ يَنَمْ

او ايضاً بعض كلمة مثل « لا » من « زُلالا » في قول بعضهم :

ومن يكُ ذا فمٍ مُرّ مريضٍ يَجِدْ مرًّا بِهِ الماءَ الزُّلالا

---

(١) هذا بناء على ان آخر القافية المطابقة ينتهي بساكن كما لو انتهى البيت بغرابِ او غرابُ او غرابَ فكأن هذه الالفاظ ختمت بياء او واو او الف ساكنة

س ما هي التقفية

ج هي التوافق على الحرف الاخير . وقد اعتاد الشعراء ان يدلّوا عليهِ في آخر الشطر الاول من مطلع قصيدتهم كقول الحلّي :

لا يمتطي المجدَ من لم يركبِ الخَطَرا ولا ينال العُلى من قدَّم الحذَرَا

س ماذا يقتضي الناظم ان يعرفهُ بخصوص القوافي

ج يقتضي عليهِ ان يعرف لذلك خمسة اشياء : حروف القافية . وحركاتها . وانواعها . وحدودها . وعيوبها

البحث الثاني

في حروف القافية وحركاتها

س كم هي حروف القافية

ج ستّة : التأسيس . والرِدف . والوصل . والخروج . والدخيل . والروي . وهي كلّها اذا دخلت اول القصيدة تلزم كلَّ ابياتها وقد جمعها الحلّي في قولهِ :

مَجرَى القوافي في حروفٍ ستةٍ كالشمس تجري في علوِّ بروجها
تأسيسها ودخيلها معَ ردفها ورويّها مع وصلها وخروجها

١ التأسيس : هو الف هاوية لا يفصلها عن الروي الّا حرف واحد متحرّك كالف « جاهل » في قول الشاعر :

نظرتُ الى الدنيا بعينٍ مريضةٍ وفكرة مغرورٍ وتأميل جاهلِ

واذا كانت الالف في غير كلمة الروي لا تُعدّ تاسيساً كما في قول عنترة ولم يحسب في « القهما » الف المثنّى تأسيساً :

ولقد خشيتُ بأن اموتَ ولم تكن للحرب دائرةٌ على ابني ضَمْضَمِ
الشاتمَيْ عرضي ولم اَشتِمْهُمَا والناذرَيْنِ اذا لَم اَلقهما دمي

٢ً الردف : هو حرف لين (اي واو او ياء بعد حركة لم تجانسهما) او حرف مدّ (الف او واو او ياء بعد حركة مجانسة) قبل الروي يتّصلان به. فمثل حرف اللّين الياء في « عَيْن » من قول ابي العتاهية :

الدارُ لو كنتَ تدري يا اخا مَرَحٍ دارٌ امامك فيها قُرّةُ العَيْنِ

ومثل حرف المدّ الياء في « سبيل » من قوله :

لا تعمُر الدنيا فليس م الى البقاء بها سبيلُ

وربّما جمعوا بين الواو والياء في ردف المدّ (وهذا لا يجوز في ردف اللين) كقول السموأل وجمع بين « فَعول ونَزيل » :

اذا سيِّدٌ منّا خلا قام سيدٌ قؤولٌ لما قال الكرامُ فَعُولُ
وما أُخمِدت نار لنا دون طارقٍ ولا ذَمّنا في النازلين نزيلُ

(فائدة) ان شعراء العرب يلتزمون الردف في الضرب الثالث من الطويل « فَعُولْنْ ». وفي الضرب المقطوع من البسيط والكامل «فِعلْنْ» وفي الضرب المقطوع من الرجز « مَفْعُولْنْ»

٣ً الوصل : هو حرف مدّ ينشأ عن إشباع الحركة في آخر الروي المطلق كقول الشاعر :

واذا المنيّة انشبت اظفارَها الفيتَ كلّ تميمة لا تنفعُ

فالوصل الواو المولّدة عن اشباع الحركة بعد العين في « تنفع » فهي بمنزلة « تنفعو »

وربّما كان الوصل اصليًّا كالالف في « عصا » من قوله :

واللَّوم للحُرّ مقيم رادعٌ والعَبْد لا يردعهُ الّا العصا

وقد اكثروا من زيادة الف الوصل بعد الفعل الماضي او المفعول به كقول ابي أذينة :

ما كلَّ يومٍ ينالُ المرءُ ما طلبا

وكقوله :

رأيتَ رأيًا يجرُّ الويلَ والحَرَبا

ويحسبون ايضًا كوصل هاء الضمير الساكنة وهاء التأنيث وهاء السكت كقول زهير :

ولو لم يكن في كفّهِ غيرُ نفسهِ لجاد بهـا فليتّقِ الله سائلُـهْ

وكقول الخنساء ترثي اخاها معاوية :

ألّا لا أرى في الناس مثل مُعاويَهْ اذا طَرقت إحدى الليالي بداهيَهْ

بَلِينا وما تَبْلى تِعارٌ وما تُرَى على حَدَثِ الأيّام الّا كما هِيَه

٤ً الخروج : هو حرف لين يلي هاء الوصل كالياء المولدة من اشبـاع الهاء في « مساويهِ » عوض « مساويهي » من قول القائل :

لا تحفظـنَّ على النّدمان زلّتَـهُ . واقبل لهُ العذرَ واحلُمْ عن مساويهِ

٥ً الدخيل : هو حرف متحرّك فاصل بين التأسيس والرّوي كالدال في « صادق » من قوله :

فـلا تقبَلَنْهم ان أتوك بباطلٍ ففي الناس كذّابٌ وفي الناس صادقُ

٦ً الرويّ : هو الحرف الذي تُبنى عليهِ القصيدة فتنسب اليـهِ فيقال قصيدة لاميّة او ميميّة او نونيّـة ان كان حرفها الاخير لامًا او ميمًا او نونًا . والرويّ في المثال التابع هو الدال من « بلدِ » كما ترى :

وفي الشَّرارة ضعفٌ وهي مُؤْلِمَةٌ ورُبَّما أضرمت نارًا على البلدِ

(فائدة) اعلم ان الحروف كلّها يمكنها ان تكون رويًّا الّا:

١ً حروف العلّة الثلثة اذا كانت زائدة او مولّدة من الاشباع كالألف والواو في «بَيْتا وعَمْرُو» . ٢ً هاء التأنيث والأضمار الساكنتين وهاء الوقف نحو «وردَهْ وضربَهْ ولِمَهْ» . ٣ً الف التأنيث المقصورة والف التثنية نحو «حُسنَى وقتَلا» . ٤ً واو الضمير وياؤُهُ بعد حركة تجانسهما «كاقتلوا واقتلي». وهما تصلحان بعد الفتحة نحو: إخشَيْ واخشَوْا.

٥ً نون التنوين ونون التوكيد

اما الهاء المحركة بعد حرف ساكن نحو «فَتاهُ وعَلَيهِ». وحروف العلة المتحركة نحو «ظبيٌ ومصايَ وعضوٍ». والالفُ المقصورة الاصلية مثل «رَمَى ومَعْنَى» وتاء التأنيث المتحركة نحو «فَتَاةٌ» . وكذلك ياء المنقوص في قولك «القاضي» فكل ذلك لا يصلح ان يكون رويًّا الّا نادرًا

اعلم ثانيًا انهُ لا يدخل بعد الرويّ الّا حرف الوصل وها الخروج وهما لا يحسبان رويًّا

البحث الثالث

في حركات القافية

س كم هي حركات القافية

ج ستّ: الرسّ والاشباع والحذو والتوجيه والمَجْرَى والنَّفاذ جمعها الحليّ في قولهِ:

ان القوافي عندنا حركاتُها ستٌّ على نسَقٍ بهنَّ يُلاذُ
رَسٌّ واشباعٌ وحَذوٌ ثمَّ تو جيهٌ ومجرًى بعده ونفاذُ

١ً الرسُّ : حركة ما قبل الف التأسيس كحركة الدال في قولك « جدَاول »

٢ً الإشباع : حركة الدخيل ككسرة الواو في « جداوِل »

٣ً الحَذو : حركة ما قبل الردف لحركة الميم في قولك « مَال ومَيْن »

٤ً التوجيه : حركة ما قبل الرويّ المقيد (اي الساكن) كضمَّة القاف في قولك « لم يَقُلْ »

٥ً الجَرَى : حركة الرويّ لحركة اللام في قولك « منزِلُ »

٦ً النفاذ : هو حركة هاء الوصل الواقعة بعد الرويّ كفتحة الهاء في قولك « منارهَا » .

(فائدة) هذه الحركات انما يجب المحافظة عليها في كل الابيات اذا ما دخلت في البيت الاول . وقد استثنوا من ذلك حركة واو الردف ويائهِ كما مرّ (ص ٤٠٧) وكذلك حركة الحذو في الروي المقيد فيجوز مثلاً الجمع بين « يَعُدْ وَصعِدْ وقَعَدْ » (راجع الصفحة ٤١٤)

البحث الرابع

في انواع القافية وحدودها

س كم نوعًا القافية

ج ان القافية امَّا مُطلقة امَّا مقيَّدة . فالمطلقة ما كان رويُّها متحركًا فتكون : ١ً مؤسسة نحو « هيا كلُ » ٢ً مؤسسة موصولة بهاء

نحو « صنائعها » . ٣ً مردفة نحو « عمادُ » . ٤ً مردفة موصولة بهاء نحو « سوادهِ » . ٥ً مردفة موصولة بلين نحو « وحدانا » . ٦ً مجرّدة عن الردف والتأسيس نحو « يتبعُ »

امّا المقيدة فتكون : ١ً مجرّدة عن الردف والتأسيس نحو « جَمَعْ » . ٢ً مردفة بالالف نحو « زِحامْ » او بالواو والياء نحو « نُورْ ونِيرْ » . ٣ً مؤسسة نحو « صانِعْ »

س كم هي حدود القوافي

ج خمسة باعتبار ما تحرّك منها بين الساكنين الاخيرين في القافية وهي : المُتكاوس والمُتراكب والمُتدارك والمُتواتر والمُترادف جمعها الحِلّي في قوله :

حُصِر القوافي في حدودٍ خمسةٍ فاحفَظْ على الترتيب ما انا واصفُ
مُتكاوِسٌ متراكبٌ متدارِكٌ متواترٌ من بعدهِ المترادفُ

١ً المُتكاوس : ان يتوالى اربع متحرّكات بين ساكنَي القافية كقول الشاعر والقافية « ضِقَدَمُهْ » :

زلّت بهِ الى الحضيض قَدَمُه

٢ً المُتراكب : ان يتوالى ثلاث متحركات بين ساكنيها كقول بعضهم والقافية « فرَجِ » :

اذا تضايق امرٌ فانتظر فرجاً فأضيق الامر ادناهُ من الفَرَجِ

٣ً المتدارِك : ان يتوالى حرفان متحركان بين ساكنيها كقول بعضهم والقافية « بِرِ » :

عِيَنُ الفتى يُخبِرنِ عن فضل الفتى والنار مخبرةٌ بفضل العَنبَرِ

٤ً المتواتر : هو ان يقع متحرّك واحد بين ساكني القافية كالدال في « جودِ » من قوله :

يجود بالنفس ان ضنّ الجواد بها والجودُ بالنفس اقصى غايةِ الجودِ

٥ً المترادف : هو ان يجتمع ساكنان في القافيـة وهو خاصٌّ بالقوافي المقيّدة كالالف والدال من « جَوَادْ » في قول ابن النبيه :

الناس للموت كخيل الطرادْ فالسابق السابق منها الجوادْ

البحث الخامس
في عيوب القافية

س على كم نوع عيوب القافية

ج عيوب القافية على نوعين احدهما يلاحظ الرويّ وحركتهُ المجرى . والآخر يلاحظ ما قبلَ الرويّ من الحروف والحركات ويسمّى السناد

في عيوب الرويّ

س كم هي عيوب الرّويّ

ج اربعة : الإكفاء والإجازة (وهما يقعان في الرّويّ) والإقواء والإصراف (وهما يختصّان بالمَجْرَى)

١ً الإكفاء : هو ان يؤتى في البيتين من القصيدة برويّ متجانس في المخرج لا في اللفظ نحو « شارحٍ وشارخٍ » او « قارسٍ وقارصٍ »

٢ً الإجازة: هو الجمع بين رويّين مختلفين في المخرج نحو « عَبيدُ وعَريقُ » او « شاربُ وقاتلُ »

٣ً الإقواء: هو تحريك المجرى بحركتين مختلفتين غير متباعدتين مثل الكسرة والضمة في قولك « فوارسِ ومدارسُ »

٤ً الإصراف: هو الجمع بين حركتين مختلفتين متباعدتين كالفتحة والضمة في قولك « قَدَرُ وعَبَرَا » والفتحة والكسرة في قولك « رداءِ وبناءَ »

وقد الحقوا ايضاً بهذه العيوب الايطاء والتضمين. (فالايطاء) هو اعادة اللفظة ذاتها بمعناها. وانما يجوز اعادتها بمعنى مختلف نحو « انسان » للرجل ولناظر العين. واجازوا اعادة اللفظة ذاتها بمعناها بعد سبعة ابيات

امّا (التضمين) فهو تعلّق قافية باخرى. فهو مكروه ان كان ممّا لا يتمّ الكلام بدونهِ. ومقبول اذا كان فيهِ بعض المعنى لكنّهُ يفسَّر بما بعده

ومن التضمين المُستهجن قول النابغة في مديح قومٍ:

وهم وردوا الجِفَارَ على تميمٍ وهم اصحابُ يوم عُكاظَ إنّي
شَهِدتُ لهم مَواطِنَ صادقاتٍ شَهِدنَ لهم بصدق الودّ مِنّي

فعلّق لفظة « إنّي » بالبيت الثاني وهو مردود

في السناد

س ما هو السِناد

ج السناد هو النوع الآخر من العيوب الطارئة على القافية لكن قبل رويّها. وضروبهُ خمسة: سناد الردف وسناد التأسيس وسناد الاشباع وسناد الحذو وسناد التوجيه

١ سناد الردف: وهو ان يكون بيتٌ مُرْدفًا وآخر غير مُرْدَف كقول بعضهم:

اذا كنتَ في حاجةٍ مُرسلًا فأرسِلْ حكيمًا ولا تُوصِهِ
وان بابُ امرٍ عليكَ التَوى فشاور لبيبًا ولا تَعصِهِ

٢ سناد التأسيس: ان يكون بيت مؤسّساً وآخر غير مؤسس مثل «يَتجمّلُ ويَتحامَلُ»

٣ سناد الاشباع: هو اختلاف حركة الدخيل مثل كسرة الهاء وفتحة العين في قولك «مُجاهِد وتباعَد» لكنهم اجازوا الجمع بين الكسرة والضمة

٤ سناد الحذو: هو اختلاف الحركة الواقعة قبل الردف وهو حرف اللين قبل الروي كالجمع بين نُور وجَوز

٥ سناد التوجيه: هو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الروي المقيد كفتحة اللام وضمتها في قولك «حلَمْ وَحلُمْ» . وهذا السناد قد اجازوه لكثرة وقوعهِ في اشعار العرب (راجع الصفحة ٤١٠)

وقد الحقوا بالسناد التجميع والتحريد. فالاوّل هو الجمع بين عروضين مختلفتين في القصيدة نفسها. والثاني هو الجمع بين ضربين مختلفين فيها. وكل ذلك مكروهٌ

الفصل الثالث

في

فنون الشّعر

اعلم انَّما المراد هنا بفنون الشعر هيئات وصُوَر خاصَّة تطرأ عليهِ وقد اخترع اكثرها المولَّدون لغاياتٍ شتّى . وهذه الفنون على ثلاثة اقسام فقسمٌ منها يختصّ ببحور الشعر الستَّة عشر السابق ذكرها لا يُخِلّ باوزانها البتَّة . وقسمٌ يخرج عن نظم البحور المعروفة الى اوزان معلومة مع مراعاة قواعد العربيَّة . والقسم الاخير يكتفي بالوزن دون مُراعاة قوانين اللغة وهو مخصوص بالعامَّة

البحث الاول

في فنون الشعر المُلحَقة بالبحور الستَّة عشر

س كم هي هذه الفنون

ج سبعة : لزوم ما لا يلزم . والتفويف . والتسميط . والتشريع . والإجازة . والتشطير . والتخميس

١ لزوم ما لا يلزم

س ماذا يُراد بلزوم ما لا يلزم

ج لزوم ما لا يلزم هو ان يأتي الشاعر بحرف يلتزم بهِ قبل

الروي وليس هو بلازمٍ كلزوم الراء في قول صفي الدين الحلّي :

قا سادةً مذ سَعَتْ عن باجمِ قدَمي   زلَّت وضاقت بِيَ الامصارُ والطُرُقُ
ودَوْحةُ الشِّعْرِ مذ فارقتُ مجدَكُمُ   قد اَصبحتْ بِهجيرِ الهَجْرِ تحترِقُ
يد حارب الصبرُ والسلوانُ بعدكُمُ   قلبي وصالحَ طَرْفي الدمعُ والأَرَقُ

٢ً التفويف

س ما هو التفويف

ج هو عبارة عن اتيان المتكلم بمعاني شتّى من المديح وما سواهُ في جملة من الكلام منفصلة عن الاخرى مع تساوي الجُمَل في الوزن كقول البديع الهمذاني (والشاهد في البيت الثاني) :

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكباً   لو كان طلق المحيّا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يَخُن والشمس لو نطقتْ   والليثُ لو لم يَصِدْ والبحرُ لو عَذُبا

وكقول علي بن المقرب :

يا ابن الملوك الألى شادوا ممالكهم   بسَلَّة البيض والخطّيّة السُلُب
ارفعْ وضَعْ واعتزِمْ وأنفَعْ وضُرْ وصِلِ   واقْطَعْ وقَسِّمْ ودُمْ واصفحْ وجُدْ وهَبِ

ومثالهُ قول القائل :

أسمُ اُعلَ طُلْ سُدْ عِشِ ابْقَ اسْلَمْ مُرِ انْهَ اَقِلْ
صُلْ اَوْلِ هَبْ اَغْنِ جُدْ زِد صِلْ اَعِنْ اَنِلِ

٣ً التسميط

س ما هو التسميط

ج التسميط عند الشعراء المولَّدين هو ان يقسم الشاعرُ

البيت الى اجزاء عروضيَّة مقفَّاة على غير روي القافيـة كقول امرئ القيس :

وحربٍ وردتُ . وثغرٍ سددتُ وعِلْجٍ شددتُ . عليـهِ الحِبالا

وكقول عبد الغني النابلسي في المديح :

جزيلُ السخاء . جميـلُ العطاء جليلُ العَلاء . مِن النَّجم اهدى
سريعُ الجوابِ . رفيعُ الجَناب وَسيع الرِحاب . حبا الوَفْدَ رِفدا

وربَّما اتى التسميط في بيتين كقول الحريري :

ويحكِ يا نفس اَحرَصي على ارتيـادِ المَخْلَصِ
وطاوعي وأَخلِصـي واستمعي النُصْحَ وعِي

(راجع مثلًا آخر ورد لهُ في الجزء السادس من مجاني الادب ص ١٦) .

٤ التشريع

س ما هو التشريع

ج هو ان يكون للبيت فما فوقهُ قافيتان مع وزنين مختلفين من اوزان العروض بحيث يصحّ المعنى حال انفراد احدهما عن الآخر كقول الحريري (من الكامل) :

يا خاطب الدنيـا الدنيّـة انَّهـا شَرَكُ الرَّدى « وقَرارةُ الاَكدارِ »
دارٌ متى ما اَضحكت في يومهـا اَبكت غدًا « تبًّـا لها من دارِ »

فاذا حذفت آخرها يصيران من مجزوء الكامل :

يا خاطب الدنيا الدنيَّـة انَّها شرَك الردى
دارٌ متى ما اضحكت في يومهـا أبكت غدا

وكقول صفي الدين الحلي :

قومٌ بهم تُجلَى الكروبُ ومنهمُ يُرجى الجدا «إنْ ضنَّت الأنواءُ»
فنداوهم قبل السؤال وجودهم قبل الندى «وكذلك الكرماءُ»

وهذان البيتان من البحر الكامل ينتقلان الى مجزوئه بحذف آخرها

٥ الاجازة

س ما الاجازة

ج الاجازة ان يأتي شاعرٌ بشطر بيتٍ او ببيتٍ تامّ فينظم شاعر آخر في وزنهِ ومعناهُ ما يكون بهِ تمامُهُ (١ ومثال ذلك ما حُكي عن ابي نُوَّاس انَّهُ قال امام جماعة من الشعراء: اجيزوا قولي: عَذُبَ الماءُ وطابا

فقال ابو العتاهية من فورهِ: حَبَّذا الماءُ شرابا

ومن ذلك قول احمد بن يوسف الشاعر وكان سمع قينةً تُغنّي:

أناسٌ مضوا كانوا اذا ذُكِرَ الألى مضوا قبلهمْ صلّوْا عليهم وسلّموا

فقال احمد مُجيزًا:

وما نحنُ الّا مثلهم غير انّنا اَقمنا قليلًا بعدَهُمْ وتقدَّموا

(راجع في الجزء السادس من مجاني الأدب ص ١٤٤ مثالًا على الاجازة لامرئ القيس)

٦ التشطير

س ما هو التشطير

ج هو ان يعمد الشاعر الى ابيات لغيرهِ فيضمُّ الى كلّ شطر منها شطرًا يزيدهُ عليهِ عجزًا لصدرٍ وصدرًا لعجز

١ بدائع البدائه لابن ظافر

ومثال التشطير قول عبد الغني النابلسي مصدّرًا ومعجّزًا هذين البيتين :

رأيتُ خيال الظلّ اكبر عبرة   لمن هو في علم الحقيقة راقي
شخوصٌ وأشباحٌ تمرُّ وتنقضي   وتفنَى جميعاً والمحرّك باقي

تشطيرها :

« رأيتُ خيالَ الظلّ اكبر عبرة »   يَلوح بها معنى الكلام لأحداقِ
وفي كل موجودٍ على الحقّ آيةٌ   « لمن هو في علم الحقيقة راقي »
« شخوصٌ واشباحٌ تمرُّ وتنقضي »   وليس لها ممّا قضى الله من واقي
لها حركات ثمّ يبدو سكونها   « وتفنى جميعاً والمحرّك باقي »

٧ً التخميس

س ما هو التخميس

ج التخميس هو ان يقدّم الشاعر على البيت من شعر غيره ثلاثة اشطر على قافية الشطر الاول فتصير خمسة اشطر ولذلك سمّي تخميسًا

س اورد مثالًا على التخميس

قال احد الشعراء مخمّسًا ابيات ابي الفرج السّاوي (راجع ص١٩١)

دَعِ الدُّنيا الدنيَّةَ مع بَنيها   وطلّقها الثّلاثَ وكُنْ نَبيها
أَلَمْ يُنْبيكَ ما قد قِيلَ فيها   « هي الدُّنيا تَقولُ لساكنيها
حَذارِ حَذَارِ من بطشي وفتكي »
فلم يُسمَع لها فيهم كلامُ   وتاهوا في محبَّتِها وهاموا
وكم نصحَتْ وقالت يا نيامُ   « فلا يَغرُرْكُمُ منّي ابتسامُ
فقَولي مُضحِكٌ والفعلُ مبكي »

(فائدة) للشعر فنون أُخر ليس تحتها كبيرُ امرٍ سوى صعوبة

مسلكها. منها: ١ً العاطل وهو ان يؤتى بالفاظ في الشعر لا نقط لها. ٢ً الخالي وهو عكسهُ. ٣ً الارقط وهو ان يكون حرف منقوط وحرف بلا تنقيط. ٤ً والمؤسس وهو ان تكون جميع نقطهِ تحتية. ٥ً والموصل وهو ما اتصلت حروفهُ ببعضها. ٦ً والمقطوع وهو عكسهُ الى غير ذلك من الفنون التي يستدلّ عليها القارئ

امَّا التاريخ واللغز وما شاكل ذلك من اساليب الشعر فسيأتي الكلام عنها في الجزء الثاني ان شاء الله .

البحث الثاني

في فنون الشعر المعربة الخارجة عن وزن او تركيب البحور الستَّة عشر

س كم هي هذه الفنون

ج مرجعها الى فنَّين: الدوبَيت والموشَّح

١ً الدُّوبَيْت

س ما الدُّوبَيْت

ج الدُّوبَيت (١) ويسمّيهِ الشعراء المحدثون بحر السِلسلة او

---

١ الدُّوبَيْتْ لفظة مركَّبة من لفظتين فارسيَّة «دُو» معناها اثنان وعربيَّة «بَيتْ». سمّي بذلك لان الفرس ما كانوا ينظمون على هذا الوزن اكثر من بيتين. وقد قال البعض ان لفظة «دو بيت» عربية افسدها العامَّة وان اصلها «ذو بَيت». والصواب ما قلنا انفًا واذا عُرِّب فتعريبهُ «ذو بيتين» كما جاء في مقدَّمة ابن خلدون .

الرُّباعي وزنٌ استخرجهُ المولَّدون على طريقة الفرس أكثر استعماله في المعاني الرقيقة او في فنّ الغناء

س ما وزنهُ واعاريضهُ وضروبهُ

ج وزن الدوبَيت « فِعْلُنْ مُتَفَاعِلُنْ فَعُولُنْ فَعِلُنْ » مرَّتين . اعني :

فِعْلُنْ مُتَفَاعِلُنْ فَعُولُنْ فَعِلُنْ   فِعْلُنْ مُتَفَاعِلُنْ فَعُولُنْ فَعِلُنْ

س ما هي أعاريضهُ وأضربهُ

ج لهُ ثلاث اعاريض : ١ً العروض الأُولى « فَعِلُنْ » . لها ضربان : « فَعِلُنْ وفَعِلَانْ » ٢ً الثانيـة « فِعْلُنْ » . ولها ضربان : « فِعْلُنْ وفِعْلَانْ » . ٣ً الثالثة مجزوءة « فَعُولُنْ » . لها ضرب مثلها

س اورد مثالًا على الدوبَيت

قال الصلاح الإِرْبِلِيّ وقد ارسل بهذا الدوبَيت الى الملك الكامل من سجنهِ فامر بإفراجهِ :

ما امرُ تجنِّيك على الصَّبّ خفي   أفنيتُ زماني بالأسى والأسفِ

ما ذا غضبٌ بقدرِ ذنبي ولقـد   بالغتَ وما اردتَ الّا تلَفي

س كم قسمًا الدُّوبيت

ج الدوبَيت قسمان : فمنهُ ما يكون باربع قوافٍ متجانسة كقول بعضهم :

نفسي لك زائرًا وفي البؤسِ فِدا   يا مؤنس وَحدَتي اذا الليلُ هَدَا
ان كان فراقُنـا مع الصُبحِ بدا   لا أسفر بعـدَ ذاك صبحٌ ابدا

والبعض فرقوا ما بين الدوبيت والسلسلة فجعلوا تفاعيل السلسلة « فِعْلن فَعلاتن مُستَفعلن فَعِلَاتُنْ » مرّتين كقول منجك باشا في مدح ابي المواهب البكري :

ما المجدُ بجدٍ سوى الوصول اليكم   انتم دررُ الفضل والمدائح اسلاك

٢ الموشّح

س ما الموشّح

ج قال ابن خلدون: هو فنّ احدثهُ اهل الاندلس ينظمونهُ أسماطًا أسماطًا وأغصانًا أغصانًا ويلتزمون عدد قوافي تلك الاغصان وأوزانها متتاليًا فيما بعد الى آخر القطعة . وأكثر ما ينتهي عندهم الى سبعة ابيات وأغراضهُ مختلفة كما يُفعل بالقصائد

س مَن واضع فنّ الموشّحات وما سبب تسميته بذلك

ج قد اخترعهُ في الاندلس مقدّم بن معافر في القرن الثالث للهجرة ثمّ برع فيهِ عبادة القزّاز شاعر المعتصم بن صُمادِح في القرن الرابع وهذّبهُ القاضي هبة الله بن سناء المُلك المصريّ المتوفّى سنـة ٦٠٨ (١٢١٢ م) . وسبب تسمية هذا الفنّ بالموشّح هو لانّ خرجاتهِ وأغصانَهُ كالوشاح لهُ (١)

(١) راجع المحبّي في خلاصة الأثر (١ : ١٠٨) وابن خلدون في آخر مقدّمتهِ

قال بعض المحدثين: الغالب على فنّ التوشيح الاعراب وهو مختلف الاوزان والاوضاع. والسبب في ذلك ان تأليف التوشيح كان لغرض تطبيق الالفاظ على مؤلفات من الاصوات بمقتضى صناعة الموسيقى. فكان اهل تلك الصناعة يؤلفون من الاصوات التي تخرجها الضَّرَبات على الاوتار المختلفة. وكان مؤلف التوشيح تابعاً لما تقتضيه تلك الاصوات فتارة توافق الاوزان العربيّة وتارة تخالفها .

س ما هو وزن هذا الفنّ وكيف تركيبهُ

ج ليس للموشّحات وزن خاصّ وانما تأتي من كل البحور. واما تركيبها فكثيرًا ما يأتي على هذا المنوال: يُصَدَّر الموشح ببيتين هما كاللازمة لهُ يتفقان في الصدر والعجز كقول بعض المغاربة (وهذا من بحر الرمل):

قابَل الصبحُ الدُّجى فانهزما وَمَحا بالسيف أفقَ الغَلَسِ
وجلا الغيمَ ببرقٍ رَقَما ثوبَ ديباجٍ بهِ الجوُّ كُسي

ثم تتبعُ اللازمةَ ادوارٌ مركّبة من خمسة ابيات ثلاثة منها متفقة الصدر والرويّ والاخيران يكون صدرها وعجزها كصدر وعجز اللازمة كقولهِ ايضاً:

دور

نَسَخَ الصبحُ احاديثَ الدُّجى بِيَدٍ بيضاء في لَوْحِ النهارْ
وبِكَهف المغرب الليلُ ٱلتجى حين نادى الفجر في الشرق البِدارْ
وجلا الصبحُ جبيناً أبلجا فاختفى من نورِ النجمُ وغارْ
وبكى القُمريُّ لمّا ابتسما عاطرُ الزَّهرِ بثغرِ ٱلْمَسِ

وزها خدُّ الرُّبى فانسجما دمعُ عين العارضِ المنبجسِ

دور

للرياضِ اذهب ترَى بُلبُلَها يتغنّى بين زَهْرٍ ينجلي
وحدودُ الروضِ قد كلّلها دمعُ طَلٍّ لاشتياق البَلَل
وقُدودِ البانِ قد قامَ لها يانعُ الغصنِ مقامَ الأَسَلِ
والرُّبى فاحت تُحاكي خُزُما وعليها من ثياب السُّنْدسِ
جيبُها زُرِّرَ بالزَّهرِ كما زُرَّ بالفِضّة ثوبُ الأطلسَ

(فائدة) وكثيرًا ما تصرَّف الشعراء المحدثون بفنّ الموشحات فنهجوا له طرقًا مختلفة كقول صفي الدين الحلي في مدح السلطان المؤيد عماد الدين اسماعيل الايوبي (وهو من الوافر) :

عمادَ الدين مُغْنَى كلّ بائس ومن تغدو الأُسود له فرائسْ
ايا مَلِكًا حباني من زماني وأعطاني اماني والاماني
خفضتَ برفع شأني كلَّ شاني وشيّدتَ المعالي والمعاني

دور

ولولا انت يا مُردي الفوارسْ لأضحى العلم بين الناس دارسْ
تجرّى مَنْ لجودك رامَ حدًّا ومن بالغيث قاسك قد تعدّى
وكيفَ تُقاسُ بالأنواء جدًّا وكفُّك للورى ادنى وأندى

دور

افضتَ عليَّ للنُّعمى ملابسْ فصار لديَّ رَطْبًا كلُّ يائس
أآزهم انني بالمدح جازي وهل تُجزَى الحقيقة بالمجاز
ولكن في ارتجالي وارتجازي اذا قصّرتُ فالله المجازي
ولو نظّمتُ من مدحي نفائسْ فاني من قضاه الحق آئسْ

ومن ذلك ما جاء للشاعر عليّ بن ابرهيم الواعظ الواسطيّ المعروف بابن التُّرَدة :

يا أيُّها النائمُ كم ذا الرُّقادْ انتبهْ كم نومْ

انتبهْ من ذا الكَرى يا ذا الجِهادْ تلتَحِـقْ بالقَوْمْ
وتأهَّبْ لِغَدٍ يومَ المَعـادْ يا لهُ من يَومْ
وافعلِ الخيرَ لتحظى بالنَّجاحْ لا تكُن كَسْلانْ
واجتهِدْ فالمجتهدْ يَلقى الفَلاحْ ويَرى الاحسانْ
قد تقضَّى العمرُ دَعْ لهوَ الصِبا ايُّهـا الغافـلْ
لا تكُن ممَّن الى الجَهْل صبَا تَعِسَ الجَـاهلْ
كلُّ شيءٍ تحبُّ الدنيا هَبَـا ليسَ بالطائـلْ
كم حريصٍ خلَّفَ الدنيا وراحْ لابِس الأكفانْ
وأخو الفقْرِ تُوفّي فاستراحْ قلبُـهُ التَّعْبانْ

البحث الثالث

في فنون الشعر الجارية على ألسنة العامَّة

س كم هي هذه الفنون

ج اربعة: الزَجَل والمواليَّا والكان وكان والقُوما.

١ الزَّجل.

س ما هو الزجل ومن واضعهُ (١)

ج قال ابن خلدون: لمَّا شاع التوشيح في اهل الاندلس واخذ بهِ الجمهور لسلاستهِ وتنميق كلامهِ وتضريع اجزائهِ نسجت العامَّة من اهل الامصار على منوالهِ ونظموا في

---

١ الزجل هو المعروف بالشام بالمعنَّى ومنهُ نوع يُعرف بالقرّاديات

طريقتهِ بلغتهم الحضَريّة من غير ان يلتزموا فيهِ اعرابًا فاستحدثوا فنًّا سمّوهُ بالزجل والتزموا النظم فيهِ على مناحيهم لهذا العهد فجاؤونا فيهِ بالغرائب واتّسع فيهِ للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة . واوّل من ابدع في هذه الطريقة الزجلية ابو بكر ابن قُزْمان (١ وان كانت قيلت قبلهُ (اه)

س ما اصل تسمية هذا الفنّ بالزَجَل

ج قال المُحبّي في خلاصة الأثر : الزَجَل في اللغة الصوت وسُمِّي زجلًا لأنّهُ يُلتَذُّ بهِ وبِفَهْم مقاطيع اوزانهِ ولزوم قوافيهِ حتّى يُغنَّى ويُصوَّت

س ما هو وزن الزجل

ج لما كان هذا الفن من وضع العامّة فانهم اتّبعوا فيه النغم دون مراعاة الوزن وربما نظموا في سائر البحور الستة عشر لكن بلغتهم العامية ويسمّون ذلك الشعر الزَّجَليّ (٢ كقول مدغليس (ويُروى : مدغيس) الشاعر الزجليّ الاندلسيّ يصف روضةً وهو ملحق ببحر الرَّمَل :

١ اشتهر ابن قزمان في اواخر القرن الحادي عشر للمسيح وديوانهُ نُشِر بالطبع في . السنة ١٨٩٧

٢ راجع آخر مقدّمة ابن خلدون وقد اورد امثالًا كثيرة من فنّ الزَّجل كما سمعها من اهل الاندلُس والمَغرِب

ورذاذٍ دقَّ يَتزِلْ وشُعاعُ الشمسِ يَضرِب
فترى الواحدَ يُفَضِّضْ وتَرَى الآخَرْ يُذَهِّب
والنباتْ يشربْ ويَسْكَرْ والطيور ترقُصْ وتَطرب
والغُصون تعطف الينا ثمَّ تستحي وتهرب

ولصفيّ الدين في مدح كريم :

انتَ يا قِبلةَ آلكرامْ زينةُ المالِ والبنينْ
اللهْ يعطيكْ فوقْ ذا المقام ويعيدك على السنينْ

دور

انت شامَهْ بين الانامْ الله يحرس شمائلك
ويزيدكْ على الدوامْ كي نعيشْ في فواضلكْ
ما ينطوي ذكر الكِرامْ لمَّا تنشرْ فضائلكْ
ونهنّيكْ لكل عامْ والخلائق تقولْ آمينْ
قد بقينا بكْ في أمانْ الله يحييكْ طولَ السنينْ

والشائع في هذا الفنّ ان يأتي الشاعر ببيت ذي اربعة مصاريع الرابع منها يلزم رويًّا واحدًا في كل القصيدة والثلثة التي قبلهُ تكون على رويّ آخر متشابه مختلف في كل بيت . ودونك مثالاً على هذا النوع :

ضيف الليل

إعدّ بيوتْ مع قِصْدانْ اخبَرْكم بما قد كانْ كل الليل وانا سهرانْ
واصبح جلدي كالجربانْ

جاني البرغوث وانا نائم وصار على جسمي حائم وقال لي شهر وانا صائم
بحسابي خلص رمضانْ

قلت يا برغوث لا تجادبني علامك انت مراكبني بالله عليك لا تتاعبني
واتركني انا تعبان

قال لي انا ماني جمك لا اسرك ولا اغمك عشاي الليل من دمك
والغد يفرجها الرحمان

قلت له انا اراعيك وعند الناس انشد فيك روح لغيري يعشيك
واتركني الليله نعسان

قال ما هو على كيفك ذي الليله انا ضيفك عيب عليك يا حيفك
آتي اليك واروح جوعان

لا تظن اني اهابك فاني ادخل بثيابك واصير السع بجنابك
وعن قتلي تبقى عجزان

قلت يا برغوث اسمع مني والليله ارجع عني دعني نائم متهني
يبقى لك عندي إحسان

قال لي شوارك مرذوله وعندي ما هي مقبوله ومواعيدك مجهوله
وعمري ما اصدق انسان

قلت يا برغوث يا علوق يا اسود يا محروق خدعتك وانت مالك ذوق
وعجزك من قريب يبان

قال لي بالنهار تراني حقير وفعلي بالليل فعل كبير انا ما افزع من وزير
ولا من حاكم ولا سلطان

تعيرني بسوادي واليوم انا لك معادي نجيك انا واولادي
ونفرجيك فعل السودان

قلت يا برغوث ماني جمك ولا اولادك ولا عمك ماسحق ابوك مع امك
وبناتك مع الصبيان

قال اصبر علي حتى تنام اجيك انا واولادي قوام وانت لابس ثوب الخام
وعن مسكتي تبقى عجزان

تصير تتحرك وتتقلب والنوم عليك مغلب وفي لحمك انا متكلب
واصبغ جلدك والقمصان

قلت له ان كانك مايق تأتيني وانا فائق وضوء الشمس يكون شارق
لننظر من هو الغلبان

قال لي بالنهار انا بصوم واقضيه راحه مع نوم عند غياب الشمس بقوم
وادور حول السيقان
بالنهار ان صار لي فرصه اعود اقرص لي كم قرصه لكن اخرى من الجرصه
فابقى مرتاح غير تعبان
وانت ما فيك تقتلني انا زيّ السلطنّي عولًا ايدك تمسكني
اقمز قمز الغزلان .
واعرف لمّا تمسكني حالاً تصير تفركني وما تعود تتركني
وفي قتلي تبقى شمتان
لكنّي باوّل الليل اتصيّد قوتي مع حيل واصير اركض مثل الخيل
وصدرك اعمله ميدان
قلتُ يا برغوث يا مجنور من جورك انا مقهور لا بد ما اعمل لك تنور
واحميه بشوك وبلّان

٢ الموالياً

س ما هو المواليا

ج هو فنّ من فنون الشعر وُضع للغناء . قيل ان اول من تكلّم بهذا النوع بعض اتباع البرامكة بعد نكبتهم فكانوا ينوحون عليهم ويكثرون من قولهم « يا مَوَالِي » وبالجمع « يا مَوالِيًا » فصار يُعرف بهذا الاسم (١ وقيل اول ما جاء

---

١ وقد سمّاهُ البعض « مُوَالى » قالوا سمّي بذلك لموالاة بعض قوافيه بعضاً . وقد قرأنا في بعض الكتب المخطوطة القديمة ما نصّهُ : انّ المواليا اخترعهُ البغداديّون وذلك انّهم عمدوا الى بيتين من البحر البسيط وجعلوا لكلّ مصراع قافيةً ووالَوا القوافي فكانت متواليةً فسمّي مواليا . وقال صفيّ الدين الحلّيّ : انهُ سُمّي مواليا لانّ بعض الزرّاع من

من هذا الفنّ قول جارية من اماء البرامكة ترثيهم :

يا دارُ اين ملوكُ الارض اين الفُرْس اين الذين حموها بالقَنــا والتُّرْسْ
قالت تراهم رِمَمْ تحت الاراضي الدُرْسْ خُفوتُ بعدَ الفصاحة اَلْسِنتهم خرسْ

س على اي وجه تركيبهُ

ج تركيب الموالي على الغالب من بيتين تختم اشطرهما الاربعة بروي واحد . امَّا وزنهُ على الغالب فمن بحر البسيط مع ثلاث اعاريض يشبهها ضربُها وهي « فاعلُنْ فِعْلُنْ وفِعْلَانْ » لكنهُ كثيرًا ما تُسكَّن في الحشو اواخر الالفاظ ويدخل فيهِ من كلام العامَّة ومثال المواليا قول عبد الغني النابلسي :

يا عارف الله لا تغفل عن الوهَّابْ فانهُ ربُّكَ المعطي حضر او غابْ
والقلب يقلبْ سريعًا يشبهُ الدولابْ اِيَّاك والبرد يدخلْ من شقوق البابْ

ومنهُ قول صفيّ الدين الحلّي (راجع الصفحة ١٨٤)

من قال جودة كُفوفك والحَيا مثلَيْنْ اخطا القياسَ وفي قولهْ جمَعْ ضدَّيْن

البغداديين كانوا يسقون بالدلاء ويغنُّون ويقولون في آخر غنائهم : «يا موالي». ويجوز في هذا الفنّ ما لا يجوز في غيرهِ ويُسامَحُ ناظمُهُ في اخراج بعض كلمات عن اصلها وعن وضع اللُغة (اه) . وورد في كتاب خلاصة الأثر للمحبّي : انَّ اوَّل من اخترع المواليا اهلُ واسط وهو من بحر البسيط اقتطعوا منهُ بيتين وقفّوا شطر كلّ بيت بقافيــة ونظموا فيهِ الوصف والمديح وسائر الصنائع على قاعدة القريض ولمَّا كان سهل التناول تعلَّمهُ عبيدهم المتسلّمون عمارتهم والغلمان وصاروا يغنُّون بهِ في رؤُوس النخل وعلى سقي المياه ويقولون في آخر كلّ صوت : « يا مواليا » اشارةً الى ساداتهم فسُمّيَ بهذا الاسم ولم يزالوا على هذا الاسلوب حتّى استعملهُ البغداديُّون فلطفوهُ حتّى عُرِفَ بهم دون مخترعيهِ ثم شاع (اه) وقيل انَّ هذا الفنّ يحتمل الاعراب واللَّحن

ما جُدتَ الّا وثغرُكَ مبتسمٌ يا زَينْ   وذاكَ ما جاد الّا وهو باكي العَيْنْ

٣ً الكان وكان

س ما هو الكان وكان وكيف وزنهُ

ج هو احد الفنون الجارية على السنة العامّة . قال الابشيهي في كتاب المستطرف والمحبّي في خلاصة الأثر : للكان وكان نظمٌ واحد وقافيــة واحدة ولكن الشطر الاوَّل من البيت اطول من الثاني ولا تكون قافيتــهُ الّا مردوفة . واجراؤُهُ المعهودة هي :

مُستَفعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ   مُستَفعِلُنْ مُستفعِلُنْ
مُستَفعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ   مُستَفعِلُن فِعـلَانْ

س مَن هو مخترع هذا الفنّ وما سبب تسميتهِ بذلك

ج ان اوَّل من اخترعهُ البغداديّون . وسمّوهُ بذلك لأنّهم نظموا فيهِ الحكايات والخرافات . وقولهم « كان وكان » كنايةٌ عن الاحاديث التي لا يُعتنَى بها . ثمَّ نظم فيهِ بعض فضلاء بغداد كالامام ابن الجوزي وشمس الدين الكوفيّ المواعظ والحِكَم وغير ذلك من المعاني

س اوردْ مثالًا على الكان وكان

دونك مثالًا اورده الابشيهي في كتاب المستطرف :

يا قاسيَ القلبِ مالكْ تسمعْ وما عندكْ خبرْ
ومن حرارةْ وعظي قد لانتِ الأحجارْ
افنيتَ مالكْ وحالكْ في كلّ ما لا ينفعكْ
ليتكْ على ذي الحالهْ تقلعْ عن الإصرارْ
تحضُرْ ولكنَّ قلبكْ غايبْ وذهنكْ مشتغلْ
فكيفَ يا متخلِّفْ تُحسَبْ من الحُضَّارْ
ويحكْ تنبَّهْ فتيْ وافهمْ مقالي واستمعْ
ففي المجالسْ محاسنْ تُحجَبْ عن الأبصارْ
يُحصِي دقائقْ فعلكْ وغزْ لحظكْ يعلمُهْ
وكيف تغرُبْ عنهُ غوامضُ الأسرارْ
تلوتُ قولي ونُصحي لِمَنْ تدبَّرْ واستمعْ
ما في النصيحهْ فضيحهْ كلّا ولا إنكارْ

٤ القوما

س ما هو القوما وما هو وزنهُ

ج هو أحد فنون المولّدين . ولهُ وزنان : الاوّل مركّب من اربعة اقفالٍ ثلاثة متساوية في الوزن والقافيـة والرابع اطول منها وزنًا وهو مُهمَل بغير قافية . والثاني من ثلاثة اقفال مختلفة الوزن متّفقة القافية فيكون القفل الأوّل اقصر من الثاني والثاني من الثالث واجزاؤهُ « مُستفعِلن فِعلانْ » مرّتين

س مَن اخترع هذا الفنّ وما سبب تسميتهِ بالقُوما

ج قال المحبّي : اوَّل من اخترعهُ البغداديُّون في الدولة العبَّاسيَّة برسم السُّحُور في رمضان وسُمّي بهذا الاسم من قول المغنّين بعضهم لبعض : « قُوما لنُسَحِّر قُوما » فغلب عليهِ هذا الاسم (١)

س ايتِ بشاهد على فنّ القُوما

من ذلك ما ذكرهُ الابشيهي لبعضهم في مدح احد الخلفاء نظمهُ ليُسحِّر في رمضان :

لا زالَ سَعْدكْ جَديدْ   دايمْ وَجدّكْ سَعيدْ
ولا بَرِحتَ مُهنَّا   بكلّ صَومٍ وعيدْ

---

(١) وقيل اوَّل مَن اخترعهُ ابنُ نُقطة برسم الخليفة النَّاصر والصحيح انهُ مُختَرَع من قَبلِهِ . وكان النَّاصر يَطرَب لهُ وكان لابن نقطة ولدٌ صغيرٌ ماهرٌ في نظم القُوما فلمَّا ماتَ ابوهُ آراد ان يُعرِّفَ الخليفةَ بموت ابيهِ ليُجرِيَهُ على مَفرُوضهِ فتعذَّرَ عليهِ ذلك . فصبَرَ إلى دُخولِ شَهرِ رَمَضان ثم أَخذ أتباعَ والدهِ من المُسَحِّرينَ ووَقَفَ اَوَّل لَيلَةٍ من الشَّهرِ تحتَ الطيَّارة وغنَّى القُوما بصَوتٍ رَقيق فأَصغَى الخليفةُ اليهِ وطرِبَ لهُ . فلمَّا وَصَلَ الى القُوما كانَ اوَّل ما قالهُ :

يا سيِّدَ السَّاداتْ   لَكْ بالكَرَمْ عاداتْ
انا بُنَيّْ ابنِ نُقطَهْ   تَعيشْ أبُويا ماتْ

فأعجَبَ الخليفةَ منهُ هذا الاختصار فاستحضرهُ وخلَعَ عليهِ وفَرَضَ لهُ ضِعفَي ما كانَ لأَبيهِ

في الدّهرِ أنتَ الفَريدْ وفي صِفاتكْ وَحيدْ
والخَلْقُ شعرٌ مُنَقّحْ وأنتَ بيتُ القَصيدْ
يا مَنْ جَنابُهْ شَديدْ ولُطْفُ رأيِهْ سَديدْ
ومَنْ يُلاقي الشّدايدْ بِقَلْب مثل الحَديدْ
لا زِلتَ في التّأييدْ في الصّوْم والتّعْييدْ
ولا بَرِحتَ مُهنّأً بكلِّ عامٍ جَديدْ
نَحْنُ لِذِكْرِكْ نُشيدْ بقَوْلِنا والنّشيدْ
ونَبْعَثْ أوصافَ مَدْحكْ على خُيولِ البَريدْ
ظِلّكْ علَينا مَديدْ ما فَوْق جُودكْ مَزيدْ
وكَمْ غَمَرْتَ بفضلكْ قَريبَنا والبَعيدْ
لا زِلْتَ في كلّ عِيدْ تَحظَى بِجَدٍّ سَعيدْ
عُمْرك طويلٌ وقَدْركْ .وافِرْ وظِلّكْ مَديدْ
لا زالَ قَدْركْ مَجيدْ وظِلِ جُودكْ مَديدْ
ولا بَرِحتَ مُوَقّى كما يُوقّى الوَليدْ
ما زالَ بِرّكْ يَزيدْ على أقَلِّ العَبيدْ
وما بَرِح جُودُ كَفّكْ مِنّا كَحَبْلِ الوَريدْ
لا زالَ بِرّك مَزيد دايمْ وبأسكْ شَديدْ
ولا عَدِمْنا نَوالكْ في يَومِ فِطرٍ وعِيدْ

هذا ما تيسّر لنا جمعُهُ من هذه الفنون الشّعريّة . ولا غروَ أنّ للمغنّيين من العامّة والموقّعين على آلات الطرب ضروبًا أُخر كثيرة غير ما ذكرنا لعلّهم اهتدوا اليها بنفسهم او اخذوها من الشعوب المجاورة لهم لكنها لم تُقيَّد حتى الآن فلم نرَ لايرادها داعيًا . وفي ما سبق كفاية . ولله الحمد على نجاز العَمَل

تمّ بحولهِ تعالى الجزء الاول

فهرس

للجزء الاول من كتاب علم الادب



فهرس ثانٍ لموادّ كتاب علم الادب

مرتّب على حروف المعجم



ب

